

مِزَانُ الْحَقِّ عَنْ الْفَاطِظِ الشِّفَا

للأبي العباس تقي الدين أحمد بن محمد الشُّمَّي القسطنطيني
المتوفى سنة 872 هـ - 1467 م

دراسة وتحقيق
الدكتور موسى السماعيل



المجلد الأول

منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر
قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015

مُزِيلُ الْخَفَا عَنْ أَلْفَاظِ الشِّفَا

لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد الشُّمْنِيّ القسطنطيني
المتوفى سنة 872هـ - 1467م

تحقيق

الدكتور موسى إسماعيل

الجزء الأول

منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
قسطنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2015

محفوظ جميع الحقوق

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2015 م

رقم الإيداع: 2015

ردمك / 828 - 350 - 9931 - 987

مكتبة المرجعية الدينية والوطنية

تم بحمد الله نشر عشرات العناوين العلمية عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في التفسير والفقه وأصوله، وفي التصوف والحضارة الإسلامية، وفي تراجم العلماء وآثارهم، ونعدها خالصة لوجه الله تعالى، وذخرا للوطن، ومكتبة وقفية تحمي «مرجعيتنا الدينية والوطنية».

ونُسدي الشكر إلى معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور محمد عيسى على حرصه وتوجيهه.

وإلى إطارات وموظفي الوزارة، ونخص بالذكر الأستاذ فيلاي بدر الدين، المدير الفرعي للمطبوعات وإحياء التراث الإسلامي، ولأعضاء اللجان العلمية من الأساتذة والباحثين الجامعيين المعروفين بإسهامهم البيداغوجي والعلمي.

إن مديرية الثقافة الإسلامية تسعى منذ سنوات لتوفير الكتاب العلمي المرجعي، خصوصا ما تعلق بهويتنا، وقد كانت تظاهرات الجزائر مناسبة للاستثمار في ذلك، منها تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية (2011)، وتظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية (2015)، إلى جانب حرصها في طبع كتب أعمال الملتقيات والقوافل العلمية، وتطوير طباعة المصحف الشريف نوعيا وكما من حيث الإخراج والتجليد، وتوفيره سمعيا وبصريا في الوسائط الجديدة، ورقمنة المخطوط وتراث الوزارة الثقافي والفكري.

مدير الثقافة الإسلامية

أ.د/ بوزيد بو مدين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا إله إلا الله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وخير خلق الله، وعلى آله وصحابه وتابعيه.

أما بعد: فقد ألف الأئمة كتباً كثيرة في الشرائع النبوية والمغازي والسير، لكن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض يُعدُّ من أهمها وأجلها نفعا، وأكثرها فائدة، وأسهلها عبارة، وأدقها إشارة ورمزا، وهو كما قال يحيى بن أبي بكر العامري: «ومما لم يُنَسَّجْ على منواله ولا سمحت القرائح بمثاله، كتاب الشفا للقاضي الإمام عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله تعالى، فإنه تكلم في ذات النبوة وأحكامها، والمجوزات عليها ولها، مع ما وشحه به من الشرائع المرضيات، والهدى والمعجزات، بقوة عبارة وتلويح إشارة، على أحسن أسلوب وأمنح تقسيم وترتيب، فشكر الله سعيه وأعاد عليه نفعه»⁽¹⁾.

ولهذا اعتنى به العلماء شرقا وغربا، وتنافسوا في قراءته وإقراءه قديما وحديثا، واهتموا به اهتماما بالغا فكثرت عليه الشروح والحواشي والتعليقات، واعتنى به النساخ في جميع بلاد العالم الإسلامي وأوقفوا نسخه في المكتبات العامة والخاصة.

وكان للشيخ تقي الدين الشُّمْنِيَّ عناية به، فقد تلقاه عن شيوخه ودَرَّسَهُ لطلابه، فرأى من الفائدة أن يجمع ما كان يدور في مجالسه العلمية من فوائد علمية، كضبط الكلمات، وتوضيح بعض العبارات، والتعليق على الروايات، تعين الطالب على الفهم، وترشده إلى الصواب، كما قال في مقدمة كتابه: «قد يسر الله تعالى عند إقرائي للشفاء شيئا من تفسير مفرداته، ونَبْذًا من فتح مغلفاته وحل مشكلاته، فجمعت ذلك نفعا لطلابه، وإعانة لمحصليه وقارئيه».

ولما أُعْلِنَ عن اختيار مدينة قسنطينة كعاصمة للثقافة العربية لسنة 2015م، رأيت أن أسهم في نشاطها الثقافي من خلال الإصدارات الخاصة بعلماء قسنطينة، فكان اختياري لكتاب مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا للإمام تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد الشُّمْنِيَّ القسنطيني الأصل.

(1) انظر بهجة المحافل وبغية الأمانات في تلخيص المعجزات والسير والشمائل (6/1).

وأنا شاكر لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية على قبول الكتاب وإدراجه ضمن المطبوعات الخاصة بالتظاهرة.

عملي في التحقيق.

1. أثبتُّ النص الكامل لكتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، وجعلته في أعلى الصفحة، ووضعت تعليقات الشمني عليه في الأسفل، لتكتمل الفائدة.
 2. اكتفيت في التعليق على كتاب مزيل الخفا، لأنه المقصود بالتحقيق، ولم أعلق على كتاب الشفا حتى لا أثقل الهوامش.
 3. نسخت نص الكتاب حسب قواعد الإملاء والخط الحديثة.
 4. خرجت آيات القرآن الكريم، وأثبت التخريج عقب الآية بين معقوفتين.
 5. خرجت الأحاديث المذكورة في كتاب مزيل الخفا، أما الأحاديث الواردة في الشفا فلم أقم بتخريجها.
 6. ضبطت بالشكل الألفاظ والكلمات التي تحتمل اللبس.
 7. أثبت الفروق بين النسختين في الهامش، وبينت ما كان من زيادة، أو خطأ، أو سقط.
 8. أشرت في الهامش إلى نهاية كل ورقة من المخطوط (أ)، مع الإشارة إلى رقم تلك الورقة.
 9. وضعت الكلمات والعبارات المأخوذة من كتاب الشفا والمبدوءة بكلمة «قوله» بين قوسين كبيرين هكذا () .
 10. جعلت الأبواب والفصول في كتاب الشفا تبدأ بصفحة جديدة.
- وآمل أن تحقق هذه الخطة ما أصبو إليه من إخراج الكتاب في طبعة علمية جيدة تقر بها عين المؤلف لو كان حيا، وتفيد القارئ وتُغنيه عن النسخة المطبوعة من قبل، والتي لا تخلو من أخطاء غفل عنها الطباعون.
- وإني لأسأل الله جلّت قدرته أن يرحم مؤلفه ويجزيه خير الثواب، وأن ينفع به القراء الكرام والمطلعين عليه، وأن يديم النفع به بعون الله وتوفيقه.
- وأسأله تعالى أن يرزقني السداد، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة برحمته، إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ترجمة العلامة

أحمد بن محمد الشمني⁽¹⁾

اسمه ونسبه: هو أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة التميمي، الشُّمِّي، القَسْنُطِينِي الأصل، الإسكندري المولد، القاهري الدار، الحنفي المذهب.

التميمي: نسبة إلى الصحابي تميم الداري رضي الله عنه⁽²⁾.

الشُّمِّي: بضم الشين والميم وتشديد النون، نسبة إلى «شُمَّة»، وهي مزرعة خارج مدينة قسنطينة.

قال السيوطي: «الشُّمِّي: بضمين وتشديد النون إلى شُمَّة مزرعة بباب قسنطينة»⁽³⁾.

والغالب على الظن أن السيوطي قد أخذ هذا التحديد لمكان «شُمَّة» من شيخه الشُّمِّي.

بينما يذكر الزبيدي في تاج العروس أنها «مزرعة ظاهر قسنطينة، أو اسم قبيلة من العرب ينزلون هناك»⁽⁴⁾.

القَسْنُطِينِي: نسبة إلى مدينة قسنطينة في الشرق الجزائري، حيث كان موطن أجداده.

(1) مصادر ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (174/2 - 178)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (100/2 - 105)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (375/1 - 381)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (464/9 - 467)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (119/1 - 121)، والطبقات السنية في تراجم الحنفية (81/2)، والأعلام (230/1)، ومعجم المؤلفين (149/2).

(2) انظر الضوء اللامع (174/2).

(3) لب الباب في تحرير الأنساب (ص: 156).

(4) تاج العروس من جواهر القاموس (289/35).

وُلِدَ جده الأعلى أبو عبد الله محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد التميمي المعروف بابن الشُّمْنِيِّ بقسنطينة سنة 593هـ - 1197م، ثم انتقل إلى مصر، وكان أحد المتصدرين في جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه لإقراء الفقه والأدب⁽¹⁾.

الإِسْكَندَرِيّ: نسبة إلى مدينة الإسكندرية التي انتقل إليها جده محمد بن خلف الله بن خليفة، وفيها كان مولد تقي الدين أحمد الشمني.
القَاهِرِيّ: نسبة إلى مدينة القاهرة التي استقر فيها حتى توفي رحمه الله تعالى.

الحنفي: نسبة إلى المذهب الحنفي الذي انتقل إليه، فقد نشأ في بداية أمره مالكيًا على ما كان عليه أبوه وجده، ثم ترك المذهب المالكي وتحول إلى الحنفية في سنة 834هـ - 1431م.

ولا ندري الأسباب الحقيقية لهذا التحول، ولكن السخاوي يرجع السبب إلى ما حصل له مع شيخه البساطي الذي قدم عليه غيره ممن هو دونه في الرُّبُوبَةِ، فترك المالكية وتحفّ.

يقول السخاوي: «وسمعت من يذكر في سبب تحوله حنفياً كون البساطي قدم بعض رفاقه ممن التَّقَيَّ أمثل منه بكثير عليه»⁽²⁾.

لقبه: تقي الدين.

كنيته: أبو العباس.

مولده: ولد بالإسكندرية في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة 801هـ - 1398م⁽³⁾.

طلبه للعلم: عاش أحمد الشمني في كنف أبيه الذي أولاه العناية والرعاية الخاصة منذ صغره، فبدأ بحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلم.

(1) انظر حسن المحاضرة (1/101).

(2) انظر الضوء اللامع (2/174).

(3) انظر حسن المحاضرة (1/376).

وفي سنة 810هـ . 1407م ارتحل مع أسرته إلى القاهرة، فأتاحت له الفرصة في أن يلتقى كبار العلماء.

وعكف على التحصيل وملاقة الشيوخ والاحتكاك بالأئمة حتى برع في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والمنطق والصرف والهندسة والهيئة والحساب والطب.

وكانت له حافظة قوية جعلته بعد جلوسه للتعليم يملئ دروسه ومباحثه من حفظه من غير نظر في الكتب والكراريس، حيث يقول عنه السخاوي بعد أن ذكر جملة من الكتب التي دَرَسَهَا: «وكذا أقرأ غيرها من مشكلات الكتب كالكشاف واليبضاوي في التفسير، والدار حديثي وشرح المواقف وشرح المقاصد في أصول الدين، والعضد والفنري في أصول الفقه، والرضي شرح الكافية في العربية، وهو غاية ما في هذا النوع من الفن المطول، والمختصر في المعاني والبيان وما على ما سبق من الحواشي، وانفرد بتقرير جميع ذلك بدون ملاحظة كراس ولا حاشية، مع استحضاره لتقرير مشايخه فيما يتوقف العلم بالمراد غالبا عليهم، وحكى لي بعض أخصائه من ثقات تلامذته أنه سمعه بُعِيدَ الخمسين يقول: إنه أقرأ المطول بغير مطالعة اثنتي عشرة مرة، قال ذلك وقد اتفق دخول اثنين من أبناء العجم «الجمالية» فوجداه يُقَرِّئُ فيه، فجلسا عنده وبحثا معه واستشكلا عليه، فلم ينقطع عنهما بل افحمهما، بحيث امتلأت أعينهما من جلالته، وصرحا بعد الانفصال عنه للمشار إليه بأنهما لم يظنا في أبناء العرب من ينهض بذلك، وبلغ الشيخ فتبسم وقال ما تقدم»⁽¹⁾.

وظائفه: بعد أن أتم التحصيل واكتملت ملكته جلس للتعليم والتدريس، وتصدّر لإقراء الطلبة الذين قصدوه من كل صوب وتزاحموا على مجلسه وتفاخروا بالانتساب إلى حلقاته والأخذ عنه⁽²⁾.

درس في المدرسة «الجمالية» التي بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي، وجعلها مدرسة للحنفية.

(1) انظر الضوء اللامع (174/2).

(2) انظر بغية الوعاة (377/1).

وأقام في آخر حياته في تربة «قايتباي الجركسي»، التي ابتناها هذا الأخير، تحت قلعة الجبل، فتولى الخطابة فيها ومشيختها، وتولى معها مشيخة مدرسة «اللالا» حتى مات ودفن في التربة المذكورة.

وعُرضَ عليه قضاء الحنفية في سنة 869هـ - 1465م قبل وفاة بثلاث سنوات فاعتذر⁽¹⁾.

شيوخه: أخذ عن شيوخ كثيرين في مختلف التخصصات، نذكر منهم:

1 - والده كمال الدين، المتوفى سنة 821هـ - 1418م، قرأ عليه العربية في ابتداء أمره⁽²⁾، وأخذ عنه أيضا كتاب البحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدر الدين الزركشي⁽³⁾، وكتاب التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للزركشي أيضا⁽⁴⁾.

2 - أبو طاهر شرف الدين محمد بن محمد بن عبد اللطيف، ابن الكويك، المتوفى سنة 821هـ - 1418م⁽⁵⁾.

3 - شمس الدين الشمس محمد بن عبد الماجد العجيمي النحوي، المتوفى سنة 822هـ - 1419م، وهو حفيد جمال الدين بن هشام صاحب «المغني»⁽⁶⁾.

4 - ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي ثم المصري، الحافظ العراقي، قاضي الديار المصرية، المتوفى سنة 826هـ - 1423م، أخذ عنه الحديث⁽⁷⁾.

5 - نور الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الفوي، المتوفى سنة 827هـ - 1424م، سمع منه الصحيحين وسنن الدارقطني وصفوة التصوف⁽⁸⁾.

(1) انظر بغية الوعاة (377/1).

(2) انظر المنهل الصافي (101/2).

(3) انظر صلة الخلف بموصول السلف (ص: 146).

(4) انظر طف الثمر في رفع أسانيد المنصفات في الفنون والأثر (ص: 106).

(5) انظر الضوء اللامع (174/2)، والبدر الطالع (119/1).

(6) انظر حسن المحاضرة (162/1).

(7) انظر بغية الوعاة (376/1).

(8) انظر ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (214/2).

6 . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم وقيل: ابن أبي بكر، الشطنوفي، المتوفى سنة 832هـ. 1429م⁽¹⁾.

7 . الشيخ نظام الدين يحيى بن يوسف بن محمد البيرامي، المتوفى سنة 833هـ. 1430م، سمع منه المطول بكامله، والمنطق، والهداية في الفقه الحنفي⁽²⁾.

8 . الشيخ سراج الدين عمر بن منصور بن عبد الله السراج القاهري الحنفي الطبيب، يعرف بالبهادري، المتوفى سنة 834هـ. 1431م، سمع منه الموجز في الطب⁽³⁾.

9 . علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري العجمي، المتوفى سنة 841هـ. 1438م، سمع منه التلويح والتوضيح في أصول فقه الحنفية، والهداية في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وشرح المفتاح في المعاني⁽⁴⁾.

10 . العلامة قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن محمد بن الحسن ابن غانم الطائي البساطي المالكي المتوفى سنة 842هـ. 1439م، لازمه الشمني وقرأ عليه أصول الفقه وأصول الدين والفقه والكثير من مصنفاته وغيرها وانتفع به في البلاغة⁽⁵⁾.

11 . الشيخ شهاب الدين ابن المجدي أبو العباس أحمد بن رجب بن طنبغا، المتوفى سنة 850هـ. 1447م، قرأ عليه الهندسة، والهيئة، والحساب⁽⁶⁾.

12 . الشيخ قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة 852هـ. 1449م، سمع منه شرح ألفية العراقي في علم الحديث، وقرأ عليه أيضاً شرح النخبة في المصطلح⁽⁷⁾.

(1) انظر حسن المحاضرة (532/2)، والضوء اللامع (256/6)، وشذرات الذهب (289/9).

(2) انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (103/2).

(3) انظر المنهل الصافي والمستوفي (103/2).

(4) انظر المنهل الصافي (102/2).

(5) انظر المنهل الصافي (102/2)، وحسن المحاضرة (33/1)، وشذرات الذهب (357/9).

(6) انظر المنهل الصافي والمستوفي (103/2).

(7) انظر المنهل الصافي والمستوفي (103/2).

13 . ناصر الدين البارنباري، قرأ عليه الخزرجية في العروض والقافية، وفصول ابن الهائم في الفرائض، والنزهة في الحساب بالقلم، ورسالتا المارديني على ربع الدائرة⁽¹⁾.

14 . محمد بن علي الحلاوي، أخذ عنه حواشي علي الصحاح لأبي محمد بن بري⁽²⁾.

15 . الشيخ أبي بكر الطبيب العجمي نزيل القاهرة، قرأ عليه المنطق، وآداب البحث⁽³⁾.

تلاميذه: تتلمذ عليه كثير من الطلبة من مصر وغيرها، ومن أهم الذين أخذوا عنه نذكر منهم ما يأتي:

1 . القاضي معين الدين عبد اللطيف بن القاضي شرف الدين أبي بكر بن سليمان الحلبي الأصل، المصري المولد والمنشأ، الشافعي، نائب كاتب السر بالديار المصرية، وكانت سر حلب، المعروف بابن العجمي، وبابن شرف الدين الأشقر، المتوفى سنة 863هـ - 1458م⁽⁴⁾.

2 . شهاب الدين أبو الثناء، أحمد بن محمد بن صالح بن الفخر عثمان بن النجم محمد بن القاضي محيي الدين الأشليمي سكنا الحسيني، المعروف بابن صالح، المتوفى سنة 863هـ - 1459م⁽⁵⁾.

3 . أبو المحاسن جمال الدين، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، المتوفى سنة 874هـ - 1470م.

يقول: «وهو شيعي وعليه قرأت، وحضرت دروسه، وبه انتفعت»⁽⁶⁾.

ويقول أيضا: «ولي منه إجازة بما يجوز له وعنه روايته»⁽⁷⁾.

(1) انظر المنهل الصافي والمستوفي (102/2).

(2) انظر طف الثمر (ص: 222).

(3) انظر المنهل الصافي والمستوفي (103/2).

(4) انظر المنهل الصافي والمستوفي (353/7)، وشذرات الذهب (432/9).

(5) انظر نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص: 58).

(6) انظر المنهل الصافي والمستوفي (104/2).

(7) انظر المنهل الصافي والمستوفي (105/2).

4 - الشيخ الإمام عضد الدين عبد الرحمن بن العلامة الشيخ سيف الدين ابن يحيى بن يوسف السيرامي الحنفي، المتوفى سنة 880هـ 1475م⁽¹⁾.

5 - هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن أبي الطاهر إسماعيل، شمس الدين بن نبيه الدين الجوجري، ثم القاهري، الشافعي، المتوفى سنة 889هـ 1484م، أخذ عن الشمني التفسير والنحو، ودرس عليه المغني لابن هشام⁽²⁾.

6 - ابن ظهيرة، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين القرشي المَحْزُومِي المكي، برهان الدين الشافعي، قاضي مكة المشرفة، المتوفى سنة 891هـ 1486م⁽³⁾.

7 - عبد القادر بن عبد اللطيف الأصغر بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المحيوي الحسيني الفاسي الأصل المكي الحنبلي، المتوفى سنة 898هـ 1590م، أخذ عنه العربية⁽⁴⁾.

8 - الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو الجود، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم، ابن شيخ الإسلام برهان الأنصاري الخليلي، ثم المقدسي الشافعي، المتوفى سنة 902هـ 1496م⁽⁵⁾.

9 - العلامة الطبيب مظفر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل مظفر الدين العيني الأصل القاهري الحنفي، المعروف بابن الأمشاطي، المتوفى سنة 902هـ 1496م⁽⁶⁾.

10 - الشيخ العلامة شمس الدين أبو الخير وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد، السخاوي، المتوفى سنة 902هـ 1497م

(1) انظر المنهل الصافي والمستوفي (234/7).

(2) انظر الضوء اللامع (123/8).

(3) انظر نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص: 20).

(4) انظر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (193/2).

(5) انظر الكواكب السائرة (25/1)، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (207/2).

(6) انظر البدر الطالع (293/2).

وعن تتلمذه عن الشمني يقول في ترجمته لنفسه في الضوء اللامع: «وحضر كثيرا من دروس التقي الشمني في الأصلين والمعاني والبيان والتفسير، وعليه قرأ شرحه نظم والده للنخبة مع شرح أبيه لها»⁽¹⁾.

11. الشيخ العلامة محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، الشهير بابن هشام، النحوي، المصري نزيل دمشق، تفقه بالعلامة الشمني وأخذ عنه النحو، المتوفى سنة 907هـ. 1501م⁽²⁾.

12. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، المتوفى سنة 911هـ. 1505م، وقد خصّ شيخه الشمني بترجمة وافية في كتابه «بغية الوعاة»، وأثنى عليه كثيرا، وذكر أنه كتب له تقریظا على شرحه لألفية ابن مالك البهجة المرضية، وعلى تأليفه جمع الجوامع في العربية.

لزمه أربع سنوات لم يفارقه فيها، من أول سنة 868هـ. 1464م إلى أن مات سنة 872هـ. 1468م⁽³⁾.

وكان الشمني يخصصه بالقرب والعناية، يقول السيوطي: «ولم يزل الشيخ أطال الله عمره يودّني ويحبني، ويعظمني ويشني علي كثيرا»⁽⁴⁾.

13. الشيخ العلامة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن هبة الله، النصيبي الحلبي الشافعي، سبط المحدث أبي الفضل بن الشحنة، المتوفى سنة 916هـ. 1510م، قرأ على الشمني شرح الألفية⁽⁵⁾.

14. أبو الفتح برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن اسماعيل القلقشندي الأصل القاهري المولد والدار الشافعي، القرشي، المتوفى سنة 922هـ. 1516م.

(1) انظر الضوء اللامع (5/8).

(2) انظر الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (12/1)، وشذرات الذهب (51/10).

(3) انظر الكواكب السائرة (228/1).

(4) انظر حسن المحاضرة (379/1).

(5) انظر الكواكب السائرة (69/1)، وشذرات الذهب (108/10).

قال السخاوي: « وزعم أنه قرأ على الشمني في التلخيص وغيره»⁽¹⁾.

15 - برهان الدين أبو الوفاء وأبو الفضل إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الكركي الأصل القاهري المولد والدار الحنفي، المتوفى سنة 922هـ - 1516م، ولما مات شيخه الشمني خلفه على مشيخة جامع قايتباي الجركسي⁽²⁾.

يقول السخاوي: «ومما أخذ عن الشُّمْنِيِّ التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصليين والعربية والمعاني والبيان والمنطق وغيرها، بقراءته وقراءة غيره تحقيقاً ودراية، وبقراءته أيضاً الشفا والبخاري»⁽³⁾.

16 - الشيخ الإمام الأوحّد العلامة أمين الدين أبو الجود محمد بن أحمد ابن عيسى، ابن النجار الدميّاطي، الشافعي، المتوفى سنة 929هـ - 1523م⁽⁴⁾.

17 - الشيخ العلامة عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي القاهري الشافعي، يعرف كأبيه بابن عبد الحق، أخذ عن التقي الشمني الأصلين وبعض البيضاوي، المتوفى بمكة سنة 931هـ - 1525م⁽⁵⁾.

18 - شهاب الدين أحمد بن الصائغ الحنفي، المتوفى سنة 934 هـ - 1527م كان علامة في المعقول والمنقول، ومبرزاً في الطب⁽⁶⁾.

19 - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد الله ابن جماعة، الشيخ الإمام المحدث برهان الدين، المتوفى سنة 956هـ - 1549م⁽⁷⁾.

(1) انظر الضوء اللامع (78/1).

(2) انظر الضوء اللامع (62/1)، الكواكب السائرة (113/1)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: 101)، وشذرات الذهب (147/10).

(3) انظر الضوء اللامع (60/1).

(4) انظر الكواكب السائرة (32/1)، وشذرات الذهب (230/10).

(5) انظر نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص: 58)، الضوء اللامع (37/4)، الكواكب السائرة (222/1)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: 114).

(6) انظر الكواكب السائرة (117/2)، وشذرات الذهب (280/10).

(7) انظر الكواكب السائرة (77/2).

20 - بدر الدين أبو المجد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الطلخاوي
ثم القاهري الشافعي، أخذ الطب عن التقي الشمني⁽¹⁾.

شهادات العلماء فيه :

قال عنه ابن حجر العسقلاني: «الإمام العلامة، فخر المدرسين، مفيد الطالبين، مفتي المسلمين»⁽²⁾.

وأثنى عليه تلميذه السيوطي ثناء كبيراً، وحلاه بوصف جميل رائع فقال: «قدوة عين الزمان وإنسانها، وواحد عصره في العلوم بحيث خضعت له رجالها وفرسانها، وشجرة المعارف التي طاب أصلها فزكت فروعها وأغصانها، ورياض الآداب التي فاضت ينباعها وفاحت زهورها وتنوعت أفنائها، إن أخذ في التفسير كلّ عنده الكشف واختفى، أو الحديث كان من ألفاظه الغريبة مُزيل الخفاء، أو الفقه عُدّ للنعمان شقيقاً، أو النحو كان للخليل رفيقاً، أو الكلام فلو رآه النظام اختل نظامه، ولو أدركه صاحب المواقف لقال: أنت في كل موقف مقدمه وإمامه، أو الأصول ولو جادله السيف لاختفى في غمده، ولقطع له بالإمامة ولم يقطع بحضرته لكلال حده، أو الإمام الفخر لقال: ما لأحد أن يتقدم بين يدي هذا الحبر، وخاطبه لسان حاله: أنت إمام الطائفة، والرازي على فرقة هي عن الحق صادقة، ولا فخر»⁽³⁾.

ووصفه تلميذه السخاوي فقال: «كان إماماً علماً علامة، مفنناً سنياً، متين الديانة، زاهداً عفيفاً، متواضعاً متودداً صبوراً، حسن الصفات، منقطع القرين، سريع الإدراك، قوي الحافظة، ممتع المحاضرة، جيد الكتابة، فصيحاً رائع العبارة، قادراً على التعبير عن مراده بعبارات متنوعة في نثر حسن وربما نظم أيضاً»⁽⁴⁾.

ويقول عنه تلميذه ابن تغري بردي: «الشيخ الإمام العالم العلامة، أحد أئمة الحنفية»⁽⁵⁾.

(1) انظر الضوء اللامع (116/3).

(2) انظر الضوء اللامع (175/1).

(3) انظر الضوء اللامع (175/1).

(4) حسن المحاضرة (474/1 - 475).

(5) المنهل الصافي والمستوفي (100/2).

صفاته: وقد ذكرت مصادر ترجمته أنه كان متين الديانة، عفيفا، متواضعا، شهما،

يقول عنه تلميذه الجلال السيوطي: «انتفع به الجرم الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه، مع الخير، والعفة، والتواضع، والشهامة، وحسن الشكل، والأبهة، والانجماع عن بني الدنيا»⁽¹⁾.

ويقول عنه أيضا تلميذه السخاوي: «كان إماما علما علامة، مفننا سنيا، متين الديانة، زاهدا عفيفا، متواضعا متوددا صبورا، حسن الصفات، منقطع القرين»⁽²⁾.

مؤلفاته

أما مؤلفاته فلم تكن كثيرة، وقد غلب عليها طابع الشرح والتحشية، وأشهرها بلا ريب

1. مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا⁽³⁾.

وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه وإخراجه.

يقول عنه السخاوي: «وصنف.....تعليقا لطيفا على الشفا، في ضبط ألفاظه، لخصه من شرح البرهان الحلبي، وأتى بتتمات يسيرة فيها تحقيقات دقيقة»⁽⁴⁾.

2. المنصف من الكلام على مغني ابن هشام⁽⁵⁾.

شرح فيه كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن سيف بن هشام الأنصاري، وردّ فيه على بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني الذي أسرف في تعقبه على ابن هشام. .

(1) بغية الوعاة (377/1).

(2) حسن المحاضرة (474/1 - 475).

(3) هدية العارفين (133/1).

(4) الضوء اللامع (175/2).

(5) هدية العارفين (133/1).

3 . كمال الدراية في شرح النقاية⁽¹⁾ .

وهو شرح متوسط على كتاب النقاية في الفقه الحنفي، للإمام تاج الشريعة محمود بن صدر الشريعة أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم المحجوبي المتوفى سنة 781هـ . 1379م .

4 . العالي الرتبة في شرح نظم النخبة⁽²⁾ .

شرح فيه نظم والده كمال الدين لكتاب نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، وكتاب النخبة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ، وهو على اختصاره من أهم ما أُلِفَ في علوم الحديث .

5 . أوفق المسالك لتأدية المناسك⁽³⁾ .

6 . منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك، قال عنه في كشف الظنون: «شرح بديع، مهذب المقاصد»⁽⁴⁾ .

7 . فهرست لمروياته⁽⁵⁾ .

وفاته: بعد إحدى وسبعين سنة من العطاء انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى قرب العشاء ليلة الأحد السابع عشر من ذي الحجة سنة 872هـ الموافق 1467م . وخلف ذكرين وأثنى⁽⁶⁾ .

ورثاه تلميذه الجلال السيوطي بمرثية من خمسين بيتاً⁽⁷⁾ .

(1) كشف الظنون (2/1972)، وهدية العارفين (1/133) .

(2) هدية العارفين (1/133)، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ص: 217) .

(3) كشف الظنون (1/202)، وهدية العارفين (1/132) .

(4) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/152) .

(5) الضوء اللامع (2/175) .

(6) الضوء اللامع (2/178) .

(7) انظر المراثية في حسن المحاضرة (1/379 . 381) .

التعريف بكتاب مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا

نسبته إلى المؤلف.

لا يختلف اثنان في نسبة الكتاب إلى الإمام الشُّمَّيِّ، وقد نسبته إليه كبار أصحابه كالإمام السيوطي والسخاوي وابن تغري بردي عند ترجمتهم له⁽¹⁾.

تاريخ الفراغ منه.

فرغ المصنف من كتابه في العشر الأخير من ذي القعدة، سنة 847هـ، كما جاء ذلك في آخر النسخة (أ)، حيث أشار ناسخها علي بن عبد المحسن بن علي بن عمر الأخطابي⁽²⁾ وهو تلميذ الشيخ زين الدين عبد الحق السنباطي من أصحاب الشُّمَّيِّ إلى وقت فراغ المصنف منها فقال: «وفي آخره تم بحمد الله وعونه كتاب مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا في العشر الأخير من ذي القعدة، سنة سبع وأربعين وثمانمائة».

وكذلك جاء في آخر النسخة (ج) ذكر تاريخ إتمام الشرح بقوله: «قال الشارح رحمه الله تعالى ونفعنا وإياه بعلمه: تم بحمد الله وحسن عونه كتاب مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا في العشر الأواخر من ذي الحجة، سنة سبع وأربعين وثمانمائة».

والاختلاف بين النسختين في ذكر الشهر، والصحيح أنه أتمه في ذي القعدة وليس في ذي الحجة كما ذُكِرَ في النسخة (ج).

اعتماد العلماء على كتاب كشف الخفا.

اعتمد كثير من الأئمة على كتاب كشف الخفا وجعلوه مصدرا لمصادرهم، ومن بين هؤلاء يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي المتوفى سنة 893هـ في كتابه بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، في ستة وأربعين موضعا، واعتمده أيضا محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة 942هـ في كتابه سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،

(1) انظر بغية الوعاة (377/1)، والضوء اللامع (175/2)، والمنهل الصافي (104/2).

(2) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع (178/2).

وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، في ثمانية مواضع، واعتمده أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري المتوفى سنة 1014هـ في كتابه شرح الشفا في تسعة وعشرين موضعا، واعتمده أيضا محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي المتوفى سنة 1122هـ وفي شرحه على المواهب اللدنية في أربعة عشرة موضعا، وغير هؤلاء كثير.

منهج الشمني في الكتاب:

اتبع الإمام الشمني في كتابه منهجا محدد المعالم التزمه من أول الكتاب إلى آخره، وقد حدد معالم منهجه في مقدمته بعبارة مختصرة فقال: «قد يسر الله تعالى عند إقرائي للشفاء شيئا من تفسير مفرداته، ونبذا من فتح مغلقاته وحل مشكلاته»، ويمكن تلخيص منهجه في النقاط الآتية:

1. الاختصار في الشرح، وتجنب التطويل والإكثار، وهو الصفة الغالبة في كتابه، إلا في مواضع محدودة أطنب فيها.

2. ضبط الكلمات الغريبة، بالحروف، كقوله «مَحْدًا» هو بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فمشناة فوقية مكسورة فдал مهملة».

وهذا مما يتميز به الشمني في سائر كتبه، فهو يعتني بضبط الكلمة من حيث الشكل، حتى لا تلبس بغيرها.

3. الشرح اللغوي للكلمة، وقد أتيح له بحكم اتساع معرفته باللغة العربية وقواميسها وإطلاعه على ما كتبه من سبقه من العلماء، أن يوضح معاني الكلمات المستعملة في الكتاب ودلالاتها على المعنى.

4. التمييز بين المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف والمتشابه من أسماء الرجال والنساء الواردة في كتاب الشفاء، مثل قوله: «عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، الظاهر أنه الرُّمَانِيُّ النحوي، توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، له تفسير القرآن، أخذ الأدب عن ابن دريد وغيره».

ومثل أيضا قوله: «وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، كذا في أكثر النسخ، وفي تفسير البغوي، والظاهر أنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وفي بعض النسخ أبو يزيد».

5. الأمانة العلمية في النقل، فكان حريصا على نسبة ما يذكره من أقوال أو فوائد إلى أصحابها.

6 . العناية بتحديد تواريخ الأحداث، كقوله: «قوله: عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ»، كانت في السنة السادسة من الهجرة، خرج إليها رسول الله ﷺ في ذي القعدة». ومثل قوله: «قوله: فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ، كانت في السنة الثامنة بعد الفتح، وبعد حنين».

7 . الإشارة إلى اختلاف الروايات، كقوله: «قوله: حِينَ حَمَلْتُ بِي، كذا هنا، وفي غيره «حِينَ وَضَعْتَنِي».

ومثل قوله: (قوله: فَلْيُذَادَنَّ، كذا رواه أكثر الرواة عن مالك الموطأ، ومعناه ليطردن، ورواه يحيى وابن نافع ومطرف «فَلَا يُذَادَنَّ»، ومعناه فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك، ومنه «فَلَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُم عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ»، أي لا تفعلوا ما يوجب ذلك».

8 . العناية ببيان ما أهمله القاضي في الشفا من الأسماء، كقوله: «قوله: أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، قيل: هي أم زفر، ماشطة خديجة بنت خويلد».

ومثل قوله: «قوله: وَجَّهَ رَجُلَيْنِ، هما عُمَيْرُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

9 . العناية بتحديد المواضع الأماكن التي يذكرها القاض في الشفا، كقوله: «قوله: إِلَى أَيْلَةٍ، بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية، بلدة في طرف الشام على ساحل البحر، متوسطة بين المدينة الشريفة وبين دمشق، وبينها وبين مصر نحو ثمانين مراحل».

ومثل قوله: «قوله: بِسَرَفٍ، بفتح المهملة وكسر الراء بعدها فاء، اسم لموضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة، وقيل: تسعة».

10 . التنبيه على ما وقع في نُسخ الشفا من أخطاء، كقوله: «قوله: وَقَدْ حَكَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، أي ابن أبي عباس، وفي بعض النسخ محمد بن عقبة، وليس بصواب».

ومثل قوله: «قوله: وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، كذا وَقَعَ فِي كثير من النسخ، والصواب ابن مسعود».

وصف النسختين الخطيتين المعتمدتين في تحقيق لكتاب

اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين خطيتين:

النسخة الأولى: نسخة مأخوذة من موقع الأستاذ صلاح بن عايض الشلاحي، من الكويت⁽¹⁾، وتقع في 78 لوحة، من القطع المتوسط، ورمزت لها بحرف (أ)، وعلى هذه النسخة اعتمدت في تحديد نهاية أوراق المخطوط في الهامش.

وهي نسخة كاملة، قليلة الأخطاء وقليلة السقط، وخطها جميل، نسخت في 21 شعبان 895هـ عن نسخة تلميذ المصنف الشيخ زين الدين عبد الحق السنباطي المتوفى سنة 931هـ، وناسخها هو تلميذه علي بن عبد المحسن بن علي بن عمر الخطابي⁽²⁾.

جاء في آخرها: «وكتب من خط شيخنا الشيخ زين الدين عبد الحق السنباطي، وفي آخره كتب من خط مؤلفه أبقاه الله تعالى وختم له بخير بمحمد وآله، وفي آخره تم بحمد الله وعونه كتاب مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا في العشر الأخير من ذي القعدة، سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وكتبه علي بن عبد المحسن بن علي بن عمر الخطابي بتاريخ الحادي والعشرين من شهر شعبان المعظم قدره وحرمته سنة خمس وتسعين وثمانمائة، أحسن الله عاقبتها بخير بمحمد وآله».

النسخة الثانية: وهي النسخة الأزهرية، ورمزت لها بحرف (أ)، تشتمل على 64 لوحة من القطع المتوسط، وبها نقص ابتداء من ظهر اللوحة الثلاثين، وتقدر عدد اللوحات الناقصة بعشرين لوحة.

وكنت قد حصلت على نسخة ثالثة، وهي نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، مرقمة بـ (1675)، وتاريخ نسخها هو 1198هـ، وتشتمل على واحد وعشرين لوحة من القطع الكبير، مقاس 30 × 11، غير أنها نسخة بها أخطاء كثيرة وسقط كثير، إذ لا يخلو سطر منها من سقط أو خطأ، بل من أخطاء، ولهذا تركت المقابلة عليها حتى لا أثقل الهامش بالفروق بينها وبين غيرها، غير أنني أستعنت بها عند الحاجة.

(1) 12333a11@sal Twitter.com صلاح عايض الشلاحي.

(2) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع (2/178).

نماذج من صور النسخ الخطية

اللوحة الأولى من المخطوطة (أ)



اللوحة الأخيرة من المخطوطة (أ)

[illegible]

وكتب من خط شيخنا الشيخ زيار الدين عبد النبي السبائي في آخره كتابه من خط
مولدنا (أنا) العبد العال وجعل في الخبر كبروا المرفق آخره ثم ختمه العبد ومحمد
كتاب منزل الخاف من الظلمة في العشر الأواخر من ذي القعدة سنة
سبع وأربعين ومائة وربع وكتبه على عهد الحمد على عهد الاحكامي
تاريخ الحادد والعشر من شهر شعبان الحظي بديره وحورته سنة
حسب ولست عتيق وثانيه احسن العدايتها في حق محمد والم

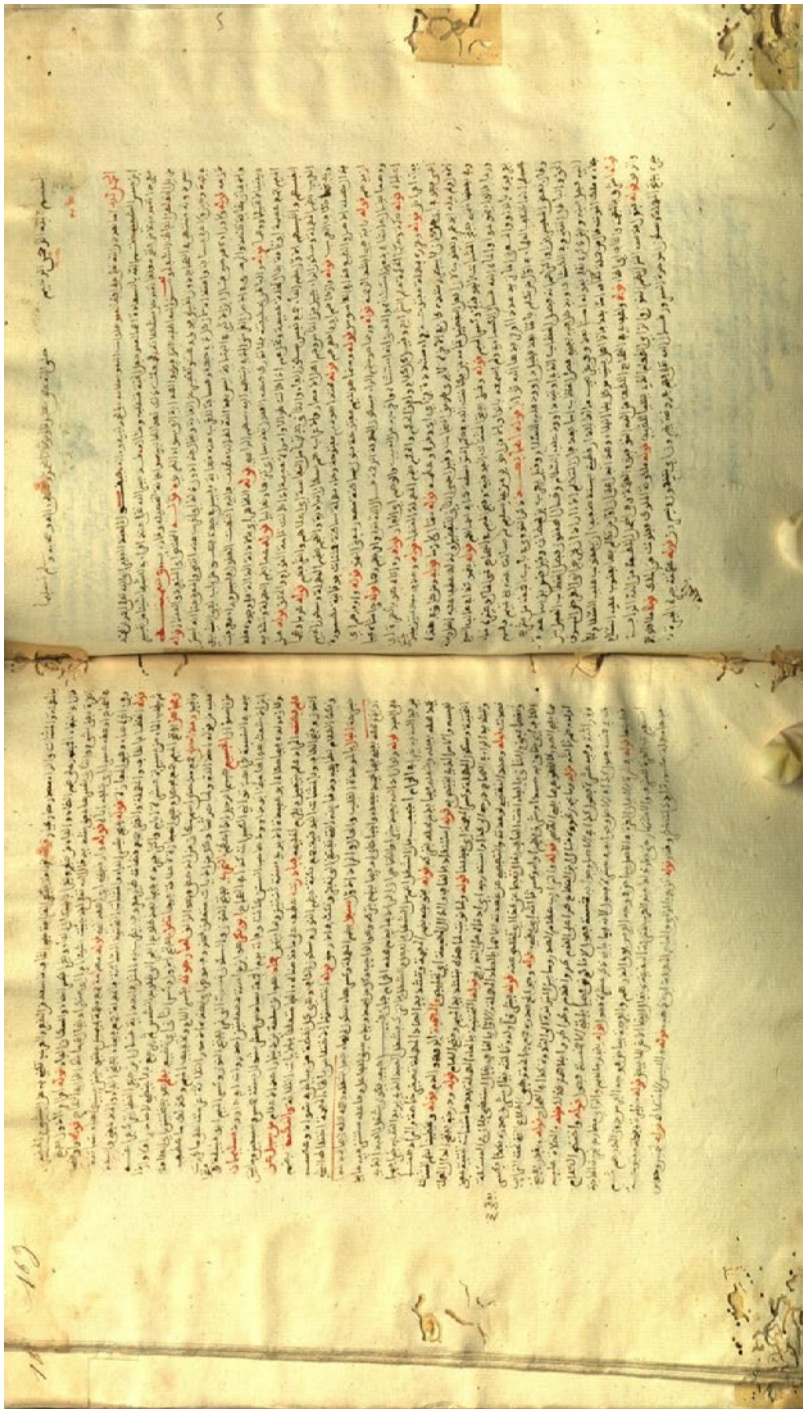
من العون اناس العولس

عالمنا من اسير المظالم والويل من اسير المظالم والويل من اسير المظالم
فدعوا من اسير المظالم والويل من اسير المظالم والويل من اسير المظالم
هو الكار وديعوا من اسير المظالم والويل من اسير المظالم والويل من اسير المظالم
والعلم والحمد لله على ما فعلوا من اسير المظالم والويل من اسير المظالم والويل من اسير المظالم
سوا ما في الكتاب وما في عالم ولا في عالم ولا في عالم ولا في عالم ولا في عالم ولا في عالم
فانهم منهم لولا انهم لم يولوا اسير المظالم والويل من اسير المظالم والويل من اسير المظالم

اللوحة الأولى من المخطوطة (ز)

[illegible][illegible]

اللوحة الأولى من المخطوطة (ج)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مُقَدِّمَةُ الْمُصَنِّفِ]

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ
عِيَاضِ الْيَحْضُبِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْفَرِدِ بِاسْمِهِ الْأَسْمَى،
الْمُخْتَصِّ⁽¹⁾ بِالْعِزِّ الْأَحْمَى، الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ مُنْتَهَى⁽²⁾،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ]

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.

رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيمَ.

أَمَّا بَعْدُ: حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى إِفْضَالِهِ، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، فيقول العبد
الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن محمد بن حسن الشُّمْنِيِّ، ختم الله
بالسعادة أعماله، وجعل الجنة متقلبه ومآله: قد يسر الله تعالى عند إقرائي
للشفاء شيئاً من تفسير مفرداته، ونبذا من فتح مغلقاته وحل مشكلاته،
فجمعت ذلك نفعا لطالبه، وإعانة لمحصليه وقارئيه، وسميته بـ «مزيل الخفا
عن ألفاظ الشفا»، ومن الله أطلب التوفيق، والهداية إلى سواء الطريق.

(1) (قوله: الْمُخْتَصِّ)، أي المنفرد والممتاز.

(2) (قوله: لَيْسَ دُونَهُ مُنْتَهَى)، في الصحاح: «دُونَ: نَقِیْضٌ فَوْقَ، وَهُوَ تَقْصِيرٌ عَنِ
الْغَايَةِ، وَيُقَالُ: هَذَا دُونَ ذَلِكَ، أَيْ أَقْرَبُ مِنْهُ»⁽¹⁾، انتهى.

والمعنى هنا أنه تعالى ليس في جهة وحِيز، ولا على مسافة وامتداد، لأن كل
ذي جهة ومسافة للقرب منه نهاية، وليس للقرب منه تعالى نهاية، فليس في
جهة، فهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه.

(1) الصحاح (2115/5) مادة: دون.

وَلَا وَرَاءَهُ مَرْمَى⁽¹⁾، الظَّاهِرِ⁽²⁾ لَا تَخْيَلًا وَلَا وَهْمًا، الْبَاطِنِ⁽³⁾ تَقْدُّسًا لَا عُدْمًا، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعْمًا عُمًّا⁽⁴⁾، وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ⁽⁵⁾ أَنْفُسِهِمْ⁽⁶⁾ عَزْبًا وَعُجْمًا⁽⁷⁾،

(1) (قوله: وَلَا وَرَاءَهُ مَرْمَى)، قال ابن الأثير في النهاية: «أي ليس بعد الله لِطَالِبٍ مُطَلَّبٍ، فإليه انتهت العقول، فليس وراء معرفته والإيمان به غاية تُقْصَدُ»⁽¹⁾.

وَالْمَرْمَى فِي الْأَصْلِ: الْعَرَضُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ سَهْمُ الرَّامِي.

(2) (قوله: الظَّاهِرِ)، أي بالأدلة الدالة على وجوده قطعاً وبقيناً لَا تَخْيَلًا وَوَهْمًا.

(3) (قوله: وَالْبَاطِنِ)، أي بحقيقته، فلا تُدْرِكُ كُنْهَهُ الْعُقُولُ.

تَقْدُّسًا: أي تنزهها وتعاليا.

(4) (قوله: عُمًّا)، بضم المهملة وتشديد الميم، جمع عميمة، أي تامة، يقال: نخلة عَمِيمَةٌ ونخل عَمٌّ، إذا كانت طويلاً، وامرأة عميمة تامة القوام والخلق.

(5) (قوله: مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنْفُسِهِمْ)، الأول بضم الفاء، جمع نَفْسٍ بسكون الفاء، والثاني بفتحها، من النَّفَاسَةِ، أي أعلاهم وأشرفهم.

(5) (قوله: عَزْبًا وَعُجْمًا)، العُزْبُ: بضم المهملة وسكون الراء وفتحهما، جيل من الناس غير العجم⁽²⁾، وهم أهل الأمصار، والأعراب منهم سكان البادية خاصة.

وَالْعُجْمُ: بضم المهملة وسكون الجيم وفتحهما، خلاف⁽³⁾ العرب.

(1) النهاية في غريب الحديث (177/5) مادة: ورا.

(2) [غير العجم] ساقط من (أ).

(3) نهاية اللوحة (1/و).

وَأَزْكَاهُمْ⁽¹⁾ مَخْتَدًا⁽²⁾ وَمَنْمَى⁽³⁾، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَحِلْمًا، وَأَوْفَرَهُمْ⁽⁴⁾ عِلْمًا وَفَهْمًا وَأَقْوَاهُمْ يَقِينًا وَعَزَمًا، وَأَشَدَّهُمْ بِهِمْ رَأْفَةً⁽⁵⁾ وَرُحْمًا⁽⁶⁾، زَكَاةَ رُوحًا وَجِسْمًا، وَحَاشَاءُ عَيْبًا وَوَضْمًا⁽⁷⁾، وَآتَاهُ⁽⁸⁾ حِكْمَةً وَحُكْمًا⁽⁹⁾،

(1) (قوله: وَأَزْكَاهُمْ)، أي أطهرهم.

(2) (قوله⁽¹⁾: مَخْتَدًا) هو بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فمشناة فوقية مكسورة فдал مهملة، الأضْلُ، والطَّنْعُ، كذا في القاموس⁽²⁾.

(3) (قوله: وَمَنْمَى)، هو بميم مفتوحة فنون ساكنة، مصدر ميمي بمعنى التَّمَوُّ.

(4) (قوله: وَأَوْفَرَهُمْ)، أي أزيدهم.

(5) (قوله⁽³⁾: رَأْفَةً): هي أشد الرحمة.

(6) (قوله: وَرُحْمًا)، هو بضم الراء فسكون المهملة، الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: 81].

(7) (قوله: وَحَاشَاءُ عَيْبًا وَوَضْمًا)، يقال: حَاشَيْتُهُ بمعنى استثنيت، والمعنى أنه تعالى استثناه⁽⁴⁾ وأخرجه من العَيْبِ.

والوَضْمُ: بسكون المهملة، أي العار.

(8) (قوله: وَآتَاهُ)، بمد الهمزة، أي أعطاه.

(9) (قوله: حِكْمَةً وَحُكْمًا)، الحكمة: علم الشرائع، وقيل: كل كلام وافق الحق. والْحُكْمُ: بضم المهلة، القضاء.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

(2) القاموس المحيط (ص: 275) مادة: حتد.

(3) [قوله] ساقط من (ز).

(4) في (ز) والوصم العار.

وَفَتَحَ بِهِ أَغْنِيًا عُمِيًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَآذَانًا صُمًّا، فَأَمَّنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ⁽¹⁾ وَنَصَرَهُ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِي مَغْنَمِ السَّعَادَةِ قِسْمًا، وَكَذَّبَ بِهِ وَصَدَفَ⁽²⁾ عَنْ آيَاتِهِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاءَ حَتْمًا⁽³⁾، ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾⁽⁴⁾ [الإسراء: 72]، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً تَنُمُو⁽⁵⁾ وَتُنْمَى⁽⁶⁾، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

(1) (قوله: وَعَزَّرَهُ)، بمهملة مفتوحة فزاي مشددة فراء، أي وَقَرَهُ وَعَظَّمَهُ.

(2) (قوله: وَصَدَفَ)، بمهلتين مفتوحتين ففاء، أي أعرض.

(3) (قوله: حَتْمًا)، أي لازما.

(4) (قوله: وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى)، أي مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَا يَبْصُرُ رَشْدَهُ كَانَ فِي الْآخِرَةِ لَا يَرَى طَرِيقَ النِّجَاةِ، وَقِيلَ: أَعْمَى الثَّانِي لِلتَّفْصِيلِ، وَلِذَلِكَ عَطَفَ أَبُو عَمْرٍو⁽¹⁾ عَلَيْهِ أَضْلَ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ وَلَمْ يَمْلِهِ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ، لِأَنَّهُ أَفْعَلَ التَّفْصِيلَ تَمَامَهُ بِمَنْ، فَكَانَتْ أَلْفُهُ فِي حَكْمِ الْمَتَوَسُّطَةِ كَمَا فِي «أَعْمَالِكُمْ»⁽²⁾.

(5) (قوله: تَنُمُو)، كَذَا فِي غَالِبِ النُّسخِ، وَفِي بَعْضِهَا تَنْمِي بِفَتْحِ الْمُنَاةِ الْفَوْقِيَّةِ وَكَسْرِ الْمِيمِ.

(6) (قوله: وَتُنْمَى)، بِضَمِّ الْمُنَاةِ الْفَوْقِيَّةِ وَفَتْحِ الْمِيمِ.

فِي الصَّحَاحِ: «نَمَّا الْمَالُ وَغَيْرُهُ يَنْمِي نَمَاءً، وَبِمَا قَالُوا: يَنْمُو نُمُوًّا، وَأَنْمَاءُ اللَّهِ»⁽³⁾، قَالَ الْكِسَائِيُّ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا مِنْ أَخَوَيْنِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ بَنِي سُلَيْمٍ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالْوَاوِ»⁽⁴⁾.

وَالْمَعْنَى أَنَّهَا تَزِيدُ عِدْدًا وَيَزِيدُهَا اللَّهُ ثَوَابًا.

(1) [أبو عمرو] ساقط من (أ).

(2) انظر تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (683/2)، وتفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (474/3)، وتفسير البياضوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (263/3)، والنشر في القراءات العشر (43/2).

(3) [وأنماء الله] ساقط من (أ).

(4) الصحاح (2515/6) مادة: نما.

أَمَّا بَعْدُ⁽¹⁾: أَشْرَقَ⁽²⁾ اللَّهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ، وَلَطَفَ لِي⁽³⁾ وَلَكَ بِمَا لَطَفَ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ

(1) (قوله: أَمَّا بَعْدُ)، ذكر النووي في باب الجمعة من شرح مسلم «أنه اختلف العلماء في أول من تكلم بأما بعد، فقليل: داود عليه السلام، وقيل: يعرب بن قحطان، وقيل: قس بن ساعدة، وقال بعض المفسرين أو كثير منهم: إنه فصل الخطاب الذي أوتيته داود، وقال المحققون: فصل الخطاب: الفصل بين الحق والباطل»⁽¹⁾، انتهى.

وفي الكشف⁽²⁾: «ويدخل فيه - يعني في فصل الخطاب - أما بعد، فإن المتكلم إذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله: أما بعد»⁽³⁾، انتهى.

وفي غريب مالك للدارقطني بسند ضعيف أن يعقوب عليه السلام لما جاءه مَلَكُ الْمَوْتِ قال من جُمْلَةِ كَلَامِهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ مُوَكَّلٍ بَنَّا الْبَلَاءِ»⁽⁴⁾، وهذا يدل على أن أول من تكلم به يعقوب عليه السلام.

(2) (قوله: أَشْرَقَ)، بالمعجمة والقاف، أي أضاء.

(3) (قوله: وَلَطَفَ لِي)، في الصحاح: «اللُّطْفُ من الله تعالى التوفيق والعصمة»⁽⁵⁾.

وفي المجمل: «اللُّطْفُ من الله الرَّأْفَةُ وَالرِّفْقُ»⁽⁶⁾.

(1) شرح صحيح مسلم (156/6).

(2) نهاية اللوحة (1/ظ).

(3) تفسير الكشف (80/4).

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (11877).

(5) الصحاح (1427/4) مادة: لطف.

(6) مجمل اللغة لابن فارس (ص: 808) مادة: لطف.

بُنْزِلَ قُدْسِهِ⁽¹⁾، وَأَوْحَشَهُمْ مِنَ الْخَلِيقَةِ بِأَنْسِهِ، وَخَصَّهُمْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَمُشَاهَدَةِ عَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ⁽²⁾ وَأَثَارِ قُدْرَتِهِ بِمَا مَلَأَ قُلُوبَهُمْ حَبْرَةً⁽³⁾، وَوَلَّهَ عُقُولَهُمْ فِي عَظَمَتِهِ حَيْرَةً⁽⁴⁾، فَجَعَلُوا هَمَّهُمْ بِهِ وَاحِدًا، وَلَمْ يَرَوْا فِي الدَّارَيْنِ غَيْرَهُ مُشَاهِدًا، فَهُمْ بِمُشَاهَدَةِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ يَتَنَعَّمُونَ، وَيَبِينُ آثَارُ قُدْرَتِهِ وَعَجَائِبِ عَظَمَتِهِ يَتَرَدَّدُونَ، وَبِالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ يَتَعَزَّزُونَ لِهَاجِنِ بِصَادِقِ قَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]، فَإِنَّكَ كَرَّرْتَ عَلَيَّ السُّؤَالَ فِي مَجْمُوعِ يَتَضَمَّنُ التَّغْرِيفَ بِقَدْرِ الْمُضْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ تَوْقِيرٍ وَإِكْرَامٍ، وَمَا حُكِمَ مَنْ لَمْ يُؤَفَّ وَاجِبَ عَظِيمِ ذَلِكَ الْقَدْرِ، أَوْ قَصَرَ فِي حَقِّ مَنْصِبِهِ الْجَلِيلِ قَلَامَةً ظَفَرٍ⁽⁵⁾، وَأَنْ أَجْمَعَ لَكَ مَا لِأَسْلَافِنَا وَأَيُّمَتِنَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَقَالٍ، وَأَبَيَّنَهُ بِتَنْزِيلِ صُورٍ وَأَمْثَالٍ.

-
- (1) (قوله: بُنْزِلَ قُدْسِهِ)، التُّزْلُ: بضم النون والزاي، الطعام الذي يُهَيَّأُ للضيف.
- (2) (قوله: مَلَكُوتِهِ)، الْمَلَكُوتُ: فَعْلُوت، من الْمَلِكِ.
- (3) (قوله: مَلَأَ قُلُوبَهُمْ حَبْرَةً)، الْحَبْرَةُ⁽¹⁾: بفتح المهملة وسكون الموحدة، السُّرُورُ، قال الله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: 15]، أَي يُنَعَّمُونَ وَيُسْرُونَ.
- (4) (قوله: فِي عَظَمَتِهِ حَيْرَةً)، الْحَيْرَةُ: بالمهملة والمثناة التحتية والراء، مصدر حَارَ يَحَارُ.
- (5) (قوله: قَلَامَةً ظَفَرٍ)، الْقَلَامَةُ: بضم القاف، ما سقط من الظفر، والعرب تُكَيِّي به عن الشيء الحقير.
- قال أبو البقاء: «الجمهور على ضم الظاء والفاء من ظُفْرٍ، ويقرأ بإسكان الفاء، ويقرأ بكسر الظاء وإسكان الفاء»⁽²⁾.

(1) [الحبرة] ساقط من (ز).

(2) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (545/1).

فَاعْلَمْ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - أَنَّكَ حَمَلْتَنِي مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا إِمْرًا⁽¹⁾، وَأَرْهَقْتَنِي⁽²⁾
 فِيمَا نَدَبْتَنِي إِلَيْهِ عُسْرًا، وَأَرْقَيْتَنِي⁽³⁾ بِمَا كَلَّفْتَنِي مُرْتَقَى صَعْبًا، مَلَأَ قَلْبِي رُغْبًا.
 فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ يَسْتَدْعِي تَقْرِيرَ أَصُولٍ، وَتَحْرِيرَ فُضُولٍ، وَالْكَشْفَ
 عَنْ غَوَامِضَ وَدَقَائِقَ مِنْ عِلْمِ الْحَقَائِقِ، مِمَّا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَيُضَافُ إِلَيْهِ أَوْ
 يَمْتَنِعُ أَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَمَعْرِفَةَ النَّبِيِّ، وَالرَّسُولِ، وَالرَّسَالَةِ، وَالنُّبُوَّةَ، وَالْمَحَبَّةَ،
 وَالْخَلَّةَ، وَخَصَائِصَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَلِيَّةِ؛ وَهَهُنَا مَهَامُهُ⁽⁴⁾ فَيُفِيحُ⁽⁵⁾ تَحَارُّ فِيهَا الْقَطَا⁽⁶⁾،

(1) (قوله: أَمْرًا إِمْرًا)، الأول بفتح الهمزة، بمعنى شيء، والثاني بكسرهما، بمعنى
 شديد، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71]، أي منكرا،
 ويقال: عجبا، كذا في الصحاح⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَأَرْهَقْتَنِي)، في الصحاح: «أَرْهَقَهُ عُسْرًا، أي كَلَّفَهُ إِيَّاهُ»⁽²⁾.

(3) (قوله: وَأَرْقَيْتَنِي)، أي أَسْعَدْتَنِي.

(4) (قوله: مَهَامُهُ)، جمع مَهْمَةٍ بميمين مفتوحتين بينهما هاء ساكنة وفي آخرها
 هاء، وهي المفازة.

(5) (قوله: فَيُفِيحُ)، بكسر الفاء فالمثناة التحتية الساكنة فالمهملة، جمع فَيْحَاءَ بفتح
 الفاء والمد، بمعنى واسعة.

(6) (قوله: الْقَطَا)، بالقاف والمهملة والقصر، جمع قَطَاةٍ، طائر يُضْرَبُ به المثل
 في الهداية.

قال ابن ظَفَرٍ: «الْقَطَا يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر،
 فيرده فيما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ثم يرجع⁽³⁾ فلا يخطئ لا
 صادرا ولا واردا».

(1) الصحاح (581/2) مادة: أمر.

(2) الصحاح (1487/4) مادة: رهق.

(3) نهاية اللوحة (2/و).

وَتَقْصُرُ بِهَا الْخُطَا، وَمَجَاهِلٌ⁽¹⁾ تَضِلُّ⁽²⁾ فِيهَا الْأَحْلَامُ إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعِلْمٍ⁽³⁾ عِلْمٍ وَنَظَرٍ سَدِيدٍ، وَمَدَاحِضٌ⁽⁴⁾ تَزِلُّ بِهَا الْأَقْدَامُ إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَتَأْيِيدٍ.

لَكِنِّي لَمَّا رَجَوْتُهُ⁽⁵⁾ لِي وَلَكَ فِي هَذَا السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ مِنْ نَوَالٍ وَثَوَابٍ بِتَعْرِيفِ قَدْرِهِ الْجَسِيمِ⁽⁶⁾، وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ، وَبَيَانِ خَصَائِصِهِ الَّتِي لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلُ فِي مَخْلُوقٍ، وَمَا يُدَانُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْحُقُوقِ ﴿لَيْسَتَيْنِ﴾ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَنَّا ﴿[المدر: 31].

وَلَمَّا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187].

وَلَمَّا حَدَّثْنَا بِهِ أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمَرَ النَّمَرِيُّ⁽⁷⁾، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ

(1) (قوله: وَمَجَاهِلٌ)، بفتح الميم، جمع مجهل، وهو المَفَازَةُ لا علامة فيها.

(2) (قوله: تَضِلُّ)، بفتح الأول وكسر الثاني، أي تضيع.

(3) (قوله: بِعِلْمٍ)، بفتحين، العلامة، والجبل.

(4) (قوله: وَمَدَاحِضٌ)، جمع مَذْحِضٍ، اسم مكان من الدَّحْضِ، وهو الزَّلَقُ.

(5) (قوله: لَمَّا رَجَوْتُهُ)، بكسر اللام وتخفيف الميم، وكذلك ما عطف عليه من قوله: «وَلَمَّا أَخَذَ اللَّهُ»، وقوله: «لَمَّا حَدَّثْنَا»، وكل من اللامات الثلاث متعلق بمحذوف مؤخر، أي لهذه الأمور الثلاثة عذمت على ما كَرَّرْتُ عَلَيَّ السُّؤَالَ فِيهِ، فبادرت⁽¹⁾.

(6) (قوله: الْجَسِيمِ)، يقال: جَسَمَ الرجل، إِذَا عَظُمَ.

(7) (قوله: النَّمَرِيُّ)، بفتح النون والميم، نسبة إلى نَمِرٍ بفتح النون وكسر الميم، أبو قبيلة، فتحوا ميمه في النسبة كراهية توالي الكسرات، كذا في الصحاح⁽²⁾.

(1) [فبادرت] ساقط من (ز).

(2) الصحاح (837/2) مادة: نمر.

عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ⁽¹⁾ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ⁽²⁾، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ⁽³⁾، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ⁽⁴⁾ فَكْتَمَهُ، أَلْجَمَهُ»⁽⁵⁾ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

فَبَادَرْتُ⁽⁶⁾ إِلَى نُكْتِ⁽⁷⁾ سَافِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْغُرَضِ، مُؤَدِّيًا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ الْمُفْتَرَضِ، اخْتَلَسْتُهَا⁽⁸⁾ عَلَى اسْتِعْجَالٍ لِمَا الْمَرْءُ بِصَدَدِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ⁽⁹⁾،

(1) (قوله: أَبُو بَكْرٍ)، هو ابن دَاسَةَ، بمهملتين، أحد رواة أبي داود.

(2) (قوله: سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ)، الحافظ أبو داود صاحب السنن، كانت وفاته يوم الجمعة سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين، وكان مولده فيما حكاه أبو عبيد الآجري سنة ثنتين ومائتين.

(3) (قوله: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ)، هو أَبُو سَلَمَةَ بْنُ دِينَارٍ، أحد الأعلام⁽¹⁾.

(4) (قوله: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ)، المراد علم يلزم ويتعين تعليمه.

(5) (قوله: أَلْجَمَهُ)، قال في القاموس⁽²⁾: «لِجَامٌ: ككتاب».

(6) (قوله: فَبَادَرْتُ)، عطف على ما قدرناه آنفا متعلقا باللامات الثلاث⁽³⁾.

(7) (قوله: إِلَى نُكْتِ)، بضم النون وفتح الكاف وبالمثناة الفوقية، جمع نُكْتَةٍ بضم النون وسكون الكاف، وهي كل نقطة من بياض في سواد وعكسه⁽⁴⁾، وَنُكْتُ الكلام لطائفه ودقائقه التي تفتقر إلى تفكر، ونكت في الأرض.

(8) (قوله: اخْتَلَسْتُهَا)، الاختلاس: بالخاء المعجمة، اختطاف الشيء بسرعة.

(9) (قوله: وَالْبَالِ)، بالموحدة، القلب، والحال، والمراد الأول.

(1) في (ز) أحد الأعلام، أي أعلام الأئمة.

(2) القاموس المحيط (ص: 1157) مادة: اللجام.

(3) [قوله: أَلْجَمَ..... باللامات الثلاث] ساقط من (أ).

(4) في (ز) من سواد في بياض وعكسه.

بِمَا قُلَّدَهُ مِنْ مَقَالِيدِ الْمُخَنَةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا، فَكَادَتْ تَشْغُلُ عَنْ كُلِّ فَرْضٍ وَنَفْلِ، وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سَفَلٍ⁽¹⁾، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْرًا لَجَعَلَ شُغْلَهُ وَهَمَّهُ كُلَّهُ فِيمَا يُحْمَدُ غَدًا أَوْ يُذَمُّ مَحَلُّهُ⁽²⁾، فَلَيْسَ ثُمَّ سِوَى نَضْرَةِ النَّعِيمِ، أَوْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَلَكَانَ عَلَيْهِ بِخَوِصَّتِهِ⁽³⁾ وَاسْتِنْقَازِ مُهْجَتِهِ⁽⁴⁾، وَعَمَلِ صَالِحٍ يَسْتَزِيدُهُ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ يُفِيدُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُهُ.

جَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى صَدْعَ قُلُوبِنَا، وَغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنَا، وَجَعَلَ جَمِيعَ اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا، وَتَوَفَّرَ دَوَاعِينَا فِيمَا يُنْجِينَا وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ زُلْفَى، وَيُحْظِنُنَا⁽⁵⁾ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ.

(1) (قوله: سَفَلٍ)، هو بضم المهملة وكسرها وسكون الفاء.

(2) (قوله: لَجَعَلَ شُغْلَهُ وَهَمَّهُ كُلَّهُ فِيمَا يُحْمَدُ غَدًا وَلَا يُذَمُّ مَحَلُّهُ)، بمعنى فيما يحمد بفعله واجبا كان أو نفلا، أو فيما يذم بتركه وهو الواجب، وكل من يحمد ويذم مبني للفاعل، وفاعله مستتر فيه عائد على العبد في قوله: «وَلَوْ أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا»، والظاهر أن المراد⁽¹⁾ بما يذم محله الحرام.

فإن قيل: كيف يكون شغل العبد الذي يريد الله به خيرا في الحرام؟

أجيب: بأن الشغل أعم من الشغل بالفعل والشغل بالترك، فَشُغْلُ الْعَبْدِ الَّذِي يَرِيدُ بِهِ اللَّهُ خَيْرًا فِيمَا يَحْمَدُ مَحَلَّهُ بَفَعْلِهِ، وَشُغْلُهُ فِيمَا يَذَمُّ مَحَلَّهُ بِتَرْكِهِ.

(3) (قوله: بِخَوِصَّتِهِ)، بضم المعجمة وتشديد الصاد المهملة، تصغير خاصة، والمراد هنا نفسه أو الأمر الذي يختص به.

(4) (قوله: وَاسْتِنْقَازِ مُهْجَتِهِ)، بالقاف والذال المعجمة، أي تخلص.

وَالْمُهْجَةُ⁽²⁾: الروح والدم.

(5) (قوله: وَيُحْظِنُنَا)، بضم المثناة التحتية وسكون المهملة وكسر المعجمة، أي يُفْضِلُنَا.

(1) نهاية اللوحة (2/ظ).

(2) في (ز) قوله: والمهجة.

وَلَمَّا نُوِيْتُ⁽¹⁾ تَقْرِيبُهُ وَدَرَجَتُ⁽²⁾ تَبْوِيهِهُ، وَمَهَّدْتُ تَأْصِيلَهُ، وَخَلَّصْتُ تَفْصِيلَهُ، وَأَنْتَحَيْتُ⁽³⁾ حَضْرَهُ وَتَحْصِيلَهُ، تَرْجَمْتُهُ بـ (الشِّفَا بِتَغْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى).

وَحَصَرْتُ الْكَلَامَ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ هَذَا النَّبِيِّ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَتَوَجُّهَ الْكَلَامِ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي ثَنَائِهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ لَدَيْهِ، وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الثَّانِي: فِي تَكْمِيلِهِ تَعَالَى لَهُ الْمَحَاسِنَ خَلْقًا وَخُلُقًا، وَقِرَانِهِ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ فِيهِ نَسَقًا، وَفِيهِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ فَضْلًا.

الْبَابُ الثَّالِثُ: فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَنْزِلَتِهِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَفِيهِ اثْنَا عَشَرَ فَضْلًا.

الْبَابُ الرَّابِعُ: فِيمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ وَشَرَفَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ وَفِيهِ ثَلَاثُونَ فَضْلًا.

الْقِسْمُ الثَّانِي: فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْأَنَامِ مِنْ حَقُوقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَيَتَرْتَّبُ الْقَوْلُ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ:

(1) (قوله: وَلَمَّا نُوِيْتُ)، لَمَّا هَذِهِ بَفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ.

(2) (قوله: وَدَرَجَتُ)، بَفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ.

فِي الصَّحَاحِ: «دَرَجَهُ إِلَى كَذَا وَاسْتَدْرَجَهُ، أَيَّ أَدْنَاهُ مِنْهُ عَلَى التَّدرِجِ»⁽¹⁾.

(3) (قوله: وَأَنْتَحَيْتُ)، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَهَا مَثْنَاءٌ تَحْتِيَّةٌ، بِمَعْنَى قَصَدْتُ.

(1) الصَّحَاحُ (314/1) مَادَّةُ: دَرَجَ.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي فَرْضِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الثَّانِي: فِي لُزُومِ مَحَبَّتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الثَّلَاثُ: فِي تَعْظِيمِ أَمْرِهِ، وَلُزُومِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ، وَفَرْضِ ذَلِكَ وَفَضِيلَتِهِ، وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ.

الْقِسْمُ الثَّلَاثُ: فِيمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ ﷺ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَمَا يَمْتَنِعُ وَيَصِحُّ مِنَ الْأُمُورِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ

وَهَذَا الْقِسْمُ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى - هُوَ سِرُّ الْكِتَابِ، وَلِبَابُ ثَمَرَةِ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، وَمَا قَبْلَهُ لَهُ كَالْقَوَاعِدِ وَالتَّمْهِيدَاتِ، وَالِدَّلَائِلِ عَلَى مَا نُورِدُهُ فِيهِ مِنَ النُّكَبِ الْبَيِّنَاتِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ عَلَى مَا بَعْدَهُ، وَالْمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هَذَا التَّأْلِيفِ وَغَدَهُ، وَعِنْدَ التَّقْصِي لِمَوْعِدَتِهِ وَالتَّقْصِي عَنْ عَهْدَتِهِ ⁽¹⁾ يَشْرِقُ ⁽²⁾ صَدْرُ الْعَدُوِّ اللَّعِينِ، وَيُشْرِقُ ⁽³⁾ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بِالْيَقِينِ، وَتَمْلَأُ أَنْوَارُ جَوَانِحِ صَدْرِهِ ⁽⁴⁾،

(1) (قوله: وَعِنْدَ التَّقْصِي لِمَوْعِدَتِهِ وَالتَّقْصِي عَنْ عَهْدَتِهِ)، كلاهما بالصاد المهملة، والأول بالقاف، يقال: اسْتَقْصَى فلان في المسألة وَتَقْصَى بمعنى ⁽¹⁾، والثاني بالفاء، يقال: تَقْصَى عن كذا، أي يتخلص عنه.

(2) (قوله: يَشْرِقُ)، بفتح أوله وثالثه، يقال شَرِقَ صدره بكذا، بكسر الراء، أي ضاق به حسداً.

(3) (قوله: وَيُشْرِقُ)، بضم أوله وكسر ثالثه، أي يُضِيءُ.

(4) (قوله: جَوَانِحِ صَدْرِهِ)، الْجَوَانِحُ: جمع جَانِحَةٍ، وهي الأضلاع التي تحت الترائب مِمَّا يَلِي الصُّدْرَ، كَالضُّلُوعِ مِمَّا يَلِي الظُّهْرَ.

وَالْتَرَائِبُ: عظام الصدر بَيْنَ التَّرْقُوتِ إِلَى الشُّدْوَةِ، كذا في الصحاح ⁽²⁾.

(1) في (ز) بمعناه.

(2) الصحاح (91/1) مادة: ترب.

وَيَقْدُرُ⁽¹⁾ الْعَاقِلُ النَّبِيَّ حَقَّ قَدْرِهِ، وَيَتَحَرَّرُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، وَيَتَشَبَّثُ بِهِ الْقَوْلُ فِي الْعِصْمَةِ، وَفِيهِ سِتَّةَ عَشَرَ فُضُولًا.

الْبَابُ الثَّانِي: فِي أَحْوَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمَا يَجُوزُ طُرُؤُهُ⁽²⁾ عَلَيْهِ مِنْ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفِيهِ تِسْعَةُ فُضُولٍ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: فِي تَصَرُّفِ وُجُوهِ الْأَحْكَامِ عَلَى مَنْ تَنْقُصُهُ أَوْ سَبُّهُ ﷺ، وَيَنْقَسِمُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي بَيَانِ مَا هُوَ فِي حَقِّهِ سَبٌّ وَنَقْصٌ، مِنْ تَعْرِضٍ أَوْ نَصٍّ، وَفِيهِ عَشْرَةُ فُضُولٍ.

الْبَابُ الثَّانِي: فِي حُكْمِ شَائِنِهِ وَمُؤْذِيهِ وَمُنْتَقِصِهِ وَعُقُوبَتِهِ، وَذِكْرِ اسْتِثْنَائِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَوِرَائَتِهِ، وَفِيهِ عَشْرَةُ فُضُولٍ⁽³⁾.

وَحَتَمْنَاهُ بِبَابٍ ثَالِثٍ جَعَلْنَاهُ تَكْمِلَةً لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَوَصَلَةً لِلْبَابَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ فِي حُكْمِ مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى وَرُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَكُتُبَهُ وَآلَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبَهُ.

(1) (قوله: وَيَقْدُرُ)، بفتح أوله وضم ثالثه.

(2) (قوله: وَمَا يَجُوزُ طُرُؤُهُ)، قال ابن القطاع: «طَرَأَ عَلَى الْقَوْمِ طُرُؤًا قَدَمٌ، وَطَرَأَ طُرُؤًا بِلَا هَمْزٍ كَذَلِكَ»⁽¹⁾.

(3) (قوله: وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَوِرَائَتُهُ وَفِيهِ عَشْرَةُ فُضُولٍ)، كذا في الأصل، وصوابه خمسة فصول، لأننا لم نر فيما يأتي إلا خمسة فصول.

(1) كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي (306/2).

وَاخْتَصِرَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي خَمْسَةِ فُصُولٍ⁽¹⁾، وَبِتَمَامِهَا يَنْتَجِزُ⁽²⁾ الْكِتَابُ،
وَتَتِمُّ الْأَقْسَامُ وَالْأَبْوَابُ، وَيَلُوحُ فِي غُرَّةِ الْإِيمَانِ⁽³⁾ لُمَعَةٌ مُنِيرَةٌ، وَفِي تَاجِ
التَّرَاجِمِ دُرَّةٌ خَطِيرَةٌ⁽⁴⁾، تَزِيحُ⁽⁵⁾ كُلَّ لَبْسٍ، وَتُوضِّحُ كُلَّ تَحْمِينٍ وَحَدْسٍ⁽⁶⁾،
وَتَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَتُضَدِّعُ بِالْحَقِّ، وَتُعْرِضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَبِاللَّهِ
تَعَالَى لَا إِلَهَ سِوَاهُ أَسْتَعِينُ.

(1) (قوله: وَاخْتَصِرَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي خَمْسَةِ فُصُولٍ)، كذا في الأصل وصوابه عشرة فصول، لأنه فيما يأتي ذكر عشرة.

(2) (قوله: يَنْتَجِزُ)⁽¹⁾، بالجيم والزاي، مطاوع نجزت الحاجة، قضيتها⁽²⁾.

(3) (قوله: فِي غُرَّةِ الْإِيمَانِ)، الغرة: في الأصل بياض في وجه الفرس فوق الدرهم، والقُرْحَةُ في وجه الفرس دون الدرهم، ثم استعيرت الغرة للشرف والاشتهار، حتى صار ذلك عند العرب بمنزلة الحقيقة⁽³⁾، ويقال أيضا الأغر للأبيض.

(4) (قوله: خَطِيرَةٌ)، بمعجمة مفتوحة بعدها مهملة مكسورة، أي ذات خَطَرٍ وَقَدَرٍ.

(5) (قوله: تَزِيحُ)، بالزاي والحاء المهملة، أي تُذْهِبُ.

وَاللُّبْسُ: الاختلاط.

(6) (قوله: تَحْمِينٍ وَحَدْسٍ)، التَّحْمِينُ: بالمعجمة، القول بالحدس.

وَالْحَدْسُ: مصدر حَدَسَ بفتح الدال المهملة يَحْدُسُ بكسرها، قال شيئا برأيه.

(1) نهاية اللوحة (3/و).

(2) كذا في (أ)، وفي (ز) (قوله: يَنْتَجِزُ)، هي بفتح التحتية وسكون النون وفتح الفوقية وكسر

الجيم وبالزاي، أي يتم، ووزنه افتعل، من أنجز الشيء إذا أتمه.

(3) في (ز) على الحقيقة.

القسم الأول

فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ قَوْلًا وَفِعْلًا

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَدَّدَهُ: لَا خَفَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمْحَةٍ⁽¹⁾ مِنَ الْفَهْمِ، بِتَعْظِيمِ اللَّهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا ﷺ، وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضِبُ لِزِمَامٍ⁽²⁾، وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ

فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَلِيلِ نَصَابِهِ⁽³⁾، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى التَّزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِجَابِهِ، فَكَانَ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدْءًا وَعَوْدًا، وَالْحَمْدُ أَوْلَى وَأُخْرَى.

وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ مِنْ خَلْقِهِ⁽⁴⁾ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ،

القسم الأول

(1) (قوله: لَمْحَةٍ)، بفتح اللام، هي النظرة الخفية.

(2) (قوله: لِزِمَامٍ)، أي لضابط، استعير من زمام النعل، وهو ما يشد به شسع النعل، أو استعير من زمام الناقة، وَهُوَ الْخِيطُ الَّذِي يَشُدُّ فِي الْبُرَّةِ بضم الموحدة وفتح الراء الخفيفة، وهي حلقة من نحاس تجعل في أنف البعير، أو تشد في الخشاش بكسر الخاء المعجمة وبشينين معجمتين بينهما ألف، حلقة من خشب⁽¹⁾ تجعل في أنف البعير.

(3) (قوله: نَصَابِهِ)، بكسر أوله، أي منصبه.

(4) (قوله: مِنْ خَلْقِهِ)، هو بفتح المعجمة وسكون اللام.

(1) في (ز) من حديد.

وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ، وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ⁽¹⁾، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ،
وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَأَاهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمٌ
يَقِينٌ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ⁽²⁾ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ قِرَاءَةً مِنِّي
عَلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، وَأَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ
خَيْرُونَ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ⁽³⁾، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السَّنْجِيُّ⁽⁴⁾،
قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى بْنُ سَوْرَةَ⁽⁵⁾
الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ⁽⁶⁾، أَنْبَأَنَا مَعْمَرُ⁽⁷⁾،

(1) (قوله: الْبَاهِرَةِ)، أي الغالبة.

(2) (قوله: الْقَاضِي الشَّهِيدُ)، هو ابن سكرة الأندلسي.

(3) (قوله: أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ)، هو المعروف بزواج الحُرَّة.

(4) (قوله: أَبُو عَلِيٍّ السَّنْجِيُّ)، هو بكسر المهملة وسكون النون وبالجميم، نسبة إلى
سَنَجٍ مَرْوٍ.

(5) (قوله: ابْنُ سَوْرَةَ)، بفتح المهملة وسكون الواو وفتح الراء، الترمذي الضريع
صاحب الجامع؛ قيل: ولد أكمه، توفي بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين، قاله
ابن ماكولا في الإكمال⁽¹⁾.

وَتَرْمِذُ بفتح المثناة من فوق وكسر الميم وبكسرهما وبضمهما، قاله النووي
في التهذيب في الكنى في أبي جعفر الترمذي⁽²⁾.

(6) (قوله: عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، هو الحافظ ابن همام بن نافع الصنعاني، أحد الأعلام.

(7) (قوله: مَعْمَرُ⁽³⁾)، بفتح الميم وإسكان المهملة وفتح الميم وبالراء⁽⁴⁾.

(1) الإكمال لابن ماكولا (396/4).

(2) تهذيب الأسماء واللغات (202/2).

(3) نهاية اللوحة (3/ظ).

(4) في (ز) وفتح الراء.

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِالْبُرَاقِ⁽¹⁾ لَيْلَةَ أُشْرِي بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ⁽²⁾، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، قَالَ: فَارْفَضَ⁽³⁾ عَرَقًا».

(1) (قوله: بِالْبُرَاقِ)، هو دابة فوق الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، كما وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ⁽¹⁾، سَمِي بُرَاقًا لِسُرْعَتِهِ⁽²⁾، وَقِيلَ: لَشِدَّةِ صِفَائِهِ، وَقِيلَ: لَكُونِهِ أَيْضُ.

وَقَالَ الْمَصْنِفُ: «لَكُونِهِ ذَا لَوْنَيْنِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: شَاةٌ بَرَقَاءُ، إِذَا كَانَ فِي خِلَالِ صَوْفِهَا الْأَبْيَضِ طَاقَاتٌ سُودٌ»⁽³⁾.

وَفِي كِتَابِ الْاِحْتِفَالِ لِابْنِ أَبِي خَالِدٍ فِي أَسْمَاءِ خَيْلِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ الْبُرَاقَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ، وَوَجْهَهُ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، وَجَسَدُهُ كَجَسَدِ الْفَرَسِ، وَقَوَائِمُهُ كَقَوَائِمِ الثَّوْرِ، وَذَنْبُهُ كَذَنْبِ الْغَزَالِ، لَا ذَكَرَ وَلَا أُنْثَى».

(2) (قوله: فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ)، قِيلَ: اسْتَصْعَابَهُ لِبَعْدِ عَهْدِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ، لَطَوِيلِ الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَمْ يَذَلَّ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ مَبْنِي عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رَكَبُوهُ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي⁽⁴⁾ مَبْنِي عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي ذَلِكَ خِلَافٌ، وَقِيلَ: اسْتَصْعَابُهُ تِيهَا وَزَهْوَا بِرُكُوبِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ⁽⁵⁾.

(3) (قوله: فَارْفَضَ)، بَفَاءَيْنِ بَيْنَهُمَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ وَبُضَادٌ مَعْجَمَةٌ مُشَدَّدَةٌ، أَيُّ جَرَى وَسَالَ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَرٌّ عَائِدٌ عَلَى الْبُرَاقِ، وَعَرَقًا تَمْيِيزًا⁽⁶⁾.

(1) رواه مسلم (162).

(2) [لسرعته] ساقط من (ز).

(3) مشارق الأنوار (85/1) مادة: برق.

(4) [مبني على أنه لم يركبه أحد والقول الثاني] ساقط من (ز).

(5) [عليه] ساقط من (ز).

(6) [وفاعله مستتر وعرقا تمييز] ساقط من (أ).

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي ثَنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهِ عَظِيمِ قَدْرِهِ لَدَيْهِ

اعْلَمَ أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَاتٍ كَثِيرَةً مُفَعِّمَةً بِجَمِيلِ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى، وَعَدِّ مَحَاسِنِهِ، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ، وَتَنْوِيهِ قَدْرِهِ، اعْتَمَدْنَا مِنْهَا عَلَى مَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ، وَبَانَ فَحَوَاهُ، وَجَمَعْنَا ذَلِكَ فِي عَشْرَةِ فُصُولٍ.

الفصلُ الأوَّلُ

فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ مَجِيءَ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَتَعْدَادِ الْمَحَاسِنِ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128]،
الْآيَةُ.

قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ⁽¹⁾: وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَقِرَاءَةُ الْجُمُهورِ بِالضَّمِّ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: اعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوِ الْعَرَبَ، أَوْ أَهْلَ مَكَّةَ، أَوْ جَمِيعَ النَّاسِ، عَلَى اخْتِلَافِ الْمُفَسِّرِينَ، مَنْ الْمُوَاجَهُ بِهَذَا الْخِطَابِ، أَنَّهُ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَعْرِفُونَهُ، وَيَتَحَقَّقُونَ مَكَانَهُ،

الفصل الأول

(1) (قوله: السَّمَرْقَنْدِيُّ)، هو الامام الجليل الحنفي، أبو الليث المعروف بإمام الهدى، تفقه على أبي جعفر الهمدواني، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، ولهم أبو الليث السمرقندي متقدم يلقب بالحافظ، وهذا الفرق بينهما، ذكره السمعاني.

وَيَعْلَمُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، فَلَا يَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ وَتَرَكَ النَّصِيحَةَ لَهُمْ لِكَوْنِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةً إِلَّا وَلَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَادَةٌ، أَوْ قَرَابَةٌ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وَكَوْنِهِ مَنْ أَشْرَفِهِمْ، وَأَزْفَعِهِمْ، وَأَفْضَلِهِمْ عَلَى قِرَاءَةِ الْفَتْحِ، وَهَذِهِ نِهَایَةُ الْمَدْحِ.

ثُمَّ وَصَفَهُ بَعْدُ بِأَوْصَافٍ حَمِيدَةٍ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَحَامِدَ كَثِيرَةٍ، مِنْ حِرْصِهِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَرُشْدِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، وَشِدَّةٍ^(١) مَا يُعْثِيهِمْ^(٢) وَيَضُرُّ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ، وَعَزَّتِهِ عَلَيْهِ، وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِمُؤْمِنِهِمْ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَمِثْلُهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164] الْآيَةِ.

(١) (قوله: وَشِدَّةٌ)، هو بالجر والتأنيث، عطف على حرصه، وعزته^(١) عطف على شدة، والضمير لما، والجار والمجرور أعني «عليه» متعلق بالشدة أو بالعزة على طريق التنازع، والضمير المجرور فيه وفي رأفته وفي رحمته للنبي ﷺ كالضمير في حرصه^(٢).

(٢) (قوله: يُعْثِيهِمْ)، بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه مخففاً، وبضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مشدداً.

في القاموس^(٣): «أَعْتَتَهُ غَيْرُهُ، وَعَنْتَهُ شَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ مَا يَضْعُبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ»^(٤).

(١) [وعزته] ساقط من (أ).

(٢) (قوله: وشدة، هو بالجر.....كالضمير في حرصه] ساقط من (أ).

(٣) نهاية اللوحة (٤/و).

(٤) القاموس المحيط (ص: 156) مادة: عنت.

وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: 2] الْآيَةُ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ [البقرة: 151] الْآيَةُ.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ [التوبة: 128]، قَالَ: «نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا»⁽¹⁾، لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ⁽²⁾، كُلُّهَا نِكَاحٌ».

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: «كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَمْسَمِائَةَ أُمٍّ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ سِفَاحًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ».

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ [الشعراء: 219]، قَالَ: «مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجَكَ نَبِيًّا».

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ⁽³⁾: عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى عَجْزَ خَلْقِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَعَرَفَهُمْ ذَلِكَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ الصَّفْوَةَ مِنْ خِدْمَتِهِ، فَأَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَخْلُوقًا مِنْ جَنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ، أَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيرًا⁽⁴⁾، صَادِقًا، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ، وَمُؤَافَقَتَهُ مُؤَافَقَتَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80].

(1) (قوله: وَحَسَبًا)، الْحَسَبُ: مَا يَعِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَفَاخِرِ آبَائِهِ.

(2) (قوله: لَيْسَ فِيهِمْ سِفَاحٌ)، السِفَاحُ: بِكسر السين المهملة، الزنا.

(3) (قوله: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ)، هُوَ جَعْفَرُ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.

(4) (قوله: سَفِيرًا)، فِي الصَّحَاحِ: «السَّفِيرُ: الرَّسُولُ، وَالْمُصْلِحُ بَيْنَ الْخَلْقِ»⁽¹⁾.

(1) الصَّحَاحُ (686/2) مادة: سفر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ⁽¹⁾: «زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَانَ كَوْنُهُ⁽²⁾ رَحْمَةً، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ⁽³⁾ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً، كَمَا قَالَ ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ، وَمَوْتِي خَيْرٌ لَّكُمْ».

وَكَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا⁽⁴⁾ وَسَلَفًا».

وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] يَغْنِي لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَقِيلَ: لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهِدَايَةِ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُنَافِقِ بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ، وَرَحْمَةٌ لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ.

(1) (قوله: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ طَاهِرٍ)، هو ابن مُفَوِّزِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَوِّزِ الْمُعَاوِرِيِّ الشَّاطِبِيِّ.

(2) (قوله: فَكَانَ كَوْنُهُ)، أي وجود النبي ﷺ، فكون مصدر كان التامة اسم كان الناقصة، ورحمة خبر لها.

(3) (قوله: شَمَائِلِهِ)، الشمائل: جمع شِمَال بكسر المعجمة، وهو الخُلُقُ بضم الخاء وسكون اللام.

(4) (قوله: فَرَطًا)، بفتح الفاء والراء، وهو الذي يتقدم الواردين فيهمي لهم ما يحتاجون إليه.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، إِذْ عَوْفُوا مِمَّا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ».

وَحَكِيَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ لِشَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾» [التكوير: 20].

وَرَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٩١﴾ [الواقعة: 91]، أَيُّ بِكَ، إِنَّمَا وَقَعَتْ سَلَامَتُهُمْ مِنْ أَجْلِ كَرَامَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ﴾ [النور: 35]، الْآيَةُ.

قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ^(١) وَابْنُ جُبَيْرٍ: الْمُرَادُ بِالنُّورِ الثَّانِي هُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾، أَيُّ نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٢): «الْمَعْنَى: اللَّهُ هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

(1) (قوله: كَعْبُ الْأَخْبَارِ)، هو كعب بن ماته - بالمشناة من فوق - ابن هينوع، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر رضي الله عنهما، وكان قبل إسلامه على دين اليهود، وسكن اليمن، توفي بحمص سنة اثنين وثلاثين.

(2) (قوله: وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)، يعني الشُّشْتَرِي، وتُشْتَرَى قال ابن خلكان: «بلد من كورة الأهواز، ويقول الناس لها: «ششتر»، وبها قبر البراء بن مالك»^(١).

وقال النووي: «هو بمشنتين من فوق، الأولى مضمومة والثانية مفتوحة، بينهما سين مهملة، مدينة بخورستان»^(٢).

(1) وفيات الأعيان (430/2).

(2) تهذيب الأسماء واللغات (43/3).

ثُمَّ قَالَ: مَثَلُ نُورِ مُحَمَّدٍ إِذْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا فِي الْأَصْلَابِ ﴿كَمَشْكُوفَةٍ﴾⁽¹⁾ صِفَتْهَا كَذَا.

وَأَرَادَ بِالْمُصْبَاحِ قَلْبَهُ، وَالزُّجَاجَةَ صَدْرَهُ، أَيْ كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [النور: 35]، أَيْ مِنْ نُورِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِالشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ.

وَقَوْلِهِ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: 35]، أَيْ تَكَادُ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَبِينُ⁽²⁾ لِلنَّاسِ قَبْلَ كَلَامِهِ كَهَذَا الزَّيْتِ.

وَقَدْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ غَيْرُ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ نُورًا وَسَرَاجًا مُنِيرًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾⁽¹⁵⁾ [المائدة: 15].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾⁽⁴⁵⁾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسَرَاجًا مُنِيرًا⁽⁴⁶⁾ [الأحزاب: 45، 46].

(1) (قوله: كَمَشْكُوفَةٍ)، الْمَشْكَاةُ: الْكُوَّةُ فِي الْحَائِطِ الَّتِي لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا فِي الْآيَةِ الْقَنْدِيلُ، وَبِالْمُصْبَاحِ الْفَتِيلَةُ.

وقيل: المراد بها معلاق⁽¹⁾ القنديل، وبالمصباح القنديل،

وقيل: المراد بها موضع الفتيلة، وبالمصباح الفتيلة الموقودة.

(2) (قوله: تَبِينُ)، بفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة، أي تظهر.

(1) في (ز) معدن.

وَمِنْ هَذَا قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾ [الشرح: 1] إلى آخر
السورة.

شَرَحَ: وَسَّعَ، وَالْمُرَادُ بِالصَّدْرِ هُنَا الْقَلْبُ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «شَرَحَهُ بِنُورِ الْإِسْلَامِ».
وَقَالَ سَهْلٌ: «بِنُورِ الرِّسَالَةِ».
وَقَالَ الْحَسَنُ⁽¹⁾: «مَلَأَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا».
وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَلَمْ يُطَهِّرْ قَلْبَكَ حَتَّى لَا يَقْبَلَ الْوَسْوَاسَ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ ﴿٢﴾ [الشرح: 2]، قِيلَ: مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ، يَعْنِي قَبْلَ
النُّبُوَّةِ

وَقِيلَ: أَرَادَ ثِقَلَ⁽²⁾ أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ.
وَقِيلَ: أَرَادَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ حَتَّى بَلَغَهَا، حَكَاهُ الْمَاوَرِدِيُّ
وَالسُّلَمِيُّ⁽³⁾.
وَقِيلَ: عَصَمْنَاكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَثْقَلَتِ الذُّنُوبُ ظَهْرَكَ، حَكَاهُ
السَّمَرْقَنْدِيُّ.

(1) (قوله: وَقَالَ الْحَسَنُ)، هو ابن أبي الحسن يسار البصري، مات سنة عشر
ومائة.

(2) (قوله: ثِقَلَ)، هو بكسر⁽¹⁾ المثلثة وفتح القاف، ضد الخفة، وبكسر المثلثة
وسكون القاف واحد الأثقال، وبفتحهما متاع المسافر وحشمه.

(3) (قوله: السُّلَمِيُّ)، هو بضم المهملة وفتح اللام، أبو عبد الرحمن النيسابوري،
شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم.

(1) نهاية اللوحة (4/ظ).

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]، قَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ: بِالنُّبُوَّةِ.

وَقِيلَ: إِذَا ذُكِرْتَ ذُكِرْتَ مَعِيَ، فِي قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.
وَقِيلَ: فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ.

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ، وَشَرِيفِ مَنَزَلَتِهِ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ، وَوَسَّعَهُ لَوُغِي الْعِلْمِ وَحَمَلَ الْحِكْمَةِ، وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ، وَبَغَّضَهُ لِسِيرِهَا وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةُ أَغْبَاءِ الرِّسَالَةِ⁽¹⁾ وَالنُّبُوَّةِ لَتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ، وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مَكَانِهِ، وَجَلِيلِ رُتَبَتِهِ، وَرَفَعَهُ ذِكْرَهُ وَقَرَانِهِ مَعَ اسْمِهِ اسْمَهُ.

قال قتادة: «رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: تَذَرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِيَ».

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ⁽²⁾: «جَعَلْتُ تَمَامَ الْإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِيَ».

(1) (قوله: أَغْبَاءِ الرِّسَالَةِ)، جمع عبء، بكسر العين المهملة وسكون الموحدة بعدها همزة.

في القاموس: «هُوَ الْحِمْلُ، وَالثَّقُلُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، وَالْعِدْلُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ)، هو أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَطَاءٍ الْأَمْدِيُّ الزَّاهِدُ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ.

(1) القاموس المحيط (ص: 47) مادة: العبء.

وَقَالَ أَيُّضًا: «جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي، فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي».

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ: «لَا يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بِالرِّسَالَةِ إِلَّا ذَكَرَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ».

وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى مَقَامِ الشَّفَاعَةِ.

وَمِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ تَعَالَى أَنْ قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَاسْمَهُ بِاسْمِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 132]، و ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: 7]،

فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بِوَاوِ الْعَطْفِ الْمُشْرَكَةِ.

وَلَا يَجُوزُ جَمْعُ هَذَا الْكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَيَّانِيُّ⁽¹⁾ الْحَافِظُ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى الثِّقَةِ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمِرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاسَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السَّجَزِيُّ⁽²⁾، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ».

(1) (قوله: الْجَيَّانِيُّ)، بالجيم المفتوحة والمثناة التحتية المشددة والنون، نسبة إلى بلد بالأندلس.

(2) (قوله: السَّجَزِيُّ)، بكسر المهملة وسكون الجيم وكسر الزاي.

قال ابن ماكولا: «هي نسبة إلى سجستان على غير قياس»⁽¹⁾.

وهو إقليم ذو مدائن بين خراسان والسند وكرمان.

(1) الإكمال لابن ماكولا (550/4).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ⁽¹⁾: «أَرَشَدَهُمْ ﷺ إِلَى الْأَدَبِ فِي تَقْدِيمِ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ، وَاخْتَارَهَا بِ «ثُمَّ» الَّتِي هِيَ لِلنَّسَقِ وَالتَّرَاخِي بِخِلَافِ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ لِلإِسْتِرَاكِ».

وَمِثْلُهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: «أَنَّ خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ⁽²⁾ فَقَالَ: مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ، قُمْ، أَوْ قَالَ: اذْهَبْ».

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «كَرِهَ مِنْهُ الْجَمْعَ بَيْنَ الإِسْمَيْنِ بِحَرْفِ الْكِنَايَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّسْوِيَةِ».

وَذَهَبَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ لَهُ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِهِمَا.
وَقَوْلُ أَبِي سُلَيْمَانَ أَصَحُّ⁽³⁾، لِمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى»، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِهِمَا.

(1) (قوله: الْخَطَّابِيُّ)، بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة، هو حَمْدُ بفتح المهملة وسكون الميم بعدها دال مهملة ابن إبراهيم بن خطاب، الإمام الحافظ البُسْتِيّ، وَالْخَطَّابِيُّ نسبة إلى جده، ويقال: إنه من نسل زيد بن الخطاب.

(2) (قوله: أَنَّ خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽¹⁾)، هو ثابت بن قيس بن شَمَّاسٍ بالتشديد⁽²⁾.

(3) (قوله: وَقَوْلُ أَبِي سُلَيْمَانَ أَصَحُّ)، قال النووي: «الصواب أن سبب النهي أن الْخُطْبَ شَأْنَهَا الإِيضَاحُ واجتناب الرَّمْزِ، وَلِهَذَا كَانَ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا لَتَفْهَمَ، لَا كِرَاهَةَ الْجَمْعِ بَيْنَ الإِسْمَيْنِ بِالْكِنَايَةِ، لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي مَوَاضِعَ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ⁽³⁾: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

(1) في (أ) عند النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) [بالتشديد] ساقط من (أ).

(3) في (أ) عليه السلام.

(4) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (16)، ومسلم (43).

(5) شرح صحيح مسلم (159/6).

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَضْحَابُ الْمَعَانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56]، هَلْ ﴿يُصَلُّونَ﴾ رَاجِعَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةِ أَمْ لَا؟ فَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ، وَمَنْعَهُ آخَرُونَ لِعِلَّةِ التَّشْرِيكِ، وَخَصُّوا الضَّمِيرَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَقَدَرُوا الْآيَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يُصَلِّي ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يُصَلُّونَ.

رُوي عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

وَرُوي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا: «إِنَّ مُحَمَّدًا يُرِيدُ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَانًا»⁽¹⁾ كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 32]، فَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ رَغْمًا لَهُمْ⁽²⁾.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أُمِّ الْكِتَابِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽³⁾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ⁽⁴⁾ [الفاتحة: 6، 7].

(1) قوله: حَنَانًا، في الصحاح: «الحنان: الرحمة»⁽¹⁾.

وقال ابن الأثير: «الحنانُ العطف، ومنه قول ورقة بن نوفل حين كان يمر ببلال وهو يعذب»⁽²⁾: «والله»⁽³⁾ لئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَا تَتَّخِذْنَهُ حَنَانًا»⁽⁴⁾.

(2) (قوله: رَغْمًا لَهُمْ)، بفتح الراء وسكون الغين المعجمة، أي غيظا.

(1) الصحاح (2104/5) مادة: حنن.

(2) رواه ابن إسحاق في السير والمغازي (ص: 190)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (147/1)، واليعمرى في عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (133/1).

(3) [والله] غير موجود في (ز).

(4) النهاية في غريب الحديث (452/1) مادة: حنن.

فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ⁽¹⁾ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخِيَارُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ»، حَكَاهُ عَنْهُمَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَاورِدِيُّ.
وَحَكَى مَكِّي عَنْهُمَا نَحْوَهُ وَقَالَ: «هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

وَحَكَى أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ مِثْلَهُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ: «صَدَقَ وَاللَّهُ وَنَصَحَ».

وَحَكَى الْمَاورِدِيُّ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ.

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: 256] ، إِنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.
وَقِيلَ: الْإِسْلَامُ.

وَقِيلَ: شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ سَهْلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34] ، قَالَ: «نِعْمَتُهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33] ، الْآيَتِينَ.

(1) (قوله: فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ)، هما اثنان تابعيان من أهل البصرة، أحدهما الرياحي بكسر الحاء والراء قبلها⁽¹⁾، والآخر البراء بفتح الباء وتشديد الراء⁽²⁾.

(1) في (ز) بكسر الراء.

(2) نهاية اللوحة (5/و).

أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ

وَقُرِئَ: «صَدَقَ بِهِ» بِالتَّخْفِيفِ.

وَقَالَ غَيْرُهُمْ: الَّذِي «صَدَّقَ بِهِ» الْمُؤْمِنُونَ.

وَقِيلَ: أَبُو بَكْرٍ.

وَقِيلَ: عَلِيٌّ.

وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنَّهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [الرعد: ٢٨]

[28]، قَالَ: «بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ».

الفصل الثاني

فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ بِالشَّهَادَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الثَّنَاءِ وَالْكَرَامَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]، الآية.

جمع الله تعالى له فِي هَذِهِ الْآيَةِ ضُرُوبًا مِنْ رُتَبِ الْأَثَرَةِ⁽¹⁾، وَجُمْلَةٍ أَوْصَافٍ مِنَ الْمَدْحَةِ⁽²⁾، فَجَعَلَهُ ﴿شَهِيدًا﴾ عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلَاغِهِمُ الرِّسَالَةَ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، ﴿وَدَاعِيًا﴾ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يُهْتَدَى بِهِ لِلْحَقِّ.

حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَتَّابٍ⁽³⁾، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمٌ⁽⁴⁾ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ⁽⁵⁾، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمُرُوزِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ⁽⁶⁾،

الفصل الثاني

(1) (قوله: الأثرية)، بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحهما، الاستبداد بالشيء والافراد به، اسم من استأثر بالشيء استبد به.

(2) (قوله: المدحة)، هو بكسر الميم، الثناء والذكر الحسن.

(3) (قوله: ابن عتاب)، بالمهملة والمثناة المشددة والباء الموحدة، هو مسند الأندلس في زمانه، عبد الرحمن القرطبي الأندلسي.

(4) (قوله: أبو القاسم حاتم)، هو المعروف بالأطرابلسي.

(5) (قوله: القاسمي)، هو الحافظ علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، وإنما قيل له القاسمي لأن عمه كان يشد عمامته شدة أهل قابس.

(6) (قوله: فليح)، بضم الفاء وفتح اللام بعدها ياء ساكنة فحاء مهملة، هو ابن سليمان العدوي مولا هم.

حَدَّثَنَا هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِزْرًا⁽¹⁾ لِلْأُمِّيِّينَ⁽²⁾، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَطٍ⁽³⁾ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ⁽⁴⁾ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ⁽⁵⁾، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا⁽⁶⁾».

وَذَكَرَ مِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ⁽⁷⁾ وَكَعَبِ الْأَخْبَارِ.

-
- (1) (قوله: وَحِزْرًا)، بالمهملة المكسورة فالراء الساكنة فالزاي، أي حفظاً.
- (2) (قوله: لِلْأُمِّيِّينَ)، أي للعرب، لأن الكتابة عندهم قليلة، والأُمِّي من لا يحسن الكتابة، نسبة إلى أمة العرب حين كانوا لا يحسنون الكتابة، أو إلى الأم، بمعنى أنه كما ولدته أمه.
- (3) (قوله: لَيْسَ بِفَطٍ)، أي ليس⁽¹⁾ بسبيئ الخلق.
- وَلَا غَلِيظٍ: أي شديد القول.
- (4) (قوله: وَلَا سَخَابٍ)، بالسین المهملة والخاء المعجمة المشددة، من السخب، وهي لغة ربيعة في الصخب، وهو رفع الصوت.
- (5) (قوله: الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ)، يعنى ملة إبراهيم، لأن العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء.
- (6) (قوله: غُلْفًا)، بضم المعجمة وسكون اللام، جمع أغلف، وهو الشيء في غلاف وغشاء بحيث لا يوصل إليه.
- (7) (قوله: ابْنِ سَلَامٍ)، بتخفيف اللام لا غير، هو الأنصاري الخزرجي، كان اسمه في الجاهلية حُصَيْنًا، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

(1) [ليس] ساقط من (ز).

(2) [رسول الله] لم يرد في (ز).

وَفِي بَعْضِ طُرُقِهِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: «وَلَا صَخِبَ»⁽¹⁾ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ، وَلَا قَوَالٍ لِلْخَنَاءِ⁽²⁾، أَسَدَّدَهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَلَ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ، وَالْبَرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ⁽³⁾، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدَى⁽⁴⁾ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَأَعْلَمُ⁽⁵⁾ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ⁽⁶⁾، وَأُسَمِّي⁽⁷⁾ بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ، وَأَكْثَرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُعْنِي⁽⁸⁾ بِهِ بَعْدَ الْعِيَلَةِ⁽⁹⁾، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأُولِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَهْوَاءَ مُتَشَتِّتَةٍ، وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ».

-
- (1) (قوله: وَلَا صَخِبَ)، هو بالصاد المهملة والخاء المعجمة المكسورة، من الصخب، وهو رفع الصوت في السوق في لغة غير ربيعة.
- (2) (قوله: لِلْخَنَاءِ)، بفتح المعجمة والقصر، الفحش.
- (3) (قوله: إِمَامَهُ)، بكسر الهمزة.
- (4) (قوله: أَهْدَى)، بفتح الهمزة، أي أُرْشِدَ.
- (5) (قوله: وَأَعْلَمُ)، بضم الهمزة وتشديد اللام.
- (6) (قوله: بَعْدَ الْخَمَالَةِ)، في الصحاح: «الْخَامِلُ: الساقط الذي لا نباهة له، وقد خَمَلَ يَخْمَلُ خُمُولًا»⁽¹⁾.

وفي⁽²⁾ أفعال ابن القطاع: «خَمَلَ خُمُولًا، خَفِيَ ذَكَرُهُ»⁽³⁾.

- (7) (قوله: وَأُسَمِّي)، بضم الهمزة وتشديد الميم.
- (8) (قوله: وَأُعْنِي)، بضم الهمزة وسكون المعجمة.
- (9) (قوله: بَعْدَ الْعِيَلَةِ) هي بفتح المهملة، الْفَقْرُ.

(1) الصحاح (1690/4) مادة: خمل.

(2) نهاية اللوحة (5/ظ).

(3) كتاب الأفعال (291/1).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِفَتِهِ فِي التَّوْرَةِ: «عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِالْمَدِينَةِ - أَوْ قَالَ طَبِئُهُ - أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 157]، الْآيَتِينَ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، الْآيَةَ.

قَالَ السَّمَرَقَنْدِيُّ: «ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْتَهُ أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ ﷺ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ، رَوْوْفًا لَيْنَ الْجَانِبِ، وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِنًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَمَحًا⁽¹⁾ سَهْلًا طَلَقًا⁽²⁾ بَرًّا لَطِيفًا، هَكَذَا قَالَهُ الضَّحَّاكُ⁽³⁾».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ: «أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّنَا ﷺ وَفَضْلَ أُمَّتِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ».

وَفِي قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: 78].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: 41]، الْآيَةَ.

(1) (قوله: سَمَحًا)، بفتح السين المهملة وسكون الميم، أي جَوَادًا.

(2) (قوله: طَلَقًا)، بسكون اللام، أي مُنْبَسِطُ الْوَجْهِ مُتَهَلِّلُهُ، يقال: طَلَّقَ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ فَهُوَ طَلِيقٌ.

(3) (قوله: الضَّحَّاكُ)، هو ابن مُزَاحِمِ الْهَلَالِيِّ الْخُرَاسَانِيُّ، رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَنْسَ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَطًا﴾، أَيْ عَدُولًا خِيَارًا.

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: وَكَمَا هَدَيْنَاكُمْ فَكَذَلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وَفَضَّلْنَاكُمْ، بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيَارًا عَدُولًا، لِتَشْهَدُوا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أُمَّمِهِمْ، وَيَشْهَدَ لَكُمْ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ.

قِيلَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ إِذَا سَأَلَ الْأَنْبِيَاءَ هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَتَقُولُ أُمَّتُهُمْ: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾» [المائدة: 19]، فَتَشْهَدُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَيُزَكِّيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَقِيلَ: «مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّكُمْ حُجَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَكُمْ وَالرَّسُولُ ﷺ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ، حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2].
قَالَ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: «قَدَمَ صِدْقٍ» هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْفَعُ لَهُمْ».

وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: «هِيَ مُصِيبَتُهُمْ بِنَبِيِّهِمْ».
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هِيَ شَفَاعَةُ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ شَفِيعٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ».
وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ: «هِيَ سَابِقَةُ رَحْمَةٍ أَوْدَعَهَا فِي مُحَمَّدٍ ﷺ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ⁽¹⁾: «هُوَ إِمَامُ الصَّادِقِينَ وَالصِّدِّيقِينَ، الشَّفِيعُ الْمَطَاعُ، وَالسَّائِلُ الْمُجَابُ، مُحَمَّدٌ ﷺ»، حَكَاهُ عَنْهُ السُّلَمِيُّ.

(1) قوله: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ، هو الإمام الحافظ الزاهد المؤذن، صاحب التصانيف، الحكيم الترمذي.

الفصل الثالث

في ما ورد من خطابه إياه مورد الملاحظة والمبررة

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: 43].
قال أبو محمد مكي: «قيل: هذا افتتاح كلام، بمنزلة: أصلحك الله، وأعزك الله».
وقال عون⁽¹⁾ بن عبد الله: «أخبره بالعفو قبل أن يُخبره⁽²⁾ بالذنب».
حكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه: «عافاك الله يا سليم القلب، لم أذنت لهم».
قال: «ولو بدأ⁽³⁾ النبي ﷺ بقوله: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيئة هذا الكلام، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه».
ثم قال له: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب».

الفصل الثالث

- (1) (قوله: عون)، هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، الزاهد الفقيه، يروي عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما.
- (2) (قوله: قبل أن يُخبره)، بضم المشاة التحتية وسكون المعجمة وكسر الموحدة الخفيفة، أو بفتح المعجمة وتشديد الموحدة.
- في الصحاح: «أَخْبَرْتُهُ⁽¹⁾ وَخَبَرْتُهُ بِمَعْنَى⁽²⁾».
- (3) (قوله: ولو بدأ)، مهموز، من الابتداء.

(1) في (ز) اختبرته.

(2) الصحاح (641/2) مادة: خبر.

وَفِي هَذَا مِنْ عَظِيمِ مُنْزَلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ⁽¹⁾، وَمِنْ
إِكْرَامِهِ إِيَّاهُ، وَبَرِّهِ بِهِ مَا يَنْقُطِعُ دُونَ مَعْرِفَةِ غَايَتِهِ نِيَاطُ الْقَلْبِ⁽²⁾.

قَالَ نِفْطُوئِيهِ⁽³⁾: «ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُعَاتَبٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ،
وَحَاشَاكَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ مُخَيَّرًا، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ
يَأْذَنْ لَهُمْ لَفَعَدُوا لِنِفَاقِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ لَهُمْ».

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُجَاهِدِ
نَفْسَهُ، الرَّائِضِ بِزِمَامِ الشَّرِيعَةِ⁽⁴⁾ خُلُقَهُ، أَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ،
وَمُعَاطَاتِهِ وَمُحَاوَرَاتِهِ⁽⁵⁾، فَهُوَ غُنْصُرُ⁽⁶⁾ الْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَرَوْضَةُ الْأَدَابِ

(1) (قوله: عَلَى ذِي لُبٍّ)، اللَّبُّ: العقل.

(2) (قوله: نِيَاطُ الْقَلْبِ)، بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية، عِرْقٌ يعلق به
القلب مِنَ الْوَتِينِ، إِذَا قُطِعَ مَاتَ صَاحِبُهُ.

(3) (قوله: نِفْطُوئِيهِ)، هو النحوي الواسطي.

قال ابن الصلاح: «أهل العربية يقولونه ونظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها
وساكن ما بعدها، ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما
قبلها مفتوح ما بعدها، وبعدها هاء، والتاء خطأ، سمعت الحافظ القادر بن عبد
الله يقول: سمعت الحافظ أبا العلاء يقول: أهل الحديث لا يحبون وية، أي
يقولون نفطويه مثلا بواو ساكنة، تفاديا يعني تجافيا وتباعدا من أن يقع في
آخر الكلام وية»، انتهى.

(4) (قوله: الرَّائِضِ بِزِمَامِ الشَّرِيعَةِ)، رِضَتْ⁽¹⁾ الْمُهْرَ إِذَا ذَلَّلَتْهُ وَجَعَلَتْهُ طَوْعَ
إِرَادَتِكَ، وَالزِّمَامُ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْأَحْكَامِ، أَيِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

(5) (قوله: وَمُحَاوَرَاتِهِ)، هو بالحاء المهملة، جمع مُحَاوَرَةٍ، وَهِيَ الْمُجَاوَبَةُ⁽²⁾.

(6) (قوله: هُوَ غُنْصُرٌ)، الْغُنْصُرُ⁽³⁾: بَظْمُ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحُهَا، الْأَصْلُ.

(1) في (ز) رِيضَتْ.

(2) في (ز) وَهُوَ الْمُحَارَبَةُ.

(3) نهاية اللوحة (6/و).

الدِّيْنِيَّةَ وَالْدُّنْيَوِيَّةَ، وَلِيَتَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَلَأَطَفَةَ الْعَجِيْبَةَ فِي السُّؤَالِ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ الْمُنْعِمِ عَلَى الْكُلِّ⁽¹⁾، الْمُسْتَعْنِي عَنِ الْجَمِيعِ، وَيَسْتَشِيرُ مَا فِيهَا مِنَ الْقَوَائِدِ، وَكَيْفَ ابْتَدَأَ بِالْإِكْرَامِ قَبْلَ الْعُتْبِ، وَأَنْسَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الذَّنْبِ، إِنْ كَانَ ثُمَّ ذَنْبٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74].

قال بعضُ الْمُتَكَلِّمِينَ: عَاتَبَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الزَّلَّاتِ، وَعَاتَبَ نَبِيَّنَا ﷺ قَبْلَ وَقُوعِهِ، لِيَكُونَ بِذَلِكَ أَشَدَّ انْتِهَاءً مُحَافَظَةً لِسَرَائِطِ الْمَحَبَّةِ، وَهَذِهِ غَايَةُ الْعِنَايَةِ.

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ بِثَبَاتِهِ وَسَلَامَتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَا عَتَبَهُ عَلَيْهِ، وَخِيفَ أَنْ يَرْكُنَ إِلَيْهِ، فَفِي أَثْنَاءِ عَثْبِهِ بَرَاءَتُهُ، وَفِي طَيِّ تَخْوِيفِهِ تَأْمِينُهُ وَكَرَامَتُهُ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ﴾ [الأنعام: 33]، الْآيَةُ.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ﴾ [الأنعام: 33]، الْآيَةَ».

وَرَوَى: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ حَزَنَ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا يُحْزِنُكَ⁽²⁾؟ قَالَ: كَذَّبَنِي قَوْمِي، فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ».

(1) (قوله: الْمُنْعِمِ عَلَى الْكُلِّ)، فِي الصَّحَاحِ: «وَكُلُّ: لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ جَمْعٌ، فَعَلَى هَذَا تَقُولُ⁽¹⁾: كُلُّ حَضَرَ وَكُلُّ حَضَرُوا، عَلَى الْلفْظِ مَرَّةً وَعَلَى الْمَعْنَى أُخْرَى، وَكُلُّ وَبَعْضُ مَعْرِفَتَانِ، وَلَمْ يَجِئْ عَنِ الْعَرَبِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَهُوَ جَائِزٌ، لِأَنَّ فِيهَا مَعْنَى الْإِضَافَةِ، أُضِيفَتْ أُمٌّ لَمْ تُصَفْ⁽²⁾»، انْتَهَى.

(2) (قوله: مَا يُحْزِنُكَ؟)، يُقَالُ: حَزَنَهُ وَأَحْزَنَهُ.

(1) فِي (ز) فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

(2) الصَّحَاحُ (1812/5) مَادَّةُ: كُلُّ.

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنَزْعٌ⁽¹⁾ لَطِيفُ الْمَأْخَذِ مِنْ تَسْلِيَتِهِ تَعَالَى لَهُ ﷺ، وَإِلْطَافُهُ⁽²⁾ فِي الْقَوْلِ، بَأَنْ قَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّهُ صَادِقٌ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَذِّبِينَ لَهُ، مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا، وَقَدْ كَانُوا يُسْمُونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ «الْأَمِين».

فَدَفَعَ بِهَذَا التَّقْرِيرِ ارْتِمَاضَ⁽³⁾ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الْكَذِبِ، ثُمَّ جَعَلَ الذَّمَّ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهِمْ جَا حِدِينَ ظَالِمِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33]، وَحَاشَاهُ مِنَ الْوُضْمِ⁽⁴⁾، وَطَوَّقَهُمْ بِالْمُعَانَدَةِ بِتَكْذِيبِ الْآيَاتِ حَقِيقَةِ الظُّلْمِ، إِذِ الْجَحْدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ عَلِمَ الشَّيْءَ ثُمَّ أَنْكَرَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، ثُمَّ عَزَاهُ⁽⁵⁾ وَآنَسَهُ بِمَا ذَكَرَهُ عَمَّنْ قَبْلَهُ، وَوَعَدَهُ بِالنَّصْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 34]، الْآيَةِ، فَمَنْ قَرَأَ «لَا يُكَذِّبُونَكَ» بِالتَّخْفِيفِ، فَمَعْنَاهُ لَا يَجِدُونَكَ كَاذِبًا.

وَقَالَ الْفَرَاءُ وَالْكِسَائِيُّ: «لَا يَقُولُونَ إِنَّكَ كَاذِبٌ».

وَقِيلَ: لَا يَحْتَجُّونَ عَلَى كَذِبِكَ وَلَا يُشْتَوْنَهُ.

وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ فَمَعْنَاهُ لَا يَنْسُبُونَكَ إِلَى الْكَذِبِ.

وَقِيلَ: لَا يَعْتَقِدُونَ كَذِبَكَ.

وَمِمَّا ذَكَرَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَبِرِّ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ، فَقَالَ: يَا آدَمُ، يَا نُوحُ، يَا إِبْرَاهِيمُ، يَا مُوسَى، يَا دَاوُدُ، يَا عِيسَى، يَا زَكَرِيَّا، يَا يَحْيَى، وَلَمْ يُخَاطَبْ هُوَ إِلَّا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: 67]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: 64]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾ [المزمل: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ﴾ [المدثر: 1].

(1) (قوله: مَنَزْعٌ)، بفتح الميم والزاي، وهو ما يرجع إليه الرجل من أمره.

(2) (قوله: وَإِلْطَافُهُ)، بكسر الهمزة، مصدر أَلْطَفَهُ بِكَذَا، بَرَهُ بِهِ.

(3) (قوله: ارْتِمَاضٌ)، هو بالراء الساكنة والمثناة المكسورة والضاد المعجمة، مصدر ارتمض الرجل من كذا، اشتد عليه وأقلقه.

(4) (قوله: مِنَ الْوُضْمِ)، أي من العيب.

(5) (قوله: عَزَاهُ)، بتشديد الزاي، أي صَبَرَهُ.

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال تعالى: ﴿لَعَنُوكَ إِنَّمْ لَفَى سَكْرَنِهِمْ يَعْصَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ [الحجر: 72].
اتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا أَنَّهُ قَسَمَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِمُدَّةِ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَصْلُهُ، ضَمُّ الْعَيْنِ مِنَ الْعُمَرِ وَلَكِنَّهَا فُتِحَتْ لِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ.
وَمَعْنَاهُ: وَبَقَائِكَ يَا مُحَمَّدُ.

وَقِيلَ: وَعَيْشِكَ.

وَقِيلَ: وَحَيَاتِكَ.

وَهَذِهِ نَهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَغَايَةُ الْبَرِّ وَالتَّشْرِيفِ.

قال ابن عباس: «مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ».

وَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ^(١): «مَا أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
لَأَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسَّ﴾ ﴿١﴾ وَالْفُرْقَانِ الْحَكِيمِ ﴿٧٢﴾ [يس: 1، 2]، الْآيَاتُ.

اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ: فِي مَعْنَى ﴿يَسَّ﴾ عَلَى أَقْوَالٍ.

(١) (قوله: أَبُو الْجَوْزَاءِ)، هو بفتح الجيم فواو ساكنة فزاي فهزرة ممدودة، أوس
بن عبد الله الربيعي البصري، يروي عن عائشة وغيرها، وأما أَبُو الْحَوْرَاءِ بِالْحَاءِ
المهملة والراء فراوي حديث القنوت.

فَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّي: «أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «لِي عِنْدَ رَبِّي عَشْرَةُ أَسْمَاءَ»، ذَكَرَ مِنْهَا أَنَّ ﴿طَهَ﴾ وَ ﴿يَسَ﴾ اسْمَانِ لَهُ».

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ: «أَنَّهُ أَرَادَ يَا سَيِّدُ، مُخَاطَبَةً لِنَبِيِّهِ ﷺ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَسَ﴾ يَا إِنْسَانُ، أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَقَالَ: «هُوَ قَسَمٌ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى».

وَقَالَ الرَّجَّاجُ⁽¹⁾: «(قِيلَ: مَعْنَاهُ: يَا مُحَمَّدُ».

وَقِيلَ: يَا رَجُلُ.

وَقِيلَ: يَا إِنْسَانُ.

وَعَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ: ﴿يَسَ﴾ يَا مُحَمَّدُ».

وَعَنْ كَعْبٍ: ﴿يَسَ﴾ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِالْفَنِي عَامٍ، يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ».

ثم قال: ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾⁽²⁾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿[يس: 2. 3]، فَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِهِ ﷺ وَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ قَسَمٌ، كَانَ فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ مَا تَقَدَّمَ، وَيُؤَكِّدُ فِيهِ الْقَسَمَ عَطْفُ الْقَسَمِ الْآخِرِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى الْبِدَاءِ فَقَدْ جَاءَ قَسَمٌ آخَرُ بَعْدَهُ لِتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَالشَّهَادَةِ بِهِدَايَتِهِ، أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيْمَانِهِ، أَيْ طَرِيقٍ لَا اغْوَجَاجَ فِيهِ، وَلَا غُدُولَ عَنِ الْحَقِّ.

(1) قوله: (الرَّجَّاجُ)، هو أبو إسحاق إبراهيم النحوي، إليه ينسب عبد الرحمن الزجاجي صاحب الجمل.

قَالَ النَّقَّاشُ⁽¹⁾: «لَمْ يُقْسِمِ اللَّهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرَّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا لَهُ».

وَفِيهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ عَلَى تَأْوِيلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَا سَيِّدُ، مَا فِيهِ.
وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْر».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: 1، 2].

قِيلَ: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ بِهِ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنْهُ، حَكَاهُ مَكِّي.
وَقِيلَ: ﴿لَا﴾ زَائِدَةٌ، أَنِّي أُقْسِمُ بِهِ وَأَنْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ «حَلَالٌ» أَوْ «حِلٌّ»
لَكَ مَا فَعَلْتَ فِيهِ، عَلَى التَّفْسِيرَيْنِ.

وَالْمُرَادُ بِـ ﴿الْبَلَدِ﴾ عِنْدَ هَؤُلَاءِ مَكَّةَ.

وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ: «أَيُّ نَحْلِفُ لَكَ بِهَذَا الْبَلَدِ الَّذِي شَرَّفْتَهُ بِمَكَانِكَ فِيهِ
حَيًّا وَبِرَكَتِكَ مَيِّتًا، يَعْنِي الْمَدِينَةَ».

وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَمَا بَعْدَهُ يُصَحِّحُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حِلٌّ
بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ [البلد: 2].

وَنَحْوُهُ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝﴾
[التين: 3]، قَالَ: «أَمَّنْهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَقَامِهِ فِيهَا وَكَوْنِهِ بِهَا».
فَإِنَّ كَوْنَهُ أَمَانٌ حَيْثُ كَانَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَوْلَدٍ ۝﴾ [البلد: 3]، مَنْ قَالَ: أَرَادَ آدَمَ، فَهُوَ عَامٌّ،
وَمَنْ قَالَ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ ﴿وَمَوْلَدٍ﴾ فَهِيَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ
ﷺ، فَتَتَضَمَّنُ السُّورَةُ الْقَسَمَ بِهِ ﷺ فِي مَوْضِعَيْنِ.

(1) (قوله: قَالَ النَّقَّاشُ)، هو أبو بكر محمد بن الحسن بن مُحَمَّد بن زيَاد
الموصلِي البغدادي، المقرئ المفسر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْعَمَّ ۝﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿البقرة: 1 . 2﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هَذِهِ الْحُرُوفُ أَقْسَامُ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا». وَعَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِي: «الْأَلِفُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّامُ، جِبْرِيلُ، وَالْمِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ».

وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى سَهْلٍ، وَجَعَلَ مَعْنَاهُ: «اللَّهُ أَنْزَلَ جِبْرِيلَ عَلَى مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْقُرْآنِ لَا رَيْبَ فِيهِ». وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَحْتَمِلُ الْقَسَمُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، ثُمَّ فِيهِ مِنْ فَضِيلَةِ قِرَانِ اسْمِهِ بِاسْمِهِ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]: «أَقْسَمَ بِقُوَّةِ قَلْبِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ حَمَلَ الْخِطَابَ وَالْمُشَاهَدَةَ وَلَمْ يُؤَيِّزْ ذَلِكَ فِيهِ لِعُلُوِّ حَالِهِ».

وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِلْقُرْآنِ.

وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقِيلَ: جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ.

وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي تَفْسِيرِ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿النجم: 1﴾: «إِنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ».

وَقَالَ: «النَّجْمُ: قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ، هَوَى: انْشَرَحَ مِنَ الْأَنْوَارِ».

وَقَالَ: «انْقَطَعَ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝﴾ وَلَيْالٍ عَشْرٍ ﴿الفجر: 1 . 2﴾: «الْفَجْرُ: مُحَمَّدٌ ﷺ، لِأَنَّ مِنْهُ تَفَجَّرَ الْإِيمَانُ».

الفصل الخامس

فِي قَسْمِهِ تَعَالَى جَدَّهُ لَهُ لِيَتَحَقَّقَ مَكَانَتُهُ عِنْدَهُ

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿الضحى: 1 - 2﴾، السُّورَةُ.

اِخْتَلَفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ.

فَقِيلَ: كَانَ تَزُكُّ النَّبِيَّ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ لِعُذْرِ نَزَلٍ بِهِ، فَتَكَلَّمَتْ امْرَأَةٌ⁽¹⁾ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ.

وَقِيلَ: بَلْ تَكَلَّمَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَتَزَلَّتِ السُّورَةُ.

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي - وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، وَتَنْوِيهِهِ بِهِ، وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ سِتَّةَ وُجُوهِ:

الْأَوَّلُ: الْقَسْمُ لَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿الضحى: 1 - 2﴾، أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ دَرَجَاتِ الْمَبَرَّةِ.

الثَّانِي: بَيَانُ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحُظْوَتِهِ⁽²⁾ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ﴿الضحى: 3﴾، أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ.

الفصل الخامس

(1) (قوله: فَتَكَلَّمَتْ امْرَأَةٌ)، رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ⁽¹⁾ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الضُّحَى أَنَّهَا امْرَأَةٌ أَبِي لَهَبٍ أُمُّ جَمِيلِ بِنْتُ حَرْبٍ أُخْتُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَاسْمُهَا الْعَوْرَاءُ.

(2) (قوله: وَحُظْوَتِهِ)، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَضْمُومَةِ وَالظَّاءِ الْمَعْجَمَةِ السَّاكِنَةِ، مِنْ حَظَّيْتُ الْمَرْأَةَ عِنْدَ زَوْجِهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ عَلَى فُعْلَةٍ بِضَمِّ لَامِهِ وَوَاوٍ بَعْدَهَا هَاءُ التَّأْنِيثِ⁽²⁾، فَإِنَّهُ مِثْلُ الْفَاءِ.

(1) رَوَاهُ الْحَاكِمُ (3376) وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلْخِصِ.

(2) فِي (ز) فُعْلَةٌ لَامُهُ وَوَاوٍ بَعْدَهَا هَاءُ التَّأْنِيثِ.

وَقِيلَ: مَا أَهْمَلَكَ بَعْدَ أَنْ اضْطَفَاكَ.

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: 4].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «أَيُّ مَالِكَ فِي مَرْجِعِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَغْظَمَ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا».

وَقَالَ سَهْلٌ: «أَيُّ مَا ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أُعْطَيْتُكَ فِي الدُّنْيَا».

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 5].

وَهَذِهِ آيَةٌ جَامِعَةٌ لُجُوهِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ، وَشَتَاتِ الْإِنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ وَالزِّيَادَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «يُزْضِيهِ بِالْفُلْجِ»⁽¹⁾ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ».

وَقِيلَ: يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ.

وَرُويَ عَنْ بَعْضِ آلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ أَرْجَى مِنْهَا،

(1) (قوله: بِالْفُلْجِ)، هو بضم الفاء وسكون اللام بعدها جيم، الفوز والظفر، كالإفلاج.

(2) (قوله: عَنْ بَعْضِ آلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هو علي بن أبي طالب، ذكره الثعلبي في تفسيره⁽¹⁾.

وقيل: هو ابن عباس، ولعل المصنف أبهمه للاختلاف⁽²⁾ فيه⁽³⁾.

(1) تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (224/10).

(2) [وقيل هو ابن عباس.... للاختلاف فيه] ساقط من (أ).

(3) الحديث مروي عن علي رضي الله عنه، رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (673/2)، والثعلبي في تفسيره (224/10)، وأبو نعيم في الحلية (179/3)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (3433).

وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ⁽¹⁾».

الخامس: مَا عَدَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَقَرَّرَهُ مِنْ آلَائِهِ⁽²⁾، قَبْلَهُ⁽³⁾ فِي بَقِيَّةِ السُّورَةِ مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَى مَا هَدَاهُ لَهُ، أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِ التَّفَاسِيرِ، وَلَا مَالَ لَهُ، فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالْغِنَى، وَيَتِيمًا فَحَدِّبَ⁽⁴⁾ عَلَيْهِ عُمَّهُ⁽⁵⁾ وَأَوَاهُ إِلَيْهِ.

وَقِيلَ: آوَاهُ إِلَى اللَّهِ.

(1) (قوله: وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ)، قيل: ظاهر الآية مع هذه المقدمة يدل على أن⁽¹⁾ أحدا من أمته ﷺ لا يدخل النار.

والجواب أنه إنما يدل على ذلك لو كان حصول الإعطاء الموعود به في الآية قبل أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ، ولم يَقم دليل على ذلك، بل جاز أن يكون بعده، فإنه مستقبل في القيامة ولو سُلِمَ فتلك الدلالة متروكة الظاهر بالأدلة القائمة على أن بعض العصاة من أمته يدخلون النار ثم يخرجون منها بشفاعته ﷺ.

(2) (قوله: مِنْ آلَائِهِ)، أي نِعَمِهِ، جمع أَلَى، بفتح الهمزة والتنوين، كَرَحِي، وقيل بكسرهما وبالتنوين كَمَعَى، وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كَدَلُو⁽²⁾، وقيل بكسرهما وسكون اللام وبالياء كَنَحِي.

(3) (قوله: قَبْلَهُ)، بكسر القاف وفتح الموحدة، أي عنده.

(4) (قوله: فَحَدِّبَ)، بحاء مهملة مفتوحة فذال مهملة مكسورة فموحدة.

في الصحاح: « حَدِّبَ عَلَيْهِ وَيَحْدَبُ، أي يعطف »⁽³⁾.

(5) (قوله: عُمُّهُ)، هو أبو طالب، واسمه عبد مناف على الصحيح، وقيل: اسمه كنيته.

(1) نهاية اللوحة (6/ظ).

(2) في (ز) كذبوا.

(3) الصحاح (108/1) مادة: حدب.

وَقِيلَ: ﴿يَتِيمًا﴾ [الضحى: 6] لَا مِثَالَ لَكَ، فَأَوَّاكَ إِلَيْهِ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَلَمْ يَجِدْكَ فَهَدَى بِكَ ضَالًّا، وَأَغْنَى بِكَ عَائِلًا، وَأَوَى بِكَ يَتِيمًا، ذَكَرَهُ بِهَذِهِ الْمِنْ، وَأَنَّهُ عَلَى الْمَعْلُومِ مِنَ التَّفْسِيرِ لَمْ يُهْمَلْهُ فِي حَالِ صِغَرِهِ وَعَيْلَتِهِ وَيَتِيمِهِ وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلَا وَدَّعَهُ وَلَا قَلَاهُ، فَكَيْفَ بَعْدَ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ.

السَّادِسُ: أَمْرُهُ بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِهِ بِنَشْرِهِ وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ⁽¹⁾، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا نِيعَمَةٌ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١١) [الضحى: 11]، فَإِنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ التَّحَدُّثُ بِهَا، وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ، عَامٌّ لِأُمَّتِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾^(١) [النجم: 1]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^(١٨) [النجم: 18].

اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بِأَقْوِيلَ مَعْرُوفَةٍ.

مِنْهَا: النَّجْمُ عَلَى ظَاهِرِهِ.

وَمِنْهَا: الْقُرْآنُ.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ: «أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ».

وَقَالَ: «هُوَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ».

وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾^(١) وَمَا أَذْرَكَ مَا الطَّارِقُ^(٢) النِّجْمُ الثَّاقِبُ [الطارق: 1. 3]، إِنَّ «النَّجْمَ» هُنَا أَيْضًا مُحَمَّدٌ ﷺ، حَكَاهُ السُّلَمِيُّ.

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ الْعِدَّةَ⁽²⁾، مَا يَقِفُ دُونَهُ الْعَدُّ.

(1) (قوله: وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ)، هو مصدر أشاد بذكره، بالبدال، أي رفع من قدره.

(2) (قوله: وَشَرَفِهِ الْعِدَّةُ)، بكسر العين المهملة، أي الذي لا تنقطع مادته، يقال: ماءٌ عِدٌّ، أي دائم لا انقطاع له⁽¹⁾، كماء العين والبئر.

(1) [له] ساقط من (ز).

وَأَفْسَمَ جَلَّ اسْمُهُ عَلَى هِدَايَةِ الْمُصْطَفَى، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى، وَصِدْقِهِ
فِيمَا تَلَا، وَأَنَّهُ وَحْيِي يُوحَى، أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ جِبْرِيلُ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْقُوَى،
ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ فَضِيلَتِهِ بِقِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَانْتِهَائِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى،
وَتَصْدِيقَ بَصَرِهِ فِيمَا رَأَى، وَأَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.

وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَلَمَّا كَانَ مَا كَاشَفَهُ ﷺ
مِنْ ذَلِكَ الْجَبَرُوتِ⁽¹⁾، وَشَاهَدَهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ، لَا تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَاتُ،
وَلَا تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِ سَمَاعِ أَذْنَاهُ الْعُقُولُ، رَمَزَ عَنْهُ⁽²⁾ تَعَالَى بِالْإِيمَاءِ وَالْكِنَايَةِ
الدَّالَّةِ عَلَى التَّعْظِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: 10].

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمِّيهِ أَهْلُ النَّقْدِ وَالْبَلَاغَةِ «بِالْوَحْيِ وَالْإِشَارَةِ»،
وَهُوَ عِنْدَهُمْ أْبْلَغُ أَبْوَابِ الْإِيجَازِ.

وَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18].

انْحَسَرَتْ الْأَفْهَامُ عَنْ تَفْصِيلِ مَا أَوْحَى، وَتَاهَتْ الْأَحْلَامُ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ
الْآيَاتِ الْكُبْرَى.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى إِغْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى
بِتَرْكِيَةِ جُمْلَتِهِ ﷺ، وَعِصْمَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ فِي هَذَا الْمَسْرَى، فَزَكَّى فُؤَادَهُ
وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ، فَقَلْبُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11]،
وَلِسَانُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3]، وَبَصَرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17].

(1) (قوله: الْجَبَرُوتِ)، هو فَعْلُوت، من الجَبَر وهو القَهْر، كَالْمَلَكُوتِ مِنَ الْمُلْكِ،
وَالرَّهْبُوتِ مِنَ الرَّهْبَةِ، وَالرَّحْمُوتِ مِنَ الرَّحْمَةِ.

(2) (قوله: رَمَزَ عَنْهُ)، الرَّمْزُ: الْإِشَارَةُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ﴾ (١٥) ﴿الْجَوَارِ الْكُنُفِ﴾ (١٦) [التكوير: 15 . 16]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِمْ﴾ (٢٥) [التكوير: 25].

﴿لَا أُقْسِمُ﴾: أَيُّ أُقْسِمُ.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) [التكوير: 19]: أَيُّ كَرِيمٍ عِنْدَ مُرْسِلِهِ.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ [التكوير: 20]: عَلَى تَبْلِيغِ مَا حَمَلَهُ مِنَ الْوَحْيِ.

﴿مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20]: أَيُّ مُتَمَكِّنِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ رَبِّهِ رَفِيعِ الْمَحَلِّ عِنْدَهُ.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ [التكوير: 21]: أَيُّ فِي السَّمَاءِ.

﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: 21]: عَلَى الْوَحْيِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى^(١) وَغَيْرُهُ: «الرَّسُولُ الْكَرِيمُ هُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَجَمِيعُ الْأَوْصَافِ بَعْدَ - عَلَى هَذَا - لَهُ».

وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ جِبْرِيلُ، فَتَرْجِعُ الْأَوْصَافُ إِلَيْهِ.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [التكوير: 23]: يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ.

قِيلَ: رَأَى رَبَّهُ.

وَقِيلَ: رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤) [التكوير: 24]: أَيُّ بِمُتَّهِمٍ.

(١) (قوله: عَلِيُّ بْنُ عِيسَى)، الظاهر أنه الرُّمَّانِيُّ النُّحَوِيُّ، توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، له تفسير القرآن، أخذ الأدب عن ابن دريد وغيره.

قال ابن خلكان: «يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَسَبُهُ إِلَى الرُّمَّانِ وَبِيعَهُ، وَأَنْ يَكُونَ إِلَى قَصْرِ الرِّمَّانِ، وَهُوَ قَصْرُ بَوَاسِطَ مَعْرُوفٍ»^(١).

(١) وفيات الأعيان (299/3).

وَمَنْ قَرَأَهَا بِالضَّادِ فَمَعْنَاهُ: مَا هُوَ بِبَخِيلٍ بِالذِّعَاءِ بِهِ وَالتَّذْكِيرِ بِحُكْمِهِ
وَبِعِلْمِهِ، وَهَذِهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِاتِّفَاقٍ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) [القلم: 1]، الْآيَاتِ.

أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمٍ قَسَمِهِ، عَلَى تَنْزِيهِهِ الْمُصْطَفَى مِمَّا
غَمَصْتُهُ^(١) الْكُفْرَةَ، بِهِ وَتَكْذِيبَهُمْ لَهُ، وَأَنَسَهُ وَبَسَطَ أَمْلُهُ بِقَوْلِهِ مُحْسِنًا خِطَابَهُ: ﴿
مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢) [القلم: 2]، وَهَذِهِ نِهَايَةُ الْمَبَرَّةِ فِي الْمُخَاطَبَةِ، وَأَعْلَى
دَرَجَاتِ الْأَدَابِ فِي الْمُحَاوَرَةِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ، وَثَوَابٍ
غَيْرِ مُتَقَطِّعٍ، لَا يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ، وَلَا يَمُنُّ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَآجِرٌ أَعْيَرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) [القلم: 3]،
ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ هِبَاتِهِ، وَهَدَاهُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ ذَلِكَ تَثْمِيمًا
لِلتَّمَجِيدِ بِحَرْفِي التَّأَكِيدِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) [القلم: 4].

قِيلَ: الْقُرْآنُ.

وَقِيلَ: الْإِسْلَامُ.

وَقِيلَ: الطَّبْعُ الْكَرِيمُ.

وَقِيلَ: لَيْسَ لَكَ هِمَّةٌ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ: «أَثْنَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ قَبُولِهِ، لِمَا أَسَدَاهُ إِلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ،
وَفَضْلُهُ بِذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ جَبَلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْخُلُقِ، فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ
الْمُحْسِنِ، الْجَوَادِ الْحَمِيدِ، الَّذِي يَسَّرَ لِلْخَيْرِ وَهَدَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى فَاعِلِهِ،
وَجَارَاهُ عَلَيْهِ، سُبْحَانَهُ مَا أَغْمَرَ نَوَالَهُ^(٢)، وَأَوْسَعَ إِفْضَالَهُ.

(١) (قوله: غَمَصْتُهُ)، بفتح المعجمة والميم وبعدهما صاد مهملة.

قال ابن القطاع: «غَمَصَ النَّاسَ غَمَصًا، احْتَقَرَهُمْ وَطَعَنَ^(١) عَلَيْهِمْ»^(٢).

(٢) (قوله: مَا أَغْمَرَ نَوَالَهُ)، هو بالغين المعجمة، أي ما أكثره، والنَّوَالُ: العطاء.

(١) في (ز) غمص الناس احتقارهم والطعن عليهم.

(٢) كتاب الأفعال (426/2).

ثُمَّ سَلَاهُ عَنْ قَوْلِهِمْ بَعْدَ هَذَا بِمَا وَعَدَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِمْ وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ:
﴿فَسَبِّحْهُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم: 5]، الثلاث الآيات.

ثُمَّ عَطَفَ بَعْدَ مَدْحِهِ عَلَى ذَمِّ عَدُوِّهِ، وَذَكَرَ سُوءَ خُلُقِهِ، وَعَدَّ مَعَايِيهِ،
مُتَوَلِّيًا ذَلِكَ بِفَضْلِهِ، وَمُتَنَصِّرًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَذَكَرَ بِضَعِ عَشْرَةِ خَصْلَةٍ⁽¹⁾ مِنْ
خِصَالِ الذَّمِّ فِيهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [القلم: 8]، إِلَى قَوْلِهِ:
﴿أَسْطِيزُ الْأُولَى﴾ [القلم: 15].

ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ الصَّادِقِ بِتَمَامِ شَقَائِهِ وَخَاتِمَةِ بَوَارِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16]، فَكَانَتْ نُصْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَتَمَّ مِنْ نُصْرَتِهِ
لِنَفْسِهِ، وَرَدُّهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ أَبْلَغُ مِنْ رَدِّهِ وَأَثْبَتُ فِي دِيْوَانِ مَجْدِهِ.

(1) (قوله: بِضَعِ عَشْرَةَ خَصْلَةٍ)⁽¹⁾، البِضْعُ فِي الْعَدَدِ بِكسر الموحدة وفتحها من
ثلاث إلى تسع، وقيل ما بين الواحد إلى العشرة، لأنه قطعة من العدد،
والخصلة بفتح الخاء المعجمة وسكون الصاد المهملة.

(1) نهاية اللوحة (7/و).

الفصل السادس

فِي مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي جِهَتِهِ ﷺ مَوْرَدِ الشَّفَقَةِ وَالْإِكْرَامِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طه ٢﴾ [طه: 1 - 2].

قِيلَ: ﴿طه﴾ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ.

وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِلَّهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَا رَجُلُ.

وَقِيلَ: يَا إِنْسَانُ.

وَقِيلَ: هِيَ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ لِمَعَانٍ.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ: «أَرَادَ: يَا طَاهِرُ يَا هَادِي».

وَقِيلَ: هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْوُطْءِ^(١)، وَالْهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الْأَرْضِ، أَيِ اعْتِمَادُ عَلَى الْأَرْضِ بِقَدَمَيْكَ، وَلَا تُتْعَبُ نَفْسُكَ بِالْاعْتِمَادِ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿طه ٢﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طه ٣﴾ [طه: 2 - 3].

نَزَلَتْ الْآيَةُ فِيمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَكَلَّفُهُ مِنَ السَّهْرِ وَالتَّعَبِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ. أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٢) وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ

الفصل السادس

(١) (قوله: مِنَ الْوُطْءِ)، هو بفتح الواو وسكون المهملة وبهمزة، الاعتمادُ على القدم.

(٢) (قوله: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، هو الفقيه القاضي ابن عبد الرحمن بن علي بن سيرين، أحد العلماء الصلحاء من رجال الأندلس، صحب القاضي أبا الوليد الباجي واختص به.

القاضي أبي الوليد الباجي⁽¹⁾ إجازةً ومن أضله نقلت، قال: حدثنا أبو ذرّ الحافظ، حدثنا أبو محمد الحموي⁽²⁾، حدثنا إبراهيم بن خزيمة⁽³⁾ الشاشي، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس⁽⁴⁾ قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلِ وَرَفَعَ الْأُخْرَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى طه ﴿٢﴾، يَغْنِي طَا الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ: ﴿٦﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ [طه: 2 الآية]».

وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي هَذَا كُلِّهِ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ.
وَأِنْ جَعَلْنَا طه ﴿٢﴾ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ كَمَا قِيلَ، أَوْ جَعَلْتَ قَسَمًا لِحَقِّ الْفَضْلِ بِمَا قَبْلَهُ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ نَمَطِ الشَّفَقَةِ^(٥) وَالْمَبَرَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ﴿٦﴾ [الكهف: 6].

- (1) (قوله: الباجي)، هو الإمام صاحب التصانيف، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، أصله من مدينة بطليوس⁽¹⁾، وانتقل جده إلى مدينة باجة التي بقرب أشبيلية ونُسب إليها، وقيل هو من باجة القيروان التي ينسب إليها أبو محمد الباجي⁽²⁾ الحافظ، مات سنة أربع وسبعين وأربعمائة.
- (2) (قوله: الحموي)، بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء للنسبة إلى جده حمويه، وحمويه بلسان المصامدة عبارة عن محمد.
- (3) (قوله: ابن خزيمة)، بالمعجمة المضمومة والزاي المفتوحة.
- (4) (قوله: عن الربيع بن أنس)، هو بفتح الراء، بصرى نزل خراسان، يروي عن أنس.
- (5) (قوله: نمط الشفقة)، أي نوعها، والنمط في الأصل نوع من أنواع البسط، ولا يستعمل في غيره في الأكثر إلا مقيدا.

(1) في (ز) طينوس.

(2) [الباجي] ساقط من (ز).

أَيَّ قَاتِلٍ نَفْسِكَ لِذَلِكَ غَضَبًا، أَوْ غِيْظًا، أَوْ جَزَعًا.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿لَعَلَّكَ بَئِيعَ نَفْسِكَ آلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الشعراء: 3]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ دَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ﴿٤﴾ [الشعراء: 4].

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [الحجر: 94]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [الحجر: 97]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنبياء: 41]، الْآيَةُ.
قَالَ مَكِّي: «سَلَاهُ تَعَالَى بِمَا ذَكَرَ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ تَمَادَى عَلَى ذَلِكَ يَحُلُّ بِهِ^(١) مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ.
وَمِثْلُ هَذِهِ التَّسْلِيَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: 4].

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ ﴿٥٢﴾ [الذاريات: 52].
عَزَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَمَقَالَتِهَا لِأَنْبِيَائِهِمْ قَبْلَهُ، وَمِخْنَتِهِمْ بِهِمْ.

(١) (قوله: يَحُلُّ بِهِ)، فِي الصَّحَاحِ: «حَلَّ الْعَذَابُ يَحُلُّ بِالْكَسْرِ، أَي وَجِبَ، وَيَحُلُّ بِالضَّمِّ أَي نَزَلَ، وَقُرِئَ بِهِمَا ﴿فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: 81]، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا﴾ [الرعد: 31]، فَبِالضَّمِّ أَي تَنْزِلُ»^(١).

(١) الصَّحَاحُ (١٦٧٤/٤) مَادَّة: حَلَل.

وَسَلَاةٌ بِذَلِكَ عَنْ مِخْنَتِهِ بِمِثْلِهِ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيَ
ذَلِكَ.

ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ، وَأَبَانَ عُذْرَهُ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: 54]،
أَيَّ أَعْرَضَ عَنْهُمْ، ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: 54]، أَيَّ فِي أَدَاءِ مَا بَلَّغْتَ
وإِبْلَاغِ مَا حُمِّلْتَ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]، أَيَّ اصْبِرْ
عَلَى أَذَاهُمْ، فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَزَاكَ وَنَحْفَظُكَ، سَلَاةٌ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا فِي آيٍ كَثِيرَةٍ
مِنْ هَذَا الْمَعْنَى.

الفصل السابع

فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ
وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى النَّبِيِّاءِ وَحُظُوتِهِ رُتَبَتِهِ عَلَيْهِمُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾
[آل عمران: 81]، إلى قوله: ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١) [آل عمران: 81].

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: «اسْتَخَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِفَضْلِ لَمْ
يُؤْتِهِ غَيْرُهُ، أَبَانَهُ بِهِ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ».

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا ذَكَرَ لَهُ
مُحَمَّدًا وَنَعْتَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ.

وَقِيلَ: أَنْ يُبَيِّنَهُ لِقَوْمِهِ، وَيَأْخُذَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: 81]، الْخِطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ
الْمُعَاصِرِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ
بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ،
وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْخُذَنَّ^(١) الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ».

الفصل السابع والثامن

(١) (قوله: وَلِيَنْصُرَنَّهُ وَيَأْخُذَنَّ)، بفتح الذال عطف على ما قبله، ونون التوكيد
مراده، نحو لا تُهَيِّنَنَّ الْفَقِيرَ.

وَنَحْوُهُ عَنِ السُّدِّيِّ⁽¹⁾ وَقَتَادَةَ فِي آيٍ تَضَمَّنَتْ فَضْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَاحِدٍ.
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: 7]، الآية.
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ [النساء: 163]، إِلَى قَوْلِهِ:
 ﴿شَهِيدًا ۝﴾ [النساء: 166].

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامٍ بَكَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: 7] الآية، بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ، أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ، وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذِّبُونَ يَقُولُونَ: ﴿يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ۝ [الأحزاب: 66]».

(1) (قوله: وَنَحْوُهُ عَنِ السُّدِّيِّ)، هو بضم السين وتشديد الدال المهملتين، نسبة إلى سدة الباب، وهما اثنان كوفيان، تابعي كبير وهو إسماعيل بن عبد الرحمن، يروي عن ابن عباس وأنس، وهو المراد هنا.
 وتابعي صغير، وهو محمد بن مروان، يروي عن هشام بن عروة⁽¹⁾ والأعمش، متروك مَتَّهَمٌ.

قال أبو الفتح اليعمري في السيرة في تحويل القبلة: «كان يجلس بالمدينة في مكان يقال له السُّدُّ فنسب إليه»⁽²⁾، انتهى.

وقال الحافظ عبد الغني في الكمال: «كان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السُّدِّيَّ»⁽³⁾، انتهى.

وفي الصحاح للجوهري: «وَالسُّدَّةُ: باب الدار، تقول رأيته قاعدا بسُدَّةٍ باب داره، وَسُمِّيَ إِسْمَاعِيلُ السُّدِّيُّ لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيعُ الْحُمْرَ وَالْمَقَانِعَ فِي سُدَّةِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، وَهِيَ مَا يَبْقَى مِنَ الطَّاقِ الْمَسْدُودَةِ»⁽⁴⁾، انتهى.

(1) نهاية اللوحة (7/ظ).

(2) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (272/1).

(3) انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (132/3).

(4) الصحاح (486/2) مادة: سد.

قَالَ قَتَادَةُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرُهُمْ فِي الْبُعْثِ»، فَلِذَلِكَ وَقَعَ ذِكْرُهُ مُقَدِّمًا هُنَا قَبْلَ نُوحٍ وَغَيْرِهِ».

قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: «فِي هَذَا تَفْصِيلُ نَبِيِّنَا ﷺ، لِتَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ قَبْلَهُمْ، وَهُوَ آخِرُهُمْ بَعْثًا».

الْمَعْنَى: أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253]، الْآيَةُ.

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253]، مُحَمَّدًا ﷺ، لِأَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ⁽¹⁾، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ، وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْمُعْجَزَاتُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ فَضِيلَةً أَوْ كَرَامَةً إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِثْلَهَا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ الْأَنْبِيَاءَ بِأَسْمَائِهِمْ، وَخَاطَبَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: 28]، وَ ﴿﴾ يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: 41].

وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنِ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 83]، «إِنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»، أَيْ إِنَّ مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ لَإِبْرَاهِيمَ، أَيْ عَلَى دِينِهِ وَمِنْهَا جِهَةٌ⁽²⁾.

وَأَجَارَهُ الْفُرَّاءُ، وَحَكَاهُ عَنْهُ مَكِّيٌّ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(1) (قوله: بُعِثَ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ)، أَي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِ الْعَجَمِ الْحُمْرَةُ وَالْبَيَاضُ، وَعَلَى أَلْوَانِ الْعَرَبِ الْأَدْمَةُ وَالسُّمْرَةُ، وَقِيلَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ.

وقيل: الْأَحْمَرُ: الْأَبْيَضُ مطلقاً، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ امْرَأَةً حَمْرَاءَ أَيْ بِيضَاءَ.

(2) (قوله: مِنْهَا جِهَةٌ)، الْمُنْهَاجُ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ.

الفصل الثامن

فِي إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ وَوَلَايَتِهِ لَهُ
وَرَفَعِهِ الْعَذَابَ بِسَبَبِهِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]، أَي مَّا كُنْتَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفتح: 25]، الْآيَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: 25] الْآيَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَ الْمُؤْمِنُونَ نَزَلَتْ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 34].

وَهَذَا مِنْ أَتَيْنَ مَا يُظْهَرُ مَكَانَتُهُ ﷺ، وَدَرَأَتْهُ الْعَذَابَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ ثُمَّ كَوْنِ أَصْحَابِهِ بَعْدَهُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَلَمَّا خَلَّتْ مَكَّةَ مِنْهُمْ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِتَسْلِيْطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَحَكَمَ فِيهِمْ سُيُوفُهُمْ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

وَفِي الْآيَةِ أَيْضًا تَأْوِيلٌ آخَرُ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ خَيْرُونَ وَأَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ⁽¹⁾ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى بْنُ زَوْجِ الْحُرَّةِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السَّنْجِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ مَحْبُوبِ الْمَرْوَزِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو عِيْسَى الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ عَبَادِ بْنِ يُوسُفَ⁽²⁾،

(1) (قوله: وَأَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ)، هُوَ⁽¹⁾ تصغير حسن وهو المُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ حَسَنٌ وَلَيْسَ بِحُسَيْنٍ.

(2) (قوله: عَنْ عَبَادِ بْنِ يُوسُفَ)، قَالَ الْمَرْيُ فِي أَطْرَافِهِ: «عَبَادَةُ بْنُ يُوسُفَ»، وَيُقَالُ: ابْنُ سَعِيدٍ، وَالصَّحِيحُ «عَبَادُ»⁽²⁾.

(1) فِي (ز) فِي.

(2) تَحْفَةُ الْأَشْرَافِ بِمَعْرِفَةِ الْأَطْرَافِ (458/6).

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ⁽¹⁾ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَمَانِينَ لِأُمَّتِي، ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [33]، فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيكُمْ الْإِسْتِغْفَارَ».

وَنَحَوْ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [107: الأنبياء].
قَالَ ﷺ: «أَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي».

قِيلَ: مِنَ الْبِدْعِ.

وَقِيلَ: مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَالْفِتَنِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الْأَمَانُ الْأَعْظَمُ مَا عَاشَ، وَمَا دَامَتْ سُنَّتُهُ بَاقِيَةً فَهُوَ بَاقٍ، فَإِذَا أَمِيتَتْ سُنَّتُهُ فَانْتَظَرُوا الْبَلَاءَ وَالْفِتَنَ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56]، الْآيَةُ.

أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّهِ ﷺ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ بِصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ.

وَحَكَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ: أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، عَلَى هَذَا، أَيْ فِي صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَأَمْرِهِ الْأُمَّةَ بِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَّا لَهُ دُعَاءٌ، وَمِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةٌ.

وَقِيلَ: ﴿يُصَلُّونَ﴾ يُبَارِكُونَ، وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ عَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ «الصَّلَاةِ» وَ «الْبَرَكَةِ»، وَسَنَذْكُرُ حُكْمَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

(1) (قوله: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى)، قيل: اسمه الحارث.

وقيل: عامر؛ قال النووي: «وهو الصحيح المشهور» ⁽¹⁾.

(1) تهذيب الأسماء واللغات (178/2).

وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي تَفْسِيرِ حُرُوفِ ﴿كَهَيَّعَ ١﴾ [مريم: 1]،
 أَنَّ «الْكَافَ» مِنْ كَافٍ، أَيْ كِفَايَةِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36]، وَ «الْهَاءُ» هِدَايَتُهُ لَهُ، قَالَ: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢﴾ [الفتح: 2]، وَ
 «الْيَاءُ» تَأْيِيدُهُ، قَالَ: ﴿أَيَّدَكَ بِبَصَرِهِ﴾ [الأنفال: 62]، وَ «الْعَيْنَ» عِصْمَتُهُ لَهُ، قَالَ:
 ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، وَ «الصَّادَ» صَلَاتُهُ عَلَيْهِ، قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحريم: 4]، أَيْ وَلِيُّهُ،
 ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: 4].

قِيلَ: الْأَنْبِيَاءُ.

وَقِيلَ: الْمَلَائِكَةُ.

وَقِيلَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

وَقِيلَ: عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ.

الفصل التاسع

فِي مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الْفَتْحِ مِنْ كَرَامَاتِهِ ﷺ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 1]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10].

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ، وَالشَّاءِ عَلَيْهِ، وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنِعْمَتِهِ لَدَيْهِ، مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهِ. فَاِبْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ، بِظُهُورِهِ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، غَيْرُ مُوَآخَذٍ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ غُفْرَانًا مَا وَقَعَ وَمَا لَمْ يَقَعْ، أَيَّ أَنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ. وَقَالَ مَكِّي: «جَعَلَ اللَّهُ الْمِنَّةَ سَبَبًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مِنْهُ بَعْدَ مَنَّةٍ، وَفَضْلًا بَعْدَ فَضْلٍ».

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُتِمِّعْنَاهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: 2].

قِيلَ: بِخُضُوعٍ مَنْ تَكَبَّرَ لَكَ⁽¹⁾.

وَقِيلَ: بِفَتْحِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

الفصل التاسع

(1) (قوله: بِخُضُوعٍ مَنْ تَكَبَّرَ لَكَ)، الجار والمجرور متعلق بخضوع.

وَقِيلَ: يَرْفَعُ ذِكْرَكَ فِي الدُّنْيَا، وَيَنْصُرُكَ، وَيَغْفِرُ لَكَ، فَأَعْلَمَهُ بِتَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، بِخُضُوعِ مُتَكَبِّرِي عَدُوِّهِ لَهُ، وَفَتْحِ أَهَمِّ الْبِلَادِ عَلَيْهِ وَأَحَبِّهَا لَهُ، وَرَفْعِ ذِكْرِهِ، وَهِدَايَتِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، الْمُبْلَغَ الْجَنَّةَ وَالسَّعَادَةَ، وَنَصْرِهِ النَّصْرَ الْعَزِيزَ، وَمِنَّتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّكِينَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَبِشَارَتِهِمْ بِمَا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بَعْدُ، وَفَوْزِهِمُ الْعَظِيمَ، وَالْعَفْوَ عَنْهُمْ، وَالسَّتْرَ لِدُنُوبِهِمْ، وَهَلَاكَ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَعْنِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ⁽¹⁾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ [الفتح: 8]، الْآيَةُ، فَعَدَّ مَحَاسِنَهُ وَخَصَائِصَهُ، مِنْ شَهَادَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ لَهُمْ.

وَقِيلَ: ﴿شَهِيدًا﴾ لَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لِأُمَّتِهِ بِالثَّوَابِ.
وَقِيلَ: بِالْمَغْفِرَةِ.

وَمُنْذِرًا عَدُوَّهُ بِالْعَذَابِ.

وَقِيلَ: مُحَذِّرًا مِنَ الضَّلَالَاتِ، لِيُؤْمِنَ بِاللَّهِ ثُمَّ بِهِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى.

«وَيُعَزِّرُوهُ»⁽²⁾: أَيِ يُجَلُّونَهُ.

وَقِيلَ: يَنْصُرُونَهُ.

وَقِيلَ: يُبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِهِ.

«وَيُوقِّرُوهُ»: أَيِ يُعْظِّمُونَهُ.

(1) (قوله: وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ)، أَيِ انْقِلَابِهِمْ.

(2) (قوله: يُعَزِّرُوهُ)، بِمَهْمَلَةِ وَزَايٍ وَرَاءَ، أَيِ يُوقِّرُوهُ.

وَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ «وَيُعَزِّزُوهُ» بِزَائِنٍ، مِنَ الْعِزِّ.
وَالْأَكْثَرُ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَسَيِّحُوهُ﴾ [الفتح: 9]، فَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: «جُمِعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْ
الْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الْإِجَابَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْمَحَبَّةِ
وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْإِخْتِصَاصِ وَالْهِدَايَةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْوِلَايَةِ،
فَالْمَغْفِرَةُ تَبَرُّهُ⁽¹⁾ مِنَ الْغُيُوبِ، وَتَمَامُ النِّعْمَةِ إِبْلَاجُ الدَّرَجَةِ الْكَامِلَةِ، وَالْهِدَايَةُ
وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَشَاهِدَةِ».

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ أَنْ جَعَلَهُ حَبِيبَهُ، وَأَقْسَمَ
بِحَيَاتِهِ، وَنَسَخَ بِهِ شَرَائِعَ غَيْرِهِ، وَعَرَجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى، وَحَفِظَهُ فِي
الْمِعْزَاجِ حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَأَحَلَّ لَهُ
وَلَاؤَ مَتِّهِ الْغَنَائِمِ، وَجَعَلَهُ شَفِيعًا مُشَفَّعًا وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ، وَقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ
وَرِضَاهُ بِرِضَاهُ، وَجَعَلَهُ أَحَدَ رُكْنَيْ التَّوْحِيدِ».

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10]، يَغْنِي بَيْعَةُ
الرِّضْوَانِ، أَيْ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاكَ، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]،
يُرِيدُ عِنْدَ الْبَيْعَةِ.

قِيلَ قُوَّةُ اللَّهِ.

وَقِيلَ: ثَوَابُهُ.

وَقِيلَ: مَنَّتُهُ.

(1) (قوله: تَبَرُّهُ)، بالموحدة بعد المثناة الفوقية وبالراء، أو بالنون بعد المثناة
الفوقية وبالزاي.

وَقِيلَ: عَفْدُهُ.

وَهَذِهِ اسْتِعَارَاتٌ وَتَجْنِيسٌ فِي الْكَلَامِ، وَتَأْكِيدٌ لِعَقْدِ بَيْعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَعِظَمُ شَأْنِ الْمُبَايَعَةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17].

وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فِي بَابِ الْمَجَازِ، وَهَذَا فِي بَابِ الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ الْقَاتِلَ وَالرَّامِيَ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ خَالِقُ فِعْلِهِ، وَرَمِيهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَمَشِئَتِهِ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ فِي قُدْرَةِ الْبَشَرِ تَوْصِيلُ تِلْكَ الرَّمِيَةِ حَيْثُ وَصَلَتْ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَمْلَأْ عَيْنِيهِ، وَكَذَلِكَ قَتَلَ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ حَقِيقَةً.

وَقَدْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأُخْرَى: إِنَّهَا عَلَى الْمَجَازِ الْعَرَبِيِّ، وَمُقَابَلَةِ اللَّفْظِ وَمُنَاسَبَتِهِ، أَيْ مَا قَتَلْتُمُوهُمْ، وَمَا رَمَيْتُهُمْ أَنْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَجُوهَهُمْ بِالْحَضَبَاءِ وَالتُّرَابِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى قُلُوبَهُمْ بِالْجَزَعِ، أَيْ: أَنَّ مَنَفْعَةَ الرَّمْيِ كَانَتْ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ، فَهُوَ الْقَاتِلُ وَالرَّامِيَ بِالْمَعْنَى وَأَنْتَ بِالْأَسْمِ.

الفصل العاشر

فِي مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ كَرَامَتِهِ عِنْدَهُ
وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ سِوَى مَا انتَظَمَ فِيهِمَا ذِكْرُنَاهُ قَبْلَ

مِنْ ذَلِكَ مَا قَصَّه تَعَالَى مِنْ قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ فِي سُورَةِ ﴿سُبْحَانَ﴾، وَ
﴿النَّجْمِ﴾، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةُ مِنْ عَظِيمِ مَنَزِلَتِهِ وَقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ مَا
شَاهَدَ مِنَ الْعَجَائِبِ.

وَمِنْ ذَلِكَ عِصْمَتُهُ مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
[المائدة: 67].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 30]، الْآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 40].

وَمَا دَفَعَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ أَذَاهُمْ بَعْدَ تَحْرِيبِهِمْ لِهَلْكَهِ⁽¹⁾،
وَحُلُوصِهِمْ نَجِيًّا فِي أَمْرِهِ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِمْ،
وَذُحُولِهِمْ عَنْ طَلَبِهِ فِي الْغَارِ، وَمَا ظَهَرَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَنُزُولِ السَّكِينَةِ
عَلَيْهِ، وَقِصَّةِ سُرَاقَةِ بَنِي مَالِكٍ، حَسَبَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ⁽²⁾ وَالسِّيَرِ فِي قِصَّةِ
الْغَارِ وَحَدِيثِ الْهَجْرَةِ.

الفصل العاشر

(1) قوله: لِهَلْكَهِ، الْهَلْكَ: بضم الهاء وإسكان اللام الاسم، من هَلَكَ.

(2) قوله: حَسَبَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ، هو بفتح السين وقد يسكن، أي على قدره
وعدده.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: 1. 3]، أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَعْطَاهُ.

و ﴿الْكَوْثَرَ﴾: حَوْضُهُ.

وَقِيلَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

وَقِيلَ: الشَّفَاعَةُ.

وَقِيلَ: الْمُعْجَزَاتُ الْكَثِيرَةُ.

وَقِيلَ: الثُّبُوءُ.

وَقِيلَ: الْمَعْرِفَةُ.

ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ عَدُوُّهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: 3]، أَيَّ عَدُوِّكَ وَمُبْغِضِكَ.

و ﴿الْأَبْتَرُ﴾: الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ، أَوِ الْمَفْرَدُ الْوَحِيدُ، أَوِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: 87].

قِيلَ: السَّبْعُ الْمَثَانِي: السُّورُ الطُّوَالُ⁽¹⁾، الْأَوَّلُ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ: أُمُّ الْقُرْآنِ.

(1) (قوله: الطُّوَالُ)، بكسر الطاء، جمع طويلة، وأما بضم الطاء فمفرد، يقال: رجل طوال، أي زائد في الطول⁽¹⁾، واختلف في سابعة الطوال، فقيل: الأنفال والتوبة، لأنهما في حكم سورة واحدة، ولهذا لم يفصل⁽²⁾ بينهما بالبسملة⁽³⁾، وقيل: التوبة، وقيل: يونس.

(1) في (ز) الطويل.

(2) نهاية اللوحة (8/و).

(3) في (أ) بالتسمية.

وَقِيلَ: السَّبْعُ الْمَثَانِي: أُمُّ الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ: سَائِرُهُ⁽¹⁾.
وَقِيلَ: السَّبْعُ الْمَثَانِي: مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَبُشْرَى، وَإِنْذَارٍ،
وَضَرْبِ مَثَلٍ، وَإِعْدَادِ نِعَمٍ، وَآتَيْنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.
وَقِيلَ: سُمِّيَتْ أُمُّ الْقُرْآنِ مَثَانِي، لِأَنَّهَا تُثْنَى⁽²⁾ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ⁽³⁾.
وَقِيلَ: بَلِ اللَّهُ تَعَالَى اسْتَشْنَاهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَخَرَهَا لَهُ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ.
وَسُمِّيَ الْقُرْآنُ مَثَانِي، لِأَنَّ الْقَصَصَ⁽⁴⁾ تُثْنَى فِيهِ.
وَقِيلَ: السَّبْعُ الْمَثَانِي: أَكْرَمْنَاكَ بِسَبْعِ كَرَامَاتٍ، الْهَدْيِ، وَالنُّبُوَّةُ،
وَالرَّحْمَةُ، وَالشَّفَاعَةُ، وَالْوِلَايَةُ، وَالتَّعْظِيمُ، وَالسَّكِينَةُ.

- (1) (قوله: سَائِرُهُ)، هو بمهملة في أوله وهمزة مكسور في ثالثة.
قال صاحب الصحاح: «سَائِرُ النَّاسِ جَمِيعُهُمْ»⁽¹⁾.
وَاعْتَرَضَ بأنه انفراد بهذا فلا يُقْبَلُ منه.
وَأُجِيبَ بأنه لم ينفرد به، بل شاركه في نقله التبريزي والجواليقي وغيرهما.
وفي القاموس: «السَّائِرُ: الباقي لا الجميع كما تَوَهَّم جَمَاعَاتُ»⁽²⁾، وقد
يُسْتَعْمَلُ له»⁽³⁾؛ ثم ذكر أشياء عن العرب مما استعمل له.
(2) (قوله: لِأَنَّهَا تُثْنَى)، هو بفتح المثلثة وتشديد النون المفتوحة، أو بتسكين
المثلثة وفتح النون.
(3) (قوله: فِي كُلِّ رَكْعَةٍ)، أي كل صلاة، تسمية للشيء باسم جُزْئِهِ.
(4) (قوله: لِأَنَّ الْقَصَصَ)، هو بكسر القاف، جمع قِصَّة، وبفتحها الخبر.

(1) الصحاح (692/2) مادة: سير.

(2) في (ز) جماعة.

(3) القاموس المحيط (ص: 403) مادة: السور.

وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: 44]، الآية.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، الآية.

قَالَ الْقَاضِي: فَهَذِهِ مِنْ خَصَائِصِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4].
فَخَصَّصَهُمْ بِقَوْمِهِمْ، وَبَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، كَمَا قَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6].
قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: ﴿أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أَيُّ مَا أَنْفَذَهُ فِيهِمْ مِنْ أَمْرٍ، فَهُوَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ عَلَى عَبْدِهِ.
وَقِيلَ: اتِّبَاعُ أَمْرِهِ أُولَى مِنْ اتِّبَاعِ رَأْيِ النَّفْسِ.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: أَيُّ: هُنَّ فِي الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ، حَرَمَ نِكَاحَهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وَخُصُوصِيَّةً، وَلِأَنَّهُنَّ لَهُ أَزْوَاجٌ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَدْ قُرِئَ: ﴿وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ﴾⁽¹⁾، وَلَا يُقْرَأُ بِهِ الْآنَ، لِمُخَالَفَتِهِ الْمُصْحَفَ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]، الآية.

قِيلَ: فَضْلُهُ الْعَظِيمُ بِالنُّبُوَّةِ.

وَقِيلَ: بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْأَزَلِ.

وَأَشَارَ الْوَاسِطِيُّ إِلَى أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى اخْتِمَالِ الرُّؤْيَةِ الَّتِي لَمْ يَحْتَمِلْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(1) (قوله: وَقَدْ قُرِئَ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ)، هذه قراءة مجاهد، وقيل أبي بن كعب.

البَابُ الثَّانِي

فِي تَكْمِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ الْمَحَاسِنَ خُلُقًا وَخُلُقًا⁽¹⁾،
وَقِرَانِهِ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ فِيهِ نَسَقًا

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، الْبَاحِثُ عَنْ تَفَاصِيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ، أَنَّ خِصَالَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ فِي الْبَشَرِ نَوْعَانِ:

ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ، اقْتَضَتْهُ الْجِبِلَّةُ⁽²⁾ وَضَرُورَةٌ الدُّنْيَا.

وَمُكْتَسَبٌ دِينِيٌّ، وَهُوَ مَا يُحْمَدُ فَاعِلُهُ وَيُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.

ثُمَّ هِيَ عَلَى فَتْنَيْنِ أَيْضًا: مِنْهَا مَا يَتَخَلَّصُ لِأَحَدِ الْوُضْعَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَتِمَّازُجُ وَيَتَدَاخُلُ.

فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ الْمَحْضُ: فَمَا لَيْسَ لِلْمَرْءِ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا اكْتِسَابٌ، مِثْلُ مَا كَانَ فِي جِبِلَّتِهِ مِنْ كَمَالِ خَلْقَتِهِ، وَجَمَالِ صُورَتِهِ، وَقُوَّةِ عَقْلِهِ، وَصِحَّةِ فَهْمِهِ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ، وَقُوَّةِ حَوَاسِّهِ وَأَعْضَائِهِ، وَاعْتِدَالِ حَرَكَاتِهِ، وَشَرَفِ نَسَبِهِ، وَعِزَّةِ قَوْمِهِ، وَكَرَمِ أَرْضِهِ.

وَيَلْحَقُ بِهِ مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ، مِنْ غِذَائِهِ⁽³⁾، وَنَوْمِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَسْكَنِهِ، وَمَنْكِحِهِ، وَمَالِهِ، وَجَاهِهِ.

البَابُ الثَّانِي

(1) (قوله: خُلُقًا وَخُلُقًا)، الأول بفتح المعجمة وسكون اللام، والثاني بضمهما، أو بضم المعجمة وسكون اللام.

(2) (قوله: الْجِبِلَّةُ)، بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام المفتوحة، الخِلَقَةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى﴾ [الشعراء: 184].

(3) (قوله: مِنْ غِذَائِهِ)، بكسر المعجمة وبالذال المعجمة، ما يُغْتَذَى به من الطعام.

وَقَدْ تَلَحَّقَ هَذِهِ الْخِصَالُ الْآخِرَةُ بِالْأُخْرَوِيَّةِ، إِذَا قَصَدَ بِهَا التَّقْوَى،
وَمَعُونَةَ الْبَدَنِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهَا، وَكَانَتْ عَلَى حُدُودِ الضَّرُورَةِ وَقَوَاعِدِ
الشَّرِيعَةِ.

وَأَمَّا الْمُكَتَسَبَةُ الْآخَرَوِيَّةُ: فَسَائِرُ الْأَخْلَاقِ الْعَلِيَّةِ، وَالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنْ
الدِّينِ، وَالْعِلْمِ، وَالْحِلْمِ، وَالصَّبْرِ، وَالشُّكْرِ، وَالْعَدْلِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّوَاضُّعِ،
وَالْعَفْوِ، وَالْعِفَّةِ، وَالْجُودِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالْحَيَاءِ، وَالْمُرُوءَةِ، وَالصَّمْتِ، وَالتَّوَدَّةِ،
وَالْوَقَارِ، وَالرَّحْمَةِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ وَالْمُعَاشَرَةِ، وَأَخَوَاتِهَا، وَهِيَ الَّتِي
جَمَاعُهَا⁽¹⁾ حُسْنُ الْخُلُقِ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ مَا هُوَ فِي الْغَرِيزَةِ⁽²⁾ وَأَصْلُ الْجِبَلَّةِ لِبَعْضِ
النَّاسِ؛ وَبَعْضُهُمْ لَا تَكُونُ فِيهِ فَيَكْتَسِبُهَا، وَلَكِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ أَصُولِهَا
فِي أَصْلِ الْجِبَلَّةِ شُعْبَةٌ كَمَا سَبَّبْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَتَكُونُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ دُنْيَوِيَّةً إِذَا لَمْ يُرَدِّ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ،
وَلَكِنَّهَا كُلُّهَا مَحَاسِنُ وَفَضَائِلُ بِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا
فِي مُوجِبِ حُسْنِهَا وَتَفْضِيلِهَا.

(1) (قوله: جَمَاعُهَا)، فِي الصَّحَاحِ: «جَمَاعُ الشَّيْءِ: بِالْكَسْرِ جَمْعُهُ، يُقَالُ: جَمَاعُ
الْخَبَاءِ الْأَخْبِيَّةِ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: فِي الْغَرِيزَةِ)، بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ بَعْدَهَا مِثْلَ تَحْتِيَةِ فَزَايَ،
أَيُّ الطَّبِيعَةِ.

(1) الصَّحَاحُ (1200/3) مَادَّةُ: جَمَعَ.

فَصْلٌ

[فِي خِصَالِ كَمَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَجَلَالِهِ]

قَالَ الْقَاضِي: إِذَا كَانَتْ خِصَالُ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَرَأَيْنَا الْوَاحِدَ مِنَّا يَتَشَرَّفُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا أَوْ اثْنَتَيْنِ إِنْ اتَّفَقَتْ لَهُ فِي كُلِّ عَصْرِ، إِمَّا مِنْ نَسَبٍ، أَوْ جَمَالٍ، أَوْ قُوَّةٍ، أَوْ عِلْمٍ، أَوْ حِلْمٍ، أَوْ شَجَاعَةٍ، أَوْ سَمَاحَةٍ، حَتَّى يَعْظُمَ قَدْرُهُ، وَيُضْرَبَ بِاسْمِهِ الْأَمْثَالُ، وَيَتَقَرَّرَ لَهُ بِالْوُصْفِ بِذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ أَثَرَةٌ وَعَظْمَةٌ، وَهُوَ مُنْذُ عُصُورِ خَوَالٍ رِمَمٍ⁽¹⁾ بَوَالٍ.

فَمَا ظَنُّكَ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ كُلُّ هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ، وَلَا يُعْبِرُ عَنْهُ مَقَالٌ، وَلَا يُنَالُ بِكَسْبٍ وَلَا حِيلَةٍ، إِلَّا بِتَخْصِيصِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، مِنْ فَضِيلَةِ الثُّبُوتِ، وَالرِّسَالَةِ، وَالْخُلَّةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالِاضْطِفَاءِ، وَالْإِسْرَاءِ، وَالرُّؤْيَا، وَالْقُرْبِ، وَالْذُنُوبِ، وَالْوَحْيِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالْوَسِيلَةِ⁽²⁾، وَالْفَضِيلَةِ، وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَالْمَقَامِ الْمُحْمُودِ⁽³⁾، وَالْبُرَاقِ، وَالْمِعْرَاجِ، وَالْبَعْثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَالصَّلَاةِ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَالشَّهَادَةِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ، وَسَيَادَةِ وَلَدِ آدَمَ، وَلِوَاءِ الْحَمْدِ، وَالْبَشَارَةِ، وَالنَّذَارَةِ، وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ، وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ الْأَمَانَةِ، وَالْهُدَايَةِ، وَرَحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ، وَإِعْطَاءِ الرِّضَى وَالسُّؤْلِ، وَالْكَوْثَرِ، وَسَمَاعِ الْقَوْلِ، وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ، وَالْعَفْوِ عَمَّا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ،

فَصْلٌ

- (1) (قوله: رِمَمٍ)، الرِّمَمُ: جمعُ رِمَّةٍ، وهي العظام البالية.
- (2) (قوله: وَالْوَسِيلَةِ)، هي في الأصل ما يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ، قِيلَ: هِيَ هُنَا الشَّفَاعَةُ، وَقِيلَ: مَنْزِلَةٌ مِنَ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ.
- (3) (قوله: وَالْمَقَامِ الْمُحْمُودِ)، قِيلَ: الشَّفَاعَةُ الْعَظِيمَى فِي إِرَاحَةِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى الْحِسَابِ، وَقِيلَ: إِعْطَاؤُهُ لَوَاءِ الْحَمْدِ، وَقِيلَ: إِخْرَاجُهُ طَائِفَةً مِنَ النَّارِ، وَقِيلَ: أَنْ يَكُونَ أَقْرَبَ مِنْ جَبْرِيلَ.

وَشَرَحَ الصَّدْرَ، وَوَضَعَ الْوِزْرَ، وَرَفَعَ الذِّكْرَ، وَعَزَّزَ النَّصْرَ، وَنَزُولِ السَّكِينَةِ⁽¹⁾،
وَالْتَّائِدِ بِالْمَلَائِكَةِ، وَإِيتَاءِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَالسَّنْعِ الْمَثْنِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،
وَتَزْكِيَةِ الْأُمَّةِ، وَالِدُعَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَصَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْحُكْمِ بَيْنَ

(1) (قوله: وَنَزُولِ السَّكِينَةِ)، هي فعيلة من السكون، قيل في قوله ﷺ⁽¹⁾:
«وَنَزَلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ»⁽²⁾، هي الرحمة، وقيل: الطمأنينة⁽³⁾ والوقار، وقيل: ما
يسكن به الإنسان.

وفي أنوار التنزيل في قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 248]: «أي ما تسكنون إليه وهو التوراة،.... وقيل صورة كانت فيه⁽⁴⁾ من
زبرجد أو ياقوت، لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان، فتثن فيزف
التابوت، - أي يسرع - نحو العدو وهم يتبعونه، فإذا ثبت ثبتوا وسكنوا وحصل
النصر، وقيل صورة الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم السلام، وقيل: التابوت
القلب، والسكينة ما فيه من العلم والإخلاص، وإتيانه مصير قلبهم مقر العلم
والوقار بعد⁽⁵⁾ أن لم يكن»⁽⁶⁾.

وفي الكشف: «وعن علي⁽⁷⁾ رضي الله عنه: «كان لها وجه كوجه الإنسان،
وفيها ريح هفافة»⁽⁸⁾.

(1) في (أ) عليه السلام.

(2) رواه مسلم (2700) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(3) نهاية اللوحة (8/ظ).

(4) [كانت فيه] ساقط من (أ).

(5) في (ز) مصير قلبهم معد العلم بعد.

(6) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (151/1) بتصرف منه.

(7) في (أ) وعن علي بن أبي طالب.

(8) تفسير الزمخشري الكشف عن غوامض حقائق التنزيل (293/1).

النَّاسِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ، وَوَضَعَ الْإِضْرَ⁽¹⁾ وَالْأَغْلَالَ⁽²⁾ عَنْهُمْ، وَالْقَسَمَ بِاسْمِهِ، وَإِجَابَةَ دَعْوَتِهِ، وَتَكْلِيمَ الْجَمَادَاتِ⁽³⁾ وَالْعُجَمِ⁽⁴⁾، وَإِحْيَاءَ الْمَوْتَى، وَإِسْمَاعِ الضَّمِّ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَتَكْثِيرِ الْقَلِيلِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَرَدِّ الشَّمْسِ، وَقَلْبِ الْأَعْيَانِ، وَالنَّضْرِ بِالرُّغْبِ، وَالْإِطْلَاقِ عَلَى الْغَيْبِ، وَظِلِّ الْعَمَامِ، وَتَشْيِيعِ الْحَصَا، وَإِبْرَاءِ الْأَلَامِ، وَالْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ؛ إِلَى مَا لَا يَحْوِيهِ مُحْتَفِلٌ، وَلَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ إِلَّا مَا نَحْنُ ذَلِكَ، وَمُفَضِّلُهُ بِهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، مِنْ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَدَرَجَاتِ الْقُدُسِ، وَمَرَاتِبِ السَّعَادَةِ وَالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةِ، الَّتِي تَقِفُ دُونَهَا الْعُقُولُ، وَيَحَارُ دُونَ إِدْرَاكِهَا الْوَهْمُ.

(1) (قوله: وَوَضَعَ الْإِضْرَ)، في الصحاح: «الْإِضْرُ: العهد، والذَّنْبُ، والثَّقْلُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَالْأَغْلَالَ): أي المواثيق اللازمة لزوم الغل للعنق.

(3) (قوله: الْجَمَادَاتِ)، جمع جماد، وهو ما ليس بحيوان.

(4) (قوله⁽²⁾: وَالْعُجَمِ)، بضم العين المهملة، جمع أُعْجَمَ، وهو ما لا يقدر على الكلام أصلاً.

(1) الصحاح (579/2) مادة: أضر.

(2) [قوله] ساقط من (أ).

فَصْلٌ

[فِي صِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ ﷺ]

إِنْ قُلْتَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ -: لَا خَفَاءَ عَلَى الْقَطْعِ بِالْجُمْلَةِ، أَنَّهُ ﷺ أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا، وَأَعْظَمَهُمْ مَحَلًّا، وَأَكْمَلَهُمْ مَحَاسِنَ وَفَضْلًا، وَقَدْ ذَهَبَتْ فِي تَفَاصِيلِ خِصَالِ الْكَمَالِ مَذْهَبًا جَمِيلًا، شَوَّقَنِي إِلَى أَنْ أَقِفَ عَلَيْهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ﷺ تَفْصِيلًا.

فَاعْلَمْ - نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ، وَضَاعَفَ فِي هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حُبِّي وَحُبَّكَ -، أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى خِصَالِ الْكَمَالِ، الَّتِي هِيَ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ فِي جِبِلَّةِ الْخَلْقَةِ، وَجَدْتَهُ ﷺ حَائِزًا لِجَمِيعِهَا، مُحِيطًا بِشَتَاتِ مَحَاسِنِهَا، دُونَ خِلَافٍ بَيْنَ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ لِذَلِكَ؛ بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مَبْلَغَ الْقَطْعِ.

أَمَّا الصُّورَةُ وَجَمَالُهَا، وَتَنَاسُبُ أَعْضَائِهِ فِي حُسْنِهَا، فَقَدْ جَاءَتْ الْأَثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَالْمَشْهُورَةُ الْكَثِيرَةُ، بِذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ⁽¹⁾، وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وَعَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ،

فصل إن قلت

(1) (قوله: وَأَبِي هُرَيْرَةَ)، اسمه عبد الرحمن بن صخر على الأصح، وفي اسمه نحو من ثلاثين قولاً.

فإن قيل: هريرة في أبي هريرة العلم غير منصرف، وليس فيه إلا التأنيث، وهو مشروط بكون مدخوله علماً، وهريرة ليس بعلم، وإنما العلم أبو هريرة.

أجيب: بأن الجزء الأخير من العلم الإضافي يُنْزَلُ منزلة كَلِّهِ، ويجري عليه أحكام الأعلام، فهريرة في أبي هريرة العلم غير منصرف، وإن كان في غيره منصرفاً.

وَإِبْنِ أَبِي هَالَةَ⁽¹⁾، وَأَبِي جُحَيْفَةَ⁽²⁾، وَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، وَأُمِّ مَعْبُدٍ⁽³⁾، وَإِبْنِ عَبَّاسٍ، وَمُعَرِّضِ بْنِ مُعَيْقِبٍ⁽⁴⁾،

(1) (قوله: وَإِبْنِ أَبِي هَالَةَ)، هو هند ولد أم المؤمنين خديجة.

قال السُّهَيْلِيُّ: «كانت خديجة قبل رسول الله ﷺ عند أبي هالة، وهو هند بن زرارة، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عائد، ولدت له عبد مناف بن عتيق، كذا قال ابن أبي خيثمة، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها هند، وولدت لهند أبي هالة ابنا اسمه هند أيضا، مات بالطاعون، طاعون البصرة، وقد مات في ذلك اليوم نَحْوُ مِنْ⁽¹⁾ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَشُغِلَ النَّاسُ بِجَنَائِزِهِمْ عَنْ جَنَازَتِهِ، فلم يوجد من يحملها، فصاحت نادبته واهند بن هنداه، واريب رسول الله ﷺ، فلم يبق جنازة إلا تُرِكَتْ وَحُمِلَتْ جَنَازَتُهُ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ، ذكره الدولابي، ولخديجة من أبي هالة ابنان آخران، أحدهما الطاهر والآخر هالة⁽²⁾، انتهى.

(2) (قوله: وَأَبِي جُحَيْفَةَ)، بضم الجيم وفتح الحاء المهملة.

(3) (قوله: وَأُمِّ مَعْبُدٍ)، اسمها عاتكة، وهي التي نزل عليها النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة.

(4) (قوله: وَمُعَرِّضِ بْنِ مُعَيْقِبٍ⁽³⁾)، مُعَرِّضٌ: بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الراء المكسورة وبالضاد المعجمة. وَمُعَيْقِبٌ: بباء موحدة في آخره، كذا بخط الذهبي.

(1) نهاية اللوحة (9/و).

(2) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (2/158).

(3) انظر ترجمته في معجم الصحابة لابن قانع (3/134)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (5/2590)، وأسد الغابة (4/453).

وَأَبِي الطُّفَيْلِ⁽¹⁾، وَالْعَدَاءُ⁽²⁾ بِنِ خَالِدٍ، وَخُرَيْمٌ بِنِ فَاتِكٍ⁽³⁾، وَحَكِيمٌ بِنِ حِزَامٍ⁽⁴⁾، وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مِنْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ: أَزْهَرَ اللَّوْنِ⁽⁵⁾، أَدْعَجَ⁽⁶⁾، أَنْجَلَ⁽⁷⁾، أَشْكَلَ⁽⁸⁾،

(1) (قوله: وَأَبِي الطُّفَيْلِ)، اسمه عامر بن واثلة، آخر من مات من الصحابة في الدنيا.

(2) (قوله: وَالْعَدَاءُ)، بفتح العين وتشديد الدال المهملتين وبالمد.

(3) (قوله: وَخُرَيْمٌ بِنِ فَاتِكٍ)، خُرَيْمٌ: بضم المعجمة ثم راء مفتوحة ثم مشاة تحتية ساكنة.

وَفَاتِكٌ: بالفاء والمشاة الفوقية المكسورة والكاف.

(4) (قوله: وَحَكِيمٌ بِنِ حِزَامٍ)، حَكِيمٌ: بفتح المهملة وكسر الكاف، وَحِزَامٌ: بكسر المهملة وبالزاي، ولد في الكعبة على الأشهر، وفي مستدرک الحاكم أن علي بن أبي طالب ولد أيضا في داخل الكعبة⁽¹⁾.

(5) (قوله: أَزْهَرَ اللَّوْنِ)، قيل: نيره، وقيل: حسنه، ومنه: ﴿زَهْرَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ طه: 131، وهو زيتتها، وهذا كما جاء في الحديث الآخر: «لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقُ وَلَا بِالْأَدَمِ»⁽²⁾، والأمهق: الناصع البياض، والأدم الأسمر.

(6) (قوله: أَدْعَجَ)، الدعج: شدة سواد الحدقة.

(7) (قوله: أَنْجَلَ)، بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم، أي ذو نَجَلٍ بفتحيتين، وهو سعة شق العين.

(8) (قوله: أَشْكَلَ)، بفتح الهمزة وسكون المعجمة، من الشُّكْلَةِ بضم المعجمة وسكون الكاف، وهي حمرة في بياض العين كالشهلة في سوادها.

(1) مستدرک الحاكم (550/3 رقم: 6044).

(2) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (3548)، ومسلم (2347).

أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ⁽¹⁾، أَبْلَجَ⁽²⁾، أَرْجَ⁽³⁾، أَفْنَى⁽⁴⁾، أَفْلَجَ⁽⁵⁾، مُدَوَّرَ الْوَجْهِ، وَاسِعَ
الْجَبِينِ، كَثَّ اللَّحْيَةِ تَمْلَأُ صَدْرَهُ، سَوَاءَ الْبُطْنِ⁽⁶⁾ وَالصَّدْرِ، وَاسِعَ الصَّدْرِ،
عَظِيمَ الْمَنْكَبَيْنِ، ضَخْمَ الْعِظَامِ، عَبَلُ الْعُضْدَيْنِ⁽⁷⁾ وَالذَّرَاعَيْنِ وَالْأَسَافِلِ⁽⁸⁾،
رَحَبَ الْكَفَّيْنِ⁽⁹⁾ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ⁽¹⁰⁾، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ⁽¹¹⁾،

-
- (1) (قوله: أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ)، في الصحاح: «الْأَهْدَبُ: الرجل الكثير أَشْفَارِ الْعَيْنِ، وهي حُرُوفُ الْأَجْفَانِ التي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ، وَهُوَ الْهُدْبُ»⁽¹⁾.
- (2) (قوله: أَبْلَجَ)، بالهمزة المفتوحة والموحدة⁽²⁾ الساكنة واللام المفتوحة والجيم، أي مُشْرِقٌ.
- وفي الصحاح: «عن أبي عبيد في حديث أُمِّ مَعْبِدٍ «أَبْلَجُ الْوَجْهِ» أي مُشْرِقُهُ، ولم تُرَدْ بَلَجُ الْحَاجِبِ، لأنها تصفه بِالْقَرَنِ»⁽³⁾.
- (3) (قوله: أَرْجَ)، أي مقوس الحاجب مع طول وامتداد.
- (4) (قوله: أَفْنَى)، أي محدودب الأنف.
- (5) (قوله: أَفْلَجَ)، من الْفَلَجِ بفتحيتين، وهو تباعد ما بين الشئيين.
- (6) (قوله: سَوَاءَ الْبُطْنِ)، السَّوَاءُ: بفتح المهملة والمد، المستوي.
- (7) (قوله: عَبَلُ الْعُضْدَيْنِ)، الْعَبْلُ: بفتح المهملة وسكون الموحدة، الضَّخْمُ.
- (8) (قوله: وَالْأَسَافِلِ)، أي الفخذين والساقين.
- (9) (قوله: رَحَبَ الْكَفَّيْنِ)، بفتح الراء وسكون المهملة، أي واسعها.
- (10) (قوله: سَائِلَ الْأَطْرَافِ)، أَي طَوِيلُ الْأَصَابِعِ.
- (11) (قوله: أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ)، بالجيم والراء المشددة المفتوحتين، أي ما تجرد عنه الثياب من البدن.

(1) الصحاح (701/2) مادة: هذب.

(2) نهاية اللوحة (9/ظ).

(3) الصحاح (300/1) مادة: بلج.

دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ⁽¹⁾، رُبْعَةَ الْقَدِّ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلَّا طَالَهُ ﷺ، رَجَلَ الشَّعْرِ⁽²⁾، إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا⁽³⁾ افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ⁽⁴⁾، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِي كَالثَّوْرِ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَائَاهُ، أَحَسَّنَ النَّاسَ عُثْقًا، لَيْسَ بِمُطَهَّمٍ⁽⁵⁾ وَلَا مُكَلِّثٍ⁽⁶⁾، مُتَمَاسِكَ الْبَدَنِ⁽⁷⁾، ضَرْبَ اللَّحْمِ⁽⁸⁾.

(1) (قوله: الْمَسْرُوبَةُ)، بفتح الميم وسكون المهملة وضم الراء وفتح الموحدة، خَيْطُ الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ الصُّدْرِ وَالشُّرَّةِ.

(2) (قوله: رَجَلَ الشَّعْرِ)، بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها.

في الصحاح: «شَعْرٌ رَجَلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ الْجُعُودَةِ وَلَا سَبِيطًا»⁽¹⁾.

(3) (قوله: إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا)، أي إذا أبدى أسنانه حالة أنه ضاحك.

(4) (قوله: حَبِّ الْغَمَامِ)، هو الْبَرْدُ.

(5) (قوله: لَيْسَ بِمُطَهَّمٍ)، هو بضم الميم وبالطاء المهملة والهاء المشددة المفتوحين، المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السمين.

(6) (قوله: وَلَا بِمُكَلِّثٍ)، هو بالمثلثة المفتوحة، الْقَصِيرُ الْحَنَكُ، الدَّانِي الْجَبْهَةِ، الْمُسْتَدِيرُّ الْوَجْهَ، أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ أَسِيلَ الْوَجْهِ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَدِيرَّهُ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ⁽²⁾.

(7) (قوله: مُتَمَاسِكَ الْبَدَنِ)، أي يمسك بعضه بعضا.

(8) (قوله: ضَرْبَ اللَّحْمِ)، بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء.

قال الخليل: «الضَّرْبُ مِنَ الرِّجَالِ: الْقَلِيلُ اللَّحْمِ»⁽³⁾.

(1) الصحاح (1706/4) مادة: رجل.

(2) النهاية في غريب الحديث (196/4) مادة: كلثم.

(3) كتاب العين للخليل بن أحمد (32/7) مادة: ضرب.

قَالَ الْبَرَاءُ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ⁽¹⁾، فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءٍ⁽²⁾، أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأَلُ فِي الْجُدْرِ⁽³⁾».

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ: وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَانَ وَجْهُهُ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ، فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا».

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبُدٍ فِي بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ: «أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَخْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ: «يَتَلَأَلُ وَجْهُهُ تَلَأُلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي آخِرِ وَصْفِهِ لَهُ: «مَنْ رَأَاهُ بَدِيهَةً هَابَةً، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعْتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ».

وَالْأَحَادِيثُ فِي بَسْطِ صِفَتِهِ مَشْهُورَةٌ كَثِيرَةٌ، فَلَا نَطُولُ بِسَرْدِهَا.

وَقَدْ اخْتَصَرْنَا فِي وَصْفِهِ نُكْتَ مَا جَاءَ فِيهَا، وَجُمْلَةً مِمَّا فِيهِ، كِفَايَةً فِي الْقَصْدِ إِلَى الْمَطْلُوبِ.

وَوَحَّيْنَا هَذِهِ الْفُصُولَ بِحَدِيثِ جَامِعٍ لِذَلِكَ نَقَفُ عَلَيْهِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(1) (قوله: مِنْ ذِي لِمَّةٍ)، اللِّمَّةُ: بكسر اللام، هي شعر الرأس دون الجمة، وسميت لمة لأنها تلم بالمنكبين.

(2) (قوله: فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءٍ)، الحُلَّةُ: ثوبان غير ليفين، إزار ورداء.

(3) (قوله: فِي الْجُدْرِ)، بضم الجيم والdal، جمع جدار⁽¹⁾، وهو الحائط.

(1) نهاية اللوحة (10/و).

فصل

[فِي نَظَافَتِهِ ﷺ وَطِيبِ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ]

أَمَّا نَظَافَةُ جِسْمِهِ، وَطِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقُهُ، وَنَزَاهَتُهُ عَنِ الْأَقْدَارِ وَعَوَرَاتِ الْجَسَدِ، فَكَانَ قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ بِخَصَائِصٍ لَمْ تَوْجَدْ فِي غَيْرِهِ، ثُمَّ تَمَّمَهَا بِنَظَافَةِ الشَّرْعِ، وَخِصَالِ الْفِطْرَةِ الْعَشْرِ.
وَقَالَ: «بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ⁽¹⁾».

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي⁽²⁾ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ⁽³⁾ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ

فصل وأما نظافة جسمه

(1) (قوله: بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ)، قال الحافظ زين الدين العراقي: «لم أجده هكذا، بل في الضعفاء لابن حبان⁽¹⁾ من حديث عائشة «تَنَظَّفُوا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ نَظِيفٌ»، وللطبراني في الأوسط⁽²⁾ بسند ضعيف من حديث ابن مسعود: «النَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ»⁽³⁾.

(2) (قوله: سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي)، بن أحمد بن العاصي بن سُفْيَانَ بن عيسى الأسدي أبو بحر، أصله من بلنسية، ثم سكن تلمسان، ثم رَجَعَ إِلَى قَرْطَبَةِ فَرَأَسَ بِهَا.

(3) (قوله: الْجُلُودِيُّ)، هو بضم الجيم بلا خلاف.

قال أبو سعيد السمعي: «منسوب إلى الجلود، جمع جلد»⁽⁴⁾.

وقال أبو عمرو ابن الصلاح: «إلى سكة الجلود من نَيْسَابُور».

(1) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان (57/3 رقم: 1121)، وفيه نعيم بن مورع بن توبة العنبري، قال ابن حبان: «شيخ يروي عن الثقات العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

(2) المعجم الأوسط (215/7 رقم: 7311).

(3) المغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي (ص: 60).

(4) الأنساب (306/3).

قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «مَا شَمَمْتُ⁽¹⁾ عَنَبْرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكَ، وَلَا شَيْئًا أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «أَنَّهُ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةِ عَطَّارٍ⁽²⁾».

قَالَ غَيْرُهُ: مَسَّهَا بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَّهَا، يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظُلُّ⁽³⁾ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيَعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّانِ بِرِيحَهَا. «وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ أَنَسٍ فَعَرِقَ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ⁽⁴⁾ بِقَارُورَةٍ⁽⁵⁾ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقُهُ، فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: نَجَعَلُهُ فِي طِينِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطِيبِ الطِّيبِ».

وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ عَنْ جَابِرٍ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ فَيَتَّبِعُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِهِ».

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ: «أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ رَائِحَتُهُ بِلَا طِيبٍ ﷺ».

(1) (قوله: مَا شَمَمْتُ)، هو بكسر الميم في الماضي على الأفصح وفتحها في المضارع، لا بفتحها في الماضي وضمها في المضارع.

(2) (قوله: مِنْ جُودَةِ عَطَّارٍ)، الْجُودَةُ: بضم الجيم وسكون الهمزة وقد تسهل، سَفَطٌ مُعَشَى بِجِلْدٍ، يجعل فيه العَطَّارُ طِيبَهُ.

(3) (قوله: فَيَظُلُّ)، ظَلِلْتُ أَفْعَلُ كَذَا بِكسر اللام، أَظَلُّ بفتحها ونقل حركتها إلى الظاء، إِذَا فَعَلْتَهُ نَهَارًا، وقد تكون ظَلُّ بمعنى دام.

(4) (قوله: فَجَاءَتْ أُمُّهُ)، أَي أم أنس، وهي أم سُلَيْمٍ، واسمها سَهْلَةٌ، وقيل رُمَيْلَةٌ، وقيل أُنَيْفَةٌ، وقيل مُلَيْكَةٌ، وقيل الرُّمَيْصَاءُ، وقيل الْعُمَيْصَاءُ، وأم سُلَيْمٍ هذه وأختها أم مِلْحَانَ خالتا النبي ﷺ من جهة الرضاع.

(5) (قوله: بِقَارُورَةٍ)، أَي إِنَاءٍ مِنْ زجاج.

وَرَوَى الْمُزْنِيُّ وَالْحَرْبِيُّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «أَرَدَفَنِي النَّبِيُّ ﷺ⁽¹⁾ خَلْفَهُ، فَالْتَقَمْتُ خَاتَمَ الثُّبُوءِ بِفَمِي، فَكَانَ يَنْثُمُ⁽²⁾ عَلَيَّ مِسْكًَا».

وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُعْتَنِينَ بِأَخْبَارِهِ وَشَمَائِلِهِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ انْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَابْتَلَعَتْ غَائِطَهُ وَبَوَلَهُ، وَفَاحَتْ لِدَلِكِ رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ ﷺ.

وَأَسْنَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ فِي هَذَا خَبْرًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّكَ تَأْتِي الْخَلَاءَ فَلَا تَرَى مِنْكَ شَيْئًا مِنَ الْأَدَى، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَرْضَ تَبْتَلِعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا يَرَى مِنْهُ شَيْءٌ؟!».

وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا، فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِطَهَارَةِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ مِنْهُ ﷺ.

وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، حَكَاهُ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرِ بْنِ الصَّبَّاحِ فِي شَامِلِهِ.

وَقَدْ حَكَى الْقَوْلَيْنِ عَنِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَابِقِ الْمَالِكِيِّ فِي كِتَابِهِ الْبَدِيعُ فِي فُرُوعِ الْمَالِكِيَّةِ.

وَتَخْرِيجُ مَا لَمْ يَقَعْ لَهُمْ مِنْهَا عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنْ تَفَارِيعِ الشَّافِعِيَّةِ.

وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ يُكْرَهُ وَلَا غَيْرُ طَيِّبٍ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «غَسَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا، فَقُلْتُ: طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، قَالَ: وَسَطَعْتُ⁽³⁾ مِنْهُ رِيحٌ

(1) (قوله: عَنْ جَابِرٍ أَرَدَفَنِي النَّبِيُّ ﷺ)، عد بعضهم من أردفه النبي ﷺ على فرس أو غيره فبلغ بهم نيفا وأربعين⁽¹⁾.

(2) (قوله: فَكَانَ يَنْثُمُ)، هو بكسر النون، يقال نمت الريح إذا جلبت الرائحة، وفي بعض النسخ يثج بالمثلثة المكسورة والجيم، أي يسيل.

(3) (قوله: وَسَطَعْتُ)، أي ارتفعت.

(1) انظرهم في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحى (382/7 - 376).

طَيِّبَةً، لَمْ نَجِدْ مِثْلَهَا قَطُّ⁽¹⁾».

وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَبَلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ.
وَمِنْهُ شَرِبُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ⁽²⁾ دَمَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَضُّهُ إِيَّاهُ، وَتَسْوِغُهُ ﷺ
ذَلِكَ لَهُ وَقَوْلُهُ لَهُ: «لَنْ تُصِيبَهُ النَّارُ».
وَمِثْلُهُ شَرِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ دَمَ حِجَامَتِهِ⁽³⁾، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ»، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ.

(1) (قوله: قَطُّ)، هو تأكيد لنفي الماضي، وفيه لغات، ففتح القاف وضمها مع تشديد الطاء المضمومة، وفتح القاف وتشديد الطاء المكسورة، وفتح القاف وإسكان⁽¹⁾ الطاء⁽²⁾ وفتح القاف وكسر الطاء المخففة.

(2) (قوله: ومنه شَرِبُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ)، هو أبو أبي سعيد الخدري.

(3) (قوله: وَمِثْلُهُ شَرِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ دَمَ حِجَامَتِهِ)، رواه الحاكم والبزار والبيهقي والطبراني والدارقطني.

وقد شرب أيضا دمه عليه السلام أبو طيبة، واسمه دينار، وقيل: نافع، عاش مائة وأربعين سنة، وسالم بن الحجاج⁽⁴⁾، فقال له عليه السلام: «لَا تَعُدْ، فَإِنَّ الدَّمَ كُلَّهُ حَرَامٌ»⁽⁵⁾، وسفينة مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رواه البيهقي⁽⁶⁾، وعلي ابن أَبِي طَالِبٍ، ذكره الرافعي في الشرح الكبير⁽⁷⁾.
قال ابن الملقن: «ولم أجده في كتب الحديث»⁽⁸⁾.

(1) نهاية اللوحة (10/ظ).

(2) [وفتح القاف وإسكان الطاء] ساقط من (ز).

(3) رواه الحاكم (6343)، البزار (2210)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (578)، والضياء في المختارة (267)، والبيهقي (13407)، وأبو نعيم في الحلية (330/1).

(4) كذا ورد، والصحيح أنه سالم بن أبي سالم أبو هند الحجام.

(5) رواه ابن منده في معرفة الصحابة (ص: 717).

(6) رواه البيهقي في سننه الكبرى (13408) بسند ضعيف.

(7) انظر فتح العزيز بشرح الوجيز للرافعي (182/1).

(8) البدر المنير (475/1).

وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ مَنْ هَذَا عَنْهُ فِي امْرَأَةٍ شَرِبَتْ بَوْلَهُ⁽¹⁾، فَقَالَ لَهَا: «لَنْ تَشْتَكِي وَجَعَ بَطْنِكَ أَبَدًا».

وَلَمْ يَأْمُرْ وَاحِدًا مِنْهُمْ بِغَسْلِ فَمٍّ، وَلَا نَهَاهُ عَنْ عَوْدَةٍ.
وَحَدِيثُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، الَّتِي شَرِبَتْ بَوْلَهُ صَحِيحٌ، أَلْزَمَ الدَّارَقُطْنِيُّ مُسْلِمًا
وَالْبُخَارِيَّ إِخْرَاجَهُ فِي الصَّحِيحِ.

وَأَسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ «بَرْكَةُ»، وَاخْتُلِفَ فِي نَسَبِهَا، وَقِيلَ: هِيَ أُمُّ أَيَمَنْ،
وَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَتْ: وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عِيدَانِ⁽²⁾، يُوضَعُ
تَحْتَ سَرِيرِهِ، يَبُولُ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَبَالَ فِيهِ لَيْلَةً، ثُمَّ افْتَقَدَهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا،
فَسَأَلَ بَرْكَةَ عَنْهُ، فَقَالَتْ: قُمْتُ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ⁽³⁾ فَشَرِبْتُهِ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ؛ رَوَى
حَدِيثُهَا ابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُهُ.

(1) (قوله: فِي امْرَأَةٍ شَرِبَتْ بَوْلَهُ)، هَذِهِ الْمَرْأَةُ بَرْكَةُ حَاضَتُهُ ﷺ، وَهِيَ حَبَشِيَّةٌ
أَعْتَقَهَا أَبُوهُ ﷺ وَأَسْلَمَتْ قَدِيمًا، وَقِيلَ: أَعْتَقَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَزَوَّجَ
خَدِيجَةَ وَزَوَّجَهَا عُبَيْدَ الْحَبَشِيِّ، فَوُلِدَتْ لَهُ أَيَمَنْ، وَكُنِّيَتْ بِهِ، ثُمَّ بَعْدَ النَّبُوَّةِ
تَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَأَوْلَدَهَا أَسَامَةَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: «كَانَتْ أُمُّ أَيَمَنْ عَسْرَةَ اللِّسَانِ، فَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ قَالَتْ: سَلَامٌ لَا
عَلَيْكُمْ، فَرَحَّصَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَقُولَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَوْ السَّلَامُ
عَلَيْكُمْ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: قَدَحٌ مِنْ عِيدَانٍ)، الْعِيدَانُ بَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمِثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالدَّالِ
الْمَهْمَلَةِ، جَمْعُ عِيدَانَةٍ، وَهِيَ النَّخْلَةُ الطَّوِيلَةُ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «إِذَا صَارَ لِلنَّخْلَةِ جِذْعٌ يَتَنَاوَلُ مِنْهُ فَتَلْكُ الْعَصِيدُ، فَإِذَا فَاتَتْ
الْأَيْدِي فِيهِ الْجَبَّارَةُ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِيهِ الرَّفْلَةُ، وَعِنْدَ أَهْلِ نَجْدٍ عِيدَانَةٌ».

(3) (قوله: وَأَنَا عَطْشَانَةٌ)، كَذَا وَقَعَ، وَصَوَابُهُ عَطَشَى، لِأَنَّهُ مَوْثٌ عَطْشَانٌ.

(1) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (180/8).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ وُلِدَ مَحْتُونًا⁽¹⁾، مَقْطُوعَ الشَّرَةِ.

وَرُوِيَ عَنْ أُمِّهِ آمَنَةَ⁽²⁾ أَنَّهَا قَالَتْ: «وَلَدْتُهِ نَظِيفًا، مَا بِهِ قَذَرٌ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ».

(1) (قوله: قَدْ وُلِدَ مَحْتُونًا)، وقيل: خُتِنَ يوم شَقَّ قلبه الملائكة عند ظِئْرِهِ أي مرضعته حليلة، وقيل: ختنه جده يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا.

وقد ذكر الحاكم في المستدرک ما لفظه: «وقد تواترت الأخبار أن رسول الله ﷺ وُلِدَ مَسْرُورًا مَحْتُونًا»، وتعقبه الذهبي فقال: «ما أعلم صحة ذلك، فكيف يكون متواترا؟»⁽¹⁾.

وذكر ابن الجوزي عن كعب الأخبار: «أن ثلاثة عشر⁽²⁾ من الأنبياء خلقوا محتونين: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وسام، ولوط، ويوسف، وموسى، وشعيب، وسليمان، ويحيى، وعيسى، والنبي ﷺ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبِ الْهَاشِمِيِّ: هم أربعة عشر: آدم، وشيث، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ويوسف، وموسى، وسليمان، وزكريا، وعيسى، وحنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرِّيس، ومحمد ﷺ⁽³⁾.

(2) (قوله: وَرُوِيَ عَنْ أُمِّهِ آمَنَةَ)، توفيت أمه وهو عليه السلام ابن ست سنين، بالأبواء بين مكة والمدينة، وهي راجعة من المدينة، وكانت معها أم أيمن، فرجعت به عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مكة، ولما مرَّ بالأبواء في عمرة الحديبية زار قبرها، وقيل: ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وقيل: ابن ثمان سنين، وقيل: ابن تسع، وقيل: ابن ثنتي عشرة سنة.

(1) مستدرک الحاكم (657/2 رقم: 4177).

(2) نهاية اللوحة (11/و).

(3) تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (ص: 13).

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْصَانِي النَّبِيُّ ﷺ لَا يُغَسِّلُهُ غَيْرِي، فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَحَدًا عَوْرَتِي إِلَّا طُمِسَتْ عَيْنَاهُ».

وفي حديث عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّهُ ﷺ نَامَ حَتَّى سُمِعَ لَهُ غَطِيطٌ⁽¹⁾، فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، قَالَ عِكْرِمَةُ: لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ مَحْفُوظًا».

(1) (قوله: غَطِيطٌ)، هو بالغين المعجمة المفتوحة والطاء المهملة المكسورة فالمثناة التحتية الساكنة فالطاء المهملة، صوت يخرج من نفس النائم.

فصل

[فِي وَفُورِ عَقْلِهِ ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ ، وَقُوَّةِ حَوَاسِهِ ﷺ]

أما وَفُورُ عَقْلِهِ، وَذَكَاءُ لُبِّهِ، وَقُوَّةُ حَوَاسِهِ، وَفَصَاحَةُ لِسَانِهِ، وَاعْتِدَالُ حَرَكَاتِهِ، وَحُسْنُ شَمَائِلِهِ، فَلَا مِزِيَةَ⁽¹⁾ أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَذْكَاهُمْ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ تَدْبِيرَهُ أَمَرَ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ، وَسِيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، مَعَ عَجِيبِ شَمَائِلِهِ وَبَدِيعِ سِيرِهِ، فَضْلاً عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَقَرَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ، دُونَ تَعَلُّمِ سَبَقٍ، وَلَا مُمَارَسَةِ تَقَدُّمَتْ، وَلَا مُطَالَعَةِ لِلْكِتَابِ مِنْهُ، لَمْ يَمْتَرِ فِي رُجْحَانِ عَقْلِهِ، وَثُقُوبِ فَهْمِهِ لِأَوَّلِ بَدِيهَةٍ.

وَهَذَا لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَقْرِيرِهِ لِتَحَقُّقِهِ.

وَقَدْ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ⁽²⁾: «قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا، فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ، فِي جَنْبِ عَقْلِهِ ﷺ، إِلَّا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ رِمَالِ الدُّنْيَا».

فصل وأما وفور عقله

(1) (قوله: فَلَا مِزِيَةَ)، الْمِزِيَةُ: بكسر الميم وقد تضم، الشك، وقرئ بهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ [هود: 17].

(2) (قوله: ابْنُ مُنَبِّهٍ)، بضم الميم وفتح النون وتشديد الموحدة، ابن سيج بمهملة مفتوحة وقيل مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فجيم، تابعي جليل، مشهور بمعرفة الكتب الماضية.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ⁽¹⁾ كَمَا يَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ».

وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء: 219].

وَفِي الْمَوْطِأِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي» وَنَحْوُهُ عَنْ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ مِثْلُهُ قَالَتْ: «زِيَادَةُ زَادَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا فِي حُجَّتِهِ».

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «إِنِّي لَأَنْظُرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ».

وَفِي أُخْرَى: «إِنِّي لَأُبْصِرُ مِنْ قَفَايَ كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ».

وَحَكَى بَقِيُّ بْنُ مَحْلَدٍ عَنْ عَائِشَةَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى فِي الضُّوءِ».

وَالْأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ فِي رُؤْيَيْهِ ﷺ الْمَلَائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ.

(1) (قوله: يَرَى مِنْ خَلْفِهِ)، ذكر مختار بن محمود الحنفي شارح القُدُورِيِّ ومُصَنِّفُ الثُّنَيَّةِ فِي رِسَالَتِهِ النَّاصِرِيَّةِ «أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَيْنَانِ مِثْلَ سَمِ الْخِيَاطِ يَبْصُرُ بِهِمَا وَلَا تَحْجِبُهُمَا الثِّيَابُ⁽¹⁾».

وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي وَاللَّهِ لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ»⁽²⁾: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لَهُ ﷺ إِدْرَاكَ فِي قَفَاهُ يَبْصُرُ بِهِ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَدْ انْخَرَقَتِ الْعَادَةُ لَهُ ﷺ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: «قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَجَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ⁽³⁾: إِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا رُؤْيَا عَيْنٍ حَقِيقَةً»⁽⁴⁾.

(1) [تحجبهما الثياب] مطموس في (ز).

(2) رواه مسلم (423).

(3) نهاية اللوحة (11/ظ).

(4) شرح صحيح مسلم (149/4).

وَرَفَعَ لَهُ النَّجَاشِيُّ⁽¹⁾ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ، وَبَيَّتَ الْمَقْدِسَ حِينَ وَصَفَهُ
لِقُرَيْشٍ، وَالْكَعْبَةَ حِينَ بَنَى مَسْجِدَهُ.

وَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ ﷺ «أَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْمًا⁽²⁾».
وَهَذِهِ كُلُّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى رُؤْيَا الْعَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
وغيره.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى رَدِّهَا إِلَى الْعِلْمِ، وَالظُّوَاهِرُ تَخَالُفُهُ، وَلَا إِحَالَةَ فِي
ذَلِكَ، وَهِيَ مِنْ خَوَاصِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَخِصَالِهِمْ، كَمَا أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَحْمَدَ الْعَدْلُ مِنْ كِتَابِهِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمُفْرِي الْقُرْغَانِيُّ، حَدَّثَنَا أُمُّ
الْقَاسِمِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِيهَا، حَدَّثَنَا الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ

(1) (قوله: النَّجَاشِيُّ)، بفتح النون وكسرهما وفي آخره ياء، الصواب تخفيفها، كما
قال الطبري، لقب لمن ملك الحبشة، وكان اسم هذا الملك أصحمة كما في
صحيح البخاري⁽¹⁾.

(2) (قوله: أَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْمًا)، قال السَّهْلِيُّ في كتابه التعريف
والأعلام: «الثُّرَيَّا اثنا عشر كوكبا، كان النبي ﷺ يراها كلها، جاء ذلك في
حديث ثابت من طريق العباس⁽²⁾».

وقال القرطبي في كتاب أسماء النبي وصفاته: «إنها لا تزيد على تسعة فيما
يذكرونه».

(1) رواه البخاري (1334)، ومسلم (952) عن جابر رضي الله عنه.

(2) أشار إلى ما رواه أحمد (1786)، والحاكم (5414)، والضياء في المختارة (474)، والبيهقي في
دلائل النبوة (518/6) عن العباس رضي الله عنه، وسنده ضعيف.

الْحَسَنِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ⁽¹⁾، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفَا، فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ، مَسِيرَةَ عَشْرَةِ فَرَاسِخٍ⁽²⁾».

وَلَا يَبْعُدُ عَلَى هَذَا أَنْ يَخْتَصَّ نَبِيُّنَا ﷺ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، بَعْدَ الْإِسْرَاءِ وَالْحُظُوءَةِ، بِمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.
وَقَدْ جَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ صَرَغَ رُكَّانَةً⁽³⁾، أَشَدَّ أَهْلٍ وَقْتِهِ، وَكَانَ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

(1) (قوله: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ)، كذا في كثير من النسخ، وصوابه هانئ بن يحيى السُّلَمِيُّ، أخذ عن الحسن بن أبي جعفر الجعفري أحد الضعفاء.

قال الطبراني: «لم يروه عن قتادة إلا الحسن بن أبي جعفر، تفرد به هانئ بن يحيى»⁽¹⁾.

(2) (قوله: عَشْرَةَ فَرَاسِخٍ)، في الصحاح: «الْفَرَسَخُ: فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ؛ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أُمِيالٍ، وَالْمِيلُ مَتْنَهَى مَدَ الْبَصَرِ، عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ⁽²⁾»⁽³⁾، انتهى.

وقيل: الْمَيْلُ: أَرْبَعَةُ آلَافِ خُطْوَةٍ، وَالخُطْوَةُ ثَلَاثَةُ أَقْدَامٍ، بَوْضِعَ قَدَمٍ أَمَامَ قَدَمٍ وَيَلْصُقُ بِهِ، وَالْبَرِيدُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ.

(3) (قوله: بِأَنَّهُ صَرَغَ رُكَّانَةً)، هو بضم الراء وتخفيف الكاف، أسلم يوم الفتح، وتوفي بالمدينة سنة أربعين.

(1) المعجم الصغير (1/65 رقم: 77).

(2) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت (ص: 29).

(3) الصحاح (1/428) مادة: فرسخ، و (5/1823) مادة: ميل.

وَصَارَعَ أَبَا رُكَانَةَ⁽¹⁾ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ شَدِيدًا، وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
كُلُّ ذَلِكَ يَصْرَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْيِهِ،
كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطَوَّى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ⁽²⁾».

وفي صفته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ ضَحْكُهُ كَانَ تَبَسُّمًا، إِذَا التَفَتَ
التَفَتَ مَعًا، وَإِذَا مَشَى مَشَى تَقْلُعًا⁽³⁾، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ⁽⁴⁾.

(1) (قوله: وَصَارَعَ أَبَا رُكَانَةَ)، قيل: إنه صارعه عليه السلام جماعة: ركانة، وهو
أمثلها، وأبو ركانة، كما ذكر القاضي هنا، وأبو جهل، ولا يصح، وأبو الأشدَّين
الْجُمَحِيَّ⁽¹⁾، قاله السُّهَيْلِيُّ⁽²⁾، ويزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد على الشك،
رواه البيهقي وأبو داود في مراسيله⁽³⁾.

(2) (قوله: غَيْرُ مُكْتَرِثٍ)، أي غير مبال.

(3) (قوله: تَقْلُعًا)، التَّقْلُعُ: رَفَعُ⁽⁴⁾ الرَّجُلِ بِقُوَّةٍ.

(4) (قوله: مِنْ صَبَبٍ)، بفتح المهملة وبالوحدتين الأولى مفتوحة، هو الموضع
المرتفع.

(1) في (أ) و (ز) أبو الأسد بن الجمحي، والتصويب من الروض الأنف (239/3)، والبداية والنهاية
لابن كثير (104/3)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (324/14).

(2) الروض الأنف (239/3).

(3) ضعيف. رواه أبو داود في المراسيل (308)، والبيهقي في السنن (19761).

(4) في (ز) وقع.

فَصْلٌ

[فِي فَصَاحَةِ لِسَانِهِ ﷺ وَبَلَاغَةِ قَوْلِهِ]

وَأَمَّا فَصَاحَةُ اللِّسَانِ، وَبَلَاغَةُ الْقَوْلِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَحَلِّ الْأَفْضَلِ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ، سَلَاسَةً⁽¹⁾ طَبْعَ، وَبَرَاةً مَنْرَعٍ⁽²⁾، وَإِجَازَ مَقْطَعٍ⁽³⁾، وَنَصَاعَةً⁽⁴⁾ لَفْظٍ، وَجَزَالَةً⁽⁵⁾ قَوْلٍ، وَصِحَّةً مَعَانٍ، وَقِلَّةً تَكْلِفٍ.

أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ⁽⁶⁾، وَخُصَّ بِبَدَائِعِ الْحِكْمِ، وَعِلْمِ أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، فَكَانَ يُخَاطَبُ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا، وَيُحَاوَرُهَا⁽⁷⁾ بِلُغَتِهَا، وَيُبَارِيهَا⁽⁸⁾ فِي مَنْرَعٍ بِلَاغَتِهَا، حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَنْ شَرْحِ كَلَامِهِ، وَتَفْسِيرِ قَوْلِهِ.

فصل وأما فصاحة اللسان

- (1) (قوله: سَلَاسَةً)، بفتح السين المهملة، أي سهولة.
- (2) (قوله: وَبَرَاةً مَنْرَعٍ)، البراعة، مصدر برع الرجل، بضم الراء وفتحها، أي فاق أقرانه في العلم وغيره⁽¹⁾.
- والمَنْرَعُ: المَأْخَذُ.
- (3) (قوله: مَقْطَعٍ)، أي تمام كلام.
- (4) (قوله: وَنَصَاعَةً)، النَصَاعَةُ: بفتح النون والصاد والعين المهملتين بينهما ألف، الخُلُوصُ.
- (5) (قوله: وَجَزَالَةً)، بفتح الجيم والزاي، خلاف الركاكة.
- (6) (قوله: جَوَامِعَ الْكَلِمِ)، هو جمع جامعة.
- (7) (قوله: وَيُحَاوَرُهَا)، بالحاء المهملة، أي يُجَاوِرُهَا.
- (8) (قوله: وَيُبَارِيهَا)، يقال: فلان يُبَارِي فلانا، أي يُعَارِضُهُ.

(1) نهاية اللوحة (12/و).

مَنْ تَأَمَّلَ حَدِيثَهُ، وَسِيرَهُ، عَلِمَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ.

وَلَيْسَ كَلَامُهُ مَعَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ، كَكَلَامِهِ مَعَ ذِي
الْمِشْعَارِ^(١) الْهَمْدَانِيِّ^(٢)، وَطَهْفَةَ^(٣) التَّهْدِيّ، وَقَطْنَ^(٤) بْنِ حَارِثَةَ الْعُلَيْمِيِّ،
وَالْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ، وَوَائِلَ بْنَ حُجْرٍ^(٥) الْكِنْدِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَقْيَالِ
حَضْرَمَوْتَ^(٦) وَمُلُوكِ الْيَمَنِ.

وَانْظُرْ كِتَابَهُ إِلَى هَمْدَانَ: «إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا»^(٧)، وَوَهَاطَهَا^(٨)،

(١) (قوله: الْمِشْعَارِ)، بكسر الميم وسكون الشين المعجمة ثم عين مهملة، وقيل:
معجمة، بعدها ألف وراء.

(٢) (قوله^(١): الْهَمْدَانِيِّ) بسكون الميم وبالدال المهملة، نسبة إلى همدان قبيلة من اليمن.

(٣) (قوله: وَطَهْفَةَ)، بكسر المهملة وسكون الهاء؛ والتَّهْدِيّ: بفتح النون.

(٤) (قوله: قَطْنَ)، بالقاف والمهملة المفتوحتين بعدهما نون.

وحَارِثَةُ: بالحاء المهملة والمثلثة.

والْعُلَيْمِيُّ: بضم العين المهملة وفتح اللام، من بني عليم.

(٥) (قوله: بْنِ حُجْرٍ)، بضم الحاء المهملة وسكون الجيم.

(٦) (قوله: مِنْ أَقْيَالِ حَضْرَمَوْتَ)، الأقيال: بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح
المثناة من تحت ثم ألف ولام، جمع قَيْل، بفتح القاف وسكون المثناة، وهو
الملك من ملوك حِمْيَرَ، وحَضْرَمَوْتَ اسم لبلدة باليمن ولقبيلة.

(٧) (قوله: فِرَاعَهَا)، هو بفاء مكسورة وراء مفتوحة^(٢) وعين مهملة، ما علا من
الأرض.

(٨) (قوله: وَوَهَاطَهَا)، بكسر الواو وبالطاء المهملة، جمع وَهَطَ بفتح الواو
وسكون الهاء، وهو المطمئن من الأرض.

(١) [قوله] ساقط من (أ).

(٢) [مفتوحة] ساقط من (أ).

وَعَزَّازَهَا⁽¹⁾، تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا⁽²⁾، وَتَزْعَوْنَ عَفَاءَهَا⁽³⁾، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ⁽⁴⁾، مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ، وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثَّلْبُ⁽⁵⁾، وَالنَّابُ⁽⁶⁾، وَالْفَصِيلُ،

-
- (1) (قوله: عَزَّازَهَا)، بفتح العين المهملة وبزائين مخففتين.
 قال الهروي: «هو ما أُشْتَدَّ من الأرض وَصَلَبَ وَخَشُنَ»⁽¹⁾.
 (2) (قوله: عِلَافَهَا)، بكسر العين المهملة وتخفيف اللام والفاء.
 قال الهروي: «هو جمع عَلَفٍ، يقال: عَلَفَ وَعِلَافٌ، كَجَمَلٍ وَجِمَالٍ»⁽²⁾.
 (3) (قوله: عَفَاءَهَا)، بفتح العين المهملة وتخفيف الفاء والمد.
 قال الهروي: «هو ما ليس فيه مِلْكٌ»⁽³⁾.
 (4) (قوله: مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ)، الدِفْءُ: بكسر المهملة وبالفاء الساكنة وبالهمزة⁽⁴⁾، والصِرَامُ: بكسر المهملة وتخفيف الراء.
 قال الهروي: «معناه من إِبْلِهِمْ وَغَنَمِهِمْ، وقيل: سماها دِفْئًا لأنها يُتَّخَذُ من أوبارها وأصوافها ما يُتَدَفَّأُ بِهِ»⁽⁵⁾.
 (5) (قوله: الثَّلْبُ)، بكسر المثناة وسكون اللام بعدها موحدة.
 قال الهروي: «هو من الذكور الذي هَرِمَ وَتَكَسَّرَتْ أَسْنَانُهُ»⁽⁶⁾.
 (6) (قوله: وَالنَّابُ)، بالنون والموحدة في آخره.
 قال الهروي: «قال أبو بكر: هي الناقةُ الهَرِمَةُ التي طال نَابُهَا، وذلك من أمارات هرمها»⁽⁷⁾.

(1) الغريين (1269/4) مادة: عزز.

(2) الغريين (1316/4) مادة: علف.

(3) الغريين (1302/4) مادة: عفو.

(4) نهاية اللوحة (12/ظ).

(5) الغريين (641/2) مادة: دفا.

(6) الغريين (290/1) مادة: ثلب.

(7) الغريين (1903/6) مادة: نبب.

وَالْفَارِضُ الدَّاجِنُ⁽¹⁾، وَالْكَبْشُ الْحَوَارِيُّ⁽²⁾، وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِغُ⁽⁴⁾ وَالْقَارِحُ⁽⁵⁾.

(1) (قوله: وَالْفَارِضُ الدَّاجِنُ)، الْفَارِضُ: بالفاء والراء والضاد المعجمة، الْمُسْنُ من الإبل، والدَّاجِنُ: بالذال المهملة والجيم المكسورة، الدابة التي تألف البيت.

(2) (قوله: الْحَوَارِيُّ)، بحاء مهملة وواو مفتوحتين وراء مكسورة وياء نسبة.

قال ابن الأثير: «مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَوَرِ، وهي جلود تُتَّخَذُ من جلود الضَّانِ، وقيل: هو مَا دُبِعَ من الجلود بِغَيْرِ قَرْظٍ، وَهُوَ أَحَدُ مَا جَاءَ عَلَى أَصْلِهِ وَلَمْ يُعَلَّ كَنَابٍ⁽¹⁾»⁽²⁾.

قال الكَاشِغَرِيُّ في كتابه مجمع الغريب: «الْحَوَرِيُّ الْمَكْوِيُّ، منسوب إلى الْحَوَرَاءِ، وهي كَيْتَةٌ مُدَوَّرَةٌ، يقال: حَوَّرَهُ، إِذَا كَوَاهِ هَذِهِ الْكَيْتَةَ».

(3) (قوله: الصَّالِغُ)، بالصاد المهملة واللام المكسورة والغين المعجمة.

قال ابن الأثير: «هو من البَقَرِ والغَنَمِ الذي كَمَلَ وَأَنْتَهَى سِنُهُ في السادسة، ويقال: بِالسَّيْنِ»⁽³⁾، انتهى.

(4) (قوله: وَالْقَارِحُ)، بالقاف والراء والحاء المهملة.

قال ابن الأثير: «الفرس الْقَارِحُ»⁽⁴⁾.

وفى القاموس: «الْقَارِحُ من ذي الحافر، بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ من الإِبِلِ»⁽⁵⁾.

(1) في (ز) كباب، وعبارة ابن الأثير في النهاية: «ولم يُعَلَّ كما أُعَلَّ ناب».

(2) النهاية في غريب الحديث (459/1) مادة: حور.

(3) النهاية في غريب الحديث (47/3) مادة: صلغ.

(4) النهاية في غريب الحديث (36/4) مادة: قرح.

(5) القاموس المحيط (ص: 235) مادة: القرح.

وَقَوْلُهُ لِنَهْدٍ⁽¹⁾: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَحْضِهَا، وَمَحْضِهَا⁽²⁾، وَمَذْقِهَا⁽³⁾،
وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّرِّ⁽⁴⁾، وَأَفْجُرْ لَهُ الشَّمَدَ⁽⁵⁾، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ،
مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعَ الشِّرْكِ⁽⁶⁾، وَوَضَائِعَ⁽⁷⁾ الْمُلْكِ،

- (1) (قوله: لِنَهْدٍ)، بفتح النون وسكون الهاء وبالدال المهملة، قبيلة من اليمن.
- (2) (قوله: فِي مَحْضِهَا وَمَحْضِهَا)، الأول بالحاء المهملة والضاد المعجمة، اللبن الخالص، والثاني بالمعجمتين، وهو ما مُخَضَّ من اللبن وأُخِذَ زَبْدُهُ.
- (3) (قوله: وَمَذْقِهَا)، هو بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وبالقاف، المزج والخلط، والمراد هنا اللبن المخلوط بالماء.
- (4) (قوله: فِي الدَّرِّ)، بفتح الدال المهملة وسكون المثناة وبالراء، المال الكثير⁽¹⁾، يقع على الواحدِ وَالْإِثْنَيْنِ والجماعة، قاله ابن الأثير⁽²⁾.
- (5) (قوله: الشَّمَدَ)، بفتح المثناة والميم وبالدال المهملة، المال القليل.
- (6) (قوله: وَدَائِعَ الشِّرْكِ)، أي عهوده ومواريثه، يقال: أعطيته وديعا، أي عهدا، وقيل: ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام، أراد أنها حلال لهم، لأنها مال كافر قُدِرَ عليه من غير عهد ولا شرط، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «مَا لَمْ يَكُنْ عَهْدٌ»⁽³⁾.
- (7) (قوله: وَوَضَائِعَ)، بفتح الواو والضاد المعجمة وفي آخره عين مهملة، جمع وضیعة، وهي الوضیعة على الملك وما يلزم الناس في أموالهم من الصدقة والزكاة، يعني لا تتجاوزها معكم ولا تزيد فيها، وقيل: معناه لا يأخذ منكم ما كان ملوككم وضعوه عليكم، بل هو لكم، والأول يناسبه الْمُلْكُ بكسر الميم، والثاني بضمها.

(1) نهاية اللوحة (13/و).

(2) النهاية في غريب الحديث (100/2) مادة: دثر.

(3) رواه ابن الأعرابي في معجمه (1986).

لَا تُلْطِطُ⁽¹⁾ فِي الزَّكَاءِ، وَلَا تُلْحِدُ⁽²⁾ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا تَتَّاقِلُ عَنِ الصَّلَاةِ». وَكَتَبَ لَهُمْ: «فِي الْوُضُوءِ الْفَرِيضَةُ⁽³⁾، وَلَكُمْ الْفَارِضُ⁽⁴⁾ وَالْفَرِيضُ⁽⁵⁾، وَذُو الْعِنَانِ

(1) (قوله: لَا تُلْطِطُ)، بضم المثناة الفوقية وسكون اللام وكسر الطاء المهملة بعدها أخرى، يقال: لَطَّ الغريمُ وَالْطَّ إذا مَنَعَ الحق.

(2) (قوله: وَلَا تُلْحِدُ)، بضم المثناة الفوقية وسكون اللام وكسر الحاء وبالذال المهملتين.

قال ابن الأثير: «أَي لَا يَحْصُلُ مِنْكُمْ مِثْلٌ عَنِ الْحَقِّ مَا دُفِتُمْ أَحْيَاءً»⁽¹⁾.

(3) (قوله: الْفَرِيضَةُ)، قال ابن الأثير: «الْفَرِيضَةُ الْمُسْتَةُ الْهَرِمَةُ، يَعْنِي هِيَ لَكُمْ، لَا تُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِي الزَّكَاءِ، وَيُرْوَى «عَلَيْكُمْ فِي الْوُضُوءِ الْفَرِيضَةُ»، أَي فِي كُلِّ نَصَابٍ مَا فَرَضَ فِيهِ»⁽²⁾، انتهى.

(4) (قوله: الْفَارِضُ)، بالفاء، وهي الْمُسْتَةُ، وفي بعض النسخ بالعين المهملة، وهي الناقة التي يصيبها كسر أو مرض فَتَنْحَرُ.

(5) (قوله⁽³⁾: وَالْفَرِيضُ)، بالفاء والراء المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة.

قال الهروي: «قال الْقُتَيْبِيُّ⁽⁴⁾: هِيَ الَّتِي وَضَعْتَ حَدِيثًا، كَالنُّفَسَاءِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَرَسٌ فَرِيضٌ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّاجِ لِسَبْعٍ»⁽⁵⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث (236/4) مادة: لحد.

(2) النهاية في غريب الحديث (432/3) مادة: فرض.

(3) [قوله] ساقط من (أ).

(4) أي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

(5) الغريبين (1432/5) مادة: فرش.

الرُّكُوبُ⁽¹⁾، وَالْفَلُّوُ⁽²⁾ الضَّيِّسُ⁽³⁾، لَا يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ⁽⁴⁾، وَلَا يُغْضَدُ⁽⁵⁾ طَلْحُكُمْ،

(1) (قوله: وَذُو الْعِئَانِ الرُّكُوبُ)، الْعِئَانُ: بكسر العين المهملة، سير اللجام.

قال ابن الأثير: «يُرِيدُ الْفَرَسَ الذَّلُولَ، لِأَنَّهُ يُلْجَمُ وَيُرَكَّبُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَالْفَلُّوُ)، بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، الْمُهْرُ، قال أبو زيد: «إِذَا⁽²⁾ فَتَحْتَ الْفَاءَ شَدَدْتَ الْوَاوَ⁽³⁾، وَإِذَا كَسَرْتَهَا خَفَفْتَ فَقُلْتَ⁽⁴⁾: فَلَوْ مِثْلَ جَزَوْ».

(3) (قوله⁽⁵⁾: وَالضَّيِّسُ)، بفتح الضاد المعجمة وكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية ثم سين مهملة.

قال الهروي: «هُوَ الْعَسِيرُ الضَّعْبُ»⁽⁶⁾.

(4) (قوله: سَرْحُكُمْ)، بفتح السين المهملة وإسكان الراء وبالحاء المهملة، أي ماشيتكم.

(5) (قوله: يُغْضَدُ)، بضم المثناة التحتية⁽⁷⁾ وسكون العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها دال مهملة، أي يقطع.

وَالطَّلْحُ: شَجَرٌ عِظَامٌ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُورٍ﴾ [الواقعة: 29]، فَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ هُوَ شَجَرُ الْمَوْزِ، وَقِيلَ الطَّلَعُ.

(1) النهاية في غريب الحديث (313/3) مادة: عنن.

(2) نهاية اللوحة (13/ظ).

(3) [الواو] ساقط من (ز).

(4) [فقلت] ساقط من (ن).

(5) [قوله] ساقط من (أ).

(6) الغريبين (1113/4) مادة: ضبس.

(7) [التيهية] ساقط من (أ).

وَلَا يُحْبَسُ دَرْكُكُمْ⁽¹⁾، مَا لَمْ تُضْمِرُوا الرِّمَاقَ⁽²⁾، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ⁽³⁾، مَنْ أَقْرَ فَلَهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةِ⁽⁴⁾، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الرِّبْوَةُ⁽⁵⁾».

(1) (قوله: وَلَا يُحْبَسُ دَرْكُكُمْ)، أي ذوات الدَّرِّ، أراد أن الماشية لا تُحْشَرُ إلى المُصَدِّقِ، وهو الذي يأخذ صدقات الماشية⁽¹⁾، ولا تُحْبَسُ عن المَرْعَى إلى أن تجتمع ثُمَّ تُعَدَّ لما في ذلك مِنَ الإِضْرَارِ بِهَا، قاله ابن الأثير⁽²⁾.

(2) (قوله: مَا لَمْ تُضْمِرُوا الرِّمَاقَ)، بكسر الراء بعدها ميم مخففة فقفاء بعد الألف، هو الرِّمَاقُ، يقال: رَامَقْتُهُ رِمَاقًا، أي نَظَرْتُ إِلَيْهِ شَرًّا نَظَرَ الْعَدَاوَةِ، يعني ما لم تَصُقْ قُلُوبُكُمْ عَنِ الْحَقِّ، يقال: عَيْشُهُ رِمَاقٌ: أي ضَيِّقٌ، وَعَيْشُكَ رِمَقٌ، أي يمسك الرِّمَقُ، وهو بَقِيَّةُ الرُّوحِ وَآخِرُ النَّفْسِ، قاله ابن الأثير⁽³⁾.

(3) (قوله: وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ)، بكسر الراء وبالموحدة وألف فقفاء، جمع رِبَقٍ بكسر الراء، وهو الحبل فيه عدة عُرى يُشَدُّ بِهِ الْبُهْمُ، الواحدة من العرى رِبْقَةٌ، وفي الحديث: «خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»⁽⁴⁾، كذا في الصحاح⁽⁵⁾.

قال ابن الأثير: «شَبَّهَ مَا يَلْزَمُ الْأَعْنَاقَ مِنَ الْعَهْدِ بِالرِّبَاقِ، وَاسْتَعَارَ الْأَكْلَ لِتَقْضِ الْعَهْدِ، فَإِنَّ الْبَهِيمَةَ إِذَا أَكَلَتْ الرِّبْقَ خَلَصَتْ مِنَ الشَّدِّ»⁽⁶⁾.

(4) (قوله: وَالذِّمَّةُ)، هي بمعنى العهد.

قال بعض المحققين: الذمة قدر في المكلف صالح للإلزام والالتزام⁽⁷⁾.

(5) (قوله: فَعَلَيْهِ الرِّبْوَةُ)، بكسر الراء وفتحها، أي من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عقوبة عليه.

(1) في (أ) الغنم.

(2) النهاية في غريب الحديث (112/2) مادة: درر.

(3) النهاية في غريب الحديث (264/2) مادة: رمق.

(4) حسن. رواه أحمد (21560)، وأبو داود (4758)، والحاكم (401)، والبيهقي (16614).

(5) الصحاح (1480/4) مادة: ربق.

(6) النهاية في غريب الحديث (190/2) مادة: ربق.

(7) [قال بعض المحققين والالتزام] ساقط من (أ).

وَمِنْ كِتَابِهِ لِيَوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ: «إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ⁽¹⁾، وَالْأَزْوَاعِ⁽²⁾ الْمَشَائِبِ⁽³⁾».

(1) (قوله: الْعَبَاهِلَةُ)، بفتح العين المهملة فالموحدة بعدها ألف فهاء مكسورة فلام.

في الصحاح: «عَبَاهِلَةُ الْيَمَنِ مَلُوكُهُمُ الَّذِينَ أَقْرُوا عَلَى مُلْكِهِمْ لَا يَزَالُونَ عَنْهُ⁽¹⁾»⁽²⁾.

(2) (قوله: وَالْأَزْوَاعِ)، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الواو⁽³⁾ بعدها ألف فعين مهملة.

قال الهروي: «هِيَ الْحِسَانُ الْوَجُوهُ، يُقَالُ: رَائِعٌ وَأَزْوَاعٌ»⁽⁴⁾.

(3) (قوله: الْمَشَائِبِ)، بفتح الميم والشين المعجمة الخفيفة بعدها ألف فموحدة⁽⁵⁾ فمثناة تحتية فموحدة⁽⁶⁾.

قال الهروي⁽⁷⁾: «أَرَادَ الرُّؤُوسَ السَّادَةَ، الزُّهْرَ الْأَلْوَانَ»⁽⁸⁾.

زاد ابن الأثير: «وَاحِدُهُمْ مَشْبُوبٌ»⁽⁹⁾، كَأَنَّمَا أُوقِدَتْ أَلْوَانُهُمْ بِالنَّارِ»⁽¹⁰⁾.

(1) نهاية اللوحة (14/و).

(2) الصحاح (1757/5) مادة: عبهل.

(3) [وفتح الواو] ساقط من (أ).

(4) الغريبين (793/3) مادة: روع.

(5) [فموحدة] ساقط من (ز).

(6) [فموحدة] ساقط من (أ).

(7) [قال الهروي] ساقط من (ز).

(8) الغريبين (967/3) مادة: شبب.

(9) في (ز) موقود مشبوب.

(10) النهاية في غريب الحديث (438/2) مادة: شبب.

وَفِيهِ: «فِي التَّيْعَةِ»⁽¹⁾ شَاةٌ، لَا مُقَوَّرَةٌ الْأَلْيَاطِ⁽²⁾، وَلَا ضِنَاكٌ⁽³⁾، وَأَنْطُوا الشَّبَجَةَ⁽⁴⁾،

(1) (قوله: فِي التَّيْعَةِ)، بكسر المشاة الفوقية فسكون المشاة التحتية فعين مهملة.

قال الهروي: «قال أبو عبيد: هي الأربعون من الغنم، وقال أبو سعيد: أدنى ما تجب من الصدقة كالأربعين من الغنم فيها شاة، وخمس من الإبل فيها شاة، وأصله من التيع وهو القيء، يقال أتا ع قَيَّاهُ فَتَاعٌ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: لَا مُقَوَّرَةٌ الْأَلْيَاطِ)، الْمُقَوَّرَةُ: بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو بعدها راء، والأَلْيَاطُ: بفتح الهمزة وسكون اللام وتخفيف المشاة التحتية وفي آخره طاء مهملة.

قال الهروي: «يعني لَا مُسْتَرَحِيَّةَ الْجُلُودِ لِهَزَالِهَا، مِنَ الْإِقْوَرَارِ، وَهُوَ الْاسْتِرْحَاءُ فِي الْجُلُودِ وَالْهَزَالِ، وَالْأَلْيَاطُ: جَمْعُ لَيْطٍ، وَهُوَ الْقَشْرُ اللَّائِطُ بِالْعَوْدِ، يَعْنِي اللَّازِقُ بِهِ»⁽²⁾.

(3) (قوله: وَلَا ضِنَاكٌ)، بكسر المعجمة وبالنون المخففة والكاف.

قال الهروي: «الضِنَاكُ: الْكَثِيرُ اللَّحْمِ»⁽³⁾.

(4) (قوله: وَأَنْطُوا)، بفتح الهمزة وسكون النون، لغة يمانية في أعطوا.

وَالشَّبَجَةُ: بِالمثلة فالموحدة فالجيم المفتوحات.

قال الهروي: «يعني أُعْطُوا الْوَسْطَ فِي الصَّدَقَةِ، وَلَا تُعْطُوا مِنْ خِيَارِ الْمَالِ وَلَا مِنْ رَذَائِلِهِ وَحَشْوِهِ»⁽⁴⁾، انتهى.

(1) الغريبن (265/1) مادة: تيع.

(2) الغريبن (1591/5) قور.

(3) الغريبن (1144/4) مادة: ضنك.

(4) الغريبن (270/1) مادة: شج.

(1) (قوله: وَفِي السُّيُوبِ)، بالسین المهملة والمثناة التحتية المضمومتين والموحدة بعد الواو.

قال الهروي: «قال أبو عبيد⁽¹⁾: السُّيُوبُ: الرِّكَازُ، ولا أراه أُخِذَ إِلَّا مِنْ السَّيْبِ، وهو العَطِيَّةُ»⁽²⁾.

قال ابن الأثير: «وقيل: السُّيُوبُ عُزُوقٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ تَسِيْبُ فِي الْمَعَادِنِ، أَيْ يَتَكَوَّنُ فِيهَا وَيُظْهَرُ»⁽³⁾.

(2) (قوله: مِنْ بَكْرٍ)، قال ابن الأثير: «لغة أهل اليمن يُبْدِلُونَ لَامَ التَّعْرِيفِ مِيمًا»⁽⁴⁾، فعلى هذا تكون راء «بَكْرٍ» مكسورة من غير تنوين، لأن أصله من «الْبَكْرِ»، فلما أُبْدِلَ اللام ميمًا بقيت الحركة بحالها، كقولهم: بَلَحَارِثٌ، فِي بَنِي الْحَارِثِ، ويكون استعمل البكر موضع الأُبْكَارِ، والأشبه أن يكون نَكْرَةً مُنَوَّنَةً، وقد أُبْدِلَتْ نون «مِنْ»، ميمًا، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باءٌ قُلِبَتْ فِي اللَّفْظِ⁽⁵⁾ مِيمًا، نحو مُنْبَرٍ، وَعَنْبَرٍ، فيكون التقدير مَنْ زَنَى مِنْ بَكْرٍ»⁽⁶⁾، انتهى ملخصا.

فإن قيل: ما ذكره من الأشبه لا يتأتى في قوله بعد ذلك «مِنْ تَيْبٍ»؟

أجيب: بأن القلب في «مِنْ تَيْبٍ» على هذه المناسبة «مِنْ بَكْرٍ»، لوقوع الباء الموحدة بعد النون، والعرب كثيرا ما يُخْرِجُونَ الكلام عن الأصل إلى غيره للمناسبة، كقولهم: ما قَدَّمَ وَحَدَّثَ، بضم الدال من حَدَّثَ، لمناسبة قَدَّمَ، والأصل حَدَّثَ بفتح الدال.

(1) غريب الحديث لأبي عبيد (214/1) مادة: سيب.

(2) الغريبين (960/3) مادة: سيب.

(3) النهاية في غريب الحديث (432/2) مادة: سيب.

(4) نهاية اللوحة (14/ظ).

(5) في (ز) الوقف.

(6) النهاية في غريب الحديث (42/3) مادة: صقع.

فَاضْغَعُوهُ⁽¹⁾، مَائَةً، وَاسْتَوْفِضُوهُ⁽²⁾ عَامًا، وَمَنْ زَنَى مِنْ ثِيْبٍ فَضَرَّجُوهُ⁽³⁾ بِالْأَضَامِيمِ⁽⁴⁾

(1) (قوله: فَاضْغَعُوهُ)، بهمزة وصل وصاد مهملة وقاف مفتوحة وعين مهملة مضمومة.

قال ابن الأثير: «أي اضربوه، وأصل الصَّغْعِ الضَّرْبُ عَلَى الرَّأْسِ، وقيل: الضرب بِيَطْنِ الْكَفِّ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَاسْتَوْفِضُوهُ)، بهمزة وصل وسين مهملة ومثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وفاء مكسورة وضاد معجمة.

قال الهروي: «أي غربوه وانفوه واطردوه، وأصله من اسْتَوْفَضَتِ الْإِبِلُ إِذَا تَفَرَّقَتْ فِي رَعِيهَا»⁽²⁾.

(3) (قوله: فَضَرَّجُوهُ)، بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المشددة المكسورة والجيم.

قال الهروي: «التَّضْرِيحُ: التَّدْمِيَةُ»⁽³⁾.

وقال ابن الأثير: «ضَرَّجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ» أَي دَمَّوْهُ بِالضَّرْبِ»⁽⁴⁾.

(4) (قوله: بِالْأَضَامِيمِ)، بفتح الهمزة وتخفيف الضاد المعجمة وميمين بينهما مثناة من تحت.

قال الهروي: «يعنى جماهير الحجارة، يريد الرِّجْمَ، واحْدَثْتُهَا إِضْمَامَةً، لأن بعضها ضُمَّ إِلَى بعض، وكذلك في جماعات الناس والكُتُبِ»⁽⁵⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث (42/3) مادة: صعق.

(2) الغريبين (2020/6) مادة: وفض.

(3) الغريبين (1142/4) مادة: ضمم.

(4) النهاية في غريب الحديث (81/3) مادة: ضرج.

(5) الغريبين (1142/4) مادة: ضمم.

وَلَا تَوْصِيمٌ⁽¹⁾ فِي الدِّينِ، وَلَا غُمَّةٌ⁽²⁾ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ،
وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ⁽³⁾ عَلَى الْأَقْيَالِ».

أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِهِ لِأَنْسٍ⁽⁴⁾ فِي الصَّدَقَةِ الْمَشْهُورِ، لَمَّا كَانَ كَلَامُهُ هَؤُلَاءِ
عَلَى هَذَا الْحَدِّ، وَبَلَاغَتُهُمْ عَلَى هَذَا التَّمَطِّ، وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِمْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ،
اسْتِعْمَلَهَا مَعَهُمْ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَلِيُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُونَ.

(1) (قوله: وَلَا تَوْصِيمٌ)، بفتح المشناة الفوقية وسكون الواو وكسر الصاد المهملة.
قال الهروي: «يقول⁽¹⁾»: لَا تَفْتَرُوا فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ، وَلَا تُحَابُوا فِيهِ، وَالْوَصْمُ:
الْكَسْلُ وَالتَّوَانِي⁽²⁾».

(2) (قوله: وَلَا غُمَّةٌ)، بضم الغين المعجمة وتشديد⁽³⁾ الميم.
قال ابن الأثير: «لَا تُسْتَرُّ وَلَا تُخْفَى فَرَائِضُهُ»⁽⁴⁾.

(3) (قوله: يَتَرَفَّلُ)، بتشديد الفاء المفتوحة.
قال ابن الأثير: «أَيُّ يَتَسَوَّدُ وَيَتَرَأْسُ، اسْتِعَارَةٌ مِنْ تَرْفِيلِ الثُّوبِ وَهُوَ إِسْبَاغُهُ
وَإِسْبَالُهُ»⁽⁵⁾.

(4) (قوله: أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِهِ لِأَنْسٍ)، قيل: لم يكتب ﷺ إلى أنس، وإنما أبو بكر
هو الذي كتب إليه.

وأجيب: بأن الدارقطني ذكر بإسناد صحيح رواية أنس لهذا الحديث عن النبي
ﷺ⁽⁶⁾، وذكر أبو داود عن ابن عمر «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ كِتَابَ الصَّدَقَةِ وَلَمْ
يُخْرِجْهُ، فَعَمِلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عَمَرُ»⁽⁷⁾.

(1) في (ز) يقول النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) الغريين (2007/6) مادة: وصم.

(3) نهاية اللوحة (15/و).

(4) النهاية في غريب الحديث (388/3) مادة: غمم.

(5) النهاية في غريب الحديث (247/2) مادة: رفل.

(6) رواه الدارقطني (1985).

(7) صحيح. رواه أبو داود (1568).

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ: «فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِيطَةُ⁽¹⁾،
وَالْيَدَ السُّفْلَى هِيَ الْمُنْطَاةُ».

قَالَ: «فَكَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلُغْتَنَا».

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْعَامِرِيِّ حِينَ سَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «سَلْ عَنْكَ»،
أَيَّ سَلْ عَمَّا شِئْتَ، وَهِيَ لُغَةٌ بَنِي عَامِرٍ.

(1) (قوله: فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِيطَةُ)، في الصحيحين عن ابن عُمرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ»⁽¹⁾، ورواه مالك وأبو داود والنسائي⁽²⁾.

قال أبو داود: «وقد اخْتَلَفَ على أيوب عن نافع في هذا الحديث، فقال عبد الوارث: «الْيَدُ الْعُلْيَا الْمُتَعَفِّفَةُ»، وقال أكثرهم عن حماد بن زَيْدٍ عن أيوب: «الْمُنْفِقَةُ»، وقال واقد عن حماد «الْمُتَعَفِّفَةُ»⁽³⁾.

قال الخطابي: «رواية المتعفف أشبه وأصح في المعنى، لأن ابن عمر ذكر أن رسول الله ﷺ ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها، فعطف الكلام على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه في معناه أولى، وقد يتوهم كثير من الناس أن معنى العليا أن يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ، يجعلونه من علو الشيء إلى فوق، وليس ذلك عندي بالوجه، وإنما هو من علَا المجد والكرم، يريد التعفف عن المسألة والترفع عنها»⁽⁴⁾، انتهى كلامه.

(1) متفق عليه. رواه البخاري (1429)، ومسلم (1033).

(2) رواه مالك (1834)، وأبو داود (1648)، والنسائي (2533).

(3) سنن أبي داود (122/2 رقم: 1648).

(4) معالم السنن (70/2).

وَأَمَّا كَلَامُهُ الْمُعْتَادُ، وَفَصَاحَتُهُ الْمَعْلُومَةُ، وَجَوَامِعُ كَلِمِهِ، وَحِكْمُهُ
الْمَأْثُورَةُ، فَقَدْ أَلَفَ النَّاسُ فِيهَا الدَّوَاوِينَ⁽¹⁾، وَجُمِعَتْ فِي أَلْفَاطِهَا وَمَعَانِيهَا
الْكُتُبُ.

وَمِنْهَا مَا لَا يُوَازَى⁽²⁾ فَصَاحَةً، وَلَا يُبَارَى بِلَاغَةً، كَقَوْلِهِ: «الْمُسْلِمُونَ
تَكَافَأُ⁽³⁾ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُ⁽⁴⁾ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ».

(1) (قوله: الدَّوَاوِينَ)، هو جمع ديوان، بكسر الدال المهملة وقد تفتح، فارسي
مُعَرَّب.

وفي الصحاح: «أصله دَوَّان، فُعُوضٌ عن إحدى الواوين ياء»⁽¹⁾.

وسبب تسميته ديواناً وجهان: أحدهما أن كسرى اطلع يوماً على كتاب ديوانه
فرآهم يحسبون مع أنفسهم⁽²⁾، فقال: دَوَّانَتْ، أي مجانين، ثم حذفت التاء
لكثرة الاستعمال، والثاني: أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين، فسمي
الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي والخفي.

(2) (قوله: يُوَازَى)، بضم المثناة التحتية وبالزاي المفتوحة، أي يماثل ويقابل.

(3) (قوله: تَكَافَأُ⁽³⁾)، أي تَتَكَافَأُ⁽⁴⁾، فحذف إحدى التائين، والمعنى يتساوى
ويتماثل في القصاص والديات.

(4) (قوله: وَهُمْ يَدُ)، أي جماعة.

(1) الصحاح (2115/5) مادة: دون.

(2) نهاية اللوحة (15/ظ).

(3) هذا اللفظ الذي أورده الشارح بناء على النسخة التي اعتمد عليها، وقد نبه الملا علي القاري
في شرح الشفا (195/1) على اختلاف النسخ حيث قال: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ، بالهمز في آخره،
وفي نسخة بحذف إحدى التائين».

(4) في (ز) تكافأ أصله تتكافأ.

وَقَوْلِهِ: «النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»⁽¹⁾.

و «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

و «لَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا تَرَى لَهُ».

و «النَّاسُ مَعَادِنٌ».

و «مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ».

و «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ، وَهُوَ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ».

و «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ».

وَقَوْلُهُ: «أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ».

و «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ»⁽²⁾
أَخْلَاقًا، الْمُوْطُؤُونَ أَكْنَافًا⁽³⁾، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ».

وَقَوْلُهُ: «لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَبْخُلُ بِمَا لَا يُعْنِيهِ».

وَقَوْلُهُ: «ذُو الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا».

(1) (قوله: كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ)، هو بضم الميم وكسرهما وسكون الشين المعجمة.

(2) (قوله: أَحَاسِنُكُمْ)، جمع أحسن.

(3) (قوله: الْمُوْطُؤُونَ أَكْنَافًا)، بضم الميم وفتح الواو والطاء المشددة المهملة وبالهزمة المضمومة، اسم مفعول من التوطئة والتمهيد.

والأَكْنَافُ: بالنون بعد الكاف، الجوانب، أراد الذين جوانبهم وطبقة يتمكن من صاحبها ولا يتأذى.

وَنَهَيْهُ عَنْ «قِيلَ وَقَالَ»⁽¹⁾، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ⁽²⁾، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ⁽³⁾، وَمَنْعِ وَهَاتِ⁽⁴⁾، وَعُقُوقِ الْأُمّهَاتِ⁽⁵⁾ وَوَادِ الْبَنَاتِ⁽⁶⁾».

(1) (قوله: نَهَيْهُ عَنْ قِيلَ وَقَالَ)، أي ما يتحدث به المتجالسون، من قولهم: قيل كذا، وقال كذا، ويجوز بناؤهما على أنهما فعلان ماضيان مستتر في كل منهما ضمير، وإعرابهما على إجرائهما مجرى الأسماء ولا ضمير فيهما.

وقال أبو عبيد: «هما مصدران، يقال: قُلْتُ قَوْلًا وَقَالَا وَقِيْلًا»⁽¹⁾.

وقيل: المراد النهي عن كثرة الكلام ابتداء وجوابا، وقيل: المراد به حكاية أقوال الناس والتحدث عما لا يَجْدِي خيرا، قال ذلك كله ابن الأثير⁽²⁾.

(2) (قوله: وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ)، قيل أراد مسألة الناس أموالهم، وقيل: كثرة البحث عن أخبار الناس وما لا يعني، وقيل: كثرة سؤال النبي ﷺ عما لم ينزل ولم يؤذن فيه.

(3) (قوله: وَإِضَاعَةُ الْمَالِ)، هو إنفاقه فيما حرم الله، وقيل: ترك القيام عليه وإهماله، وقيل: دفع مال السفية إليه.

(4) (قوله: وَمَنْعِ وَهَاتِ)، أي منع ما عليه إعطاؤه، وطلب ما ليس له.

(5) (قوله: وَعُقُوقِ الْأُمّهَاتِ)، يقال: عق والده يعقه عقوقا، إذا آذاه وعصاه، وأصله الشق والقطع، وإنما خص الأمهات لأن عقوقهن أقبح من عقوق الآباء.

(6) (قوله: وَوَادِ الْبَنَاتِ)، هو بهمزة ساكنة بعد واو مفتوحة، دفنهن حيات غَيْرَةٍ⁽³⁾ وَأَنْفَةً وتخفيفا لمؤنثهن.

(1) الغريبن (1593/5) مادة: قول.

(2) النهاية في غريب الحديث (122/4) مادة: قول.

(3) نهاية اللوحة (16/و).

وَقَوْلُهُ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

و «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا».

وَقَوْلُهُ: «أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا⁽¹⁾، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِضَتِكَ يَوْمًا مَا».

وَقَوْلُهُ: «الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَوْلُهُ فِي بَعْضِ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ⁽²⁾، تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتُلَمُّ⁽³⁾ بِهَا شَعْيِي⁽⁴⁾، وَتُضْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُرَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ، وَنُزْلَ الشُّهَدَاءِ⁽⁵⁾، وَعَيْشَ السُّعْدَاءِ، وَالنَّصَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ».

(1) (قوله: هَوْنًا مَا)، أي حبا قليلا، والهون في الأصل السكينة، ومصدر هان بمعنى خف.

(2) (قوله: أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ)، قيل: الأشياء كلها من عند الله، فما معنى التقييد بقوله: «من عندك»؟

وأجيب: بأن معناه رحمة لا في مقابلة عمل عملته.

(3) (قوله: تُلَمُّ)، بفتح المثناة الفوقية وضم اللام.

(4) (قوله⁽¹⁾: شَعْيِي) بفتح الشين المعجمة والعين المهملة وكسر المثناة، أي تجمع ما تفرق من أمري.

(5) (قوله: وَنُزْلَ الشُّهَدَاءِ)، النُّزْلُ: بضم النون والزي، ما يُهَيَّأُ للضيف.

(1) [قوله] ساقط من (أ).

إِلَى مَا رَوَتْهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ⁽¹⁾ مِنْ مَقَامَاتِهِ، وَمُحَاضَرَاتِهِ، وَخُطْبِهِ، وَأَدْعِيَّتِهِ، وَمُخَاطَبَاتِهِ، وَعُهُودِهِ، مِمَّا لَا خِلَافَ أَنَّهُ نَزَلَ مِنْ ذَلِكَ مَرْتَبَةً لَا يُقَاسُ بِهَا غَيْرُهُ، وَحَازَ فِيهَا سَبْقًا⁽²⁾ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ.

وَقَدْ جُمِعَتْ مِنْ كَلِمَاتِهِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا، وَلَا قَدَرَ أَحَدٌ أَنْ يُفْرَغَ فِي قَالِبِهِ⁽³⁾ عَلَيْهَا؛ كَقَوْلِهِ: «حَمِي الْوَطِيسُ»⁽⁴⁾؛ وَ «مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ»⁽⁵⁾.

(1) (قوله: الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَةِ)، في الصحاح: «الكافة جَمْعُ من الناس، يقال: لَقَيْتَهُمْ كَافَةً، أَي جَمِيعُهُمْ»⁽¹⁾، انتهى.

وعن سيويوه: أن التعريف في كافة لا يجوز، وإنما يُستعمل مُنْكَرًا منصوبًا على الحال كقاطبة.

(2) (قوله: سَبْقًا)، بفتح السين المهملة وسكون الموحدة، مصدر سبق سبق يسبق وبفتحهما، المال الذي يُؤْخَذُ رهنا على المسابقة.

(3) (قوله: فِي قَالِبِهِ)، بفتح اللام وكسرهما، والفتح أكثر.

(4) (قوله: الْوَطِيسُ)، بواو مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة، اسم لشيء يشبه التنور⁽²⁾، وقيل: الضراب في الحرب، وقيل: الوطيس الذي يطس الناس، أي يدقهم، وقال الأصمعي: حِجَارَةٌ مُدَوَّرَةٌ إِذَا حَمَيْتْ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَطْرُهَا.

(5) (قوله: وَمَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ)، أي من غير قتل ولا ضرب.

قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ قَالَ السَّمُوعِلُ فِي قَصِيدَةٍ لَامِيَةِ اخْتَارَهَا أَبُو تَمَامٍ فِي حِمَاسَتِهِ⁽³⁾:

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

وأجيب: بأن القصيدة المذكورة اختلف في قائلها، فقليل: السموءل، وقيل: عبد الملك الحارثي وهو إسلامي.

(1) الصحاح (1422/4) مادة: كفف.

(2) في (ز) اسم شيء يشبه التنور.

(3) انظر شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي الأصفهاني (ص: 87).

وَ «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ»؛ وَ «السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ».
وَفِي أَخَوَاتِهَا مَا يُدْرِكُ النَّاطِرُ الْعَجَبَ فِي مُضَمَّنِهَا، وَيَذْهَبُ بِهِ الْفِكْرُ فِي
أَدَانِي حِكْمِهَا.

وَقَدْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْكَ، فَقَالَ: «وَمَا
يَمْنَعُنِي؟ وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي، لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ».
وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بَيِّدٌ⁽¹⁾ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي
بَنِي سَعْدٍ».

فَجُمِعَ لَهُ بِذَلِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةُ عَارِضَةِ الْبَادِيَةِ وَجَزَالَتُهَا، وَنَصَاعَةُ أَلْفَاظِ
الْحَاضِرَةِ وَرَوْنُوكُ كَلَامِهَا، إِلَى التَّايِيدِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي مَدَّدَهُ الْوَحْيُ الَّذِي لَا يُحِيطُ
بِعِلْمِهِ بِشَرِيٍّ.

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبِدٍ فِي وَصْفِهَا لَهُ: «حُلُوُ الْمَنْطِقِ، فَضْلٌ⁽²⁾، لَا نَزْرٌ⁽³⁾، وَلَا
هَذْرٌ⁽⁴⁾، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نَظْمُنْ، وَكَأَنَّ جَهِيرَ الصَّوْتِ، حَسَنَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(1) (قوله: بَيِّدٌ)، بالموحدة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والذال المهملة.

قال ابن مالك⁽¹⁾ وغيره: بمعنى غير، على حد قوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقال ابن هشام في الْمُغْنِي: «هي هنا بمعنى من أجل»⁽²⁾.

(2) (قوله: فَضْلٌ)، بالفاء المفتوحة والصاد الساكنة المهملة.

(3) (قوله: لَا نَزْرٌ)، بفتح النون وسكون الزاي بعدها راء، أي لا قليل، فيدل
على عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ.

(4) (قوله: وَلَا هَذْرٌ)، بإسكان الذال المعجمة وبعدها راء، مصدر هَذَرَ، إِذَا كَثُرَ
كَلَامُهُ⁽⁴⁾.

(1) انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك (927/2).

(2) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ص: 155).

(3) نهاية اللوحة (16/ظ).

(4) في (ز) إِذَا أَكْثَرَ فِي كَلَامِهِ.

فصل

[فِي شَرَفِ نَسَبِهِ ﷺ وَكَرَمِ بَلَدِهِ وَمَنْشَأِهِ]

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَأُهُ فَمِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ، وَلَا بَيَانِ مُشْكِلٍ، وَلَا خَفِيِّ مِنْهُ.

فَإِنَّهُ نُحْبَةُ⁽¹⁾ بَنِي هَاشِمٍ، وَسُلَالَةُ قُرَيْشٍ⁽²⁾ وَصَمِيمُهَا، وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ وَأَعَزُّهُمْ نَفَرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى عِبَادِهِ.

حَدَّثَنَا قَاضِي الْقُضَاةِ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ⁽³⁾ وَأَبُو إِسْحَاقَ⁽⁴⁾ وَأَبُو الْهَيْثَمِ⁽⁵⁾ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا

فصل وأما شرف نسبه

(1) (قوله: نُحْبَةُ)، النُّحْبَةُ: بضم النون وسكون الخاء المعجمة بعدها موحدة، الخيارُ.

(2) (قوله: سُلَالَةُ قُرَيْشٍ)، سُلَالَةُ الشيء ما استل منه.

(3) (قوله: السَّرْحَسِيُّ)، هو الحموي، وقد تقدم.

(4) (قوله: وَأَبُو إِسْحَاقَ)، هو إبراهيم بن أحمد المُسْتَمْلِيُّ.

(5) (قوله: وَأَبُو الْهَيْثَمِ)، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِيِّ بْنِ زَارِعِ الكَشْمَهِينِي بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة من تحت وفتح الهاء بعدها نون وياء للنسبة إلى قرية من قرى مرو القديمة وقد خربت.

يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرٍو⁽¹⁾، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ⁽²⁾، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ⁽³⁾، قَرْنًا فَقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ فِي الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ».

وَعَنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ، وَمِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا».

وَعَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ⁽⁴⁾ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(1) (قوله: عَنْ عَمْرٍو)، وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب، يروي عن أنس وعكرمة.

(2) (قوله: عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ)، هو سعيد ابن أبي سعيد المقبري، واسم أبي سعيد كيسان، وكنية سعيد أبو سعيد، روى عن أبي هريرة، وعائشة وخلق، وروى عنه الليث يعني ابن سعد، ومالك، وخلق.

(3) (قوله: مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ)، القرن أهل كل زمان، وقيل، أربعون سنة، وقيل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، وقيل: مائة وعشرون.

(4) (قوله: وَعَنْ وَائِلَةَ)، بمثلثة مكسورة.

ابنِ الْأَسْقَعِ: بسين مهملة ساكنة وقاف مفتوحة وعين مهملة.

وَفِي حَدِيثٍ عَنِ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ خَلْقَهُ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ بَيْنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ بَيْنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ رُوحُهُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِالْفَنِيِّ عَامٍ، يُسَبِّحُ ذَلِكَ الثُّورُ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَلْقَى ذَلِكَ الثُّورَ فِي صُلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَهْبَطَنِي اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ، وَقَذَفَ بِي فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ، وَالْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ أَبَوَيْ، لَمْ يَلْتَقِ عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ».

وَيَشْهَدُ بِصَحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ شِعْرُ الْعَبَّاسِ⁽²⁾ الْمَشْهُورُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ.

(1) (قوله: رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾)، هو الحافظ محمد بن جرير، أحد الأعلام، توفي سنة عشر وثلاثمائة.

(2) (قوله: شِعْرُ الْعَبَّاسِ)، المشهور هو:

مِنْ قَبْلِهَا طُبَّتْ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصِّفُ الْوَرَقَ
وسياتي تمامه في كلام المصنف إن شاء الله تعالى⁽²⁾.

(1) كذا أورده الشارح تبعاً لما هو موجود في نسخة الشفا، ولعل الصواب الطبراني، لأن الحديث غير موجود في تاريخ الطبري ولا في تفسيره، ورواه الطبراني في معجمه الكبير (455/12) رقم: 13650 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(2) [طبت في الظلال..... إن شاء الله تعالى] ساقط من (ز).

فَصْلٌ

[فِي حَالَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَا تَدْعُو ضَرُورَةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ]

وَأَمَّا مَا تَدْعُو ضَرُورَةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ، مِمَّا فَصَّلْنَاهُ فَعَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ:
ضَرْبُ الْفَضْلِ فِي قِلَّتِهِ، وَضَرْبُ الْفَضْلِ فِي كَثْرَتِهِ، وَضَرْبُ تَخْتَلِفُ
الْأَحْوَالِ فِيهِ.

فَأَمَّا مَا التَّمَدُّحُ وَالْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ اتِّفَاقًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، عَادَةً وَشَرِيعَةً،
كَالْغِذَاءِ⁽¹⁾، وَالنَّوْمِ، وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ وَالْحُكَمَاءُ تَتَمَادَحُ بِقِلَّتَيْهِمَا، وَتَذُمُّ
بِكَثْرَتَيْهِمَا، لِأَنَّ كَثْرَةَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ دَلِيلٌ عَلَى النَّهَمِ⁽²⁾ وَالْحِرْصِ وَالشَّرِّهِ⁽³⁾
وَعِلْبَةِ الشَّهْوَةِ، مُسَبِّبٌ⁽⁴⁾ لِمَضَارِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، جَالِبٌ لِأَذْوَاءِ الْجَسَدِ،

فصل وأما ما تدعو الضرورة إليه

(1) (قوله: كَالْغِذَاءِ)، بكسر الغين وبالذال المعجمتين، ما يُغْتَذَى بِهِ مِنَ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ.

وَأَمَّا الْغَدَاءُ بفتح الغين المعجمة وبالذال المهملة هو الطَّعَامُ بَعَيْنِهِ، وَهُوَ
خِلَافُ الْعِشَاءِ.

(2) (قوله: النَّهَمُ)، بفتح النون والهاء، هو إفراط الشهوة في الطَّعَامِ.

(3) (قوله: وَالشَّرِّهِ)، بفتح الشين المعجمة والراء، هو غلبة الحرص.

(4) (قوله: مُسَبِّبٌ)، بكسر الموحدة الأولى.

وَحَثَارَةُ النَّفْسِ⁽¹⁾، وَافْتِلَاءُ الدِّمَاغِ.

وَقَلَّتُهُ دَلِيلٌ عَلَى الْقَنَاعَةِ، وَمِلْكُ النَّفْسِ⁽²⁾، وَقَمْعُ الشَّهْوَةِ، مُسَبِّبٌ لِلصِّحَّةِ وَصَفَاءِ الْخَاطِرِ وَحِدَّةِ الذِّهْنِ.

كَمَا أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى الْفُسُولَةِ⁽³⁾ وَالضَّعْفِ، وَعَدَمُ الذِّكَاةِ وَالْفُطْنَةِ، مُسَبِّبٌ لِلْكَسَلِ وَعَادَةُ الْعَجْزِ، وَتَضْيِيعُ الْعُمْرِ فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَمَوْتِهِ.

وَالشَّاهِدُ عَلَى هَذَا مَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشَاهَدَةً، وَيُنْقَلُ مُتَوَاتِرًا مِنْ كَلَامِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَالْحُكَمَاءِ السَّالِفِينَ، وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا، وَصَحِيحِ الْحَدِيثِ، وَأَثَارِ مَنْ سَلَفَ وَخَلَفَ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ هُنَا اخْتِصَارًا، وَاقْتِصَارًا عَلَى اشْتِهَارِ الْعِلْمِ بِهِ.

(1) (قوله: وَحَثَارَةُ النَّفْسِ⁽¹⁾)، بخاء معجمة وثاء مثلثة مخففة وراء.

في الصحاح: «خَثَرْتُ نَفْسَهُ بِالْفَتْحِ، أَيِ اخْتَلَطْتُ، وَقَوْمٌ خَثَرِي الْأَنْفُسِ وَخُثْرَاءُ الْأَنْفُسِ، أَيِ مُخْتَلِطُونَ»⁽²⁾.

وقال ابن الأثير: «(في حديث «أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَائِرَ النَّفْسِ»)، أَيِ ثَقِيلِ النَّفْسِ⁽⁴⁾ غَيْرِ طَيِّبٍ وَلَا نَشِيطٍ»⁽⁵⁾.

(2) (قوله: وَمِلْكُ النَّفْسِ)، بكسر الميم.

(3) (قوله: عَلَى الْفُسُولَةِ)، بضم الفاء والسين المهملة، يقال: فَسَلَ بِالضَّمِّ فَسَالَةً وَفُسُولَةً فَهُوَ فَسَلٌ، أَيِ رَذُلٌ.

(1) نهاية اللوحة (17/و).

(2) الصحاح (642/2) مادة: خثر.

(3) في (ج) أصبح النبي.

(4) [أي ثَقِيلِ النَّفْسِ] ساقط من (ز).

(5) النهاية في غريب الحديث (11/2) مادة: خثر.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخَذَ مِنْ هَذَيْنِ الْفَنَيْنِ بِالْأَقْلِ، هَذَا مَا لَا يُدْفَعُ مِنْ سِيرَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ، لَا سِيَّمَا بِارْتِبَاطِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدْفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْأَصْفَهَانِيُّ⁽¹⁾ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، أَنَّ يَحْيَى بْنَ جَابِرٍ حَدَّثَهُ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي يُكْرَبُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ⁽²⁾ يُقِمْنَ ضُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتُلُتْ لِطْعَامِهِ، وَتُلُتْ لِشَرَابِهِ، وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ».

وَلِأَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «بِقِلَّةِ الطَّعَامِ يُمْلِكُ سَهْرُ اللَّيْلِ».

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا، فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا، فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا، فَتَحْسَرُوا كَثِيرًا».

(1) (قوله: أَبُو الْفَضْلِ الْأَصْفَهَانِيُّ)، هو ابن خيرون وقد تقدم.

قال القاضي عياض: «قال أَبُو عُبَيْدٍ: إصْبَهَانُ بِكسر الهمزة، وقال بعضهم بفتحها، وأهل خراسان يقولون بالفاء مكان الباء»⁽¹⁾.

وقال الكاشغري في كتاب مجمع الغرائب: «كسر الهمزة هو الصحيح، بالباء كان أو بالفاء».

قال المِزِّي: «المعروف فتح الهمزة والباء مفتوحة لا غير، وقد تبدل بالفاء».

(2) (قوله: أَكْلَاتُ)، بضم الهمزة والكاف وفتح اللام، جمع أَكَلَةٍ بضم الهمزة وسكون الكاف، وهي اللقمة، وأما الْأَكَلَةُ بفتح الهمزة وسكون الكاف، فالمرة من الأكل.

(1) مشارق الأنوار (58/1).

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى صَفَفٍ⁽¹⁾»،
أَي كَثْرَةِ الْأَيْدِي.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبْعًا قَطُّ».
وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَتَشَهَّاهُ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ، وَمَا
أَطْعَمُوهُ قَبَلَ، وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ.

وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ بَرِيرَةَ⁽²⁾ وَقَوْلِهِ: «أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ».
إِذْ لَعَلَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ ظَنُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِقَادَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ، فَأَرَادَ بَيَانَ سُتْتِهِ،
إِذْ رَأَوْهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْهِ بِهِ، فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ
ظَنُّهُ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ مَا جَهَلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِقَوْلِهِ: «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ، وَلَنَا هَدِيَّةٌ».
وَفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ⁽³⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا بُنَيَّ، إِذَا امْتَلَأَتِ الْمِعْدَةُ⁽⁴⁾ نَامَتِ
الْفِكْرَةُ، وَخَرَسَتِ الْحِكْمَةُ، وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ».

(1) (قوله: عَلَى صَفَفٍ)، بضاد معجمة وفاء مفتوحة بعدهما فاء أخرى، فَسَّرَهُ
القاضي بكثرة الأيدي، وهو قول الخليل⁽¹⁾، وفسره أبو زيد بالضيق والشدة.
قال الأصمعي: «أَنْ تَكُونَ الْأَكْلَةُ أَكْثَرَ مِنَ الطَّعَامِ».

(2) (قوله: بَرِيرَةَ)، بفتح الموحدة وكسر الراء الأولى، هي مولاة عائشة، وهي بنت
صفوان، كذا نسبها النووي⁽²⁾، قال بعضهم قبطية، وقال الذهبي حبشية.

(3) (قوله: لُقْمَانَ)، قال الثعلبي في تفسيره: «كَانَ لُقْمَانُ مَمْلُوكًا، وَكَانَ أَهْوَنُ
مَمْلُوكِي سَيِّدِهِ عَلَيْهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَارًا»⁽³⁾.

واسم ابنه أنعم، وقيل: ماثان، وقيل: مشكور.

(4) (قوله: الْمِعْدَةُ)، بكسر العين المهملة مع فتح الميم، ويأسكان العين المهملة
مع فتح الميم وكسرها وبكسرها.

(1) في كتاب العين (12/7) مادة: ضفف.

(2) تهذيب الأسماء واللغات (332/2).

(3) انظر تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (313/7).

وَقَالَ سُخْنُونُ: «لَا يَضْلُحُ الْعِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ».

وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: «أَمَّا أَنَا فَلَا أَكُلُ مُتَكِنًا».

وَالِاتِّكَاءُ: هُوَ التَّمَكُّنُ لِلْأَكْلِ، وَالتَّقَعُّدُ فِي الْجُلُوسِ لَهُ كَالْمُتَرَبِّعِ وَشَبْهِهِ، مِنْ تَمَكَّنَ الْجُلُوسَاتِ، الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ، وَالْجَالِسُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ يَسْتَدْعِي الْأَكْلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ جُلُوسُهُ لِلْأَكْلِ جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِرِ مُقْعِيًا⁽¹⁾، وَيَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي الْإِتِّكَاءِ الْمَيْلُ عَلَى شِقِّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ.

وَكَذَلِكَ نَوْمُهُ ﷺ كَانَ قَلِيلًا، شَهِدَتْ بِذَلِكَ الْأَثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي».

وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ اسْتَظْهَارًا عَلَى قَلَّةِ النَّوْمِ، لِأَنَّهُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ أَهْنًا، لِهَدْوِ الْقَلْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ حِينَئِذٍ لِمَيْلِهَا إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، فَيَسْتَدْعِي ذَلِكَ الْاسْتِثْقَالَ فِيهِ وَالطُّوْلَ، وَإِذَا نَامَ النَّائِمُ عَلَى الْأَيْمَنِ تَعَلَّقَ الْقَلْبُ وَقَلِقَ، فَأَسْرَعَ الْإِفَاقَةُ، وَلَمْ يَغْمُرْهُ⁽²⁾ الْاسْتِعْرَاقُ.

(1) (قوله: مُقْعِيًا)، قال الهروي: «قال ابن شَمِيلٍ: الإِقْعَاءُ: أَنْ يَجْلِسَ عَلَى وَرْكَائِهِ، وَهُوَ الْإِحْتِفَازُ وَالِاسْتِيفَازُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: لَمْ يَغْمُرْهُ)، بالغين المعجمة وضم الميم⁽²⁾ وسكون الراء، من غمره الماء إذا علاه.

(1) الغريبين (1569/5) مادة: قعى.

(2) نهاية اللوحة (17/ظ).

فَصْلٌ

[فِي زَوَاجِهِ ﷺ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ]

وَالضَّرْبُ الثَّانِي مَا يَتَّفِقُ التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِهِ، وَالْفَخْرُ بِوُفُورِهِ، كَالنِّكَاحِ وَالْعَاجِ.

أَمَّا النِّكَاحُ فَمُتَّفَقٌ فِيهِ شَرْعًا وَعَادَةً، فَإِنَّهُ دَلِيلُ الْكَمَالِ وَصِحَّةِ الذُّكُورِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلِ التَّفَاخُرُ بِكَثْرَتِهِ عَادَةً مَعْرُوفَةً، وَالتَّمَادُّحُ بِهِ سِيرَةً مَاضِيَةً. وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَسُنَّةٌ مَأْثُورَةٌ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»، مَشِيرًا إِلَيْهِ ﷺ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «تَنَاجَحُوا تَنَاسَلُوا، فَإِنِّي مُبَاهٍ⁽¹⁾ بِكُمْ الْأُمَمَ».

وَنَهَى عَنِ التَّبْتُلِ⁽²⁾، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ، وَغَضِّ الْبَصَرِ، اللَّذِينَ نَبَّهَ عَلَيْهِمَا ﷺ بِقَوْلِهِ: «مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ⁽³⁾ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»، حَتَّى لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ فِي الزُّهْدِ.

فصل والضرب الثاني

(1) (قوله: فَإِنِّي مُبَاهٍ)، الذي في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه «إِنِّي مكاثِر بِكُمْ الْأُمَمَ».

(2) (قوله: عَنِ التَّبْتُلِ)، هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح، وامرأة بتول منقطعة عن الرجال، وبه سميت أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسميت فاطمة بنت محمد ﷺ الْبَتُولُ⁽¹⁾ لانقطاعها عن النساء فضلا ودينا وحسبا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا.

(3) (قوله: مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ)، الطول بفتح الطاء المهملة وإسكان الواو، الفضل والمقدرة.

(1) [البتول] ساقط من (أ).

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «قَدْ حُبِّنَ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِنَّ؟». وَلَا بَيْنَ عُيَيْنِهِ نَحْوُهُ.

وَقَدْ كَانَ زُهَادُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَثِيرِي الرُّوَجَاتِ وَالسَّرَارِي، كَثِيرِي النِّكَاحِ.

وَحُكِّيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ، وَالْحَسَنِ، وَابْنِ عُمَرَ، وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ. وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا⁽¹⁾.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَهَذَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا⁽²⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْعَجْزِ عَمَّا تَعُدُّهُ فَضِيلَةً؟

وَهَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَتَّلَ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَوْ كَانَ كَمَا قَرَّرْتَهُ لَنَكَحَ. فَاعْلَمْ: أَنَّ ثَنَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى يَحْيَى بِأَنَّهُ حَصُورٌ⁽³⁾، لَيْسَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ كَانَ هَيُوبًا⁽⁴⁾، أَوْ لَا ذَكَرَ لَهُ، بَلْ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا خُذَّاقُ الْمُفَسِّرِينَ

(1) قوله: عَزَبًا، بفتح المهملة والزاي، مِنْ لَا أَهْلَ لَهُ، كَذَا فِي الْقَامُوسِ⁽¹⁾.

(2) قوله: يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، هُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(3) قوله: حَصُورٌ، الْحَصُورُ الَّذِي يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَمَّا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ، وَقِيلَ: عَنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، «فَعُولٌ» بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَمَا يُقَالُ: نَاقَةُ حُلُوبٍ.

(4) قوله: أَنَّهُ كَانَ هَيُوبًا، الْهَيُوبُ: بِفَتْحِ الْهَاءِ وَضَمِّ الْمِثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ، الَّذِي يَهَابُ الْفِعْلَ الْمَعْرُوفَ.

فِي الصَّحَاحِ: «وَفِي الْحَدِيثِ «الْإِيمَانُ هَيُوبٌ»⁽²⁾، أَيِ صَاحِبِهِ يَهَابُ الْمَعَاصِي»⁽³⁾.

(1) الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (ص: 114) مَادَّةُ: الْعَزَبُ.

(2) رَوَاهُ ابْنُ بَطَّةٍ فِي الْإِبَانَةِ (865) مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ (272/3) مِنْ قَوْلِ التَّابِعِيِّ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ.

(3) الصَّحَاحُ (239/1) مَادَّةُ: هَيْبٌ.

وَنُقَادُ الْعُلَمَاءِ، وَقَالُوا هَذِهِ نَقِیْصَةٌ وَعَیْبٌ، وَلَا تَلِیْقُ بِالْأَنْبِیَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ، أَيْ لَا يَأْتِيهَا، كَأَنَّهُ حُصِرَ عَنْهَا.

وَقِيلَ: مَانَعًا نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

وَقِيلَ: لَيْسَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فِي النَّسَاءِ.

فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ هَذَا، أَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى النِّكَاحِ نَقْصٌ.

وَإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي كَوْنِهَا مَوْجُودَةً ثُمَّ قَمْعُهَا، إِمَّا بِمُجَاهَدَةٍ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ بِكِفَايَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَيَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ لِكَوْنِهَا مُشْغَلَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، حَاطَّةٌ⁽¹⁾ إِلَى الدُّنْيَا.

ثُمَّ هِيَ فِي حَقِّ مَنْ أَقْدَرَ عَلَيْهَا وَمَلَكَهَا، وَقَامَ بِالْوَاجِبِ فِيهَا وَلَمْ تَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ دَرَجَةً عَلِيَاءَ، وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِيِّنَا ﷺ، الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ⁽²⁾ كَثَرَتُهُنَّ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ عِبَادَةً لِتَحْصِينِهِنَّ، وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهِنَّ، وَاكْتِسَابِهِ لَهُنَّ، وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُنَّ.

بَلْ صَرَّحَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَاهُ هُوَ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَا غَيْرِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ».

فَدَلَّ أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذَكَرَ مِنَ النَّسَاءِ وَالطِّيبِ، اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أَمْرِ دُنْيَا غَيْرِهِ، وَاسْتِعْمَالِهِ لِذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ، بَلْ لِأَخْرَجَتِهِ، لِلْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي التَّرْوِيجِ، وَلِللِقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطِّيبِ، وَلِأَنَّهُ أَيْضًا مِمَّا يَحُضُّ عَلَى الْجَمَاعِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَيُحَرِّكُ أَسْبَابَهُ.

(1) (قوله: حَاطَّةٌ)، بالحاء والطاء المشددة المهملتين.

(2) (قوله: وَلَمْ يَشْغَلْهُ)، بفتح المثناة التحتية في أوله.

وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَضْلَتَيْنِ لِأَجْلِ غَيْرِهِ، وَقَمَعَ شَهْوَتَهُ، وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مُشَاهَدَةِ جَبْرُوتِ مَوْلَاهُ، وَمُنَاجَاتِهِ، وَلِذَلِكَ مَيَّزَ بَيْنَ الْحُبِّينِ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ، فَقَالَ: «وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

فَقَدْ سَاوَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي كِفَايَةِ فَتْنَتِهِنَّ، وَزَادَ فَضِيلَةَ بِالْقِيَامِ بِهِنَّ.
وَكَانَ ﷺ مِمَّنْ أُقْدِرَ⁽¹⁾ عَلَى الْقُوَّةِ فِي هَذَا، وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ، وَلِهَذَا أُبَيِّحُ لَهُ مِنْ عَدَدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَيِّحْ لِغَيْرِهِ.
وَقَدْ رَوَيْنَا⁽²⁾ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ ﷺ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ⁽³⁾».

(1) (قوله: أُقْدِرَ)، بضم الهمزة وكسر الدال.

(2) (قوله: وَقَدْ رَوَيْنَا)، قال المِزِّي: «يقال: رَوَيْنَا بفتح الراء والواو ورَوَيْنَا بضم الراء وكسر الواو المشددة».

(3) (قوله: وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ)، هكذا في صحيح البخاري عن أنس⁽¹⁾، وفيه أيضا عنه تسع نسوة، وُجِّعَ بينهما بأن أزواجه كن تسعا في هذا الوقت، وسريته مارية وريحانة على رواية من روى أن ريحانة كانت أمة، وروى بعضهم أنها كانت زوجة.
وقال ابن حبان: «حكى أنس هذا الفعل عنه في أول قدومه المدينة، حيث كانت تحته تسع نسوة⁽²⁾».

ولا نعلم أنه تزوج نساء كلهن في وقت واحد، ولا يستقيم هذا إلا في آخر أمره، حيث اجتمع عنده تسع⁽³⁾ نسوة وجاريتان، ولا نعلم أنه اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة بالتزويج، فإنه تزوج بإحدى عشر أولهن خديجة، ولم يتزوج عليها حتى مات⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (268).

(2) صحيح ابن حبان (10/4).

(3) نهاية اللوحة (18/و).

(4) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (378/1).

قَالَ أَنَسُ: وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ⁽¹⁾ رَجُلًا، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ.
وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ أَبِي رَافِعٍ⁽²⁾.
وَعَنْ طَاوُوسٍ⁽³⁾: «أُعْطِيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي
الْجَمَاعِ».

(1) (قوله: قَالَ أَنَسُ: وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ)، فِي الْحِلْيَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ عَنْ
مُجَاهِدٍ «أُعْطِيَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، كُلُّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽¹⁾، انْتَهَى.
وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ «أَنَّ رِجَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُوَّةُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِقُوَّةِ سَبْعِينَ رَجُلًا»،
وَصَحَّحَهُ⁽²⁾.
وَرَوَى «بِقُوَّةِ مِائَةِ رَجُلٍ»، وَقَالَ: صَحِيحٌ غَرِيبٌ⁽³⁾.

(2) (قوله: وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ أَبِي رَافِعٍ)، هُوَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽⁴⁾، قِيلَ: اسْمُهُ
إِبْرَاهِيمُ، وَقِيلَ: أَسْلَمُ، وَقِيلَ: ثَابِتٌ، وَقِيلَ: هَرَمُزٌ، وَقِيلَ: صَالِحٌ، كَانَ قِبْطِيًّا،
وَالَّذِي رَوَاهُ أَبُو رَافِعٍ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الطَّهَارَةِ وَالنِّسَائِيُّ فِي عَشْرَةِ النِّسَاءِ
«أَنَّهُ ﷺ⁽⁵⁾ طَافَ عَلَى نِسَائِهِ، يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وَعِنْدَ هَذِهِ»، الْحَدِيثُ⁽⁶⁾.
(3) (قوله: وَعَنْ طَاوُوسٍ)، هُوَ ابْنُ كَيْسَانَ الْيَمَانِيِّ، وَقِيلَ: اسْمُهُ ذُكْوَانٌ، فَلَقَّبَ
بِطَاوُوسٍ.

قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: «لَأَنَّهُ كَانَ طَاوُوسُ الْقُرَاءِ»⁽⁷⁾.

(1) لَمْ أَجِدْهُ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ، وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ كَمَا فِي بَغْيَةِ الْبَاحِثِ (977)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي
الطَّبَقَاتِ (282/1).

(2) كَذَا نَقَلَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ التِّرْمِذِيِّ، وَلَا وَجُودَ لَهُ عِنْدَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَغَالِبُ الظَّنِّ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ
حَدِيثِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي ثَوَابِ الشَّهِيدِ (1663) وَقَالَ:
حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، فَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ»،
فِيؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ يُعْطَى قُوَّةَ سَبْعِينَ رَجُلًا.

(3) حَسَنٌ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (2536).

(4) فِي (ز) مَوْلَى النَّبِيِّ.

(5) فِي (أ) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(6) حَسَنٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (219)، وَالنِّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (8986)، وَابْنُ مَاجَهَ (590).

(7) انْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ (358/13).

وَمِثْلُهُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ⁽¹⁾.

وَقَالَتْ سَلَمَى⁽²⁾ مَوْلَاتُهُ: «طَافَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةً عَلَى نِسَائِهِ التِّسْعِ، وَتَطَهَّرَ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْأُخْرَى، وَقَالَ: هَذَا أَطْيَبُ وَأَطْهَرُ».

وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ⁽³⁾: «لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ»، وَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ فِي ظَهْرِ سُلَيْمَانَ مَاءٌ مِائَةِ رَجُلٍ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُمِائَةِ امْرَأَةٍ، وَثَلَاثُمِائَةِ سَرِيَّةٍ⁽⁴⁾».

-
- (1) (قوله: صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ)، بضم السين المهملة وفتح اللام، إمام جليل.
- (2) (قوله: سَلَمَى)، بفتح السين المهملة بلا خلاف، هي خادمة رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وقيل: مولاة صفية عمته، وهي زوج أبي رافع وداية فاطمة الزهراء.
- (3) (قوله: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، كان أبوه داود عليه السلام، يشاوره في أموره مع صغر سنه.
- قال أهل التاريخ: كان عُمُرُ سُلَيْمَانَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَلَكَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَابْتَدَأَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ بَعْدَ ابْتِدَاءِ مَلِكِهِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ.
- يعني ابتداء تجديدده، لأن يعقوب هو الذي بناه، وبهذا - أعني بكون يعقوب هو الذي بناه - يتبين ما في الصحيحين من حديث أبي ذر قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا⁽²⁾».
- (4) (قوله: وَثَلَاثُمِائَةِ سَرِيَّةٍ)، في المستدرك للحاكم في ترجمة عيسى ابن مريم أن سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان له تسعمائة سرية.

(1) في (ز) خادمة النبي.

(2) متفق عليه. رواه البخاري (3366)، ومسلم (520).

(3) نهاية اللوحة (18/ظ).

وَحَكَى النَّقَّاشُ وَغَيْرُهُ: «سَبْعُمِائَةِ امْرَأَةٍ، وَثَلَاثُمِائَةِ سَرِيَّةٍ».

وَقَدْ كَانَ لِداوودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى زُهْدِهِ وَأَكْلِهِ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً، وَتَمَّتْ بِزَوْجِ أُورِيَاءَ⁽¹⁾ مِائَةٌ.

وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِجْمَةً﴾ [ص: 23].

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ: بِالسَّخَاءِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ».

وَأَمَّا الْجَاهُ فَمَحْمُودٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ عَادَةً، وَبِقَدْرِ جَاهِهِ عَظُمَتْ فِي الْقُلُوبِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: 45].

لَكِنَّ آفَاتِهِ كَثِيرَةٌ، فَهُوَ مُضِرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ لِعُقْبَى الْآخِرَةِ، فَلِذَلِكَ ذَمُّهُ مِنْ ذَمِّهِ وَمَدَحَ ضِدُّهُ.

وَوَرَدَ فِي الشَّرْعِ مَدْحُ الْخُمُولِ، وَذَمُّ الْعُلُوفِ فِي الْأَرْضِ.

وَكَانَ ﷺ قَدْ رَزَقَ مِنَ الْحِشْمَةِ، وَالْمَكَانَةِ فِي الْقُلُوبِ، وَالْعَظَمَةِ قَبْلَ الثُّبُوتِ، عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ⁽²⁾ وَبَعْدَهَا، وَهُمْ يُكْذِّبُونَهُ، وَيُؤْذُونَ أَصْحَابَهُ، وَيَقْصِدُونَ أَذَاهُ فِي نَفْسِهِ خَفِيَّةً، حَتَّى إِذَا وَاجَهُهُمْ أَعْظَمُوا أَمْرَهُ، وَقَضَوْا حَاجَتَهُ؛ وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ سَيَأْتِي بَعْضُهَا.

(1) (قوله: أُورِيَاءَ)، بهزمة مضمومة وواو ساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية ومدة.

(2) (قوله: عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ)، هي ما قبل مبعثه عليه السلام، سموا بذلك لكثرة جهالاتهم، كذا قال النووي⁽¹⁾.

(1) شرح صحيح مسلم (1/139).

وَقَدْ كَانَ يَبْهَتْ وَيَفْرُقُ⁽¹⁾ لِرُؤْيَيْهِ مَنْ لَمْ يَرَهُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ قَيْلَةَ⁽²⁾: أَنَّهَا
لَمَّا رَأَتْهُ أَرْعَدَتْ مِنَ الْفَرْقِ، فَقَالَ: «يَا مِسْكِينَةً، عَلَيْكَ السَّكِينَةُ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ: «أَنَّ رَجُلًا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَرْعَدَ⁽³⁾، فَقَالَ لَهُ:
«هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ...» الْحَدِيثُ.

فَأَمَّا عَظِيمُ قَدْرِهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَشَرِيفُ مَنْزِلَتِهِ بِالرَّسَالَةِ، وَإِنَافَةُ رُتْبَتِهِ⁽⁴⁾
بِالْإِضْطِفَاءِ وَالْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا، فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهَايَةِ، ثُمَّ هُوَ فِي الْآخِرَةِ سَيِّدٌ
وَلَدِ آدَمَ؛ وَعَلَى مَعْنَى هَذَا الْفَصْلِ نَظَمْنَا هَذَا الْقِسْمَ بِأَشْرِهِ.

-
- (1) (قوله: يَفْرُقُ)، بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء وفتح الراء، أي يفزع.
(2) (قوله: قَيْلَةَ)، بفتح القاف⁽¹⁾ وسكون المثناة التحتية، وهي قَيْلَةُ بنت مَخْرَمَةَ
العنبرية.

فِي الشَّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ «أَنَّهَا رَأَتْهُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَاعِدُ الْقُرْفُصَاءِ،
قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْعَدْتُ⁽²⁾ مِنْ الْفَرْقِ»⁽³⁾.

وَفِي الصَّحَابِيَّاتِ اثْنَتَانِ آخِرَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَسْمَى قَيْلَةَ، الْأُولَى قَيْلَةُ أُم
بَنِي أَنْمَارٍ، وَيُقَالُ: أُخْتُ بَنِي أَنْمَارٍ، وَالثَّانِيَةُ قَيْلَةُ الْخَزَاعِيَّةِ، أُم سَبَاعٍ.

- (3) (قوله: فَأَرْعَدَ)، بضم الهمزة وكسر العين، أي أخذته الرعدة.

(4) (قوله: وَإِنَافَةُ رُتْبَتِهِ)، الْإِنَافَةُ: بِكسر الهمزة، مصدر أَنَافَ عَلَى الشَّيْءِ أَشْرَفَ
عَلَيْهِ، وَأَنَافَتِ الدَّرَاهِمُ عَلَى الْمِائَةِ زَادَتْ.

□

(1) [وسكون الفاء وفتح..... بفتح القاف] ساقط من (ز).

(2) فِي (ز) فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَرْعَدَتْ.

(3) حَسَن. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (4847)، وَالبخاري فِي الْأَدَبِ (1178)، التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ (120)،

وَالْبَيْهَقِيُّ (5915).

فَصْلٌ

[فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ وَالْمَتَاعِ]

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّالِثُ، فَهُوَ مَا تَخْتَلِفُ الْحَالَاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ، وَالتَّفَاخُرِ بِسَبَبِهِ، وَالتَّفْضِيلِ لِأَجْلِهِ، كَكَثْرَةِ الْمَالِ، فَصَاحِبُهُ عَلَى الْجُمْلَةِ مُعْظَمٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ، لِاعْتِقَادِهَا تَوْضُلَهُ⁽¹⁾ بِهِ إِلَى حَاجَاتِهِ، وَتَمَكُّنِ أَعْرَاضِهِ بِسَبَبِهِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ فَضِيلَةً فِي نَفْسِهِ.

فَمَتَى كَانَ الْمَالُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَصَاحِبُهُ مُنْفَقًا لَهُ فِي مُهِمَّاتِهِ وَمُهِمَّاتٍ مِنْ اعْتِرَاضِهِ⁽²⁾ وَأَمَلُهُ، وَتَضَرُّفِهِ فِي مَوَاضِعِهِ، مُشْتَرِيًا بِهِ الْمَعَالِي وَالثَّنَاءَ الْحَسَنَ وَالْمَنْزِلَةَ مِنَ الْقُلُوبِ، كَانَ فَضِيلَةً فِي صَاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا.

وَإِذَا صَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ، وَأَنْفَقَهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ اللَّهَ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، كَانَ فَضِيلَةً عِنْدَ الْكُلِّ بِكُلِّ حَالٍ.

وَمَتَى كَانَ صَاحِبُهُ مُمْسِكًا لَهُ، غَيْرَ مُوجِّهِهِ وَجْوهَهُ، حَرِيصًا عَلَى جَمْعِهِ، عَادَ كُثْرُهُ⁽³⁾ كَالْعَدَمِ وَكَانَ مَنْقُصَةً⁽⁴⁾ فِي صَاحِبِهِ، وَلَمْ يَقِفْ بِهِ عَلَى جُدَدِ السَّلَامَةِ⁽⁵⁾، بَلْ أَوْقَعَهُ فِي هَوَا⁽⁶⁾ رَذِيلَةِ الْبُحْلِ، وَمَذْمَةِ النَّذَالَةِ.

فصل وأما الضرب الثالث

- (1) (قوله: تَوْضُلُهُ)، بفتح أوله وثانيه وتشديد الصاد المهملة المضمومة.
- (2) (قوله: مِنْ اعْتِرَاضِهِ) يقال: عَرَّاهُ هذا الأمر واعتراه، أي غَشِيَهُ.
- (3) (قوله: عَادَ كُثْرُهُ)، الكُثْرُ: بضم الكاف، المال الكثير، يقال: ماله قُلٌّ ولا كُثْرٌ.
- (4) (قوله: وَكَانَ مَنْقُصَةً)، بفتح القاف وكسرها.
- (5) (قوله: عَلَى جُدَدِ السَّلَامَةِ)، الجدد بفتح الجيم وبدالينِ مهملتين أولهما مفتوحة، الأرض الصلبة.

وفى البيان: «الجُدُّ المستوي من الأرض».

- (6) (قوله: فِي هَوَا)، الهَوَا: بضم الهاء وتشديد الواو المفتوحة، الوَهْدَةُ العميقة.

فَإِذَا التَّمَدُّحُ بِالْمَالِ وَفَضِيلَتُهُ عِنْدَ مُفَضِّلِهِ لَيْسَتْ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ
لِلتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَتَضَرُّيفِهِ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ.

فَجَامِعُهُ إِذَا لَمْ يَضَعْهُ مَوَاضِعُهُ، وَلَا وَجَّهَهُ وَجْوهَهُ غَيْرَ مَلِيٍّ⁽¹⁾
بِالْحَقِيقَةِ، وَلَا غَنِيٍّ بِالْمَعْنَى، وَلَا مُتَمَدِّحٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ، بَلْ هُوَ فَاقِرٌ
أَبَدًا غَيْرٌ وَاصِلٌ إِلَى غَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِهِ، إِذْ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَالِ الْمُوَصِّلِ لَهَا لَمْ
يُسَلِّطْ عَلَيْهِ، فَأَشْبَهَ خَازِنَ مَالٍ غَيْرِهِ وَلَا مَالَ لَهُ، فَكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ.
وَالْمُنْفِقُ مَلِيٌّ غَنِيٌّ بِتَحْصِيلِهِ فَوَائِدَ الْمَالِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِ
شَيْءٌ.

فَانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنا ﷺ وَخُلُقَهُ فِي الْمَالِ، تَجِدُهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ،
وَمَفَاتِيحَ الْبِلَادِ، وَأَحْلَتْ لَهُ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلْ لِنَبِيِّ قَبْلَهُ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي
حَيَاتِهِ ﷺ بِلَادُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ⁽²⁾، وَمَا دَانَى ذَلِكَ مِنْ

(1) قوله: غَيْرَ مَلِيٍّ، بالهمزة في آخره.

في الصحاح: «يقال: مَلُوَ الرَّجُلُ، صار مَلِيًّا، أي ثِقَةً، فهو غَنِيٌّ مَلِيٌّ بَيْنُ
المَلَاءِ والمَلَأَةِ، مَمْدُودَانِ»⁽¹⁾.

(2) قوله: وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، قال الأصمعي: «هي ما بين أقصى عدن إلى
ريف العراق في الطول، ومن جدة وما والاها إلى أطراف الشام في»⁽²⁾
العرض».

وقال أبو عبيدة: «هو ما بين حَفَرِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ إلى أقصى اليمن في
الطول، وما بين رَمْلِ يَبْرِينَ إلى مُنْقَطَعِ السَّمَاءَةِ في العرض».

(1) الصحاح (73/1) مادة: ملأ.

(2) نهاية اللوحة (19/و).

الشَّام⁽¹⁾ وَالْعِرَاقَ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا، وَجَزِيرَتِهَا، وَصَدَقَاتِهَا مَا لَا يُجْبَى لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْضُهُ، وَهَادَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَقَالِيمِ، فَمَا اسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلَا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَمًا، بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ وَأَغْنَى بِهِ غَيْرَهُ، وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَقَالَ: «مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي أَحَدًا⁽²⁾ ذَهَبًا يَبِيتُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدِينٍ».

وَأَتَتْهُ دَنَانِيرُ مَرَّةٍ فَقَسَمَهَا، وَبَقِيََتْ مِنْهَا سِتَّةٌ، فَدَفَعَهَا لِبَعْضِ نِسَائِهِ فَلَمْ يَأْخُذْهُ نَوْمٌ حَتَّى قَامَ وَقَسَمَهَا، وَقَالَ: «الآنَ اسْتَرَحْتُ». وَمَاتَ، وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ⁽³⁾ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ.

(1) (قوله: مِنَ الشَّامِ)، بهمزة ساكنة وقد تخفف، وتذكر وتؤنث، ويقال أيضا: شَامَ بفتح الأول والثاني على وزن فَعَالٍ، والمشهور أن حده من العريش إلى الفرات طولًا، وقيل: إلى نابلس⁽¹⁾، ومن جبل طيء من نحو القبلة إلى نحو الروم وما يُسَامِتُ ذلك من البلاد.

قال ابن عساكر في تاريخه: «دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ⁽²⁾».

(2) (قوله: لَوْ أَنَّ لِي أَحَدًا)، بضم همزة والمهملة، جبل معروف بالمدينة.

(3) (قوله: وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ)، الدِرْعُ: بكسر الدال المهملة وسكون الراء، الزردية، مؤنثة، والجمع القليل أدرع وأدرع، فإذا كثرت فهي الدروع، وتصغيرها دُرَيْعٌ على غير قياس، لأن قياسه بالهاء، وحكى أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ الدرع يذكر ويؤنث، وأما درع المرأة - وهو قميصها - فمذكر، والجمع أدرع، وكان له ﷺ سبع أدرع، ذات الفضول، سميت بذلك لطولها، أرسلها إليه سعد بن عباد حين سار إلى بدر.

وفي الهدى لابن قيم الجوزية «إنها التي رهنها ﷺ⁽⁴⁾».

وَذَاتُ الْوَشَاحِ، وَذَاتُ الْحَوَاشِي، وَالشُّعْدِيَّةُ، وَالْفِضَّةُ، أَصَابَهَا⁽⁵⁾ مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعَ، وَيُقَالُ: الشُّعْدِيَّةُ كَانَتْ دَرَعُ دَاوُدَ الَّتِي لَبَسَهَا لِقِتَالِ جَالُوتَ، وَالبَرَاءُ، وَالخَزْنُقُ.

(1) كذا في (ز) و (أ) والصحيح إلى بالس، انظر طرح الشريب (9/5).

(2) في (ز) رأت النبي.

(3) تاريخ دمشق الكبير (327/1).

(4) زاد المعاد في هدى خير العباد (126/1).

(5) [أصابها] ساقط من (ز).

وَأَقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَى مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ، وَزَهَدَ
فِيمَا سِوَاهُ، فَكَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَهُ، فَيَلْبَسُ فِي الْعَالِبِ الشَّمْلَةَ وَالْكِسَاءَ الْحَشَنَ،
وَالْبُرْدَ الْغَلِيظَ، وَيَقْسِمُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ أَقْبِيَةَ الدِّيَابِجِ الْمُخَوَّصَةِ⁽¹⁾ بِالذَّهَبِ،
وَيَرْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْ.

إِذِ الْمُبَاهَاةُ فِي الْمَلَابِيسِ وَالتَّزْيِينِ بِهَا، لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الشَّرَفِ
وَالْجَلَالَةِ، وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ النِّسَاءِ.

وَالْمَحْمُودُ مِنْهَا نَقَاوَةُ الثَّوْبِ⁽²⁾، وَالتَّوَسُّطُ فِي جِنْسِهِ، وَكَوْنُهُ لُبْسَ مِثْلِهِ،
غَيْرَ مُسْقِطٍ لِمُرُوءَةِ جِنْسِهِ، مِمَّا لَا يُؤَدِّي إِلَى الشُّهْرَةِ فِي الطَّرَفَيْنِ، وَقَدْ ذَمَّ
الشَّرْعُ ذَلِكَ، وَغَايَةُ الْفَخْرِ فِيهِ فِي الْعَادَةِ عِنْدَ النَّاسِ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى الْفَخْرِ
بِكَثْرَةِ الْمَوْجُودِ، وَوُفُورِ الْحَالِ.

وَكَذَلِكَ التَّبَاهِي بِجَوْدَةِ الْمَسْكَنِ، وَسِعَةِ الْمَنْزِلِ⁽³⁾، وَتَكْثِيرِ آلَاتِهِ،
وَخِدْمَتِهِ، وَمَرْكُوبَاتِهِ.

وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَجُبِيَ إِلَيْهِ مَا فِيهَا، وَتَرَكَ ذَلِكَ زُهْدًا وَتَتَرَّهَا، فَهُوَ حَائِزٌ
لِفَضِيلَةِ الْمَالِيَّةِ، وَمَالِكٌ لِلْفَخْرِ بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةً، زَائِدٌ عَلَيْهَا فِي
الْفَخْرِ وَمُعْرِقٌ⁽⁴⁾ فِي الْمَدْحِ بِإِضْرَابِهِ⁽⁵⁾ عَنْهَا، وَزُهْدِهِ فِي فَايْنِهَا وَبَذْلِهَا فِي مَطَانِهَا.

(1) (قوله: الْمُخَوَّصَةُ)، بضم الميم فمعجمة مفتوحة فواو مشددة مفتوحة، أي
المنسوجة بالذهب، كخوص النخل، قاله ابن الأثير⁽¹⁾.

(2) (قوله: نَقَاوَةُ الثَّوْبِ)، النقاوة: بفتح النون النظافة، وبضمها الخيار.

(3) (قوله: وَسِعَةِ الْمَنْزِلِ)، بفتح السين المهملة.

(4) (قوله: وَمُعْرِقٌ) بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء.

في الصحاح: «أَعْرَقَ الرَّجُلُ، صَارَ عَرِيقًا، وَهُوَ الَّذِي لَهُ عِرْقٌ فِي الْكَرَمِ»⁽²⁾.

(5) (قوله: بِإِضْرَابِهِ)، بكسر الهمزة مصدر أضرب، أي أعرض⁽³⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث (87/2) مادة: خوص.

(2) الصحاح (1524/4) مادة: عرق.

(3) نهاية اللوحة (19/ظ).

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَدَابِ الشَّرِيفَةِ]

وَأَمَّا الْخَصَالُ الْمُكَتَسِبَةُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْأَدَابِ الشَّرِيفَةِ، الَّتِي اتَّفَقَ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ عَلَى تَفْضِيلِ صَاحِبِهَا، وَتَعْظِيمِ الْمُتَّصِفِ بِالْخُلُقِ الْوَاحِدِ مِنْهَا فَضْلًا عَمَّا فَوْقَهُ، وَأَتْنَى الشَّرْعِ عَلَى جَمِيعِهَا وَأَمَرَ بِهَا، وَوَعَدَ السَّعَادَةَ الدَّائِمَةَ لِلْمُتَخَلِّقِ بِهَا، وَوَصَفَ بَعْضَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَجْزَاءِ الثُّبُوتِ، وَهِيَ الْمُسَمَّاءُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَهُوَ الْإِعْتِدَالُ فِي قَوَى النَّفْسِ وَأَوْصَافِهَا، وَالتَّوَسُّطُ فِيهَا دُونَ الْمَيْلِ إِلَى مُنَحَرِفِ أَطْرَافِهَا.

فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خُلُقَ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ فِي كَمَالِهَا، وَالْإِعْتِدَالِ إِلَى غَايَتِهَا، حَتَّى أَتْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4].

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَرْضَى بِرِضَاهُ⁽¹⁾، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ».

وَقَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

قَالَ أَنَسُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا».

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُهُ.

وَكَانَ فِيَمَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مَجْبُولًا عَلَيْهَا فِي أَصْلِ خَلْقَتِهِ، وَأَوَّلِ فِطْرَتِهِ، لَمْ تَحْضَلْ لَهُ بِاِكْتِسَابٍ وَلَا رِيَاضَةٍ، إِلَّا بِجُودِ إِلَهِيٍّ، وَخُصُوصِيَّةِ رَبَّانِيَّةٍ، وَهَكَذَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ.

فصل وأما الخصال المكتسبة

(1) (قوله: يَرْضَى بِرِضَاهُ)، أي يرضى برضاء القرآن⁽¹⁾، ويسخط بسخط القرآن، يعني أن رضاه لم يكن إلا لأوامر الله، وسخطه لم يكن إلا لنواهيه.

(1) في (ز) يرضى أي النبي صلى الله عليه وسلم، برضاه أي يرضى القرآن.

وَمَنْ طَالَعَ سَيْرَهُمْ مُنْذُ صَبَاهُمْ إِلَى مَبْعَثِهِمْ حَقَّقَ ذَلِكَ، كَمَا عُرِفَ مِنْ حَالِ عِيسَى، وَمُوسَى، وَيَحْيَى، وَسُلَيْمَانَ، وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَلْ غُرِزَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ فِي الْجِبِلَّةِ، وَأُودِعُوا الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ فِي الْفِطْرَةِ⁽¹⁾.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيِّنَّا لَخُكَمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَعْطَى اللَّهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ صَبَاهُ.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: «كَانَ ابْنُ سَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَقَالَ لَهُ الصَّبِيَّانُ لِمَ لَا تَلْعَبُ؟! فَقَالَ: أَلَلْعَبِ خُلِقْتُ؟».

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُصَدِّقًا لِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 39]، صَدَّقَ يَحْيَى بِعِيسَى وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ، فَشَهِدَ لَهُ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ.

وَقِيلَ: صَدَّقَهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى تَقُولُ لِمَرْيَمَ: إِنِّي أَجِدُ مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكِ تَحِيَّةً لَهُ.

وَقَدْ نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كَلَامِ عِيسَى لِأُمِّهِ عِنْدَ وَلَادَتِهَا إِيَّاهُ، بِقَوْلِهِ لَهَا: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ [مريم: 24] عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾⁽²⁾ [مريم: 24]، وَعَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُنَادِيَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(1) (قوله: فِي الْفِطْرَةِ)، أَيِ الْخَلْقَةِ.

(2) (قوله: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾)، بفتح الميم والتاء.

قال البغوي: «قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص بكسر الميم والتاء، والمعنى نادى جبرئيل مريم من تحتها، بأن كانت مريم على أكمة وكان جبرئيل تحت الأكمة، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء، والمراد جبرئيل عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيِّ وقتادة والضحاك، وعند مجاهد والحسن المراد عيسى لما خرج من بطن أمه⁽¹⁾».

(1) تفسير البغوي معالم التنزيل (299/3).

وَنَصَّ عَلَى كَلَامِهِ فِي مَهْدِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) [مريم: 30].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايِنَاهُمْ مَّا وَعَدْنَاهُمْ﴾ [الأنبياء: 79].
وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ حُكْمِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ فِي قَضِيَّةِ الْمَرْجُومَةِ، وَفِي قِصَّةِ الصَّبِيِّ^(١) مَا اقْتَدَى بِهِ دَاوُدُ أَبُوهُ.
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: «إِنَّ عُمُرَهُ حِينَ أُوتِيَ الْمُلْكَ اثْنَا عَشَرَ عَامًا».

(١) (قوله: فِي قَضِيَّةِ الْمَرْجُومَةِ وَفِي قِصَّةِ الصَّبِيِّ)، أما قصة المرجومة فروي أن رجلا راود امرأة في زمن داود عليه السلام^(١) فامتنعت، فأقام أربعة شهود زور، وشهدوا بزناها، فَهَمَّ داود برجمها، فبلغ ذلك سليمان فدعا الشهود متفرقين فاختلفوا، فبلغ ذلك داود فدعاهم متفرقين فاختلفوا، فدرأ الحد عنها. وأما قصة الصبي فهو ما روى البخاري وغيره «أن امرأتين كبرى وصغرى لكل منهما ابن، ذهب الذئب بابن إحداهما فاختصما في الابن الآخر إلى داود، فقاضى به للكبرى، فلما مرَّا علي سليمان فقال أشقه بينهما، فقالت الصغرى: هو ابنها، فقاضى به للصغرى»^(٢).

قال النووي: «يحتمل أن داود قضى به للكبرى لشبه^(٣) بينهما، أو لأن في شريعته الترجيح بالكبرى أو باليد وكان في يدها، وأما سليمان فتوصل بملاطفته إلى باطن القضية، ولعله استقرّر الكبرى فأقرت بعد ذلك به للصغرى، فحكم به لها بإقرار صاحبته لا بمجرد الشفقة»^(٤).

فإن قيل: المجتهد لا ينقض حكم المجتهد.

فالجواب أن سليمان فعل ذلك توسلا إلى إظهار الحق، فلما أقرت به الكبرى عمل بإقرارها، أو لعل في شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد.

(١) [عليه السلام] ساقط من (ز).

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (3427)، ومسلم (1720).

(٣) [أي هجرته مع لوط.....صالحه عليه أهل الرها] ساقط من (ز).

(٤) شرح صحيح مسلم (18/12).

وَكَذَلِكَ قِصَّةُ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ⁽¹⁾، وَأَخَذَهُ بِلَحِيَّتِهِ وَهُوَ طِفْلٌ.
وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾
[الأنبياء: 51]، أَنَّى هَدَيْنَاهُ صَغِيرًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ.
وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: «اضْطَفَاهُ قَبْلَ خَلْقِهِ».
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا،
يَأْمُرُهُ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَعْرِفَهُ بِقَلْبِهِ، وَيَذْكُرَهُ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَلَمْ يَقُلْ:
أَفْعَلْ، فَذَلِكَ رُشْدُهُ».
وَقِيلَ: إِنَّ إِلْقَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي النَّارِ وَمِحْنَتَهُ كَانَتْ وَهُوَ ابْنُ
سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً.
وَأَنَّ ابْتِلَاءَ إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ⁽²⁾ كَانَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ.

(1) (قوله: مَعَ فِرْعَوْنَ)، هو عدو الله الوليد بن مصعب بن الريان، كان من القبط
العماليق، وَعَمَّرَ⁽¹⁾ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ.

(2) (قوله: وَإِنَّ ابْتِلَاءَ إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ)، فِي أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ لِلْبِيضَاوِيِّ: «وَالْأَظْهَرُ أَنَّ
الْمُخَاطَبَ بـ ﴿يَبْنِيْٓ إِنِّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيْ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102] إِسْمَاعِيلَ،
لَأَنَّهُ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ إِثْرَ الْهَجْرَةِ، أَيِ هِجْرَتِهِ مَعَ لُوطٍ وَسَارَةَ إِلَى الشَّامِ، وَقِيلَ
إِلَى حَرَّانَ، وَهِيَ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَنُونٍ فِي الْآخِرِ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهَا حَرَّانِيٌّ بَنُونَ بَعْدَ
الرَّاءِ السَّاكِنَةِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، كَمَا قَالُوا مَانِيٌّ فِي النِّسْبَةِ إِلَى مَنَانَ، وَالْقِيَاسُ
مَانَوِيٌّ وَحَرَّانِيٌّ وَالْعَامَّةُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ، مَدِينَةُ عَظِيمَةٍ بَيْنَ
الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ وَالرُّومِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّهَى يَوْمٌ، وَبَيْنَ الرِّقَّةِ يَوْمَانٌ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّيْ مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّيْ﴾ [العنكبوت: 26]، إِنَّ
الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا حَرَّانَ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:
71]، هِيَ حَرَّانَ، فَتَحَتْ فِي أَيَّامِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى يَدِ عِيَاضِ بْنِ غَنَمٍ
صُلْحًا، مِثْلَ مَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ أَهْلُ الرَّهَى⁽²⁾.

(1) نِهَآيَةُ اللَّوْحَةِ (20/و).

(2) فِي (ز) يَرْضَى أَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِرِضَاهُ أَيِ بَرْضَى الْقُرْآنَ.

ولأن البشارة بإسحاق معطوفة على البشارة بهذا الغلام.
 ولقوله عليه السلام: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ»⁽¹⁾، فأحدهما جده إسماعيل،
 والآخر أبوه عبد الله، فذاه أبوه بمائة من الإبل، ولذلك سنت الدية مائة.
 ولأن ذلك كان بمكة، وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة، احترقا معها في
 أيام ابن الزبير، ولم يكن إسحاق ثمة.
 ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه، فلا يناسبها الأمر
 بذبحه مراهقا.

وفى تفسير القرطبي: «وهو قول أبي هريرة وأبي الطفيل عامر بن واثلة،
 وروي عن ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران
 ومجاهد، وقيل: المخاطب به إسحاق، وهو قول الأكثرين، وممن قال بذلك
 العباس وعمر وجابر في أربعة آخرين من الصحابة، وجماعة من التابعين، وهو
 قول أهل الكتابين، قال سعد بن جبيرة: سار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى
 أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح سار به مسيرة شهر في غداة
 واحدة»⁽²⁾.

وفى الهدي لابن قيم الجوزية: «واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب
 عند علماء الصحابة والتابعين بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فمردود بأكثر من
 عشرين وجها»⁽³⁾.

(1) لا أصل له بهذا اللفظ، ونقل المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي
 (955/3) عن الولي العراقي أنه قال: «لم أقف عليه».

وجاء الحديث بسند ضعيف عند الحاكم (4036) وصححه وتعقبه الذهبي في التلخيص
 بقوله: «إسناده واه»، من حديث معاوية رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَاهُ
 الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَفْتُ الْبِلَادَ يَابِسَةً وَالْمَاءُ يَابِسًا هَلْكَ الْمَالُ وَضَاعَ الْعِيَالُ، فَعُدَّ
 عَلَيَّ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُنْكِرْ
 عَلَيْهِ».

(2) تفسير القرطبي (100. 99/15).

(3) زاد المعاد (71/1).

وَأَنَّ اسْتِدْلَالَ إِبْرَاهِيمَ بِالْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، كَانَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشَرَ شَهْرًا.

وَقِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى يُوسُفَ ⁽¹⁾ وَهُوَ صَبِيٌّ، عِنْدَمَا هَمَّ إِخْوَتُهُ بِالْقَائِهِ فِي الْجُبِّ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنِيدَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15]؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

وَقَدْ حَكَى أَهْلُ السِّيَرِ: «أَنَّ أَمَنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ أَخْبَرَتْ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وُلِدَ حِينَ وُلِدَ بَاسِطًا يَدَيْهِ إِلَى الْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ». وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ ﷺ: «لَمَّا نَشَأْتُ بُعِضْتُ إِلَيَّ الْأَوْتَانُ ⁽²⁾، وَبُعِضَ إِلَيَّ

(1) (قوله: إِلَى يُوسُفَ)، قال الثعلبي: «كان يوسف أبيض اللون، حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العين، مستوي الخلق، غليظ الساعدين والعضدين، خميص البطن، أقرنى الأنف، بخذه الأيمن خال أسود، وبين عينيه شامة» ⁽¹⁾.

توفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، ودفن بمصر بالليل، ثم حمله موسى إلى الشام حين خرجت بنو إسرائيل من مصر.

(2) (قوله: الْأَوْتَانُ)، بالمثلثة جمع وثن، وهو الجثة من أجزاء الأرض أو الخشب تُعْبَدُ.

وفي حديث عدى بن حاتم: «قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ ⁽²⁾ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: أَلْقِ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ» ⁽³⁾.

وفي الصحاح: «الْوَثْنُ: الصَّنَمُ، والصنم واحد الأصنام، ويقال: إِنَّهُ مَعْرَبٌ شَمْنٌ، وَهُوَ الْوَثْنُ» ⁽⁴⁾.

(1) تفسير الثعلبي الكشف والبيان (204/5) نقله عن كعب الأحبار.

(2) نهاية اللوحة (20/ظ).

(3) حسن. رواه الترمذي (3095)، والطبراني في الكبير (92/17 رقم: 218)، والبيهقي (20350).

(4) الصحاح (1969/5) مادة: صنم.

الشَّعْرُ، وَلَمْ أَهَمْ⁽¹⁾ بِشَيْءٍ مِّمَّا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، فَعَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ لَمْ أَعُدَّ.

ثُمَّ يَتِمَكَّنُ الْأَمْرُ⁽²⁾ لَهُمْ وَتَتَرَادَفُ نَفَحَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَتُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قُلُوبِهِمْ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الْغَايَةِ، وَيَبْلُغُوا بِاضْطِفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ بِالنُّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ النَّهَائِيَّةِ، دُونَ مُمَارَسَةِ وَلَا رِيَاضَةٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: 22].

وَقَدْ نَجِدُ غَيْرَهُمْ يُطْبَعُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ دُونَ جَمِيعِهَا، وَيُولَدُ عَلَيْهَا، فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ اكْتِسَابُ تَمَامِهَا، عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

كَمَا نُشَاهِدُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْضَ الصَّبِيَّانِ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ⁽³⁾، أَوْ الشَّهَامَةِ⁽⁴⁾، أَوْ صِدْقِ اللِّسَانِ، أَوْ السَّمَاخَةِ، وَكَمَا نَجِدُ بَعْضَهُمْ عَلَى ضِدِّهَا.

فَبِالْإِكْتِسَابِ يَكْمُلُ نَاقِضُهَا، وَبِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ يُسْتَجْلَبُ مَعْدُومُهَا، وَيَعْتَدِلُ مُنَحَرِفُهَا، وَبِاخْتِلَافِ هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ يُتَفَادَى النَّاسُ فِيهَا، وَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

(1) (قوله: أَهَمْ)، بفتح الهمزة وضم الهاء.

(2) (قوله: ثُمَّ يَتِمَكَّنُ الْأَمْرُ)، عطف على قوله قبل هذا بنحو عشرين سطرا: «وَهَكَذَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ»⁽¹⁾.

(3) (قوله: عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ)، أي الطريقة وهيئة أهل الخير.

(4) (قوله: أَوْ الشَّهَامَةِ)، بفتح الشين المعجمة، مصدر شَهَمَ الرجل بضم الهاء فهو شَهْمٌ، أي جَلَدٌ ذِكْيُ الْفُؤَادِ.

(1) [قوله: ولهذا ما قد..... بزيادة ما للتأكيد] ساقط من (ز).

وَلِهَذَا مَا قَدْ اخْتَلَفَ⁽¹⁾ السَّلَفُ فِيهَا، هَلْ هَذَا الْخُلُقُ جِبَلَّةٌ أَوْ مُكْتَسَبَةٌ؟
وَحَكَى الطَّبْرِيُّ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ جِبَلَّةٌ وَغَرِيزَةٌ فِي
الْعَبْدِ.

وَحَكَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَالْحَسَنِ، وَبِهِ قَالَ هُوَ.
وَالصَّحِيحُ مَا أَصْلَنَاهُ.

وَقَدْ رَوَى سَعْدُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ الْخِلَالِ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ
إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ».

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ: «وَالْجُرْأَةُ⁽²⁾ وَالْجُبْنُ
غَرَائِزُ يَضَعُهُمَا اللَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ الْمَحْمُودَةُ وَالْخِصَالُ الْجَمِيلَةُ الشَّرِيفَةُ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّا
نَذْكُرُ أَصُولَهَا، وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا، وَنُحَقِّقُ وَصْفَهُ ﷺ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(1) (قوله: وَلِهَذَا مَا قَدْ اخْتَلَفَ)، هكذا وقع في كثير من النسخ بزيادة «ما»
للتأكيد⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَالْجُرْأَةُ)، هي الشجاعة، على وزن الجرعة، ويقال: الجرّة بفتح الراء
وحذف الهمزة.

(1) [قوله: ثم يتمكن..... لسائر الأنبياء] ساقط من (ز).

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِوُفُورِ عَقْلِهِ]

أَمَّا أَصْلُ فُرُوعِهَا وَعُنْصُرُ يَنَابِيعِهَا وَنُقْطَةُ دَائِرَتِهَا⁽¹⁾ فَالْعَقْلُ، الَّذِي مِنْهُ يَنْبَعُ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَيَتَفَرَّغُ مِنْ هَذَا ثُقُوبُ الرَّأْيِ، وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ، وَالْإِصَابَةُ، وَصِدْقُ الظَّنِّ، وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ، وَمَصَالِحُ النَّفْسِ، وَمُجَاهَدَةُ الشَّهْوَةِ، وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ، وَتَجَنُّبُ الرِّذَائِلِ.

وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى مَكَانِهِ مِنْهُ ﷺ، وَبُلُوغِهِ مِنْهُ وَمِنْ الْعِلْمِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ.

وَإِذْ جَلَالَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَمِمَّا تَفَرَّعَ مِنْهُ مُتَحَقِّقَةٌ عِنْدَ مَنْ تَتَّبَعَ مَجَارِيَ أَحْوَالِهِ، وَاطْرَادَ سِيرِهِ، وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلَامِهِ، وَحُسْنَ شَمَائِلِهِ، وَبَدَائِعَ سِيرِهِ، وَحُكْمَ حَدِيثِهِ وَعِلْمِهِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ، وَحِكْمَ⁽²⁾ الْحُكَمَاءِ وَسِيرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَأَيَّامِهَا، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ، وَسِيَاسَاتِ الْأَنْامِ، وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ، وَتَأْصِيلِ الْأَدَابِ النَّفْسِيَّةِ، وَالشِّيمِ الْحَمِيدَةِ، إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ

فصل وأما أصل فروعها

(1) (قوله: وَنُقْطَةُ دَائِرَتِهَا)، أي مركز دائرتها، وهي النقطة التي في وسط الدائرة، يقوم فيها إحدى قوائم البيكارة، وجميع الخطوط الخارجة منها إلى الدائرة متساوية.

(2) (قوله: وَحِكْمَ)، بكسر الحاء المهملة.

الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلَامَهُ ﷺ فِيهَا قَدَوَةٌ، وَإِشَارَاتِهِ حُجَّةٌ، كَالْعِبَارَةِ⁽¹⁾،
وَالطَّبِّ⁽²⁾، وَالْحِسَابِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالتَّسْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَبَّيْتُهُ فِي
مُعْجَزَاتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، دُونَ تَعْلِيمٍ وَلَا مَدَارَسَةٍ، وَلَا مُطَالَعَةٍ كُتِبَ مَنْ
تَقَدَّمَ، وَلَا الْجُلُوسِ إِلَى عُلَمَائِهِمْ، بَلْ نَبِيِّ أُمِّي لَمْ يُعْرِفْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ،
حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَأَبَانَ أَمْرَهُ، وَعَلَّمَهُ، وَأَفْرَاهُ.

يُعْلَمُ ذَلِكَ بِالمُطَالَعَةِ وَالبَحْثِ عَنْ حَالِهِ ضَرُورَةً، وَبِالبُزْهَانِ الْقَاطِعِ عَلَى
نُبُوَّتِهِ نَظَرًا، فَلَا نَطَوِّلُ بِسَرْدِ الْأَقَاصِيصِ وَآحَادِ الْقَضَايَا، إِذْ مَجْمُوعُهَا مَا لَا
يَأْخُذُهُ حَضَرٌ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ حِفْظٌ جَامِعٌ.

وَبِحَسَبِ عَقْلِهِ كَانَتْ مَعَارِفُهُ ﷺ إِلَى سَائِرِ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَطْلَعَهُ
عَلَيْهِ، مِنْ عِلْمٍ مَا يَكُونُ، وَمَا كَانَ، وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ مَلَكُوتِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾

[النساء: 113].

حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَخَرَسَتِ⁽³⁾ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفِ
يُحِيطُ بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ.

(1) قوله: كَالْعِبَارَةِ، يقال: عبرت الرؤيا أعبرها عبارة.

(2) قوله: وَالطَّبِّ، هو مثلث الطاء.

(3) قوله: خَرَسَتِ، بكسر الراء.

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِحِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَعَفْوِهِ وَصَبْرِهِ]

وَأَمَّا الْحِلْمُ، وَالْإِحْتِمَالُ، وَالْعَفْوُ مَعَ الْمَقْدَرَةِ⁽¹⁾، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يَكْرَهُ، وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَلْقَابِ فَرْقٌ.

فَإِنَّ الْحِلْمَ: حَالُهُ تَوَقُّرٌ وَثَبَاتٌ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمُحَرِّكَاتِ.

وَالْإِحْتِمَالُ: حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الْأَلَامِ وَالْمُؤْذِيَّاتِ، وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ، وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ.

وَأَمَّا الْعَفْوُ: فَهُوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: 199]، الْآيَةُ.

رُويَ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ، سَأَلَ جِبْرِيلَ⁽²⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ لَهُ: حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ، ثُمَّ ذَهَبَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ».

فصل وأما الحلم

(1) (قوله: مَعَ الْمَقْدَرَةِ)، بضم الدال وفتحها، أي الْقُدْرَةِ.

(2) (قوله: جِبْرِيلَ)، قيل: «جَبْرَ» و «مِيكَأ» اسمان أضيفا إلى «إِيلَ» أو إلى «إِلَ»، و «إِيلَ» و «إِلَ» اسمان لله تعالى، و «جَبْرَ» و «مِيكَأ» معناه بالسريانية عبد.

ورده أبو علي الفارسي بأن «إِيلَ» و «إِلَ» لا يعرفان من أسماء الله تعالى، وبأنه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم في وجوه العربية، ولكن آخره مجرورا أبدا كعبد الله.

قال النووي: «وهذا الذي قاله هو الصواب»⁽¹⁾.

(1) تهذيب الأسماء واللغات (144/1).

وَقَالَ لَهُ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [القمان: 17]، الآية.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ⁽¹⁾ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

وَقَالَ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: 22]، الآية.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43].

وَلَا خَفَاءَ بِمَا يُؤْثَرُ مِنْ حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ، وَأَنَّ كُلَّ حَلِيمٍ قَدْ عُرِفَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ، وَحُفِظَتْ عَنْهُ هَفْوَةٌ، وَهُوَ ﷺ لَا يَزِيدُ مَعَ كَثْرَةِ الْأَذَى إِلَّا صَبْرًا، وَعَلَى إِسْرَافِ الْجَاهِلِ إِلَّا حِلْمًا.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التَّغْلِبِيُّ وَغَيْرُهُ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَتَّابٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ وَاقِدٍ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ، حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ

(1) (قوله: أُولُو الْعَزْمِ)، أي الجِدِّ والثَّبَات.

وفى أنوار التنزيل في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]، «مِنْ» للتبيين، وقيل للتبعض.

وأولو العزم أصحاب الشرائع، اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها، ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

وقيل: الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه، وكانوا يضربونه حتى يُغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار وذبح ولده، والذبيح على الذبح، ويعقوب على فقد الولد والبصر⁽¹⁾، ويوسف على الجُبِّ والسِّجْن، وأيوب على الضَّرِّ، وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾^(٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ [الشعراء: 61 . 62]، ودَاوُدُ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَعِيسَى لِمَ يَضَعُ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ⁽²⁾، انتهى.

(1) نهاية اللوحة (21/و).

(2) تفسير البضاوي أنوار التنزيل (117/5).

عُزُوءَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ، فِي أَمْرَيْنِ قَطٍّ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا»⁽¹⁾، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا». وَرَوَى «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ»⁽²⁾ يَوْمَ أُحُدٍ شَقَّ

(1) (قوله: مَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا)، قال النووي: «قال القاضي»⁽¹⁾:
يحتمل أن يكون تخييره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصاد، فكان يختار الأيسر في هذا كله، قال: وأما قولها: «مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»، فيتصور إذا خيره الكفار أو المنافقون، فأما إذا كان التخيير من الله أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعاً»، انتهى⁽²⁾.

(2) (قوله: لَمَّا كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ)، الرباعيَّة: السن التي بين الثنية والناب، وهي بفتح الراء وتخفيف الموحدة وكسر العين المهملة وتخفيف المثناة التحتية. وفي سيرة ابن هشام: «أَنَّ عُثْبَةَ بْنَ أَبِي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رَمَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَكُسِرَ رِبَاعِيَّتُهُ اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في وجهه، وأن ابن قَمِيَّةَ جرح وَجْهَهُ فدخلت حلقتان من المغفر في وَجْهِهِ، وقد اختلف في إسلام عُثْبَةَ، والصحيح أنه لم يُسَلِّمْ»⁽³⁾.
قال السُّهَيْلِيُّ: «ولم يولد من نسله ولد فبلغ الحُلُمَ إِلَّا وهو أُخْرُ أَوْ أَهْتَمُّ يُعْرِفُ ذَلِكَ فِي عَقِبِهِ، وأما عبد الله بن شهاب فأسلم، وهو جد شيخ مالك محمد بن مسلم ابن عبد الله بن شهاب، وقد قيل لابن شهاب شيخ مالك: أكان جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدرًا؟ فقال نعم، ولكن من ذلك الجانب، يعني مع الكفار»⁽⁴⁾.

وأما ابن قَمِيَّةَ واسمه عبد الله، فنطحه تيس فتردى من شاهق، وفي مستدرک الحاكم: أَنَّهُ لَمَّا فَعَلَ عُثْبَةُ مَا فَعَلَ جَاءَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا؟ فَأَشَارَ إِلَى عُثْبَةَ، فَتَبِعَهُ حَاطِبٌ حَتَّى قَتَلَهُ وَجَاءَ بِفَرْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽⁵⁾.

(1) في إكمال المعلم بفوائد مسلم (291/7).

(2) شرح صحيح مسلم (83/15).

(3) سيرة ابن هشام (80/2).

(4) الروض الأنف (327/5).

(5) رواه الحاكم (5307)، والبيهقي (12770)، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي.

ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَقًّا شَدِيدًا، وَقَالُوا: لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ: «بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي»⁽¹⁾ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٣٦﴾ [نوح: 26]، وَلَوْ دَعَوْتَ عَلَيْنَا مِثْلَهَا لَهْلَكْنَا مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا، فَلَقَدْ وَطِئَ ظَهْرُكَ، وَأَذْمَى وَجْهُكَ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُكَ، فَأَبَيْتَ أَنْ تَقُولَ إِلَّا خَيْرًا، فَقُلْتَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ - وَفَقَّهُهُ اللَّهُ -: انْظُرْ مَا فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْ جَمَاعِ الْفَضْلِ، وَدَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَرَمِ النَّفْسِ، وَغَايَةِ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ، إِذْ لَمْ يَقْتَصِرِ ﷺ عَلَى الشُّكُوتِ عَنْهُمْ، حَتَّى عَفَا عَنْهُمْ، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ، وَدَعَا، وَشَفَعَ لَهُمْ، فَقَالَ: «اغْفِرْ» أَوْ «اهْدِ»، ثُمَّ أَظْهَرَ سَبَبَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِقَوْلِهِ: «لِقَوْمِي»، ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْهُمْ بِجَهْلِهِمْ فَقَالَ: «فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

وَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: «اعْدِلْ»⁽²⁾ فَإِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، لَمْ يَزِدْهُ فِي جَوَابِهِ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُ مَا جَهْلُهُ، وَوَعِظَ نَفْسَهُ وَذَكَرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ فَقَالَ: «وَيَحْكُ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ! خِبْتُ وَخَسِرْتُ»⁽³⁾ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؛ وَنَهَى مَنْ أَرَادَ مِنْ أَصْحَابِهِ قَتْلَهُ⁽⁴⁾.

(1) (قوله: بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي)، أَي بَابِي أَنْتَ مُفَدَّى وَبَأُمِّي، أَوْ بَابِي فَدَيْتُكَ⁽¹⁾ أَنْتَ وَبَأُمِّي.

(2) (قوله: وَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ اعْدِلْ)، هُوَ ذُو الْخَوِيسِرَةِ التَّمِيمِي، قَتَلَ فِي الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ، وَيُقَالُ: حَرَقَوْصَ، كَذَا فِي تَجْرِيدِ الذَّهَبِيِّ⁽²⁾.

(3) (قوله: خِبْتُ وَخَسِرْتُ)، بَضَمُ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ فِيهِمَا، كَذَا عَنِ الْمِزِّيِّ حَالِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ مَعْلُقٌ بَعْدَ الْعَدْلِ الَّذِي هُوَ مَعْصُومٌ مِنْهُ ﷺ، وَلِيْلَايَتِهِمْ قَوْلُ الْقَاضِي: «وَعِظَ نَفْسَهُ وَذَكَرَهَا».

(4) (قوله: وَنَهَى مَنْ أَرَادَ مِنْ أَصْحَابِهِ قَتْلَهُ)، هُوَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَقِيلَ: عَمْرٌ.

(1) نهاية اللوحة (21/ظ).

(2) تجريد أسماء الصحابة (126/1).

وَلَمَّا تَصَدَّى لَهُ غَوْرُثُ⁽¹⁾ بَنُ الْحَارِثِ لِيَفْتِكَ بِهِ⁽²⁾، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَدِّئًا⁽³⁾ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قَائِلًا⁽⁴⁾، وَالنَّاسُ قَائِلُونَ فِي غَزَاةٍ⁽⁵⁾ فَلَمْ يَنْتَبِهْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَالسَّيْفُ صَلَّتَا⁽⁶⁾ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ: اللَّهُ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي، قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَتَرَكَهُ وَعَفَا عَنْهُ، فَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ». وَمِنْ عَظِيمِ خَبَرِهِ فِي الْعَفْوِ عَفْوُهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا⁽⁷⁾ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا، عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرَّوَايَةِ.

- (1) (قوله: وَلَمَّا تَصَدَّى لَهُ غَوْرُثُ)، هو بغين معجمة مفتوحة وقد تضم فواو ساكنة فراء مفتوحة فثاء مثلثة، أسلم وصحب النبي ﷺ بعد ذلك.
 - (2) (قوله: لِيَفْتِكَ بِهِ)، الْفَتْكُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلَ إِلَى آخِرِ لِقَاتِهِ وَهُوَ غَافِلٌ.
 - (3) (قوله: مُتَبَدِّئًا)، بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة بعدها ذال معجمة، أي جالس في ناحية.
 - (4) (قوله: قَائِلًا)، من الْقَيْلُولَةِ.
 - (5) (قوله: فِي غَزَاةٍ)، هي غزوة ذات الرِّقَاعِ.
 - (6) (قوله: صَلَّتَا)، بفتح الصاد المهملة وضمها وفي آخره مثناة فوقية، أي مَسْلُولًا.
 - (7) (قوله: عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا)، في مغازي موسى بن عُقْبَةَ والدلائل للبيهقي أن اسمها زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ سَلَامٍ⁽¹⁾.
- وقال ابن قيم الجوزية: «هي امرأة سَلَامٍ بْنِ مِشْكَمٍ»⁽²⁾.
- واختلف فيها، فروى ابن اسحاق أنه صفح عنها، وروى أبو داود⁽³⁾ أنه قتلها وصلبها، وجمع بين هاتين الروايتين بأنه صفح عنها، فلما مات بشر بن البراء بن معرور من الأكلة التي أكلها مع رسول الله ﷺ من الشاة قتلها به قصاصا، وذلك أن بشرا لم يزل معتلا من تلك الأكلة حتى مات منها بعد حول، ويقال إنه مات في الحال⁽⁴⁾.
- وفي جامع معمر عن الزهري أنه قال: «أَسْلَمْتُ فَتَرَكَهَا، قَالَ مَعْمَرٌ: «وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: قَتَلَهَا، وَأَنَّهُ لَمْ تُسَلِّمْ»⁽⁵⁾.

(1) دلائل النبوة للبيهقي (263/4).
(2) زاد المعاد في هدى خير العباد (297/3).
(3) رواه أبو داود (4511) عن جابر رضي الله عنه بسند صحيح.
(4) في (ز) في الحول.
(5) رواه معمر بن راشد في الجامع (19814)، وعبد الرزاق في المصنف (10019).

وَأَنَّهُ لَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيدَ بْنِ الْأَعْصَمِ⁽¹⁾ إِذْ سَحَرَهُ، وَقَدْ أَعْلِمَ بِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنْ مُعَافَيْتِهِ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يُؤَاخِذْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي⁽²⁾ وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ⁽³⁾، بِعَظِيمِ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جَهْتِهِ قَوْلًا وَفِعْلاً، بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ: «لَا، لِيَلَّا يُتَحَدَّثَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَجَبَذَهُ أَغْرَابِيٌّ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَثَرَتْ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ فِي صَفْحَةٍ عَاتِقِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، وَأَنَا عَبْدُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيَقَادُ مِنْكَ يَا أَغْرَابِيٌّ مَا فَعَلْتَ بِي، قَالَ: لَا، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ لَا تُكَافِي⁽⁴⁾ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، فَضَحَكَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرٌ، وَعَلَى الْآخَرِ تَمْرٌ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْتَصِراً مِنْ مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قَطُّ، مَا لَمْ تَكُنْ حُرْمَةً مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَرَبَ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً».

(1) (قوله: لَبِيدَ بْنِ الْأَعْصَمِ)، جاء التصريح بأنه يهودي في الصحيحين⁽¹⁾، وقد هلك على يهوديته.

(2) (قوله: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي)، هو عبد الله بن أَبِي ابن سلول، بتنوين أَبِي وكتابة ألف بعدها، لأن سلول أم عبد الله وزوجة أَبِي، فلو لم يفعل ذلك⁽²⁾ لتوهم أن سلول أم أَبِي، وليس كذلك.

(3) (قوله: وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ)، قال ابن عباس: «كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة، ومن النساء مائة وسبعين».

(4) (قوله: لَا تُكَافِي)، بهمزة في آخره.

(1) رواه البخاري (3268)، ومسلم (2189).

(2) نهاية اللوحة (22/و).

وَجِيءَ إِلَيْهِ بِرَجُلٍ، فَقِيلَ: هَذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ تُرَاعَ»⁽¹⁾، لَنْ تُرَاعَ، وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ».

وَجَاءَهُ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ⁽²⁾، قَبْلَ إِسْلَامِهِ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا عَلَيْهِ فَجَبَذَ ثَوْبَهُ عَنْ مَنْكِبِهِ، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ، وَأَغْلَظَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُطْلٌ⁽³⁾، فَاَنْتَهَرَهُ عُمَرُ، وَشَدَّدَ لَهُ فِي الْقَوْلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَبَسَّمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَهُوَ كُنَّا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجُ يَا عُمَرُ، تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ الْقَضَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي»⁽⁴⁾، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَجَلِهِ ثَلَاثٌ».

(1) (قوله: لَنْ تُرَاعَ)، أي لا خوف عليك.

(2) (قوله: وَجَاءَهُ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ) هو بسين مهملة مفتوحة وعين ساكنة مهملة ونون مفتوحة.

قال ابن ماكولا في إكماله: «هو حَبْرٌ يهودي له ذِكْرٌ في حديث⁽¹⁾ لعبد الله بن سلام»⁽²⁾.

وقال النووي في تهذيبه: «هو من أحبار اليهود الذي أسلم وحسُنَ إسلامه، وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة، وتوفي في غَزْوَةِ تَبُوكَ مقبلاً إلى المدينة»⁽⁴⁾.

وأما أَسِيدُ بْنُ سَعْنَةَ، فَأَسِيدُ بفتح الهمزة وكسر السين المهملة، وَسَعْنَةُ والده بفتح السين وسكون العين المهملتين بعدهما مثناة تحتية.

قال الذهبي في التجريد: «زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ بالنون أصح، وَأَسِيدُ بْنُ سَعْنَةَ بالياء أصح»⁽⁵⁾.

(3) (قوله: مُطْلٌ)، بضم الميم والطاء المهملة، جمع مطول على وزن فعول بمعنى فاعل، كغفور وغُفِرَ، من المَطْلِ، وهو اللَّيْثَانُ بالذَّيْنِ.

(1) الحديث الذي أشار إليه رواه ابن حبان (288)، والحاكم (6547)، والطبراني في الكبير (5147)، والضياء في المختارة (421)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (2082)، والبيهقي (11114).

(2) الإكمال لابن ماكولا (380/2).

(3) في (ز) شهد مع النبي.

(4) تهذيب الأسماء واللغات (204/1).

(5) تجريد أسماء الصحابة (199/1).

وَأَمَرَ عُمَرَ يَقْضِيَهُ مَالَهُ، وَيَزِيدَهُ عَشْرِينَ صَاعًا لَمَّا رَوَّعَهُ، فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا بَقِيَ مِنْ عَلَامَاتِ التُّبَّوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبَرْهُمَا، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ إِلَّا حِلْمًا، فَاخْتَبَرْتُهُ بِهَذَا فَوَجَدْتُهُ كَمَا وُصِفَ».

وَالْحَدِيثُ عَنْ حِلْمِهِ ﷺ وَصَبْرِهِ وَعَفْوِهِ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ، وَحَسْبُكَ مَا ذَكَرْنَاهُ، مِمَّا فِي الصَّحِيحِ وَالْمُصَنَّفَاتِ الثَّابِتَةِ، إِلَى مَا بَلَغَ مُتَوَاتِرًا مَبْلَغَ الْيَقِينِ، مِنْ صَبْرِهِ عَلَى مُقَاسَاةِ قُرَيْشٍ وَأَذَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُصَابَرَةِ الشَّدَائِدِ الصَّعْبَةِ مَعَهُمْ، إِلَى أَنْ أَظْفَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَحَكَمَهُ فِيهِمْ وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي اسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِمْ⁽¹⁾، وَإِبَادَةِ خَضْرَائِهِمْ⁽²⁾، فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ عَفَا وَصَفَحَ وَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ إِنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، فَقَالَ: أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾⁽³⁾ [يوسف: 92]، الْآيَةَ، «إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»⁽⁴⁾.

(1) (قوله: شَأْفَتِهِمْ)، بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية.

في الصحاح: «الشَّافَةُ: قَرْحَةٌ تَخْرُجُ فِي أَسْفَلِ الْقَدَمِ فَتُكْوَى فَتَذْهَبُ، يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: اسْتَاصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهُ، أَيِ أَذْهَبَهُ اللَّهُ كَمَا أَذْهَبَ تِلْكَ الْقَرْحَةَ بِالْكَفِّ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: خَضْرَائِهِمْ)، بفتح الخاء وإسكان الضاد المعجمتين بعدها راء فهزمة ممدودة⁽²⁾، أي جماعتهم وأشخاصهم.

(3) (قوله: لَا تَتْرِبَ)، قيل: معناه لَا تَغْيِيرَ، وقيل: لَا تَأْنِيبَ، وقيل: لَا تَنْغِيصَ، وقيل: لَا إِبَاءَ فِي قَبُولِ عَذْرِكُمْ.

(4) (قوله: الطُّلَقَاءُ)، بضم الطاء المهملة وفتح اللام، جمع طليق، وهو الأسير إذا أُطْلِقَ وَخُلِّيَ سَبِيلَهُ.

(1) الصحاح (1379/4) مادة: شَأَفَ.

(2) [ممدودة] ساقط من (ز).

وَقَالَ أَنَسٌ: «هَبَطَ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ التَّنْعِيمِ»⁽¹⁾ صَلَاةَ الصُّبْحِ لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذُوا، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [الفتح: 24]، الْآيَةُ.

وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ وَقَدْ سِيقَ إِلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ جَلَبَ إِلَيْهِ الْأَحْزَابَ⁽²⁾ وَقَتَلَ عَمَّهُ⁽³⁾ وَأَصْحَابَهُ وَمَثَلَ بِهِمْ⁽⁴⁾، فَعَفَا عَنْهُ وَلَا طَفَهُ فِي الْقَوْلِ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ».

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبْعَدَ النَّاسِ غَضَبًا، وَأَسْرَعَهُمْ رَضًى ﷺ.

(1) (قوله: مِنَ التَّنْعِيمِ)، هو من مكة على ثلاثة أميال من جهة المدينة والشام⁽¹⁾، سمي بذلك لأن عن يمينه جبلا يقال له نعيم، وعن شماله جبلا يقال له ناعم، وبه واد يقال له نعمان.

(2) (قوله: الْأَحْزَابَ)، هم أهل الخندق، وكانوا ثلاثة عساكر، وعدتهم عشرة آلاف. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وكانت في شوال سنة خمس».

(3) (قوله: وَقَتَلَ عَمَّهُ) هو⁽²⁾ حمزة وأصحابه، قيل سبعون، وقيل السبعون من الأنصار خاصة.

(4) (قوله: وَمَثَلَ بِهِمْ)، يقال: مَثَلَ بِالْعَبْدِ يَمْثُلُ، كَقَتْلٍ يَقْتُلُ، إِذَا قَطَعَ أَطْرَافَهُ أَوْ أَنْفَهُ أَوْ أُذُنَهُ أَوْ مَذَاكِيرَهُ، وَأَمَّا مَثَلَ بِالتَّشْدِيدِ فَلِلْمُبَالَغَةِ.

(1) [والشام] ساقط من (ز).

(2) نهاية اللوحة (22/ظ).

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَسَخَائِهِ وَسَمَاحَتِهِ]

وَأَمَّا الْجُودُ، وَالْكَرَمُ، وَالسَّخَاءُ، وَالسَّمَاحَةُ، وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَقَدْ فَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهَا بِفُرُوقٍ، فَجَعَلُوا الْكَرَمَ الْإِنْفَاقَ بِطَيْبِ النَّفْسِ فِيمَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ⁽¹⁾ وَنَفْعُهُ، وَسَمَّوْهُ أَيْضًا حُرِّيَّةً⁽²⁾، وَهُوَ ضِدُّ النَّذَالَةِ.

وَالسَّمَاحَةُ: التَّجَافِي عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ الْمَرْءُ عِنْدَ غَيْرِهِ بِطَيْبِ نَفْسٍ، وَهُوَ ضِدُّ الشَّكَاسَةِ⁽³⁾.

وَالسَّخَاءُ: سُهُولَةُ الْإِنْفَاقِ، وَتَجَنُّبُ اكْتِسَابِ مَا لَا يُحْمَدُ، وَهُوَ الْجُودُ، وَهُوَ ضِدُّ التَّقْتِيرِ.

فصل وأما الجود والكرم

(1) (قوله: خَطَرُهُ)، بالخاء المعجمة والطاء، أي قَدْرُهُ.

(2) (قوله: حُرِّيَّةً⁽¹⁾)، بضم الحاء المهملة وتشديد الراء المكسورة والمثناة التحتية.

(3) (قوله: ضِدُّ الشَّكَاسَةِ)، هو بفتح الشين المعجمة وتخفيف الكاف وبعدها ألف وسين مهملة، يقال: رجل شَكُسٌ، بكسر أوله وسكون ثانيه، أي صعب الخلق، وقوم شَكُسٌ⁽²⁾ بضمهمما، مثل رجل صِدْقٌ وقوم صُدُقٌ.

(1) كذا أورده الشُّمْنِيُّ اعتماداً على نسخته، وفي بعض النسخ «جُرْأَةً»، كما نبه على اختلاف النسخ الملا علي القاري في شرح الشفا (1/255).

(2) [بكسر أوله..... وقوم شكس] ساقط من (ز).

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَازِي⁽¹⁾ فِي هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَلَا يُبَارَى، بِهَذَا وَصْفِهِ كُلِّ مَنْ عَرَفَهُ.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشَمِيهَنِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْبَلْخِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَبَرِيُّ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ⁽²⁾، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ الْمُكَدَّرِ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: «مَا سِئَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا».

وَعَنْ أَنَسٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِثْلُهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَكَانَ إِذَا لَقِيَهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ⁽³⁾ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى فَاقَةً».

وَأَعْطَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ.

وَأَعْطَى صَفْوَانَ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً.

وَهَذِهِ كَانَتْ خُلُقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ.

(1) (قوله: لَا يُوَازِي)، قال ابن الأثير: «المُوازاةُ: المُقَابَلَةُ والمُوَاجَهَةُ»⁽¹⁾.

وفي الصحاح: «أَزَيْتُهُ: إِذَا حَادَيْتُهُ، وَلَا تَقُلْ: وَازَيْتُهُ»⁽²⁾.

(2) (قوله: ابْنُ كَثِيرٍ)، بفتح الكاف وكسر المثناة بعدها مثناة تحتية.

(3) (قوله: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ)، هو صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ.

(1) النهاية في غريب الحديث (182/5) مادة: وزا.

(2) الصحاح (2268/6) مادة: أزا.

وَقَدْ قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نُفَلٍ^(١): «إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكُلَّ^(٢)، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ^(٣)».

- (١) (قوله: وَقَدْ قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نُفَلٍ)، بن أسد بن عبد الغزى.
- قال الحافظ زين الدين العراقي: «ينبغي أن يقال: أول من أسلم من الرجال ورقة، لما في الصحيحين من حديث عائشة في قصة بدء الوحي، فإن فيه: «أَنَّ الْوَحْيَ تَتَابَعَ فِي حَيَاةِ وَرَقَةَ، وَأَنَّهُ آمَنَ بِهِ»، وقد ذكر ابن منذه ورقة في الصحابة، واختُلف في إسلامه^(١)، انتهى.
- ونقل الذهبي كلام ابن منده ثم قال: «والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد نبوة^(٢)».
- (٢) (قوله: تَحْمِلُ الْكُلَّ)، الذي في الصحيحين أن خديجة هي التي قالت ذلك، والكل بفتح الكاف وتشديد اللام، الشيء الثقيل، والمراد هنا نحو اليتيم والضعيف ومن لا قدرة له.
- (٣) (قوله: وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ)، بفتح أوله.
- قال ابن قرقول: «هي أكثر الروايات وأصحها، ومعناه تكسبه لنفسك، وقيل: تكسبه غيرك وتعطيه إياه، يقال: كسبت مالا وكسبته غيري، لازم ومتعد^(٣)».
- وروي بضم أوله، ومعناه تُكْسِبُ غيرك المال المعدوم، أي تعطيه، فحذف أحد المفعولين، وقيل: تعطي الناس ما لا يجدونه عند^(٤) غيرك من مكارم الأخلاق، وقيل: المعدوم الرجل العاجز^(٥)، سماه معدوما لكونه كال ميت.
- وفي النهاية: «يَقَالُ كَسَبْتُ مَالًا، وَكَسَبْتُ زَيْدًا، وَأَكْسَبْتُ زَيْدًا مَالًا، أَي أَعْتَمَهُ عَلَى كَسْبِهِ أَوْ جَعَلْتَهُ يَكْسِبُهُ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوَّلِ فَتَرِيدُ خَدِيجَةَ: أَنَّكَ تَصِلُ إِلَى كُلِّ مَعْدُومٍ وَتَنَالُهُ فَلَا يَتَعَذَّرُ لِبَعْدِهِ عَلَيْكَ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مُتَعَدِيًا إِلَى اثْنَيْنِ فَتَرِيدُ أَنَّكَ تُعْطِي النَّاسَ الشَّيْءَ الْمَعْدُومَ عِنْدَهُمْ وَتَوْصِلُهُ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا أَوْلَى الْقَوْلَيْنِ، لِأَنَّهُ أَشْبَهَ بِمَا قَبْلَهُ فِي بَابِ التَّفْضُلِ وَالْإِنْعَامِ، إِذْ لَا إِنْعَامَ فِي أَنْ يَكْسِبَ هُوَ لِنَفْسِهِ مَا كَانَ مَعْدُومًا عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا الْإِنْعَامُ أَنْ يُولِيَهُ غَيْرَهُ، وَبَابُ الْحِظِّ وَالسَّعَادَةِ فِي الْاِكْتِسَابِ غَيْرُ بَابِ التَّفْضُلِ وَالْإِنْعَامِ^(٦)»، اهـ^(٧).

(١) طرح الثريب (197/4).

(٢) تجريد أسماء الصحابة (128/2).

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (386/3) في الكاف مع السين.

(٤) نهاية اللوحة (23/و).

(٥) في (أ) الرجل الفاجر، وفي (ز) وقيل المعدوم العاجز.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (171/4) مادة: كسب.

(٧) [وفي النهاية: يقال.....باب التفضل والإنعام] ساقط من (ز).

وَرَدَّ عَلَى هَوَازِنَ سَبَايَاهَا⁽¹⁾، وَكَانَتْ سِتَّةَ آلَافٍ.

وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ مَا لَمْ يُطِقْ حَمْلُهُ.

وَحُمِلَ إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَسَمَهَا، فَمَا رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا.

وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنْ ابْتَغِ⁽²⁾ عَلَيَّ، فَإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفِقْ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا، فَتَبَسَّمَ ﷺ، وَعُرفَ الْبُشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُ»، ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ.

(1) (قوله: وَرَدَّ عَلَى هَوَازِنَ سَبَايَاهَا)، وكانت ستة آلاف من الآدميين، وأما الإبل فكانت نحو أربعة وعشرين ألفا، والغنم كانت فوق أربعين ألفا، والورق فأربعة آلاف أوقية من الفضة⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَلَكِنْ ابْتَغِ)، هو بموحدة ثم تاء فوقية.

(1) روى البخاري (2307) عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفَدَ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُمْ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيَّرَ رَأْيَ إِيَّاهُمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نَغْطِيَهُ إِثَابَهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَا نَذَرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرْفَاؤَكُمْ أَمْرَكُمْ» فَارْجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذْنُوا».

وَذَكَرَ عَنْ مُعَوِّذٍ⁽¹⁾ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطْبٍ - يُرِيدُ طَبَقًا -، وَأَجْرٍ زُغْبٍ - يُرِيدُ قِتَاءً -، فَأَعْطَانِي مِلءَ كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا».

(1) (قوله: وَذَكَرَ عَنْ مُعَوِّذٍ)، قال المِزِّي: «هذا الحديث روي عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ⁽¹⁾ بْنِ عَفْرَاءَ، وأما معوذ فإنه استشهد يوم بدر، ولم يُعَرَفْ له رواية».

وفاعل «ذَكَرَ» ضمير، يعني⁽²⁾ الترمذي ذكر في كتاب الشرائع عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قالت: «بَعَثَنِي مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطْبٍ وَعَلَيْهِ أَجْرٌ مِنْ قِتَاءِ زُغْبٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْقِتَاءَ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ وَعِنْدَهُ حَلِيَّةٌ قَدْ قَدِمَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَمَلَأَ يَدَهُ مِنْهَا فَأَعْطَانِيهِ»⁽⁴⁾.

وفي رواية قالت: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطْبٍ، وَأَجْرٍ زُغْبٍ، فَأَعْطَانِي مِلءَ كَفِّي حُلِيًّا أَوْ قَالَ: ذَهَبًا»⁽⁵⁾.

والرُّبَيْعُ: بضم الراء وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية المكسورة.

ومُعَوِّذُ: بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة، وحكى ابن قرقول⁽⁶⁾ فتحها، وذال معجمة.

وعَفْرَاءُ: بفتح العين المهملة وسكون الفاء والمد.

والقِنَاعُ: بكسر القاف وتخفيف النون بعدها ألف وعين مهملة.

=

(1) [قال المزي.....الربيع بنت معوذ] ساقط من (ز).

(2) [يعني] ساقط من (أ).

(3) في (أ) وكان رسول الله.

(4) رواه الترمذي في الشرائع (193)، والطبراني في الكبير (274/24 رقم: 697)، والبعوي في شرح السنة (2895).

(5) رواه الترمذي في الشرائع (194)، والطبراني في الكبير (273/24 رقم: 694).

(6) في مطالع الأنوار على صحاح الآثار (93/4).

قَالَ أَنَسُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِعَدٍ».

وَالْحَبْرُ بِجُودِهِ ﷺ وَكَرَمِهِ كَثِيرٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَاسْتَلَفَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ⁽¹⁾، فَجَاءَ يَتَقَاضَاهُ، فَأَعْطَاهُ وَسْقًا، وَقَالَ: نِصْفُهُ قَضَاءٌ، وَنِصْفُهُ نَائِلٌ⁽²⁾».

= وَأَجْرٌ: بضم الهمزة وسكون الجيم بعدها راء، جمع جزو.

وفى الصحاح: «وَالْجِزُّ وَالْجِزْوَةُ: الصَّغِيرُ مِنَ الْقِتَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ «أُتِيَ⁽¹⁾ النَّبِيُّ ﷺ بِأَجْرِ زُعْبٍ»، وَكَذَلِكَ جِزُّ الْحَنْظَلِ وَالرُّمَّانِ⁽²⁾، انْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ قُرْقُول: «أَجْرٌ جَمْعُ أَجْرَاءٍ، وَأَجْرَاءُ: جَمْعُ جِزْوٍ⁽³⁾».

وَالزُّعْبُ: بزاي مضمومة وغين معجمة ساكنة وباء موحدة، التي عليها زغبها، أي شيء يشبه الزغب، وهو شعيرات صفر على ريش الفرخ. والقِتَاءُ: بكسر القاف وضمها فالمثلثة فالمد.

(1) (قوله: نِصْفَ وَسْقٍ)، الوِسْقُ: بكسر الواو وفتحها، ستون صاعا.

(2) (قوله: وَنِصْفُهُ نَائِلٌ)، أي عطاء.

(1) نهاية اللوحة (23/ظ).

(2) الصحاح (2301/6) مادة: جرى.

(3) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (111/2) في الجيم والراء.

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَجَاعَتِهِ وَنَجْدَتِهِ]

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ، فَالشَّجَاعَةُ: فَضِيلَةُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَانْقِيَادِهَا لِلْعَقْلِ.

وَالنَّجْدَةُ⁽¹⁾: ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْمَوْتِ، حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ، قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ، وَفَرَ الْكُمَاةَ⁽²⁾ وَالْأَبْطَالَ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ، وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَرَحَّزُ، وَمَا شَجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ قُوَّةٌ، وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ⁽³⁾، سِوَاهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ لِي، حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجٌ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْفَقِيهِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُذْرٌ⁽⁴⁾، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: «سَمِعَ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: أَفَرَزْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فصل وأما الشجاعة

(1) (قوله: وَالنَّجْدَةُ)، بفتح النون، في اللغة الشجاعة، وفي الحقيقة ما ذكره القاضي رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

(2) (قوله: الْكُمَاةُ)، بضم الكاف، جمع كَمِيٍّ بفتحها وكسر الميم وتشديد الياء، وهو الشجاع المتكفي في سلاحه، أي المستتر فيه، كأنه جَمْعُ كَامٍ كَقَاضٍ وَقُضَاةٍ.

(3) (قوله: جَوْلَةٌ)، بفتح الجيم وسكون الواو، أي نفور وزوال عن الموقف.

(4) (قوله: عُذْرٌ)، بغيرين معجمة مضمومة ونون ساكنة ودال مهملة تضم وتفتح.

(1) في (ز) قوله: والنجدة بفتح النون، أي الشجاعة.

قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرْ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ⁽¹⁾، وَأَبُو سُفْيَانَ أَخَذَ بِلِجَامِهَا⁽²⁾، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ».

وَزَادَ غَيْرُهُ «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

قِيلَ: «فَمَا رُئِيَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ».

وَقَالَ غَيْرُهُ: «نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَعْلَتِهِ».

وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ الْعَبَّاسِ قَالَ: «فَلَمَّا اتَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرْكِضُ بَعْلَتَهُ نَحْوَ الْكَفَّارِ وَأَنَا أَخَذْتُ بِلِجَامِهَا، أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ، ثُمَّ نَادَى «يَا لِلْمُسْلِمِينَ»، الْحَدِيثُ.

(1) (قوله: عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ)، في مسلم «أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَلَى بَعْلَتِهِ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ فَرَوْهَ بَنُ نَفَاةً»⁽¹⁾.

وفى شرح مسلم: «أن اسمها الدُّلدُلُ، قال العلماء: لا يُعرف له بغلة سواها»⁽²⁾، انتهى.

وقال المحب الطبري: «الدلدل أهداها له المقوقس، وذكر أنها كبرت وبقيت إلى زمن معاوية يَنْبُعُ».

وفى سيرة مغلطاي: «كان له ﷺ من البغال دُلْدُلٌ، وفضة، والتي أهداها له ابن العلماء، والأَيْلِيَّةُ، وبغلة أهداها له كسرى، وأخرى من دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي»، انتهى.

(2) (قوله: وَأَبُو سُفْيَانَ أَخَذَ بِلِجَامِهَا)، هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، واسمه مغيرة، وقيل اسمه كنيته، كان رضيع النبي ﷺ، وكان آلف الناس به قَبْلَ التَّبَوُّةِ، أسلم يوم الفتح بطريق مكة بالأبواء، ومات بالمدينة سنة عشرين.

(1) رواه مسلم (1775) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) شرح صحيح مسلم للنووي (113/12).

وَقِيلَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَضِبَ - وَلَا يَغْضَبُ إِلَّا لِلَّهِ - لَمْ يَقُمْ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ».

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلَا أَنْجَدَ وَلَا أَجُودَ وَلَا أَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ - وَيُزَوَّى اشْتَدَّ الْبَأْسُ - وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُودُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا».

وَقِيلَ: «كَانَ الشُّجَاعُ هُوَ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ ﷺ إِذَا دَنَا الْعَدُوُّ لِقُرْبِهِ مِنْهُ».

وَعَنْ أَنَسٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجُودَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، لَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصُّوتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصُّوتِ، وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ⁽¹⁾ عَزِي، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تَرَاعُوا».

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: «مَا لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ».

وَلَمَّا رَأَاهُ أَبِي بْنُ خَلْفٍ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ لَا نَجُوتُ إِلَّا نَجَا، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حِينَ افْتَدَى⁽²⁾ يَوْمَ بَدْرٍ عِنْدِي فَرَسٌ⁽³⁾ أَعْلَفُهَا

(1) (قوله: عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ)، هذا الفرس اسمه مَثْدُوبٌ، جاء ذلك في الصحيح⁽¹⁾.

(2) (قوله: حِينَ افْتَدَى)، بالفاء، أي أعطى الفدية.

(3) (قوله: عِنْدِي فَرَسٌ)، جاء في بعض الروايات أن اسمه الْعُودُ، بفتح العين⁽²⁾ المهملة وسكون الواو بعدها دال مهملة.

(1) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (2862)، ومسلم (2307).

(2) نهاية اللوحة (24/و).

كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا⁽¹⁾ مِنْ ذُرَّةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَدَّ أُبْيَى عَلَى فَرَسِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْتَرَضَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَكَذَا، أَيُّ خَلْوَا طَرِيقَهُ، وَتَنَاوَلَ الْحَزْبَةُ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ، فَانْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرُوا عَنْهُ تَطَايِيرُ الشَّعْرَاءِ⁽²⁾

(1) (قوله: فَرَقًا)، بفتح الفاء والراء ويجوز إسكانها.

قال ابن الأثير في النهاية: «الْفَرَقُ بالتحريك مكताल يَسْعُ سِتَّةَ عَشَرَ رَطْلًا، وهي اثنا عشر مُدًّا، أو ثلاثة آصُعٍ عند أهل الحجار، وأما الْفَرَقُ بالسكون فمائة وعشرون رَطْلًا»⁽¹⁾.

(2) (قوله: تَطَايِيرُ الشَّعْرَاءِ)، بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها راء وهمزة ممدودة.

قال صاحب الصحاح: «والشَّعْرَاءُ ذُبَابَةٌ، يقال: هي التي لها إِبْرَةٌ»⁽²⁾.

وقال الهروي: «وفي الحديث «تَطَايَرَ النَّاسُ عَنْهُ تَطَايِيرُ الشُّعْرِ عَنِ الْبَعِيرِ»، قال الْقُتَيْبِيُّ: الشُّعْرُ جمع شَعْرَاءٍ، وهي ذباب حُمْرٌ يقع على الإبل والحُمير فتؤذيها»⁽³⁾.

وفي النهاية: «أنه ﷺ لما أراد قتل أُبْيَى بن خلف تطاير الناس عنه تطاير الشُّعْرِ عَنِ الْبَعِيرِ»، الشُّعْرُ بضم الشين وسكون العين، جمع شَعْرَاءٍ، وهو ذباب حمر، وقيل: زرق، تقع على الإبل والحُمير وتؤذيها إيذاءً شديداً، وقيل: هو ذباب كثير الشعر، وفي رواية «إِنْ كَغَبِ بْنِ مَالِكٍ ناوله الحربة، فلما أخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عَنْهَا تَطَايِيرُ الشُّعَارِيرِ»، وهي بمعنى الشُّعْرِ، وقياس واحدها شُعْرُورٌ، وقيل: هي ما يجتمع على دبر البعير من الذباب، فإذا هَيَّجَتْ تطايرت عَنْهَا»⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث (437/3) مادة: فرق.

(2) الصحاح (699/2) مادة: شعر.

(3) الغريبين (1009/3) مادة: شعر.

(4) [وفي النهاية..... هيجت تطايرت عنها] ساقط من (ز).

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر (699/2) مادة: شعر.

عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادًا⁽¹⁾ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا.

وَقِيلَ: «بَلْ كَسَرَ ضِلْعًا⁽²⁾ مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَرَجَعَ إِلَى فُرَيْشٍ يَقُولُ: قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ مَا بِي بِجَمِيعِ النَّاسِ لَقَتَلَهُمْ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ: أَنَا أَقْتُلُكَ، وَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي، فَمَاتَ بِسَرَفٍ⁽³⁾ فِي قُفُولِهِمْ⁽⁴⁾ إِلَى مَكَّةَ».

(1) (قوله: تَدَادًا)، بفتح المثناة الفوقية والdal المهملة بعدها همزة ساكنة ثم Dal أخرى ثم همزة، أي تدرج.

(2) (قوله: ضِلْعًا)، بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام وقد تسكن.

(3) (قوله: بِسَرَفٍ)، بفتح المهملة وكسر الراء بعدها فاء، اسم لموضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة، وقيل: تسعة.

(4) (قوله: فِي قُفُولِهِمْ)، أي رجوعهم، قفل يقفل إذا عاد من سفره، وقد يقال للسفر قفول في الذهاب والمجيء، وأكثر ما يستعمل في الرجوع، كذا في النهاية⁽¹⁾.

وقال بعضهم: إنما قيل للذاهبين قافلة تفاؤلا برجوعهم⁽²⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر (92/4) مادة: قفل.

(2) (قوله: فِي قُفُولِهِمْ، أي رجوعهم..... تفاؤلا برجوعهم) ساقط من (ز).

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِحَيَائِهِ وَإِغْضَائِهِ عَنِ الْعَوْرَاتِ]

وَأَمَّا الْحَيَاءُ وَالْإِغْضَاءُ، فَالْحَيَاءُ: رِقَّةٌ تَعْتَرِي وَجْهَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ فِعْلٍ مَا يَتَوَقَّعُ كَرَاهِيَّتَهُ، أَوْ مَا يَكُونُ تَرْكُهُ خَيْرًا مِنْ فِعْلِهِ.

وَالْإِغْضَاءُ: التَّغَافُلُ عَمَّا يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً، وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ الْعَوْرَاتِ إِغْضَاءً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئُ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: 53]، الآية.

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَتَّابٍ بِقَرَأَتِي عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى أَنَسٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ⁽¹⁾ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».

وَكَانَ ﷺ لَطِيفَ الْبَشَرَةِ، رَقِيقَ الظَّاهِرِ، لَا يُشَافُهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُهُ حَيَاءً وَكَرَمَ نَفْسٍ.

فصل وأما الحياء والإغضاء

(1) (قوله: العذراء)، بالعين المهملة والذال المعجمة والمد، البكر، والخدر بالحاء المعجمة والذال⁽¹⁾ المهملة: الستر.

(1) نهاية اللوحة (24/ظ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ مَا يَكْرَهُهُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ كَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَصْنَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ كَذَا، يَنْهَى عَنْهُ، وَلَا يُسَمِّي فَاعِلَهُ».

وَرَوَى أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلْ هَذَا».

وَيُرْوَى «يَنْزِعُهَا».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحِ «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَحَاشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا⁽¹⁾، وَلَا سَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيُصَفِّحُ».

وَقَدْ حُكِيَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ عَنِ التَّوْرَةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ سَلَامٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

وَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُثَبِّتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ، وَأَنَّهُ كَانَ يُكْنِي عَمَّا اضْطَرَّه الْكَلَامُ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ».

(1) (قوله: فَحَاشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا)، قال الهروي وابن الأثير: «الْفَاحِشُ الَّذِي فِي كَلَامِهِ فُحْشٌ، وَالْمُتَفَحِّشُ الَّذِي يَتَكَلَّفُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ»⁽¹⁾.

(1) الغريبين (1415/5)، والنهاية في غريب الحديث (415/3) مادة: فُحْشٌ.

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِحُسْنِ عِشْرَتِهِ وَأَدَبِهِ وَبَسْطِ خُلُقِهِ]

وَأَمَّا حُسْنُ عِشْرَتِهِ وَأَدَبُهُ وَبَسْطُ خُلُقِهِ ﷺ مَعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ فَبِحَيْثُ انْتَشَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ.

قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً»⁽¹⁾، وَالْيَنَّهُمْ عَرِيكَةً⁽²⁾ وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً.

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرِّفِ الْأَنْمَاطِيِّ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَالُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مَرْوَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى⁽³⁾ قَالَا: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَشْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ قِصَّةً فِي آخِرِهَا: فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَارًا، وَطَأَّ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: يَا قَيْسُ، اضْحَبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ قَيْسُ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْكَبْ»، فَأَبَيْتُ، فَقَالَ: «إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ، وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ»، فَانْصَرَفْتُ.

فصل وأما حسن عِشْرَتِهِ

(1) (قوله: لَهْجَةً)، فِي الصَّحاحِ: «اللَّهْجَةُ: اللِّسَانُ، وَقَدْ تُحَرِّكُ، يُقَالُ: فَلَانٌ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهْجَةُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: عَرِيكَةً)، أَي طَبِيعَةً.

(3) (قوله: ابْنُ الْمُثَنَّى)، بضم الميم وفتح المثناة بعدها نون مشددة.

(1) الصَّحاح (339/1) مادة: لهج.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «ازْكَبْ أَمَامِي فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدِّمِهَا».

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُنْفِرُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُؤَلِّفُهُ عَلَيْهِمْ، وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَخْتَرُسُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَشْرَهُ، وَلَا خُلُقَهُ، يَتَعَهَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ، وَلَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ.

مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ.
وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَزِدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِثْلٍ مِنَ الْقَوْلِ.

قَدْ وَسَّعَ النَّاسُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً.
بِهَذَا وَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ قَالَ: «وَكَانَ دَائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ، وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عَيَّابٍ، وَلَا مَدَّاحٍ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَلَا يُؤَيِّسُ مِنْهُ».

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34]، الْآيَةُ.

وَكَانَ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كِرَاعًا⁽¹⁾، وَيُكَافِي⁽²⁾ عَلَيْهِ.

(1) (قوله: وَلَوْ كَانَتْ كِرَاعًا)، الكِرَاعُ: بضم الكاف وتخفيف الراء، في الغنم والبقر بمنزلة الوطيف في الفرس والبعير، وهو مستدق الساق، يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، والجمع أكرع، ثم أكارع.

(2) (قوله: وَيُكَافِي)، بهمزة في آخره، أي يجازي.

قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: أَفٍّ، قَطُّ⁽¹⁾، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَيْكَ».

وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأْنِي إِلَّا تَبَسَّمَ».

وَكَانَ يُمَارِضُ أَصْحَابَهُ، وَيُخَالِطُهُمْ، وَيُحَادِثُهُمْ، وَيَدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ، وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمُسْكِينِ، وَيَعُودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ.

قَالَ أَنَسُ: «مَا التَّقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽²⁾ فَيُنَجِّي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَجِّي رَأْسَهُ، وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ، فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يَرْسُلَهَا الْآخِذَ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ».

(1) (قوله: فَمَا قَالَ لِي أَفٍّ قَطُّ)، يقال: أف له، أي قدرا له، وقيل: احتقارا له، وقيل: استقلالا، وفيه ست لغات حكاهن الأخفش، وهى ضم الهمزة مع تثليث الفاء بلا تنوين، وضمها مع تثليث الفاء بالتنوين، وحكى المصنف وغيره زيادة على ذلك ضم الهمزة وسكون الفاء وكسر الهمزة وفتح الفاء، وَأُفٌّ وَأُفَّةٌ بضم همزتيهما.

(2) (قوله: مَا التَّقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ النَّبِيِّ ﷺ)، أي ما حدثه أحد عند أذنه، استعار وضع اللقمة في الفم لوضع الفم عند الأذن.

وَكَانَ يَبْدَأُ مِنْ لَفِيهِ بِالسَّلَامِ، وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ، لَمْ يَرْ قَطْ مَاذَا رَجَلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ، يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ، وَيُؤَثِّرُهُ بِالْوَسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ، وَيَغْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى، وَيُكَيِّنِي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ، حَتَّى يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ.

وَيُرْوَى: «بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ».

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَّا خَفَفَ صَلَاتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ.

وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا، وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا، مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ، أَوْ يَعِظُ، أَوْ يَخْطُبُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَعَنْ أَنَسٍ: «كَانَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ، بِأَنْبِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِأَنْبِيَةٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، يُرِيدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ».

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِشَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ]

وَأَمَّا الشَّفَقَةُ وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: 127].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) [الأنبياء: 107].
قَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ فَضْلِهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَقَالَ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: 128].
وَحَكَى نَحْوَهُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ.

حَدَّثَنَا الْفَقِيه أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُسَيْنِيُّ⁽¹⁾ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَافِرِ الْقَارِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَفْيَانَ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَنْبَأَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة

(1) (قوله: الْخُسَيْنِيُّ)، بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين.

غَزْوَةً، وَذَكَرَ حُنَيْنًا⁽¹⁾، قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةً، ثُمَّ مِائَةً.

(1) (قوله: وَذَكَرَ حُنَيْنًا) بضم الحاء المهملة وفتح النون، اسم موضع بين الطائف ومكة، كذا في القاموس⁽¹⁾.

وقال صاحب الصحاح⁽²⁾: «يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، فَإِنْ قَصِدَتْ بِهِ الْبَلَدُ وَالْمَوْضِعُ ذَكَرَتْهُ وَصَرَفَتْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: 25]، وَإِنْ قَصِدَتْ بِهِ الْبُقْعَةُ وَالْبَلَدَةُ أَثْنَتْهُ وَلَمْ تَصْرِفْهُ، قَالَ⁽³⁾:

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُنَيْنٍ يَوْمَ تَوَاكُلِ الْأَبْطَالِ

وفي التعريف والأعلام: «حُنَيْنٌ: اسم عَلِمَ لموضع بأوطاس⁽⁴⁾، سمي بحنين بن قَانِيَةَ بْنِ مَهْلَئِيلَ»، انتهى.

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان من الهجرة.

وأما قولهم: «رَجَعَ بِخُفْيٍ حُنَيْنٍ» فقال عن ابن السكيت⁽⁵⁾ هو اسم إسكاف⁽⁶⁾ من أهل الحبرة ساومه أعرابي بخفين فلم يشتريه، فغاضه ذلك وعلق أحد الخفين في طريق الأعرابي وتقدم فطرح الأرض وكمن له، وجاء الأعرابي فرأى أحد الخفين فقال: ما أشبه هذا بخف حنين، لو كان معه آخر لاشتريته، فتقدم ورأى الخف الثاني مطروحا في الطريق، فنزل وعقل بعيره ورجع إلى الأول فذهب الإسكافي براحلته وجاء إلى الحي بِخُفْيٍ حُنَيْنٍ⁽⁷⁾.

(1) القاموس المحيط (ص: 1192) مادة: الحنين.

(2) الصحاح (2105/5) مادة: حنن.

(3) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، انظر ديوانه (ص: 194).

(4) [بين الطائف ومكة، كذا في.....لموضع بأوطاس] ساقط من (ز).

(5) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت (ص: 228).

(6) نهاية اللوحة (25/و).

(7) [وأما قولهم: رجع.....إلى الحي بخفي حنين] ساقط من (ز).

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: «حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ⁽¹⁾ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَا بُغْضَ الْخَلْقِ إِلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَا حُبَّ الْخَلْقِ إِلَيَّ».

وَرُوي «أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَلَا أَجْمَلْتُ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُّوا، ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ﷺ وَزَادَهُ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ، قَالَ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ، حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ، قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، أَوِ الْعَشِيِّ جَاءَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فَرَدْنَاهُ فَرَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ، أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا، مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا: خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفُقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ، فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ⁽²⁾ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاحَتْ⁽³⁾، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ».

(1) (قوله: ابْنُ الْمُسَيَّبِ)، هو بفتح المنة التحتية عن العراقيين وهو المشهور، وبكسرهما عن المدنيين.

قال ابن قرقول: «قال الصدفي: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ سَعِيدًا كَانَ يَكْرَهُ أَنْ تَفْتَحَ الْيَاءُ مِنْ اسْمِ أَبِيهِ⁽¹⁾، وَأَمَّا غَيْرُ وَالِدِ سَعِيدٍ فَتَفْتَحُ الْيَاءُ بِلَا خِلَافٍ⁽²⁾».

(2) (قوله: مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ)، بضم القاف وتخفيف الميم.

في الصحاح: «الْقُمَامَةُ: الْكُنَاسَةُ، وَالْجَمْعُ قُمَامٌ»⁽³⁾.

(3) (قوله: وَاسْتَنَاحَتْ)، بنون قبل الألف وخاء معجمة بعدها، يقال أنخت الجمل فاستناخ، أي أبركته فبرك.

(1) في (ز) أن يفتح من اسم أبيه.

(2) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (96/4) في أسماء الرواة.

(3) الصحاح (2015/5) مادة: قمم.

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَا يُلْغِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».

وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخْفِيفُهُ وَتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ، وَكَرَاهَتُهُ أَشْيَاءَ مَخَافَةٍ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ».

وَخَيْرُ صَلَاةٍ اللَّيْلِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْوِصَالِ، وَكَرَاهَتُهُ دُخُولَ الْكَعْبَةِ لَيْلًا يُغْنَى⁽¹⁾ أُمَّتُهُ، وَرَغْبَتُهُ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ سَبَّةً وَلَعْنَةً لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ.

وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ دَعَا رَبَّهُ وَعَاهَدَهُ فَقَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَّيْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً، وَرَحْمَةً، وَصَلَاةً، وَطَهُورًا، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَلَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَنَاةَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَمَرَ مَلِكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَاهُ مَلِكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَقَالَ: مُزِنِي بِمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَيْنِ⁽²⁾، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

(1) (قوله: يُغْنَى⁽¹⁾)، بضم المثناة التحيية وسكون المهملة، يقال: عنت فلان وأعنته، إذا أوقعه في أمر شاق.

(2) (قوله: الْأَخْشَيْنِ)، بهمزة مفتوحة وخاء وشين معجمتين، جبلا مكة، أبو قبيس، كني بقبيس بن شامخ فإن عَمُرُو بن مُضَاضِ الْجُرْهُمِيِّ أراد قتله بسبب مُطَوَّلٍ، فضرب في هذا الجبل فهلك⁽²⁾، والجبل الأحمر الذي يقابله المشرف على قعيقعان ويسمى الْجَبَجَبَان.

وقال ابن وهب: «الْأَخْشَبَانِ الْجَبَلَانِ⁽³⁾ اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد».

(1) كذا أورده الشارح تبعا لنسخته، وفي نسخ أخرى صحيحة «لَيْلًا تَتَعَنَّتْ أُمَّتُهُ»، وقد نبه الملا علي القاري في شرح الشفا (285/1) على اختلاف النسخ.

(2) [كني بقبيس بن شامخ..... هذا الجبل فهلك] ساقط من (ز).

(3) [ويسمى الأعراف..... الأخشبَانِ الجبلان] ساقط من (ز).

وَرَوَى ابْنُ الْمُكَدِّرِ: «أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ، فَقَالَ: أُوْخِرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا».

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا⁽¹⁾ بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا».

وَعَنْ عَائِشَةَ «أَنَّهَا رَكِبَتْ بَعِيرًا وَفِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ».

(1) (قوله: يَتَخَوَّلُنَا)، بالخاء المعجمة.

قال ابن الأثير: «أَيَّ يَتَعَهَّدُنَا»⁽¹⁾.

وقال ابن الصلاح: «الصواب بالخاء المهملة، أي يطلب الحال التي ينسطون فيها للموعظة، وكان الأصمعي يرويهِ «يَتَخَوَّلُنَا» بالنون والمعجمة، أي يتعهدنا».

(1) النهاية في غريب الحديث (88/2) مادة: خول.

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِوَفَائِهِ وَحُسْنِ عَهْدِهِ وَصِلَةِ رَحِمِهِ]

وَأَمَّا خُلُقُهُ ﷺ فِي الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، فَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ الْحَبَالُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ⁽¹⁾، عَنْ بُدَيْلٍ⁽²⁾، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَمْسَاءِ⁽³⁾ قَالَ: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ، وَبَقِيتُ لَهُ بَقِيَّةً، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «يَا فَتَى، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ».

وَعَنْ أَنَسٍ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَى بِهَدِيَّةٍ قَالَ: اذْهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِ فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِحَدِيجَةٍ، إِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ حَدِيجَةَ».

فصل

- (1) (قوله: ابْنُ طَهْمَانَ)، بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء.
- (2) (قوله: بُدَيْلٍ)، بضم الموحدة وفتح الدال المهملة⁽¹⁾ وتسكين المثناة من تحت.
- (3) (قوله: الْحَمْسَاءِ)، بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة وهمزة⁽²⁾ ممدودة، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة والنون، وهو تصحيف، وفي بعضها عن أبي الْحَمْسَاءِ، وأبو الْحَمْسَاءِ لا إسلام له ولا رواية.

(1) [المهملة] ساقط من (أ).

(2) نهاية اللوحة (25/ظ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا».

وَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ أُخْتُهَا⁽¹⁾، فَارْتَحَ إِلَيْهَا.

وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ امْرَأَةً فَهَشَّ لَهَا، وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا، فَلَمَّا خَرَجْتُ قَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ».

وَوَصَفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: «كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ».

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ⁽²⁾ لَيَسُؤُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، غَيْرَ أَنَّ لَهُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا⁽³⁾».

(1) (قوله: أُخْتُهَا)، أي أخت خديجة، وهي هالة بنت خويلد، ذكرها في الصحابة ابن منده وأبو نعيم، وهي أم أبي العاص بن الربيع بتشديد الراء المفتوحة وكسر الموحدة.

(2) (قوله: إِنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ)، قال ابن قرقول: «المشهور أن آل أبي ليسوا بأوليائي بفتح الهمزة، يعني من أبي، قال: وبعده بياض في الأصول، كأنهم تركوا الاسم تورعا، وعند ابن السكن⁽¹⁾ أن آل أبي فلان، كُنِيَ عنه بفلان»⁽²⁾، انتهى. والمراد الحكم بن أبي العاص.

(3) (قوله: بِبَلَالِهَا)، البَلَالُ: بكسر الموحدة، وقد تفتح.

قال في الصحاح: «كل ما يُبَلُّ به الحَلْقُ من الماء واللبن فهو بِلَالٌ، ومنه قولهم: «انْضَحُوا الرَّحِمَ بِبَلَالِهَا، أي صَلَّوْهَا بِصِلَتِهَا وَنَدُّوْهَا»⁽³⁾.

(1) في (ز) السكيت.

(2) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (377/1) في مشكل الأسماء والكنى.

(3) الصحاح (1639/4) مادة: بلل.

وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَمَامَةِ⁽¹⁾ بِنْتِ زَيْنَبَ، يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ «وَقَدْ وَفَدَ لِلنَّجَاشِيِّ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْدُمُهُمْ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: نَكْفِيكَ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ، وَإِنِّي أَكْفَيْتُهُمْ⁽²⁾».

وَلَمَّا جِيءَ بِأَخْتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ الشَّيْمَاءِ⁽³⁾ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ، وَتَعَرَّفَتْ لَهُ، بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، وَقَالَ لَهَا: «إِنْ أَحْبَبْتَ أَقْمَتِ عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحَبَّبَةً، أَوْ مَتَّعْتُكَ وَرَجَعْتَ إِلَى قَوْمِكَ، فَاخْتَارْتُ قَوْمَهَا فَمَتَّعَهَا».

(1) (قوله: بِأَمَامَةِ)، هِيَ ابْنَةُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، تَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ بَوْصِيَّةَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِذَلِكَ، وَتَزَوَّجَهَا بَعْدَ عَلِيٍّ الْمُغِيرَةَ بْنِ نُوفَلٍ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ⁽¹⁾، وَاسْمُ الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ⁽²⁾ لَقِيطٌ، وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ، أَسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ فَمُنَّ عَلَيْهِ بِأَلْفِ إِكْرَامٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبَبِ زَيْنَبَ، وَأَسْلَمَ قَبِيلَ الْفَتْحِ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، وَأَعَادَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ، وَقِيلَ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ.

(2) (قوله: أَنِّي أَكْفَيْتُهُمْ)، بِهَمْزَةٍ بَعْدَ الْفَاءِ.

(3) (قوله: بِأَخْتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ الشَّيْمَاءِ) بِشَيْنٍ مَعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَمِثْلُهَا تَحْتِيَّةٌ سَاكِنَةٌ وَمِيمٌ وَمَدٌ.

قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ: «وَيُقَالُ لَهَا الشَّمَاءُ بِغَيْرِ يَاءٍ، أَبُوهَا الْحَارِثُ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽³⁾ مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ بِمَكَّةَ، وَالشَّيْمَاءُ كَانَتْ تَرْبِي النَّبِيَّ ﷺ مَعَ أُمِّهَا حَلِيمَةَ، أَسْلَمَتْ، وَذَكَرَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الصَّحَابَةِ⁽⁴⁾».

وَاسْمُهَا جُدَامَةٌ بِالْجِيمِ وَالدَّالِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَهَا أَلْفٌ فَمِيمٌ، وَقِيلَ خُدَافَةٌ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالدَّالِ⁽⁵⁾ الْمَعْجَمَةِ بَعْدَهَا أَلْفٌ فَفَاءٌ، وَقِيلَ خِدَامَةٌ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ الْمَكْسُورَةِ وَالدَّالِ الْمَعْجَمَةِ بَعْدَهَا أَلْفٌ وَمِيمٌ.

(1) [وتزوجها بعد علي..... فماتت عنده] ساقط من (ز).

(2) [ابن الربيع] ساقط من (ز).

(3) في (ز) أبو النبي.

(4) أسد الغابة (6/166).

(5) نهاية اللوحة (26/و).

وَقَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ⁽¹⁾: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ⁽²⁾».

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ السَّائِبِ⁽³⁾: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا، فَأَقْبَلَ

(1) (قوله: أَبُو الطُّفَيْلِ)، بضم الطاء وفتح الفاء، واسمه عامر بن وائلة بالمثلثة، أدرك النبي ﷺ صغيراً، وهو آخر من مات من الصحابة.

(2) (قوله: قَالُوا أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ)، في الاستيعاب لابن عبد البر: «روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال: «جاءت حليلة بنت عبد الله أم النبي ﷺ من الرضاعة يوم حنين، فقام لها وبسط لها رداءه»⁽¹⁾.

وفي التجريد للذهبي: «يجوز أن تكون هذه ثُوْبِيَّة»⁽²⁾.

وَرُدُّ بِنْقَلٍ مَغْلَطَايَ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ أَنَّ ثُوْبِيَّةَ تُوْفِيَتْ سَنَةَ سَبْعٍ، وَبِنْقَلٍ الشُّهْلَيْيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ سَأَلَ عَنْ ثُوْبِيَّةَ وَعَنْ ابْنِهَا⁽³⁾ مَسْرُوحٌ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا مَاتَا⁽⁴⁾.

وَقَالَ الْحَافِظُ الدِّمِيَاطِيُّ: «حَلِيمَةُ لَا تَعْرِفُ لَهَا صَحْبَةً وَلَا إِسْلَامًا»، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ بَسْطِ الرِّدَاءِ وَقَالَ: «هَذِهِ أُخْتُهُ الشُّيْمَاءُ لَا أَمَهَا حَلِيمَةُ».

وَفِي سِيرَةِ مَغْلَطَايَ: «وَصَحَّحَ ابْنُ حَبَانَ وَغَيْرُهُ حَدِيثًا دَلَّ عَلَى إِسْلَامِهَا».

(3) (قوله: عَمْرِو بْنِ السَّائِبِ)، هو ابن السائب بن راشد البصري، مولى بني زهرة، تابعي، ذكره الحافظ عبد الغني المقدسي في كماله فيمن اسمه عمرو، وَوَهْمُهُ الْمِزْيُ وَقَالَ: اسْمُهُ عَمْرٌ⁽⁵⁾.

(1) الاستيعاب (1813/4).

(2) تجريد أسماء الصحابة (259/2).

(3) في (ز) أبيها.

(4) الروض الأنف (123/5).

(5) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (32/22).

أَبُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ⁽¹⁾ فَوَضَعَ لَهَا شَقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخِرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَقَامَ ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ».

وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثَوْبِيَّةَ⁽²⁾ مَوْلَاةِ أَبِي لَهَبٍ مُرْضِعَتِهِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ، فَلَمَّا مَاتَتْ سَأَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرَابَتِهَا، فَقِيلَ: لَا أَحَدٌ.

(1) (قوله: ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ)، من الرضاعة، الظاهر أنها حليلة.

قيل أرضعته ﷺ ثمان نسوة: ثوبية وكان لها ابن فرضع معه يقال له مسروح، وحليمة، وخولة بنت المنذر، ذكرها أبو الفتح اليعمرى عن أبي إسحاق⁽¹⁾، وأم أيمن، ذكرها أبو الفتح عن بعضهم، والمعروف أنها من الحواضن، وامرأة سعدية غير حليلة، ذكرها ابن القيم في الهدى⁽²⁾، وثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن عاتكة، نقله الشَّهْلِيُّ عن بعضهم في قوله⁽³⁾ ﷺ: «أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيْمٍ»⁽⁴⁾ (5).

(2) (قوله: وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثَوْبِيَّةَ)⁽⁶⁾، قال الشَّهْلِيُّ: «كان يبعث إليها من المدينة، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها»⁽⁷⁾ مَسْرُوحٍ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُمَا مَاتَا»⁽⁸⁾.

وَتَوْبِيَّةٌ: بضم المثلثة⁽⁹⁾ وفتح الواو بعدها مثناة تحتية ساكنة فموحدة، مولاة لأبي لهب عبد العزى بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن هاشم.

(1) عيون الأثر (46/1).

(2) زاد المعاد في هدى خير العباد (81/1).

(3) في (ز) عن بعضهم في تأويله.

(4) [أنا ابن العواتك من سليمان] ساقط من (ز).

(5) الروض الأنف (264/1).

(6) [قوله: وكان يبعث إلى ثوبية] ساقط من (ز).

(7) في (ز) أبيها.

(8) الروض الأنف (102/2).

(9) نهاية اللوحة (26/ظ).

وَفِي حَدِيثِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ ﷺ: «أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِنُكَ»⁽¹⁾ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ⁽²⁾، وَتَقْرِي⁽³⁾ الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

(1) (قوله: لَا يُخْزِنُكَ)، قال ابن قرقول: «في الحاء والزاي «لَا يُخْزِنُكَ اللَّهُ أَبَدًا»⁽¹⁾، كذا رواه معمر عن الزهري، ورواه عنه معقل⁽²⁾ ويونس «من الخِزْيِ والفضيحة»، وهو أصوب»⁽³⁾، انتهى.

وإذا روي بالحاء المهملة ففي المشناة التحتية الفتح والضم، لأنه يقال: حزنه وأحزنه، وإذا روي بالمعجمة فليس فيها إلا الضم.

(2) (قوله: وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ)، تقدم بما فيه.

(3) (قوله: وَتَقْرِي)، بفتح المشناة وسكون القاف.

(1) رواه مسلم (253) عن عائشة رضي الله عنها.

(2) كذا قال الشارح «عن معقل»، والصواب «عن عُقَيْل»، وهو عُقَيْل بن خالد، ورويته عند البخاري (4953)، ومسلم (160) وقال مسلم: «وَتَابَعَ يُونُسُ عَلَى قَوْلِهِ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا».

(3) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (270/2) في الوهم والخلاف.

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِتَوَاضُعِهِ]

وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ ﷺ، عَلَى عُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ، فَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا وَأَقْلُهُمْ كِبْرًا⁽¹⁾.

وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَقَالَ لَهُ إِسْرَافِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ أَنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشُقُ الْأَرْضُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ.

فصل وأما تواضعه⁽¹⁾

(1) (قوله: وَأَقْلُهُمْ⁽²⁾ كِبْرًا)، الْقِلَّةُ هُنَا مُرَادٌ بِهَا النِّفْيُ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَاهُ، نَحْوُ: أَقْلُ رَجُلٍ يَقُولُ ذَلِكَ، أَيْ مَا رَجُلٌ يَقُولُهُ، وَلِذَلِكَ لَا تَدْخُلُ نَوَاسِخُ الْإِبْتِدَاءِ عَلَى أَقْلٍ، كَمَا لَا تَدْخُلُ عَلَى «مَا» النَّافِيَةِ، وَمِنْ اسْتِعْمَالِ الْقِلَّةِ بِمَعْنَى النِّفْيِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ»⁽⁴⁾.

قال ابن الأثير في النهاية: «أَيُّ لَا يَلْغُو شَيْئًا، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ قَدْ تَسْتَعْمَلُ فِي نَفْيِ⁽³⁾ أَصْلِ الشَّيْءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88]»⁽⁶⁾.

(1) [فصل وأما تواضعه] ساقط من (ز).

(2) هكذا أورده الشارح، وفي نسخ أخرى «وَأَعْدَمَهُمْ كِبْرًا»، ونبه الملا علي القاري في شرح الشفا (294/1) على اختلاف النسخ.

(3) في (ز) كان النبي.

(4) صحيح. رواه النسائي (1414)، والدارمي (75)، وابن حبان (6423)، والحاكم (4225).

(5) [نفى] ساقط من (ز).

(6) النهاية في غريب الحديث (104/4) مادة: قلل.

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْعَوَّادِ الْفَقِيهَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ بِقُرْطُبَةَ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، حَدَّثَنَا ابْنُ دَاسَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ مِسْعَرٍ⁽¹⁾، عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ⁽²⁾، عَنْ أَبِي الْعَدْبَسِ⁽³⁾، عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا، فَقُمْنَا لَهُ، فَقَالَ: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يُعْظَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

وَكَانَ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَعُوذُ الْمَسَاكِينِ، وَيُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَيَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مُخْتَطِطًا بِهِمْ، حَيْثُمَا انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ جَلَسَ.

وَفِي حَدِيثٍ عُمَرَ عَنْهُ ﷺ: «لَا تُطْرُونِي»⁽⁴⁾ كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

(1) (قوله: عَنْ مِسْعَرٍ)، بميم مكسورة وسين مهملة ساكنة وعين مهملة مفتوحة.

(2) (قوله: عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ)، بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الموحدة وبعدها سين مهملة، اسمه الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي.

(3) (قوله: الْعَدْبَسِ)، بفتح العين والdal المهملتين، وتشديد الموحدة، بعدها سين مهملة، هو ثُبَيْع، بضم المثناة الفوقية وفتح الموحدة وسكون المثناة التحتيّة بعدها عين مهملة، ذكره ابن ماكولا في الإكمال⁽¹⁾.

(4) (قوله: لَا تُطْرُونِي)، الإِطْرَاءُ: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(1) الإكمال لابن ماكولا (151/6).

وَعَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ»⁽¹⁾ جَاءَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَّةً، قَالَ: اجْلِسِي يَا أُمُّ فُلَانٍ فِي أَيِّ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شِئْتَ أَجْلِسُ إِلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكَ، قَالَ: فَجَلَسْتُ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا».

قَالَ أَنَسٌ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ»⁽²⁾.
قَالَ: «وَكَانَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ»⁽³⁾ فَيُجِيبُ».
قَالَ: «وَحَجَّ ﷺ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ، وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ»⁽⁴⁾ مَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً».
هَذَا، وَقَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَأَهْدَى فِي حَجِّهِ ذَلِكَ مِائَةً بَدَنَةٍ.

(1) (قوله: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ)، قيل: هي أم زفر، ماشطة خديجة بنت خويلد.

(2) (قوله: عَلَيْهِ إِكَافٌ)، هو بكسر الهمزة وضمها وبالواو بدلها، البردعة، وقيل ما تشد فوق البردعة من أدواتها.

(3) (قوله: وَالْإِهَالَةُ السَّنَخَةُ)، الإِهَالَةُ: بكسر الهمزة وتخفيف الهاء، كل ما يؤتد به من الأدهان.

وَالسَّنَخَةُ: بفتح السين المهملة وكسر النون بعدها خاء معجمة، المتغيرة الرائحة، يقال: سنخ وزنخ.

(4) (قوله: وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ) ⁽¹⁾ قَطِيفَةٌ، الْقَطِيفَةُ: الْكِسَاءُ الَّذِي لَهُ خَمْلٌ.

(1) نهاية اللوحة (27/و).

وَلَمَّا فُتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَدَخَلَهَا بِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ، طَاطَأَ عَلَى رَحْلِهِ
رَأْسَهُ حَتَّى كَادَ يَمُتُّ قَادِمَتَهُ تَوَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى.

وَمِنْ تَوَاضِعِهِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى⁽¹⁾».

وَ «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ».

وَ «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى».

وَ «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَ لَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُونُسُ فِي
السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».

وَقَالَ لِلَّذِي قَالَ لَهُ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ: «ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ».

وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(1) (قوله: يُونُسَ بْنِ مَتَّى)، قال ابن الأثير في الكامل: «مَتَّى أمه»⁽¹⁾.

ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس.

فإن قيل: قَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»⁽²⁾، ونسبه
إلى أبيه، وهو يقتضى أن متى أبوه.

أجيب: بأن مَتَّى مدرج في الْحَدِيثِ مِنْ كَلَامِ الصَّحَابِيِّ لِبَيَانِ يُونُسَ بِمَا اشتهر
به، لا من كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما كان ذلك موهما أن الصحابي سمع هذه
النسبة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفع الصحابي ذلك بقوله: ونسبه إلى أبيه، أي لا كما
فعلت أنا من نسبته إلى أمه.

(1) الكامل في التاريخ (329/1)، وانظر أيضا جامع الأصول في أحاديث الرسول (115/12).

(2) الحديث في البخاري (3395)، ومسلم (2377) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لَا
يُنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؛ وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ وَالْحَسَنِ وَأَبِي سَعِيدٍ وَغَيْرِهِمْ فِي صِفَتِهِ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ: «كَانَ فِي بَيْتِهِ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ⁽¹⁾، يَفْلِي ثَوْبَهُ⁽²⁾، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ⁽³⁾، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ، وَيَقُمُ⁽⁴⁾ الْبَيْتَ، وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ وَيَغْلِفُ نَاضِحَهُ⁽⁵⁾، وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ، وَيَعْجِنُ مَعَهَا وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ الشُّوقِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا».

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَصَابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ فَقَالَ لَهُ: «هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».

(1) (قوله: فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ)، في الصحاح: «المِهْنَةُ: بالفتح الخِدْمَةُ، وحكى أبو زيد والكسائي المِهْنَةَ بالكسر، وأنكره الأصمعي»⁽¹⁾، انتهى.

وعن المِزِّي: «كسر الميم أحسن، ليكون على وزن خدمة، كما هو بمعناه».

(2) (قوله: يَفْلِي ثَوْبَهُ)، قيل إنه عليه الصلاة والسلام⁽²⁾ لم يقع عليه ذباب قط، ولم يكن القمل يؤذيه تعظيماً له وتكريماً.

(3) (قوله: وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ)، بالخاء المعجمة والصاد المهملة⁽³⁾، أي يخرزها.

(4) (قوله: وَيَقُمُ)، بضم القاف، أي يكنس.

(5) (قوله: نَاضِحُهُ) الناضح بالضاد المعجمة والحاء المهملة، الجمل الذي يُسْتَقَى عليه الماء.

(1) الصحاح (2209/6) مادة: مهن.

(2) في (أ) عليه السلام.

(3) [الجمل الذي يستقى.....والصاد المهملة] ساقط من (ز).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ السُّوقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ⁽¹⁾، وَقَالَ لِلْوَزَّانِ: زِنْ وَأَرْجِحْ، وَذَكَرَ الْقِصَّةَ، قَالَ: فَوُثِّبَ إِلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْبَلُهَا، فَجَذَبَ يَدَهُ، وَقَالَ: «هَذَا تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ».

ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ، فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلَهُ فَقَالَ: «صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ».

(1) (قوله: سَرَاوِيلَ)، قالوا لم يثبت أنه لبس السراويل، ولكنه اشتراها ولم يلبسها، وفي الهدي لابن قيم الجوزية أنه لبسها⁽¹⁾.

قالوا: وهو سبق قلم⁽²⁾، واشترها عليه السلام بأربعة دراهم، وفي الإحياء أنه اشتراها بثلاثة دراهم⁽³⁾.

(1) زاد المعاد في هدى خير العباد (134/1).

(2) ما نقله أنه سبق قلم اعترض عليه في ذلك تلميذه السيوطي في الحاوي للفتاوي (441/1)، وابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (ص: 116) بما رواه الطبراني في الأوسط (6594)، وأبو يعلى (6162)، والبيهقي في الشعب (5830) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دَخَلْتُ يَوْمًا السُّوقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ إِلَى الْبَرَّازِينَ، فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، وَكَانَ لِأَهْلِ السُّوقِ وَزَانٌ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّرِنْ وَأَرْجِحْ»، فَقَالَ الْوَزَّانُ: إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَفَى بِكَ مِنَ الْجَفَاءِ فِي ذَلِكَ أَنْ لَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ ﷺ، فَطَرَحَ الْمِيزَانَ، وَوُثِّبَ إِلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْبَلُهَا، فَجَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنْهُ، وَقَالَ: «هَذَا إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَرِنْ وَأَرْجِحْ»، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَاوِيلَ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا يَعْجُزُ عَنْهُ فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّكَ لَتَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَبِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالتَّسْتُرِ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَسْتُرُ مِنْهُ».

والحديث ضعيف جدا، ضعفه الحافظ في الفتح (273/10)، والهيتمي في مجمع الزوائد (122/5)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (441/1).

(3) إحياء علوم الدين (232/4).

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بَعْدَلِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ]

وَأَمَّا عَدْلُهُ ﷺ، وَأَمَانَتُهُ، وَعِفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ، فَكَانَ ﷺ آمِنًا⁽¹⁾ النَّاسِ، وَأَعْدَلَ النَّاسِ، وَأَعَفَّ النَّاسِ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ، اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ⁽²⁾ وَعِدَاؤُهُ⁽³⁾.

وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوتِهِ «الْأَمِين».

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ: «كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينِ، بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُطَاعٌ تَمَّ آمِينَ﴾ [التكوير: 21].

أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَتْ⁽⁴⁾ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ، حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ دَاخِلٌ، وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوتِهِ، فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ، هَذَا الْأَمِينُ، قَدْ رَضِينَا بِهِ.

فصل وأما عدله

(1) (قوله: آمِنٌ)، بمد الهمزة وفتح الميم.

(2) (قوله: مُحَادُّوهُ)، بالحاء المهملة والdal المشددة المهملة⁽¹⁾، أي مخالفوه،

ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ يُكَادِرُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: 63].

(3) (قوله: وَعِدَاؤُهُ)، بكسر العين المهملة والقصر، أي أعداؤه.

(4) (قوله: وَتَحَازَبَتْ)، بالحاء المهملة والزاي، أي صارت أحزابا.

(1) في (أ) بالحاء والdal المشددة المهملتين.

وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ⁽¹⁾: «كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ».

وَقَالَ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ، أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ».

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدْفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى بْنُ زَوْجِ الْحَرَّةِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ الْمُرُوزِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ⁽²⁾، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ نَاجِيَةَ⁽³⁾ بِنِ كَعْبٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لَا نَكْذِبُكَ، وَلَكِنْ نَكْذِبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ [الأنعام: 33]، الْآيَةَ. وَرَوَى غَيْرُهُ: «لَا نَكْذِبُكَ، وَمَا أَنْتَ فِينَا بِمُكْذِبٍ».

وَقِيلَ: إِنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ⁽⁴⁾ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ⁽⁵⁾ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا، تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ، صَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ، وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ.

(1) (قوله: وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ)، الرَّبِيعُ بفتح الراء وكسر الموحدة المخففة، وخثيم بضم الخاء المعجمة بعدها مثلثة مفتوحة⁽¹⁾.

(2) (قوله: أَبُو كُرَيْبٍ)، بضم الكاف وفتح الراء.

(3) (قوله: عَنْ نَاجِيَةَ)، بالنون والجيم⁽²⁾ المكسورة والمثناة التحتية المخففة.

(4) (قوله: إِنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ)، الْأَخْنَسُ: بفتح الهمزة وسكون المعجمة، وشَرِيقٌ: بفتح الشين المعجمة⁽³⁾ وكسر الراء بعدها تحتية ساكنة وقاف.

(5) (قوله: يَوْمَ بَدْرٍ)، كان يوم الجمعة، صبيحة تسع عشرة من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة.

(1) في (ز) وخثيم بضم الخاء وفتح الثاء.

(2) نهاية اللوحة (27/ظ).

(3) في (ز) بفتح المعجمة.

وَسَأَلَ هِرْقُلُ⁽¹⁾ عَنْهُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ: «هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ لَا».

وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ⁽²⁾ لِقُرَيْشٍ: «قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَّثًا، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغِيهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ: سَاحِرٌ! لَا وَاللَّهِ، مَا هُوَ بِسَاحِرٍ».

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ: «مَا لَمَسَتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ لَا يَمْلِكُ رِقَّهَا».

وَفِي حَدِيثٍ عَلَيَّ فِي وَضْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً».

(1) (قوله: هِرْقُلُ)، بكسر الهاء وفتح الراء.

في الصحاح: «هِرْقُلُ ملك الروم، على وزن دِمَشْقُ، ويقال أيضا: هِرْقُلُ على وزن خِنْدِفٍ»⁽¹⁾، انتهى.

يعنى أن هرقل علم لِمَلِكٍ من الروم مخصوص، وهو الذي كان في زمانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽²⁾، وأما لقب من ملك الروم فقيصر.

(2) (قوله: وقال النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ)، النَّضْرُ: بالضاد المعجمة، قُتِلَ كافرا صبورا بالصفراء بعد أن انصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وقعة بدر، ورثته أخته أو ابنته قتيلة، على اختلاف القولين بالأبيات التي أولها:

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَيْلَ مَظَنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

قال الذهبي: «لم يذكر ابن الأثير⁽³⁾ شيئا يدل على إسلامها»⁽⁴⁾.

وفي الاستيعاب قال الزبير: وسمعت بعض أهل العلم يغمز أبياتها، ويذكر أنها مصنوعة»⁽⁵⁾.

(1) الصحاح (1849/5) مادة: هرقل.

(2) في (أ) في زمانه عليه السلام.

(3) انظر أسد الغابة (542/4).

(4) تجريد أسماء الصحابة (298/2).

(5) انظر الاستيعاب (1905/4).

وَقَالَ فِي الصَّحِيحِ: «وَيَحْكُ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا خَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ: «قَسَمَ كِسْرَى⁽¹⁾ أَيَّامَهُ فَقَالَ: يَصْلُحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ، وَيَوْمُ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ، وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهُوِ، وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِلْحَوَائِجِ».

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: «مَا كَانَ أَعْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ، ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: 7]، وَلَكِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ جَزَأَ نَهَارَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، جُزْءٌ لِلَّهِ، وَجُزْءٌ لِأَهْلِهِ، وَجُزْءٌ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزَأَ جُزْأُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ وَيَقُولُ: «أَبْلَغُوا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا أَمَّنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ».

وَعَنِ الْحَسَنِ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِقَرْفٍ⁽²⁾ أَحَدٍ، وَلَا يُصَدِّقُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ».

وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ».

(1) (قوله: كِسْرَى)، بكسر الكاف وفتحها، لقب لكل من ملك الفرس.

(2) (قوله: بِقَرْفٍ)، بفتح القاف وسكون الراء، يقال قرفت الرجل أي عبته، وهو يقرف بكذا، أي يرمى به ويتهم.

قُلْتُ لَيْلَةً لِّلْغُلَامِ كَانَ يَزْعَى مَعِيَ: لَوْ أَبْصَرْتُ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ
فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ، فَخَرَجْتُ لِذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ
سَمِعْتُ عَزْفًا⁽¹⁾ بِالْدُّفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ لِعُرْسٍ بَعْضِهِمْ، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ فَضُرِبَ
عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ
عَرَانِي⁽²⁾ مَرَّةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ لَمْ أَهَمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ».

(1) (قوله: عَزْفًا)، بفتح العين المهملة وسكون الزاي، أي لعبا بالمعازف، وهي
الدفوف وغيرها مما يضرب به، وقيل: كُلُّ لَعِبٍ عَزْفٌ.

(2) (قوله: ثُمَّ عَرَانِي)، بفتح العين المهملة وتخفيف الراء⁽¹⁾، أي غشيني.

(3) (قوله: لَمْ أَهَمْ)، بضم الهاء.

(1) [وتخفيف الراء] ساقط من (ز).

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِوَقَارِهِ وَصَمْتِهِ وَتَوَدُّتِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَحُسْنِ هَدْيِهِ]

وَأَمَّا وَقَارُهُ ﷺ وَصَمْتُهُ وَتَوَدُّتُهُ وَمُرُوءَتُهُ وَحُسْنُ هَدْيِهِ⁽¹⁾، فَحَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ الْحَافِظُ إِجَازَةً وَعَارِضْتُ بَكْتَابِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الدَّلَائِيُّ⁽²⁾، أَخْبَرَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ، حَدَّثَنَا اللَّوْلُؤِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَامٍ⁽³⁾، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ وَهَيْبٍ⁽⁴⁾: سَمِعْتُ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ⁽⁵⁾ يَقُولُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْفَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ، لَا يَكَادُ يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ».

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: «كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ اخْتَبَى بِيَدَيْهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرَ جُلُوسِهِ ﷺ مُحْتَبِيًا».

فصل وأما وقاره

- (1) (قوله: هديهِ)، أي سيرته.
- (2) (قوله: الدَّلَائِيُّ) بكسر الدال المهملة وتخفيف اللام الممدودة وبعدها همزة وياء مشددة.
- (3) (قوله: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَامٍ)، بتشديد اللام، وهو جد عبد الرحمن نُسِبَ إليه، ووالد عبد الرحمن اسمه محمد.
- (4) (قوله: عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ وَهَيْبٍ)، الأنصاري، هو مولى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ.
- (5) (قوله: خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ)، ابن ثابت، أحد الفقهاء السبعة، يروى عن أبيه وأسماء بن زيد، وهذا الحديث في مراسيل أبي داود⁽¹⁾.

(1) مراسيل أبي داود (505).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «أَنَّهُ تَرَبَّعَ»، وَ «رُبَّمَا جَلَسَ الْقُرْفُصَاءُ»⁽¹⁾، وَهُوَ فِي حَدِيثٍ قَلِيلَةٍ⁽²⁾.

وَكَانَ كَثِيرَ الشُّكُوتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ. وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا، وَكَلَامُهُ فَضْلًا، لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ. وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمُ تَوْقِيرًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ⁽³⁾ فِيهِ الْحُرْمُ إِذَا

(1) (قوله⁽¹⁾: الْقُرْفُصَاءُ)، بضم القاف والفاء.

قال ابن قرقول: «يمد ويقصر، ويقال: بكسر القاف والفاء، وقال الفراء: إذا ضمنت مددت، وإذا كسرت قصرت»⁽²⁾.

وفي الصحاح: «وهو أن يجلس الرجل على أَلَيْتَيْهِ، وَيُلْصِقَ فَخْذَيْهِ ببطنه، وَيَحْتَبِي بِيَدَيْهِ يَضَعُهُمَا عَلَى سَاقَيْهِ كَمَا يَحْتَبِي بِالثَّوبِ، تكون يداه مكان الثوب، عن أَبِي عُبَيْدٍ، وقال أَبُو الْمَهْدِيِّ: هو أن يجلس على رُكْبَتَيْهِ مُنْكَبًا وَيُلْصِقَ بَطْنَهُ بِفَخْذَيْهِ وَيَتَأَبَّطُ كَفَيْهِ، وهي جلسة الأعراب»⁽³⁾، انتهى.

(2) (قوله: قِيلَةً)، بفتح القاف وسكون المثناة التحتية، هي بنت مخزومة العدوية، وقيل: العنبرية، وهو الصحيح.

(3) (قوله: وَلَا تُؤْبَنُ)، بمثناة فوقية مضمومة وهمزة ساكنة وموحدة مفتوحة مخففة⁽⁴⁾.

وفي الصحاح: «فَلَانٌ يُؤْبَنُ بِكَذَا، أَي يُذَكَّرُ بِقَبِيحٍ، وفي ذكر مجلسه ﷺ «لَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ»، أَي لَا يُذَكَّرُ بِسَوْءٍ»⁽⁵⁾، انتهى.

(1) نهاية اللوحة (28/و).

(2) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (344/5) في القاف والراء.

(3) الصحاح (1051/3) مادة: قرفص.

(4) في (ز) تؤبن: بمثناة مخففة.

(5) الصحاح (2066/5) مادة: ابن.

تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ⁽¹⁾.

وَفِي صِفَتِهِ: يَخْطُو تَكْفُؤًا⁽²⁾، وَيَمْشِي هَوْنًا، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ⁽³⁾.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا، يُعْرِفُ فِي مَشْيَتِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرَضٍ⁽⁴⁾ وَلَا وَكَلٍ⁽⁵⁾»، أَيْ غَيْرُ ضَجَرٍ وَلَا كَسْلَانٍ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ».

قَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: «كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ».

(1) (قوله: كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ)، قال الهروي: «يعنى ليس فيهم طَيْشٌ ولا خِفَّةٌ، لَأَن الطَّيْرَ لَا يَكَادُ يَقَعُ إِلَى عَلَى سَاكِنٍ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: تَكْفُؤًا)، قال ابن الأثير: «تَكْفَى تَكْفِيًا، أَيْ تَمَائِلَ إِلَى قُدَامٍ، هَكَذَا رُويَ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، وَالْأَصْلُ الْهَمْزُ، وَيُرويه بعضهم مَهْمُوزًا، لَأَن مَصْدَرَ تَفَعَّلَ⁽²⁾ مِنْ الصَّحِيحِ تَفَعَّلٌ، كَتَقَدَّمَ تَقَدُّمًا، وَالْهَمْزُ حَرْفٌ صَحِيحٌ، فَأَمَّا إِذَا اعْتَلَّ انْكَسَرَتْ عَيْنُ الْمُسْتَقْبَلِ مِنْهُ، نَحْوُ تَحَفَّى تَحَفِّيًا، فَإِذَا خَفَفَتِ الْهَمْزَةُ التَّحَقُّقَ بِالْمَعْتَلِّ وَصَارَ تَكْفِيًا»⁽³⁾، انتهى.

(3) (قوله: مِنْ صَبَبٍ)، أي منحدر.

(4) (قوله: غَرَضٍ)، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء بعدها ضاد معجمة، من الغَرَضُ بفتحتيْن، وهو الضَّجَرُ والمَلَالَةُ.

(5) (قوله: وَلَا وَكَلٍ)، بفتح الواو والكاف، أي عاجز يَكِلُ أمره إلى غيره، وَيَتَّكِلُ عَلَيْهِ.

(1) الغريبن (1196/4) مادة: طير.

(2) في (ز) مصدر يفعل من يفعل.

(3) النهاية في غريب الحديث (183/4) مادة: كفاً.

قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ أَحْصَاهُ».

وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالرَّائِحَةَ الْحَسَنَةَ وَيَسْتَعْمِلُهُمَا كَثِيرًا وَيَحْضُرُ عَلَيْهِمَا وَيَقُولُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ⁽¹⁾ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». وَمِنْ مَرْوَعَتِهِ ﷺ نَهْيُهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي، وَالْأَمْرُ بِالسَّوَالِكِ، وَإِنْقَاءِ الْبَرَاجِمِ⁽²⁾ وَالرَّوَاجِبِ، وَاسْتِعْمَالِ خِصَالِ الْفِطْرَةِ.

(1) (قوله: حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ)، في بعض النسخ زيادة «ثلاث»، وهي ليست في الحديث، والحديث في النسائي ومستدرک الحاكم⁽¹⁾.

وفي الكشف بعد ما ذكر الحديث بزيادة كلمة ثلاث وطوى ذكر الثالث⁽²⁾.

قال: التفتازاني: «يعني أن «وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، كلام مبتدأ قصد به الإعراض عن ذكر الدنيا وما يجب فيها، وليست عطفًا على الطيب والنساء كما قد⁽³⁾ يسبق إلى الفهم، لأنها ليست من الدنيا»⁽⁴⁾.

(2) (قوله: وَإِنْقَاءِ الْبَرَاجِمِ)، الْإِنْقَاءُ: بالنون والقاف، التنظيف.

وَالْبَرَاجِمُ: بفتح الموحدة وتخفيف الراء بعدها ألف وجيم مكسورة وميم، جمع بُرْجَمَةٍ بضم الموحدة والجيم، وهي مفاصل الأصابع التي بين الأشجاع والرواجب، وهي رؤوس السُّلَامِيَّات - واحدها سُلَامَى⁽⁵⁾ - من ظهر الكف، إذا قبض القابض كفه نشرت وارتفعت.

وَالرَّوَاجِبُ: بكسر الجيم وبعدها موحدة، جمع رَاجِبَةٍ، وهي مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل، ثم تليها البراجم، ثم تليها الأشجاع اللاتي تلي الكف، والسُّلَامِيَّات جمع سُلَامَى، وهي عظام الأصابع.

(1) حسن. رواه أحمد (12293)، والنسائي (3939)، والحاكم (2676)، وأبو يعلى (3482).

(2) تفسير الكشف (388/1).

(3) نهاية اللوحة (28/ظ).

(4) كلام التفتازاني نقله الشوكاني في نيل الأوطار (163/1) من حاشية التفتازاني على الكشف.

(5) واحدها سلامة [ساقط من (أ)].

فصل

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا]

وَأَمَّا زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ أَثْنَاءَ هَذِهِ السَّيَرَةِ مَا يَكْفِي.
وَحَسْبُكَ مِنْ تَقْلِيلِهِ مِنْهَا، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا، وَقَدْ سَيَقَتْ إِلَيْهِ
بِحَذَائِيرِهَا⁽¹⁾، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتُوحُهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ
يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةٍ عِيَالِهِ.

وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»⁽²⁾.

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي، وَالْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ، وَالْقَاضِي أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ
قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمٌ
بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ⁽³⁾، عَنْ الْأَعْمَشِ،
عَنْ إِبْرَاهِيمَ⁽⁴⁾، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا شَبَعَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ».

فصل وأما زهده في الدنيا

(1) (قوله: بِحَذَائِيرِهَا)، حذافير الشيء أعاليه ونواحيه، ويقال: أعطاه الدنيا
بحذافيرها، أي بأسرها، جمع حذفار وحذفور.

(2) (قوله: رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا)، القُوتُ: بالضم، ما يقوت بدن الإنسان من
الطعام.

(3) (قوله: أَبُو مُعَاوِيَةَ)، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ بِالْمَعْجَمَةِ وَالزَّايِ، الْحَافِظُ الضَّرِيرُ،
أَحَدُ الْأَعْلَامِ.

(4) (قوله: عَنْ إِبْرَاهِيمَ)، هُوَ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ
النَخَعِيِّ الْكُوفِيِّ، الْفَقِيهَ الْإِمَامَ.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «مِنْ خُبْرٍ شَعِيرٍ يُؤْمِنُ مُتَوَالِيَيْنِ، وَلَوْ شَاءَ لَأَعْطَاهُ اللَّهُ مَا لَا يَخْطُرُ⁽¹⁾ بِبَالٍ».

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «مَا شَبَعَ آلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خُبْرٍ بُرٍّ، حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا».

وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ⁽²⁾: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً».

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ مَاتَ وَمَا فِي بَيْتِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ⁽³⁾ فِي رَفٍّ⁽⁴⁾ لِي».

(1) (قوله: يَخْطُرُ)، بكسر الطاء المهملة، أي يُحَدِّثُ، ويجوز ضمها أي يَمُرُّ.

(2) (قوله: وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ)، هو ختن رسول الله ﷺ، أخو جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقى الخزاعي، له ولأبيه صحبة.

(3) (قوله: إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ)، قال الترمذي: «أي شيء من شعير»⁽¹⁾.

وقال ابن الأثير: «قيل: نِصْفُ مَكْوُكٍ، وقيل: نِصْفُ وَشِقٍ، ويقال شَطْرٌ وَشَطِيرٌ، مثل نِصْفٍ وَنِصِيفٍ»⁽²⁾، انتهى.

وتمام الحديث: «فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَلْتُهُ فَقَنِي»، وهو متفق عليه⁽³⁾.

(4) (قوله: فِي رَفٍّ)، بالراء المفتوحة والفاء.

في الصحاح: «الرَّفُّ: شِبْهُ الطَّاقِ»⁽⁴⁾.

(1) سنن الترمذي (4/643 رقم: 2467).

(2) النهاية في غريب الحديث (2/473) مادة: شطر.

(3) متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها. رواه البخاري (3097)، ومسلم (2973).

(4) الصحاح (4/1366) مادة: رفف.

وَقَالَ لِي: «إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ لِي بَطْحَاءٌ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، أَجُوعُ يَوْمًا، وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ، فَاتَّضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا، وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ؟ فَاطَّرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: تَبْتَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمُكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ نَارًا إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ».

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: «هَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ وَأَبِي أُمَامَةَ⁽¹⁾ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَحْوَهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ هُوَ وَأَهْلُهُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، لَا يَجِدُونَ عَشَاءً».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خِوَانٍ⁽²⁾،

(1) (قوله: وَأَبِي أُمَامَةَ)، هو صدى بن عجلان الباهلي.

(2) (قوله: عَلَى خِوَانٍ)، بكسر الخاء المعجمة وضمها.

قال ابن قرقول: «ويقال أيضا لِإِخْوَانٍ، وهي المائدة»⁽¹⁾.

(1) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (482/2) في الخاء مع الواو.

وَلَا فِي سُكْرَجَةٍ⁽¹⁾، وَلَا حُبْزَ لَهُ مُرَقَّقٌ، وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا⁽²⁾ قَطُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُهُ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا، حَشُوهُ لَيْفٌ».

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ مِسْحًا⁽³⁾ نَثْنِيهِ ثَنْتَيْنِ، فَيَنَامُ عَلَيْهِ فَثَنَيْنَاهُ لَهُ لَيْلَةً بِأَرْبَعٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: مَا فَرَشْتُمُو لِي اللَّيْلَةَ؟ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: رُدُّوهُ بِحَالِهِ، فَإِنَّ وَطْأَتَهُ مَنَعَتْنِي اللَّيْلَةَ صَلَاتِي».

وَكَانَ يَنَامُ أَحْيَانًا عَلَى سَرِيرٍ مَزْمُولٍ⁽⁴⁾ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثَّرَ فِي جَنْبِهِ.

(1) (قوله: وَلَا فِي سُكْرَجَةٍ)، قال ابن قرقول: «هي بضم السين والكاف والراء؛ وقال ابن مكّي: صوابه بفتح الراء، وهي قصاع صغار⁽¹⁾ يؤكل فيها، وليست بعربية، ومعنى ذلك أن العجم كانت تستعملها في الكواميخ وما أشبهها من الجوارشيات على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم، فأخبر أن النَّبِيَّ ﷺ لم يأكل على هذه الصفة قط؛ وقال الداؤدي: هي قصعة صغيرة مدهونة»⁽²⁾.

(2) (قوله: شَاةً سَمِيطًا)، في الصحاح: «سَمَطْتُ الْجَدْيَ أَسْمَطُهُ وَأَسْمَطُهُ سَمَطًا، إِذَا نَظَّفْتَهُ عَنِ الشَّعْرِ بِالْمَاءِ الْحَارِّ لِتَشْوِيَهُ فَهُوَ سَمِيطٌ وَمَسْمُوطٌ»⁽³⁾.

(3) (قوله: مِسْحًا)، بكسر الميم وسكون السين وبالحاء المهملتين، أي بلا ساء.

(4) (قوله: مَزْمُولٍ بِشَرِيطٍ)، في الصحاح: «يُقَالُ: رَمَلَ سَرِيرُهُ وَأَزْمَلَهُ، إِذَا رَمَلَ شَرِيطًا أَوْ غَيْرَهُ فَجَعَلَهُ ظَهْرًا لَهُ»⁽⁴⁾.

وَالشَّرِيطُ: حَبْلٌ يُفْتَلُ مِنْ خُوصٍ.

(1) نهاية اللوحة (29/و).

(2) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (489/5) في السين مع الكاف.

(3) الصحاح (1135/3) مادة: سمط.

(4) الصحاح (1713/4) مادة: رمل.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شَبْعًا⁽¹⁾ قَطُّ، وَلَمْ يَبْتَ⁽²⁾ شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ، وَكَانَتْ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى، وَإِنْ كَانَ لَيَظُلُّ جَائِعًا يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامُ يَوْمِهِ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الْأَرْضِ وَثِمَارِهَا، وَرَعْدَ عَيْشِهَا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَأَقُولُ: نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ، لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ.

فَيَقُولُ: يَا عَائِشَةُ، مَالِي وَلِلدُّنْيَا، إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ، فَأَكْرَمَ مَا بِهِمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يَقْصَرَ بِي غَدَا دُونَهُمْ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي.

قَالَتْ: فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى تُوفِّيَ ﷺ.

(1) (قوله: شَبْعًا)، بكسر الشين المعجمة وفتح الموحدة، نقيض الجوع، والشبع بسكون الموحدة اسم ما أشبعك من شيء.

(2) (قوله: وَلَمْ يَبْتَ)، بفتح المثناة التحتية وضم الموحدة بعدها مثلثة.

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ لَهُ وَشِدَّةِ عِبَادَتِهِ]

وَأَمَّا خَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَطَاعَتُهُ لَهُ، وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ، فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَتَّابٍ قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَابُلُسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَبْرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ اللَّيْثِ⁽¹⁾،

فصل وأما خوفه

(1) (قوله: عَنِ اللَّيْثِ)، هو ابن سعد.

قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر: «الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الفقيه، يكنى أبا الحارث، يقال: إنه مولى بني فهم، ثم لآل خالد بن ناشر بن ظاعن الفهمي، ثم من بني كِنَانَةَ بن عمرو بن القيس، وكان اسمه في ديوان مصر في موالي بني كنانة من فهم، وأهل بيته يقولون: نحن من الفرس من أهل أصبهان.

قال ابن يونس: وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة»⁽¹⁾.

وأخرج ابن يونس من طريق عمرو بن أبي الطاهر بن السرح قال: «سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ بُكَيْرٍ يَقُولُ: سعد والد الليث كان من موالي قريش، ثم افترض في بني فهم فنسب إليهم، وتبعه الليث»⁽²⁾.

(1) تاريخ ابن يونس المصري (418/1).

(2) تاريخ ابن يونس المصري (419/1).

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه: «قال يحيى بن بُكَيْر: سمعت شعيب بن الليث يقول: كان الليث يقول لنا: قال لي بعض أهلي: إني وُلِدْتُ سنة اثنين وتسعين، والذي أوقن أني ولدت سنة أربع وتسعين»⁽¹⁾.

وقال أبو صالح كاتب الليث: «سمعت الليث يقول: مات عمر بن عبد العزيز ولي سبع سنين»⁽²⁾، وكانت وفاة عمر سنة إحدى ومائة.

وقال⁽³⁾ أبو نعيم في الحلية: «أدرك الليث نيفا وخمسين رجلا من التابعين»⁽⁴⁾.

وأُسند أبو نعيم عن محمد بن رُمَيْح قال: «كَانَ دَخَلَ اللَّيْثُ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، مَا أُوجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ دِرْهَمًا قَطُّ بِزَكَاةٍ»⁽⁵⁾.

«ووصل ابنُ لهيعة لما احترقت داره بألف دينار، وحج فأهدى إليه مالك طبقا فيه رُطْبٌ، فرد إليه على الطبق ألف دينار»⁽⁶⁾.

وأخرج أبو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال: «جری بین هارون الرشید وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام، فقال هارون: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم نَدِمَ فجمع الفقهاء فاختلفوا، ثم كتب إلى البلدان فاستحضر علماءها إليه، فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم، فاختلفوا، وبقي شيخ لم يتكلم، وكان في آخر المجلس.

(1) المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي (167/1).

(2) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (350/50).

(3) نهاية اللوحة (29/ظ).

(4) حلية الأولياء (323/7).

(5) حلية الأولياء (322/7).

(6) حلية الأولياء (322/7).

قال: فسأله، فقال: إذا خلا أمير المؤمنين في مجلسه كلمته، فصرفهم.

فقال: يُدْنِينِي أمير المؤمنين، فأدناه.

فقال: أتكلم على الأمان.

فقال: نعم.

فأمر بإحضار مصحف فأحضر، فقال: تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها.

ففعّل، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46]، قال: أمسك يا أمير المؤمنين، قل: والله.

قال: فاشتد ذلك على هارون، فقال: يا أمير المؤمنين، الشرط أملك، فقال: والله، حتى فرغا من اليمين.

قال: قل: إني أخاف مقام ربي، فقال ذلك، فقال يا أمير المؤمنين، هي جنتان وليس بجنة واحدة.

قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر، فقال الرشيد: أحسنت والله، وأمر له بالجوائز والخلع، وأمر له بإفطاع ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره، وصرفه مكرماً⁽¹⁾.

قال خليفة بن خياط ومحمد بن سعد والبخاري وغير واحد: مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة⁽²⁾.

زاد ابن سعد: يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان⁽³⁾.

(1) حلية الأولياء (323/7).

(2) طبقات خليفة بن خياط (ص: 544)، والتاريخ الكبير للبخاري (246/7).

(3) الطبقات الكبرى (358/7).

عَنْ عُقَيْلٍ⁽¹⁾، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

زَادَ فِي رَوَايَتِنَا عَنْ أَبِي عَيْسَى التِّرْمِذِيِّ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ⁽²⁾ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ⁽³⁾ تَجَارُونَ⁽⁴⁾ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ».

رَوَى هَذَا الْكَلَامُ: «وَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ»، مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَصَحُّ.

(1) (قوله: عَنْ عُقَيْلٍ)، بضم المهملة وفتح القاف، ابن خالد الأيلي.

(2) (قوله: أَطَّتِ)، بهمزة مفتوحة وطاء مهملة مشددة بعدها مثناة فوقية للتأنيث.

قال ابن الأثير: «الْأَطِيطُ: صَوْتُ الْأَقْتَابِ، وَأَطِيطُ⁽¹⁾ الْإِبِلُ: أَصْوَاتُهَا وَحِينُهَا، أَيْ أَنَّ كَثْرَةَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَدْ أَثْقَلَهَا حَتَّى أَطَّتْ، وَهَذَا مَثَلٌ وَإِذَا بَكَاةُ الْمَلَائِكَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ أَطِيطُ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ لِلتَّقْرِيبِ، أُرِيدَ بِهِ تَقْرِيرُ عَظَمَةِ اللَّهِ»⁽²⁾، انتهى.

(3) (قوله: إِلَى الصُّعْدَاتِ)، أَيْ الطَّرَقَاتِ، جَمْعُ صُعْدَ بضمين، جَمْعُ صَعِيدٍ، كَطَرِيقٍ وَطَرِيقٍ وَطَرِيقَاتٍ، وَقِيلَ جَمْعُ صُعْدَةٍ كظلمة، وَهِيَ فَنَاءُ الْبَابِ وَمَمَرُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

(4) (قوله: تَجَارُونَ)، الْجَوَّارُ: رَفَعَ الصَّوْتَ.

(1) نهاية اللوحة (30/و).

(2) النهاية في غريب الحديث (54/1) مادة: أطم.

وَفِي حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَحَتْ قَدَمَاهُ».

وَفِي رَوَايَةٍ: «كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكْلِفُ⁽¹⁾ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ يُطِيقُ؟».

وَقَالَتْ: «كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ».

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ⁽²⁾ وَأَنَسٍ.

وَقَالَ: «كُنْتُ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ فِي اللَّيْلِ مُصَلِّيًّا إِلَّا رَأَيْتَهُ مُصَلِّيًّا، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ نَائِمًا».

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: «كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَاسْتَاكَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ مَعَهُ، فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ الْبَقْرَةَ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ، ثُمَّ سَجَدَ وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةَ سُورَةٍ، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ مِثْلُهُ وَقَالَ: «سَجَدَ نَحْنُ مِنْ قِيَامِهِ، وَجَلَسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْنُ مِنْهُ، وَقَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ».

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ⁽³⁾ لَيْلَةً».

(1) (قوله: أَتَكْلِفُ)، أي أَتَكْلِفُ فحذف إحدى التاءين.

(2) (قوله: وَأُمِّ سَلَمَةَ)، اسمها هند على الصحيح، وقيل رملة بنت أبي أمية بن حذيفة.

(3) (قوله: بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلَةً)، هي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تَهِنُ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ⁽¹⁾: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِجَوْفِهِ أَزِيْزٌ⁽²⁾ كَأَزِيْزِ الْمَرْجَلِ».

قَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ».

وَقَالَ ﷺ «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وَرُوِيَ «سَبْعِينَ مَرَّةً».

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَالَ: «الْمَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي، وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي، وَالْحُبُّ أَسَاسِي، وَالشُّوقُ مَرْكَبِي، وَذِكْرُ اللَّهِ أَنْيَسِي، وَالثِّقَةُ كَنْزِي، وَالْحُزْنُ رَفِيقِي، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي، وَالصَّبْرُ رِدَائِي، وَالرِّضَاءُ غَنِيمَتِي⁽³⁾، وَالْعَجْزُ فَخْرِي، وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي، وَالْيَقِينُ قُوَّتِي، وَالصَّدْقُ شَفِيعِي، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «وَتَمَرَةٌ فُؤَادِي فِي ذِكْرِهِ، وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ».

(1) (قوله: ابْنِ الشَّخِيرِ)، بكسر الشين والخاء المعجمتين، صحابي نزل البصرة.

(3) (قوله: أَزِيْزٌ)، بفتح الهمزة وبعدها زاي فمثناة تحتية ساكنة فزاي، أي صوت من البكاء، وقيل: أن يجيش جوفه فيغلي بالبكاء كغليان المرجل، بكسر الميم وسكون الراء، وهو القدر.

وفي الصحاح: «الْأَزِيْزُ: صَوْتُ الرَّعْدِ، وَغَلِيَانِ الْقِدْرِ»⁽¹⁾.

(4) (قوله: وَالرِّضَاءُ غَنِيمَتِي)، في الصحاح: «رَضِيْتُ عَنْهُ رَضًى، مَقْصُورٌ، مُصَدَّرٌ مَحْضٌ، وَالْأَسْمُ الرِّضَاءُ، مَمْدُودٌ عَنِ الْأَخْفَشِ»⁽²⁾.

(1) الصحاح (864/3) مادة: أزر.

(2) الصحاح (2357/6) مادة: رضا.

فَصْلٌ

[فِي تَفْضِيلِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ]

اعْلَمُ - وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ - أَنَّ صِفَاتَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعِ الْمَحَاسِنِ، هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ، لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ.

وَالْكَمَالُ وَالْتِمَامُ الْبَشَرِيُّ وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، إِذْ رُتِبَتْهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ.

وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: 32].

وَقَالَ ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ «عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ⁽¹⁾، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ مُوسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبُ⁽²⁾، رَجُلٌ⁽³⁾،

(1) (قوله: عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ)، روي بضم الخاء وفتحها.

(2) (قوله: ضَرْبُ)، بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة، هو الجسم بين جسمين ليس بناحل ولا مطهم.

وقال الخليل: «هو القليل اللحم»⁽¹⁾.

(3) (قوله: رَجُلٌ)، بفتح الراء وكسر الجيم، أي منكسر الشعر قليلا، ليس بسبطه ولا جعده.

(1) كتاب العين (32/7) باب الضاد والراء والباء معهما.

أَقْنَى⁽¹⁾، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ⁽²⁾، وَرَأَيْتُ عَيْسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ⁽³⁾، كَثِيرُ خَيْلَانَ الْوَجْهِ⁽⁴⁾، أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ⁽⁵⁾».
 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مُبْطَنٌ⁽⁶⁾ مِثْلُ السَّيْفِ».
 قَالَ: «وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ».

-
- (1) (قوله: أَقْنَى)، الْقَنَا: بفتح القاف والقصر، طول الأنف ودقة أرنبته، ويقال: رجل أَقْنَى، وامرأة قَنَوَاء.
- (2) (قوله: مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ)، في الصحاح: «أَزْدُ شَنْوَةَ: حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ شَنْئِيٌّ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ⁽¹⁾: وَرَبَّمَا قَالُوا: شَنْوَةُ بِالتَّشْدِيدِ غَيْرُ مَهْمُوزٍ»⁽²⁾.
- (3) (قوله: رُبْعَةٌ)، بفتح الراء وسكون الموحدة وفتحها.
- قال ابن قرقول: «هو الرجل بين رجلين».
- (4) (قوله: كَثِيرُ خَيْلَانَ الْوَجْهِ)، الْخَيْلَانُ: بكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية ساكنة، الشامات⁽³⁾.
- (5) (قوله: مِنْ دِيْمَاسٍ)، قال الهروي: «هو بفتح الدال وكسرهما، وجاء في الحديث تفسيره بِالْحَمَامِ، وَقِيلَ: هُوَ السَّرْبُ، وَقِيلَ الْكِئُ»⁽⁴⁾.
- (6) (قوله: مُبْطَنٌ)، بضم الميم وفتح الموحدة.
- قال الهروي: «الْمُبْطَنُ: الضَّامِرُ الْبَطْنُ»⁽⁵⁾.

(1) في إصلاح المنطق (ص: 112).

(2) الصحاح (58/1) مادة: شَنَأَ.

(3) نهاية اللوحة (30/ظ).

(4) الغريبين (651/2) مادة: دَمَسَ.

(5) الغريبين (191/1) مادة: بَطَنَ.

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي صِفَةِ مُوسَى: «كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أَدَمِ الرِّجَالِ»⁽¹⁾.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»، وَيُرْوَى «فِي ثَرْوَةٍ»، أَيْ كَثْرَةٍ وَمَنْعَةٍ.
وَحَكَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ قَتَادَةَ، وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا إِلَّا أَحْسَنَ الْوُجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنُهُمْ صَوْتًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَفِي حَدِيثِ هِرْقَلٍ: «وَسَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَنْسَابِ قَوْمِهَا».

وَقَالَ تَعَالَى فِي أَيُّوبَ⁽²⁾: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ [ص: 44].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعِجِّي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿١٥﴾ [مريم: 12 . 15].

(1) (قوله: مِنْ أَدَمِ الرِّجَالِ)، بضم الهمزة وسكون الدال المهملة، أي سمر الرجال.

قال ابن الأثير: «الأذمة في الإبل: البياض مع سواد المفلتين، وفي الناس الشمرة الشديدة»⁽¹⁾.

واستدل بعضهم على كون موسى اسمر بقوله تعالى: ﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوٍ﴾ [النمل: 12].

(2) (قوله: فِي أَيُّوبَ)، كان أيوب عليه السلام ببلاد حوران، وقبره مشهور عندهم.

(1) النهاية في غريب الحديث (32/1) مادة: آدم.

وَقَالَ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِحَيٍّ﴾، إِلَى ﴿الصَّلَاحِينَ﴾ [آل عمران: 39].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]، الْآيَتِينَ.

وَقَالَ فِي نُوحٍ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾، إِلَى ﴿الصَّلَاحِينَ﴾ [آل عمران: 45 . 46].

وَقَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾، إِلَى ﴿مَادُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 30 . 31].

وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى﴾ [الأحزاب: 69]، الْآيَةَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَانَ مُوسَى رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا⁽¹⁾، مَا يُرَى مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءٌ»، الْحَدِيثُ.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشعراء: 21]، الْآيَةَ.

وَقَالَ فِي وَصْفِ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 107].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

وَقَالَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

وَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فِيهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: 84 . 90].

فَوَصَفَهُمْ بِأَوْصَافٍ جَمَّةٍ مِنَ الصَّلَاحِ، وَالْهُدَى، وَالْاجْتِبَاءِ، وَالْحُكْمِ، وَالتُّبُوءِ.

(1) (قوله: سَتِيرًا)، بكسر المهملة وتشديد المثناة الفوقية، أي كثير الستر.

وَقَالَ: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28]، وَ ﴿حَلِيمٍ﴾ [الصفات: 101].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، إِلَى ﴿أَمِينٌ﴾ [الدخان: 17، 18].

وَقَالَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: 102].

وَقَالَ فِي إِسْمَاعِيلَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: 54]، الْآيَتَيْنِ.

وَفِي مُوسَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ [مريم: 51].

وَفِي سُلَيْمَانَ: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30].

وَقَالَ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾، إِلَى ﴿الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 45، 47].

وَفِي دَاوُودَ: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17].

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

وَقَالَ عَنْ يُوسُفَ: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

وَفِي مُوسَى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: 69].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ شُعَيْبٍ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: 27].

وَقَالَ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ طَاءَ آيَتُنْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 74].

وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: 90]، الآية.

قَالَ سُفْيَانُ: «هُوَ الْحُزْنُ الدَّائِمُ».

فِي آيٍ كَثِيرَةٍ ذَكَرَ فِيهَا مِنْ خِصَالِهِمْ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِمْ.

وَجَاءَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ كَثِيرٌ، فَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ
الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، نَبِيُّ
ابْنِ نَبِيِّ ابْنِ نَبِيِّ ابْنِ نَبِيٍّ».

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: «وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ».

وَرُوي «أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ مَعَ مَا أُعْطِيَ مِنَ الْمُلْكِ لَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَخَشُّعًا وَتَوَاضُّعًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ لَذَائِدَ الْأَطْعِمَةِ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ».

وَأَوْحِي إِلَيْهِ: «يَا رَأْسَ الْعَابِدِينَ، وَابْنَ مَحَجَّةِ الزَّاهِدِينَ».

وَكَانَتِ الْعَجُوزُ تَعْتَرِضُهُ، وَهُوَ عَلَى الرِّيحِ فِي جُنُودِهِ، فَيَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَقِفُ
فَيَنْظُرُ فِي حَاجَتِهَا وَيَمْضِي.

وَقِيلَ لِيُوسُفَ: «مَالَكَ تَجُوعٌ وَأَنْتَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ، فَأَنْسِيَ الْجَائِعَ».

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُودَ⁽¹⁾ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

(1) (قوله: خُفِّفَ عَلَى دَاوُودَ الْقُرْآنُ)، أي الزبور، لأنه مقروء.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّا لَهُ الْخَدِيدُ ۝١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَدِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴿[سبأ: 10 . 11].

وَكَانَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ عَمَلًا بِيَدِهِ يُغْنِيهِ عَنْ بَيْتِ الْمَالِ.

وَقَالَ ﷺ: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا».

وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَفْتَرِشُ الشَّعَرَ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ، وَيَمْرُجُ شَرَابَهُ بِالذُّمُوعِ، وَلَمْ يَرْضَاحًا بَعْدَ الْخَطِيئَةِ، وَلَا شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَزَلْ بَاكِيًا حَيَاتَهُ كُلَّهَا.

وَقِيلَ: بَكَى حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعِهِ، وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدُّمُوعُ فِي خَدِهِ أَخْدُودًا⁽¹⁾.

وَقِيلَ: كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّرًا يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ، فَيَسْمَعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فَيَزْدَادُ تَوَاضُعًا.

وَقِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ اتَّخَذْتَ حِمَارًا؟ قَالَ: أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ».

وَكَانَ يَلْبَسُ الشَّعَرَ، وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ، أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ النَّوْمُ نَامَ، وَكَانَ أَحَبُّ الْأَسَامِي إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: مُسْكِينٌ.

وَقِيلَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ كَانَتْ تُرَى خُضْرَةُ الْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ مِنَ الْهَزَالِ.

(1) (قوله: أَخْدُودًا)، هو في الأصل اسم للشق المستطيل في الأرض.

وَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي يُتْلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْقَمَلِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ».

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَنْزِيرٍ لَقِيَهُ: «أَذْهَبْ بِسَلَامٍ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَعَوِّدَ لِسَانِي الْمَنْطِقَ بِسُوءٍ».

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «كَانَ طَعَامُ يَحْيَى الْعُشْبُ، وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى اتَّخَذَ الدَّمَعَ مَجْرَى فِي خَدِّهِ، وَكَانَ يَأْكُلُ مَعَ الْوَحْشِ لَيْلًا يُخَالِطُ النَّاسَ».

وَحَكَى الطَّبْرِيُّ عَنْ وَهْبٍ: «أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْتَظِلُّ بِعَرِيشٍ⁽¹⁾، وَكَانَ يَأْكُلُ فِي نُقْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ، وَيَكْرَعُ فِيهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَمَا تَكْرَعُ الدَّابَّةُ⁽²⁾، تَوَاضَعًا لِلَّهِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَلَامِهِ».

وَأَخْبَارُهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ مَسْطُورَةٌ، وَصِفَاتُهُمْ فِي الْكَمَالِ وَجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ وَحُسْنِ الصُّورِ وَالشَّمَائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ، فَلَا نَطُولُ بِهَا، وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَا تَجِدُهُ فِي كُتُبِ بَعْضِ جَهْلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يُخَالِفُ هَذَا.

(1) (قوله: بِعَرِيشٍ)، هو ما يستظل به.

(2) (قوله: كَمَا تَكْرَعُ الدَّابَّةُ)، الكَرَعُ: الشرب من الماء بالفم من غير أن يشرب بكف أو إناء.

وقال ابن دريد: «لا يكون الكرع إلا إذا خاض الماء بقدميه فشرب منه».

فصل

[فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ فِي جَمْعِ شَمَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ]

قَدْ أَتَيْنَاكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - مِنْ ذِكْرِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَجِيدَةِ،
وَحِصَالِ الْكَمَالِ الْعَدِيدَةِ، وَأَرَيْنَاكَ صِحَّتَهَا لَهُ ﷺ، وَجَلَبْنَا مِنَ الْأَثَارِ مَا فِيهِ
مَقْنَعٌ⁽¹⁾، وَالْأَمْرُ أَوْسَعُ.

فَمَجَالُ هَذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ ﷺ مُمْتَدٌّ تَنْقَطِعُ دُونَهُ نَفَادُهُ الْأَدِلَّةُ⁽²⁾، وَبَحْرُ
عِلْمِ خَصَائِصِهِ زَاخِرٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَالَةُ، وَلَكِنَّا أَتَيْنَا فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ، مِمَّا أَكْثَرُهُ
فِي الصَّحِيحِ وَالْمَشْهُورِ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَاقْتَصَرْنَا فِي ذَلِكَ بِقُلٍّ⁽³⁾ مِنْ كُلِّ

فصل قد أتيناك

- (1) (قوله: مَقْنَعٌ)، بفتح الميم وسكون القاف وفتح النون.
- في الصحاح: «الْمَقْنَعُ: بِالْفَتْحِ الْعَدْلُ مِنَ الشُّهُودِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ شَاهِدٌ مَقْنَعٌ، أَيْ رِضًا يُقْنَعُ بِهِ»⁽¹⁾.
- (2) (قوله: نَفَادُهُ الْأَدِلَّةُ)، النَفَادُ: بِالنُّونِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْفَاءِ وَالدَّالِ الْمَهْمَلَةِ، يُقَالُ نَفَدَ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ نَفَادًا، فَنِي.
- وَالْأَدِلَّةُ: بِكَسْرِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، جَمْعُ أَدِلَّةٍ، وَهِيَ جَمْعُ دَلِيلٍ.
- (3) (قوله: بِقُلٍّ)، بضم القاف وتشديد اللام.
- في الصحاح «الْقُلُّ وَالْقِلَّةُ، مِثْلُ الذُّلِّ وَالذِّلَّةِ، وَفِي الْحَدِيثِ «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَهُوَ إِلَى قُلٍّ»⁽²⁾.

(1) الصحاح (1273/3) مادة: قنع.

(2) الصحاح (1804/5) مادة: قلل.

وَعَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ⁽¹⁾، وَرَأَيْنَا أَنْ نَخْتِمَ هَذِهِ الْفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ ابْنِ أَبِي هَالَةَ، لِجَمْعِهِ مِنْ شَمَائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيرًا، وَإِذْ مَاجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيرِهِ وَفَضَائِلِهِ، وَنَصِلَهُ بِتَنْبِيهِ لَطِيفٍ عَلَى غَرِيبِهِ وَمُشْكِلِهِ.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ التَّمِيمِيِّ فِيمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ، أَخْبَرَكُمُ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَالشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمُحَمَّدِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ الْوَحْشِيِّ⁽²⁾، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْخُزَاعِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِيُّ⁽³⁾، أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنُ سُرَّةَ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا جُمُعٌ⁽⁴⁾ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجْلِيُّ إِمْلَاءً مِنْ كِتَابِهِ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجَ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي هَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ».

(1) (قوله: وَعَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ)، الغيْضُ: بالغين والضاد المعجمتين، والفَيْضُ: بالفاء والضاد المعجمة.

في الصحاح: «ويقال: غَاضَ الْكَرَامُ أَي قَلُّوا، وَفَاضَ اللَّتَامُ أَي كَثُرُوا، وقولهم: أعطاه غَيْضًا مِنْ فَيْضٍ، أَي قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: الْوَحْشِيُّ)، بواو مفتوحة وخاء ساكنة وشين معجمتين.

(3) (قوله: الشَّاشِيُّ)، بمعجمتين.

(4) (قوله: جُمُعٌ)، بضم الجيم وفتح⁽²⁾ الميم وسكون المشاة التحتية بعدها عين مهملة.

(1) الصحاح (1096/3) مادة: غيْض.

(2) نهاية اللوحة (31/و).

قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَقَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَذَاذَا الْكَرْجِيِّ⁽¹⁾ الْبَاقِلَانِيَّ قَالَ: وَأَجَازَ لَنَا الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خَيْرُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شَاذَانَ⁽²⁾ بْنِ حَرْبٍ بْنِ مِهْرَانَ⁽³⁾ الْفَارِسِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ فَأَقَرَّ بِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَخِي طَاهِرِ الْعَلَوِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، - وَاللَّفْظُ لِهَذَا السَّنَدِ⁽⁴⁾ - سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ عَنْ حَلِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ وَصَافًا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا، مُفَخَّمًا⁽⁵⁾، يَتَلَأَلُ وَجْهُهُ تَلَأُلُو الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ،

(1) (قوله: خَذَاذَا الْكَرْجِيِّ)، خذاذاد بخاء فذال معجمتين فألف فمهملتين بينهما ألف، أو معجمتين بينهما ألف، ومعناه بالفارسية عطاء الله.

وَالْكَرْجِيُّ: بِالكَافِ الْمَتَفُوحَةِ وَالْجِيمِ، كَذَا ضَبَطَ فِي النُّسخِ الْمَعْتَبَرَةِ.

(2) (قوله: ابْنِ شَاذَانَ)، بشين وذال معجمتين.

(3) (قوله: ابْنِ مِهْرَانَ)، بكسر الميم.

(4) (قوله: وَاللَّفْظُ لِهَذَا السَّنَدِ)، بالنون، أي الإسناد.

(5) (قوله: فَخْمًا مُفَخَّمًا)، الْفَخْمُ: بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة، العظيم، وَالْمُفَخَّمُ: بضم الميم وفتح الفاء والخاء المعجمة وتشديدها، المعظم.

وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ⁽¹⁾، عَظِيمَ الْهَامَةِ، رَجُلَ الشَّعْرِ، إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرُهُ⁽²⁾، أَزْهَرَ اللَّوْنِ⁽³⁾، وَاسِعَ الْجَبِينِ، أَزَجَ الْحَوَاجِبِ، سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدْرُهُ الْغَضَبُ.

(1) (قوله: الْمُشَذَّبِ)، بميم مضمومة وشين وذال مفتوحتين معجمتين وباء موحدة.

(2) (قوله: وَفَّرُهُ)، قال المِزِّي: «المعروف وفرة بزيادة هاء مع تشديد الفاء».

وفي الصحاح: «الْوَفْرَةُ: الشَّعْرُ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنِ»⁽¹⁾.

(3) (قوله: أَزْهَرَ اللَّوْنِ)، أخرج أبو حاتم عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ»⁽²⁾.

وأخرج أيضا عن علي رضي الله عنه «أَنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ»⁽³⁾.

وفي حديث أنس رضي الله عنه «أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْمَرَ»⁽⁴⁾.

قال المحب الطبري: «ويرد هذا الأخير ما في الصَّحِيح من حديث أنس⁽⁵⁾ أَنََّّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ بِالْأَبْيَضِ وَلَا بِالْأَدَمِ»⁽⁶⁾.

(1) الصحاح (847/2) مادة: وفر.

(2) لم أجد حديث عائشة رضي الله عنها عند ابن حبان كما ذكره الشارح، ولم أجد عنها في وصف لونه عَلَيْهِ السَّلَامُ سوى ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (311/3) عنها رضي الله عنها قالت: «أُهِدِيَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَمْلَةٌ سَوْدَاءُ فَلَبِسَهَا وَقَالَ: كَيْفَ تَرَيْنَهَا عَلَيَّ يَا عَائِشَةُ، قُلْتُ: مَا أَحْسَنَهَا عَلَيَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَثُوبُ سَوَادُهَا بَيَاضُكَ، وَبَيَاضُكَ سَوَادُهَا، قَالَتْ: فَخَرَجَ فِيهَا إِلَى النَّاسِ».

(3) حسن. رواه ابن أبي شيبة (31805)، وأحمد (944)، وابن حبان (6311)، وأبو يعلى (369).

(4) صحيح. رواه أحمد (1315)، وابن حبان (6286)، وأبو يعلى (3741).

(5) متفق عليه. رواه البخاري (3548)، ومسلم (2347).

(6) انظر كلامه في فتح الباري (569/6).

أَفْقَى الْعَرَبِينَ، لَهُ نُورٌ يَغْلُوهُ، وَيَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ، كَثَّ اللَّحْيَةِ،
أَدْعَجَ، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ، ضَلِيعَ الْفَمِ⁽¹⁾، أَشْنَبَ، مُفْلَجَ الْأَسْنَانِ، دَقِيقَ
الْمَسْرُوبَةِ⁽²⁾، كَانَ عُنُقُهُ حَيْدُ دُمِيَّةٍ⁽³⁾ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، بَادِنًا،
مُتَمَاسِكًا، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، مُشِيحَ⁽⁴⁾ الصَّدْرِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ،
ضَخَمَ الْكَرَادِيْسِ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ، مَوْضُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ⁽⁵⁾ وَالسُّرَّةِ بِشَعْرِ يَجْرِي
كَالْحَطِّ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ مَا سِوَى ذَلِكَ، أَشَعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ وَأَعَالِي
الصَّدْرِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ⁽⁶⁾، رَحَبَ الرَّاحَةِ، شَنَّ⁽⁷⁾ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلَ

(1) (قوله: ضَلِيعَ الْفَمِ)، الضَّلِيعُ: بفتح الضاد المعجمة وكسر اللام بعدها مثناة تحتية وعين مهملة.

(2) (قوله: الْمَسْرُوبَةِ)، بفتح الميم وسكون السين المهملة.

(3) (قوله: حَيْدُ دُمِيَّةٍ)، الْحَيْدُ: بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية بعدها دال مهملة، العنق.

وَالدُّمِيَّةُ: بضم الدال المهملة وسكون الميم بعدها مثناة تحتية، الصورة من العاج.

(4) (قوله: مُشِيحَ)، بضم الميم وكسر الشين المعجمة بعدها مثناة تحتية فحاء مهملة.

(5) (قوله: اللَّبَّةُ)، بفتح اللام وتشديد الموحدة، أي المنحر، والجمع اللبات، وكذلك اللب، وهو موضع القلادة من الصدر من كل شيء.

(6) (قوله: الزَّنْدَيْنِ)، بفتح الزاي.

(7) (قوله: شَنَّ)، بفتح الشين المعجمة وسكون المثلثة⁽¹⁾.

قال ابن الأثير: «شَنَّ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ⁽²⁾، أَي يَمِيلَانِ إِلَى الْغَلْظِ وَالْقَصْرِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي فِي أَنْامِلِهِ غَلْظٌ بِلَا قَصْرٍ، وَيُحْمَدُ ذَلِكَ فِي الرِّجَالِ»⁽³⁾.

(1) في (أ) وسكون المثناة الفوقية.

(2) نهاية اللوحة (31/ظ).

(3) النهاية في غريب الحديث (444/2) مادة: شَنَّ.

الْأَطْرَافِ - أَوْ قَالَ: سَائِنِ الْأَطْرَافِ -، سَبَطَ الْعَصَبُ⁽¹⁾، خَمَصَانُ⁽²⁾ الْأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحٌ⁽³⁾ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا، وَيَخْطُو تَكْفُؤًا، وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعَ الْمَشْيَةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيعًا، خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلَّ نَظَرُهُ الْمَلَا حَظَةً، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ.

قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَةً؟

- (1) (قوله: سَبَطَ الْعَصَبُ)، بالعين والصاد المهملتين، كذا في الأصول.
- قال ابن القطاع: «الجسم سَبَطٌ بسكون الباء، والشعر سَبَطٌ بكسرها»⁽¹⁾.
- وللفارابي معناه.
- وفي الصحاح: «الْعَصْبُ وَالْأَعْصَابُ: أَطْنَابُ الْمَفَاصِلِ»⁽²⁾.
- وقال ابن الأثير: «في صفته عليه السلام «سَبَطُ الْقَصَبِ»، والسَّبَطُ: بسكون الباء وكسرها، المُمْتَدُّ الذي ليس فيه تَعَقُّدٌ وَلَا نُتُوٌّ، والقَصَبُ يُرِيدُ بِهَا سَاعِدِيهِ وَسَاقِيهِ»⁽³⁾.
- وقال الهروي: «في قَصَبٍ بالقاف والصاد المهملة والباء الموحدة، وفي صفته عليه السلام «سَبَطُ الْقَصَبِ»، قال: وَكُلُّ عَظْمٍ عَرِيضٍ لَوْحٌ، وَكُلُّ أَجْوَفٍ فِيهِ مُخٌّ قَصَبَةٌ، وَجَمْعُهَا قَصَبٌ»⁽⁴⁾، انتهى.
- (2) (قوله: خَمَصَانُ)، بضم الخاء المعجمة.
- (3) (قوله: مَسِيحٌ)، بفتح الميم وكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية وحاء مهملة.

(1) كتاب الأفعال (134/2).

(2) الصحاح (182/1) مادة: عصب.

(3) النهاية في غريب الحديث (334/2) مادة: سبط.

(4) الغريين (1548/5) مادة: قصب.

قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ⁽¹⁾، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ الشُّكُوتِ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ، وَيَخْتِمُهُ بِأَسْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَضْلاً⁽²⁾، لَا فُضُولَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ، دَمِثاً⁽³⁾، لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمَهِينِ⁽⁴⁾، يُعْظِمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ شَيْئاً، لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوْاقاً وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا يُقَامُ لِعُضْبِهِ إِذَا تَعَرَّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ

(1) (قوله: مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ)، قال ابن قيم الجوزية: «حديث هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ فِي صِفَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَنَّهُ كَانَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ» لَا يَثْبُت، وَفِي أَسْنَادِهِ مِنْ لَا يُعْرِفُ، وَكَيْفَ يَكُونُ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، وَقَدْ صَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْحُزَنِ فِي الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا، وَنَهَاهُ عَنِ الْحُزَنِ عَلَى الْكُفَّارِ وَغَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الْحُزَنُ، بَلْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَائِمَ الْبُشْرِ ضُحُوكُ السِّنِّ اسْتِعَاذَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَكْرُوهَ الَّذِي يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ، إِنْ كَانَ لَمَّا يَسْتَقْبَلُ فَهُوَ الْهَمُّ، وَإِنْ كَانَ لَمَّا مَضَى فَهُوَ الْحُزَنُ، وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْحُزَنِ فِي حَدِيثِ هِنْدَ بْنِ أَبِي هَالَةَ الْأَلَمُ عَلَى فَوْتٍ مَطْلُوبٍ أَوْ حَصُولِ مَكْرُوهٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْهِي عَنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَالِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْإِهْتِمَامُ وَالتَّقِيزُ لَمَّا يَسْتَقْبَلُهُ مِنَ الْأُمُورِ».

(2) (قوله: فَضْلاً)، بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة.

(3) (قوله: دَمِثاً)، بفتح الدال [المهملة] وكسر الميم وبالمثلثة، من الدمثة، وهي سهولة الخلق.

(4) (قوله: وَلَا الْمَهِينِ)، بفتح الميم وضمها.

قال ابن الأثير⁽¹⁾: «فَالْضَمُّ مِنَ الْإِهَانَةِ، أَيْ لَا يُهَيِّئُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَالْفَتْحُ مِنَ الْمَهَانَةِ، أَيْ الْحَقَارَةِ»⁽²⁾.

(1) نهاية اللوحة (32/و).

(2) النهاية في غريب الحديث (376/4) مادة: مهن.

لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَسَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا⁽¹⁾، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلْبُهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضْرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ⁽²⁾، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلَّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَقْتَرُ⁽³⁾ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعِمَامِ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَكْتَمْتُهَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَخْرَجِهِ، وَمَجْلِسِهِ وَشَكْلِهِ، فَلَمْ يَدْعُ مِنْهُ شَيْئًا.

قَالَ الْحُسَيْنُ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ، مَاذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَأً دُخُولُهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، جُزْءًا لِلَّهِ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ.

ثُمَّ جُزْءًا جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ⁽⁴⁾ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ، وَلَا

(1) (قوله: أَسَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا)، قال ابن الأثير: «أراد أن إشارته مختلفة فما كان منها في ذكر التَّوْحِيدِ وَالتَّشْهِيدِ كَانَ بِالْمُسَبِّحَةِ وَحدها، وَمَا كَانَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ كَانَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا لِيَكُونَ بَيْنَ الْإِشَارَتَيْنِ فَرْقٌ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَأَشَاحَ)، بالشين المعجمة والحاء المهملة.

(3) (قوله: يَقْتَرُ)، في الصحاح: «افْتَرَّ فَلَانٌ ضاحكًا، أي أبدى أسنانه»⁽²⁾.

(4) (قوله: فَيَرُدُّ ذَلِكَ)، عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ.

قال ابن الأثير: «أراد أن الْعَامَّةَ كانت لا تصل إليه في هذا الوقت، فكانت الْخَاصَّةُ تُخْبِرُ الْعَامَّةَ بما سمعت منه، فكانه أَوْصَلَ الْفَوَائِدَ إِلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ، وقيل: إن الباء بمعنى «من»، أي يجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة وَبَدَلًا مِنْهُمْ»⁽³⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث (518/2) مادة: شير.

(2) الصحاح (780/2) مادة: فر.

(3) النهاية في غريب الحديث (302/3) مادة: عمم.

يَدْخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ،
وَقَسَمَتُهُ عَلَى قَدَرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، مِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ،
وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالْأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ
عَنْهُمْ، وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ.

وَيَقُولُ «لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ
إِبْلَاغِي حَاجَتَهُ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ
قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

لَا يُذَكِّرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ.

قَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ: «يَدْخُلُونَ رَوَادًا وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ
ذَوَاقٍ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً، يَعْنِي فُقَهَاءً».

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟

قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ⁽¹⁾ لِسَانَهُ إِلَّا مِمَّا يَعْنِيهِمْ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا
يُفَرِّقُهُمْ، يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيَحْذِرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مَنْ
غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشْرَهُ وَخُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي
النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ، وَيَقْبِضُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ، مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرِ
مُخْتَلِفٍ، لَا يَعْمَلُ مَخَافَةً أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عِتَادٌ⁽²⁾، لَا يَقْصُرُ
عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ، الَّذِينَ يُلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، وَأَفْضَلُهُمْ
عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنَزَلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُوَازَرَةً.

(1) (قوله: يَخْزُنُ)، بسكون الخاء المعجمة وضم الزاي.

(2) (قوله: عِتَادٌ)، بفتح العين المهملة وتخفيف المثناة الفوقية وفي آخره دال
مهملة.

فَسَأَلَتْهُ عَنْ مَجْلِسِهِ عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟!

فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ، وَلَا يُوطِّنُ الْأَمَاكِينَ، وَيَنْهَى عَنْ إِطَانِهَا، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيْبَهُ، حَتَّى لَا يَحْسَبُ جُلَيْسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابِرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرَفَ عَنْهُ.

مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَزِدَّهُ إِلَّا بِهَا، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا، وَصَارُوا عِنْدَهُ مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى.

وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً.

مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ، وَحَيَاءٍ، وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ، وَلَا تُنْشَى ⁽¹⁾ فَلَتَاتُهُ - وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَتَيْنِ - يَتَعَاطَفُونَ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ، يُوقِرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ، وَيَزِفُدُونَ ⁽²⁾ ذَا الْحَاجَةِ، وَيَرْحَمُونَ الْغَرِيبَ.

فَسَأَلَتْهُ: عَنْ سِيرَتِهِ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ.

فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَائِمَ الْبُشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ، وَلَا فَحَاشٍ، وَلَا عَيَّابٍ، وَلَا مَدَّاحٍ، يَتَعَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي وَلَا يُؤْيِسُ مِنْهُ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، الرِّبَاءِ، وَالْإِكْثَارِ، وَمَا لَا يَغْنِيهِ.

(1) (قوله: وَلَا تُنْشَى)، بضم المشناة الفوقية وسكون النون بعدها مثلثة، أي لا يشاع، يقال: نشوت الحديث أنشوه نشوا، أي أشعته.

(2) (قوله: وَيَزِفُدُونَ)، يقال: رفده يرفده بكسر الفاء في المستقبل، إذ أعطاه، وأرفده إرفادا، إذا أعانه.

وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا، وَلَا يُعَيِّرُهُ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَزْجُو ثَوَابَهُ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا، لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ، مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرَغَ، حَدِيثُهُمْ حَدِيثُ أَوْلِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَضْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي الْمَنْطِقِ، وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفُدُوهُ.

وَلَا يَطْلُبُ الشَّاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَهُ فَيَقْطَعَهُ بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ»، هُنَا انْتَهَى حَدِيثُ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ. وَزَادَ الْآخَرُ قُلْتُ: «كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ؟

قَالَ: كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ. فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى.

وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفِزُّهُ⁽¹⁾، وَجُمِعَ لَهُ فِي الْحَذَرِ أَرْبَعٌ: أَخَذَهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرَكَهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالْقِيَامُ لَهُمْ بِمَا جَمَعَ لَهُمْ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

انْتَهَى الْوَصْفُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ.

(1) (قوله: يَسْتَفِزُّهُ)، بالفاء والزاي.

فَصْلٌ

فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ هَذَا الْحَدِيثِ وَمُشْكِلِهِ

قَوْلُهُ: «الْمُشَذَّبُ»، أَيِ الْبَائِنِ الطُّوْلِ فِي نَحَافَةٍ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَيْسَ بِالطُّوِيلِ الْمُمَغْطُ»⁽¹⁾.

وَ «الشَّعْرُ الرَّجُلُ»: الَّذِي كَأَنَّهُ مُشْطٌ فَتَكَسَّرَ قَلِيلًا، لَيْسَ بِسَبِطٍ وَلَا جَعْدٍ.
وَ «الْعَقِيقَةُ»: شَعْرُ الرَّأْسِ، أَرَادَ إِنْ انْفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهَا فَرَقَهَا، وَإِلَّا تَرَكَهَا مَعْقُوصَةً، وَيُزَوَّى «عَقِصْتُه».
وَ «أَزْهَرُ اللَّوْنِ»: نَبِيْرُهُ.

وَقِيلَ: أَزْهَرُ: حَسَنٌ، وَمِنْهُ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَيِ زَيْتُهَا، وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقُ وَلَا بِالْأَدَمِ»
وَ «الْأَمْهَقُ»: هُوَ النَّاصِعُ الْبَيَاضِ.
وَ «الْأَدَمُ»: الْأَسْمَرُ اللَّوْنِ، وَمِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «أَبْيَضُ مُشْرَبٌ»،
أَيِ فِيهِ حُمْرَةٌ.

وَ «الْحَاجِبُ الْأَرْجُ»: الْمُقَوَّسُ الطُّوِيلُ، الْوَافِرُ الشَّعْرِ.

فصل في تفسير غريب هذا الحديث

(1) (قوله: الْمُمَغْطُ)، قال الهروي: «قال أبو زيد: يقال: أَمَغَطَ النهارُ، أي امتدَّ، وَمَغْطَتُ الحبلُ فأنْمَغَطَ وَأَمَغَطَ، وقال أبو ثَرَابٍ في كتاب الاعتقَاب: مُمَغْطٌ وَمُمَغْطٌ بالمعجمة والمهملة»⁽¹⁾، انتهى.

(1) الغريبين (1765/6) مادة: مغط.

وَ «الْأَفْنَى»: السَّائِلُ الْأَنْفِ الْمُرْتَفِعُ وَسَطُهُ.

وَ «الْأَشْمُ»: الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ.

وَ «الْقَرْنُ»: اتِّصَالُ شَعْرِ الْحَاجِئِينَ، وَضِدُّهُ الْبَلَجُ، وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبِدٍ وَضَفُّهُ بِ «الْقَرْنِ».

وَ «الْأَدْعَجُ»: الشَّدِيدُ سَوَادِ الْحَدَقَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: « أَشْكَلُ الْعَيْنِ».

وَ «أَسْجَرُ الْعَيْنِ»: وَهُوَ الَّذِي فِي بَيَاضِهَا حُمْرَةٌ.

وَ «الضَّلِيعُ»: الْوَاسِعُ.

وَ «الشَّنْبُ»: رَوْنَقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا، وَقِيلَ: رِفَّتُهَا، وَتَحْزِيرٌ فِيهَا كَمَا يُوجَدُ فِي أَسْنَانِ الشَّبَابِ.

وَ «الْفَلَجُ»: فَرْقُ الثَّنَائِيَا.

وَ «دَقِيقُ الْمَسْرُوبَةِ»: خَيْطُ الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ الصَّدْرِ وَالشَّرَّةِ.

«بَادِنٌ»: ذُو لَحْمٍ.

وَ «مُتَمَاسِكٌ»: مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، يُمَسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلَا بِالْمُكَلَّثَمِ»، أَيْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ.

وَ «الْمُكَلَّثَمُ»: الْقَصِيرُ الذَّقْنِ.

وَ «سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ»: أَيْ مُسْتَوِيهِمَا.

«مُشِيعُ الصَّدْرِ»: إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِفْبَالِ، وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي أَشَاحٍ، أَيْ أَنَّهُ كَانَ بَادِي الصَّدْرِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعْسٌ وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ، وَبِهِ يَتَّضِحُ قَوْلُهُ قَبْلُ: «سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ»، أَيْ لَيْسَ بِمُتَقَاعِسِ الصَّدْرِ

وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ، وَلَعَلَّ اللَّفْظَ مَسِيحٌ بِالسَّيْنِ وَفَتْحِ الْمِيمِ، بِمَعْنَى عَرِيضٍ،
كَمَا وَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى، وَحَكَاهُ ابْنُ دُرَيْدٍ.

وَ «الْكِرَادِيْسُ»: رُؤُوسُ الْعِظَامِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ:
«جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتْدِ».

وَ الْمُشَاشُ: رُؤُوسُ الْمَنَاقِبِ.

وَ «الْكَتْدُ»⁽¹⁾: مُجْتَمَعُ الْكَتَفَيْنِ.

وَ «شَنُّ الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ»: لَحِيْمُهُمَا.

وَ «الرَّزْدَانِ»: عَظْمَا الذَّرَاعَيْنِ.

وَ «سَائِلُ الْأَطْرَافِ»: أَيُّ طَوِيلُ الْأَصَابِعِ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ «سَائِلُ الْأَطْرَافِ»، أَوْ قَالَ: سَائِلُ الثُّونِ،
قَالَ: وَهُمَا بِمَعْنَى، تُبَدَّلُ اللَّامُ مِنَ الثُّونِ إِنْ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ بِهَا، وَأَمَّا عَلَى
الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى وَسَائِلُ الْأَطْرَافِ، فَإِشَارَةٌ إِلَى فَحَامَةِ جَوَارِحِهِ، كَمَا وَقَعَتْ
مُفْصَلَةً فِي الْحَدِيثِ.

وَ «رَحْبُ الرَّاحَةِ»: أَيُّ وَاسِعُهَا، وَقِيلَ كُنِيَ بِهِ عَنْ سِعَةِ الْعَطَاءِ وَالْجُودِ.

وَ «خَمَصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ»: أَيُّ مُتَجَافِي أَخْمَصِ الْقَدَمِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ
الَّذِي لَا تَنَالُهُ الْأَرْضُ مِنْ وَسَطِ الْقَدَمِ.

وَ «مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ»: أَيُّ أَمْلَسُهُمَا، وَلِهَذَا قَالَ: «يَبْئُو عَنْهُمَا الْمَاءَ»، وَفِي
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ خِلَافَ هَذَا، قَالَ فِيهِ: إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا، لَيْسَ لَهُ
أَخْمَصٌ»، وَهَذَا يُوَافِقُ مَعْنَى قَوْلِهِ: «مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ»، وَبِهِ قَالُوا: سُمِّيَ الْمَسِيحُ
بَنَ مَرْيَمَ، أَيُّ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخْمَصٌ.

(1) (قوله: وَالْكَتْدِ)، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الْفَتْحُ أَفْصَحُ.

وَقِيلَ: مَسِيحٌ لَا لَحْمَ عَلَيْهِمَا، وَهَذَا أَيْضًا يُخَالِفُ قَوْلَهُ: «شَتْنُ الْقَدَمَيْنِ».

وَ «التَّقْلُعُ»: رَفْعُ الرَّجْلِ بِقُوَّةٍ.

وَ «التَّكْفُؤُ»: الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمَمْشَى وَقَصْدِهِ.

وَ «الْهُونُ»: الرِّفْقُ وَالْوَقَارُ.

وَ «الذَّرِيعُ»: الْوَاسِعُ الْخَطْوُ، أَيْ إِنْ مَشِيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلِيهِ بِسُرْعَةٍ وَيَمُدُّ خَطْوَهُ، خِلَافَ مِشْيَةِ الْمُخْتَالِ، وَيَقْصِدُ سِمَتَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِرِفْقٍ وَتَثَبٍّ دُونَ عَجَلَةٍ، كَمَا قَالَ: «كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ».

وَقَوْلُهُ: «يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ»: أَيْ لِسَعَةٍ فَمِهِ، وَالْعَرَبُ تَتِمَادِحُ بِهَذَا وَتَذُمُّ بِصَغَرِ الْفَمِ.

وَ «أَشَاحَ»: مَالَ وَانْقَبَضَ.

وَ «حَبُّ الْغَمَامِ»: الْبَرْدُ.

وَقَوْلُهُ: «فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ»: أَيْ جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوَصِّلُ الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَتُوصِلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ، وَقِيلَ: يُجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ثُمَّ يُبَدِّلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَّةِ.

وَ «يَدْخُلُونَ رُودًا»: أَيْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ.

وَ «لَا يَنْصَرِفُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ»: قِيلَ: عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ، وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ، أَيْ فِي الْعَالِبِ وَالْأَكْثَرِ.

وَ «الْعَتَادُ»: الْعِدَّةُ، وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمَعْدُّ.

وَ «الْمُوَازَرَةُ»: الْمُعَاوَنَةُ.

وَقَوْلُهُ: «لَا يُوْطِنُ الْأَمَاكِنَ»: أَيْ لَا يَتَّخِذُ لِمُصْلَاهُ مَوْضِعًا مَعْلُومًا، وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هَذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ.

وَ «صَابِرُهُ»: أَيِ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ صَاحِبُهُ.
وَ «لَا تُؤْبِنُ فِيهِ الْحَرَمُ»: أَيِ لَا يُذَكِّرُنْ فِيهِ بِسُوءٍ.
وَ «لَا تُتْنَى فَلَتَاتُهُ»: أَيِ لَا يُتَحَدَّثُ بِهَا، أَيِ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلَتَةً، وَإِنْ كَانَتْ
مِنْ أَحَدٍ سَتِرَتْ.

وَ «يُزْفِدُونَ»: يُعِينُونَ.
وَ «السَّحَابُ»: الْكَثِيرُ الصَّيَاحِ.
وَقَوْلُهُ: «وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ»⁽¹⁾ إِلَّا مِنْ مُكَافِيٍّ: قِيلَ: مُقْتَصِدٌ فِي ثَنَائِهِ
وَمَدْحِهِ.

وَقِيلَ: إِلَّا مِنْ مُسْلِمٍ.
وَقِيلَ: إِلَّا مِنْ مُكَافِيٍّ عَلَى يَدِ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ.
وَ «يَسْتَفِزُّهُ»: يَسْتَحِفُّهُ.
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ ﷺ: «مَنْهُوْسُ الْعَقَبِ»: أَيِ قَلِيلٌ لَحْمِهَا.
وَ «أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ»⁽²⁾: أَيِ طَوِيلُ شَعْرِهَا.

(1) (قوله: وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ)، بتقديم المثلثة على النون والمد، يطلق في الخير
ويقيد في الشر، ومنه «مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا»⁽¹⁾، وأما النثا بتقديم النون
على المثلثة فمقصود، ويستعمل في الخير والشر جميعا.

(2) (قوله: وَأَهْدَبُ الْأَشْفَارِ)، أَهْدَبُ: بسكون الهاء وفتح الدال المهملة بعدها
موحدة.

وَالْأَشْفَارُ: بالشين المعجمة والفاء، جمع شفر بالضم⁽²⁾، وهو حرف الجفن
الذي ينبت عليه الشعر، وهو الهدب.

(1) رواه البخاري (1367) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) نهاية اللوحة (32/ظ).

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ،
وَمَنْزِلَتِهِ ، وَمَا خَصَّهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ ﷺ

لَا خِلَافَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَشَرِ ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ
وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً ، وَأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَقَدْ اقْتَصَرْنَا مِنْهَا
عَلَى صَحِيحِهَا ، وَمُنْتَشِرِهَا ، وَحَصَرْنَا مَعَانِي مَا وَرَدَ مِنْهَا فِي اثْنِي عَشَرَ فَصْلًا .

الفصل الأول

فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذِكْرِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْإِصْطِفَاءِ،
وَرَفْعَةِ الذِّكْرِ، وَالتَّفْضِيلِ، وَسَيَادَةِ وَلَدِ آدَمَ،
وَمَا خَصَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَزَايَا الرُّتَبِ، وَبِرَكَّةِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ.

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ إِذَا بَلَغَ، حَدَّثَنَا أَبُو
الْحَسَنِ الْفَرْغَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِيهَا، حَدَّثَنَا
حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ عَقِيلٍ، عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَحْيَى الْحِمَّانِيِّ⁽¹⁾،
حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رَبِيعٍ⁽²⁾، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ، فَجَعَلَنِي مِنْ
خَيْرِهِمْ قِسْمًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 27]، ﴿وَأَصْحَابُ
الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: 41]، فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ أَثْلَاثًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثُلَاثًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: 8]، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: 9]، ﴿وَالسَّابِقُونَ
السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: 10]، فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ، وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ.

ثُمَّ جَعَلَ الْأَثْلَاثَ قِبَائِلَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا قَبِيلَةً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ [الحجرات: 13] الْآيَةَ، فَأَنَا أَتَقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى
اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، ثُمَّ جَعَلَ الْقِبَائِلَ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33]، الْآيَةَ.

الباب الثالث

(1) (قوله: عَنْ يَحْيَى الْحِمَّانِيِّ)، بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم بعدها ألف
ونون وياء للنسبة إلى قبيلة.

(2) (قوله: عَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رَبِيعٍ)، بفتح العين المهملة وتخفيف الوحدة،
وربِيعٍ بكسر الراء وسكون الموحدة بعدها عين مهملة وياء مشددة.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

وَعَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْهُ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: قَلِّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرِ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ أَرِ بَنِي أَبِي أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا!! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، فَارْفُضْ عَرَقًا».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَبَوَيَّ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ».

وَالِىَ هَذَا أَشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ:

مِنْ قَبْلُهَا⁽¹⁾ طُبْتُ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسَوِّدٍ حَيْثُ يُخَصِّفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتُ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ⁽²⁾ وَلَا عَلَقٌ⁽³⁾

(1) (قوله: مِنْ قَبْلُهَا)، أي قبل الدنيا، أو قبل النبوة، أو الولادة.

(2) (قوله: وَلَا مُضْغَةٌ)، الْمُضْغَةُ: قطعة لحم بقدر ما يمضغ في الفم.

(3) (قوله: وَلَا عَلَقٌ)، الْعَلَقُ جمع علقة، وهي قطعة من دم غليظ.

بَلْ نُطْفَةُ تَرْكَبُ السَّفِينِ⁽¹⁾ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا⁽²⁾ وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ⁽³⁾ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالِمٌ بَدَا طَبَقٌ⁽⁴⁾

(1) (قوله: تَرْكَبُ السَّفِينِ)، في الصحاح: «السَّفِينُ: جمع سَفِينَةٍ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى فَاعِلَةٍ، كَأَنهَا تَسْفِينُ الْمَاءَ، أَي تَقْشِرُهُ، بِالْقَافِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: نَسْرًا)، كان لآدم ﷺ بنون خمسة يسمون ودا ونسرا وسواعا ويغوث ويعوق، وكانوا عُبَادًا، فماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم، فصور لهم إبليس اللعين أمثالهم من ضُفَرٍ ونحاسٍ ليستأنسوا بهم، فجعلوها في مؤخر المسجد، فلما هلك أهل ذلك العصر قال اللعين لأولادهم: هذه آلهة آبائكم فاعبدوهم، ثم إن الطوفان دَفَنَهَا، فأخرجها اللعين للعرب، فكانت ود لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل بساحل البحر، ويغوث لغطيف من مراد، ويعوق لهمدان، ونسر لذى الكلاع من حمير⁽²⁾.

(3) (قوله: مِنْ صَالِبٍ)، قال الهروي: «أَي من صلب، يقال صَلَبٌ وَصَلَبٌ وَصَالِبٌ ثَلَاثُ لُغَاتٍ»⁽³⁾.

وقال ابن الأثير: «الصَّالِبُ: الصُّلْبُ، وهو قليل الاستعمال»⁽⁴⁾.

(4) (قوله: إِذَا مَضَى عَالِمٌ بَدَا طَبَقٌ)، العَالِمُ: بفتح اللام.

قال الهروي: «وقال ابن عرفة: يقال: مَضَى طَبَقٌ وجاء طَبَقٌ، أَي مَضَى عَالِمٌ وجاء عَالِمٌ، ومنه قول العباس: «إِذَا مَضَى عَالِمٌ بَدَا طَبَقٌ»، يقول: إِذَا مَضَى قَرْنٌ بَدَا قَرْنٌ، وقيل للقرن طَبَقٌ، لَأَنَّهُ طَبَقُ الْأَرْضِ»⁽⁵⁾.

(1) الصحاح (2136/5) مادة: سفن.

(2) انظر تفسير الطبري (639/23)، وتفسير الثعلبي (46/10)، وتفسير القرطبي (307/18)، وتفسير البيضاوي (250/5).

(3) الغريين (1090/4) مادة: صلب.

(4) النهاية في غريب الحديث (45/3) مادة: صلب.

(5) الغريين (1159/4) مادة: طبق.

ثُمَّ احْتَوَى بَيْنَكَ الْمُهَيِّمُنُ⁽¹⁾ مِنْ خِنْدَفٍ⁽²⁾ عَلَيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ⁽³⁾
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضَ ضَوْءًا وَضَاءً بِنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَحْتَرِقُ
يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبَبًا لِعِصْمَةِ النَّارِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَبُو ذَرٍّ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَجَابِرُ
بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا - وَفِي بَعْضِهَا سِتًّا - لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ
قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا،

(1) (قوله: الْمُهَيِّمُنُ)، أي الشاهد.

(2) (قوله: خِنْدَفٍ)، بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة بعدها
فاء، هو في الأصل مشية كالهرولة، ثم سمي به ليلي امرأة إلياس بن مُضَر.

(3) (قوله: النُّطُقُ)، بضم النون والطاء.

قال ابن الأثير: «جمع نِطَاقٍ، وهي أعراض⁽¹⁾ من جبال بعضها فوق بعض، أي
نواح وأوساط منها شُبِّهَتْ بالنُّطُقِ الذي يُشَدُّ بِهَا أَوْسَاطُ النَّاسِ، ضَرْبُهُ مَثَلًا لَهُ فِي
ارتفاعه وتوسطه فِي عَشِيرَتِهِ، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال»⁽²⁾، انتهى.

وفي الصحاح: «النِّطَاقُ: شُقَّةٌ تلبسها المرأة وتَشُدُّ وَسَطَهَا ثم تُرْسِلُ الْأَعْلَى
عَلَى الْأَسْفَلِ إِلَى الرِّكْبَةِ، وَالْأَسْفَلُ يَنْجَرُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْسَ لَهَا حُجْزَةٌ، وَلَا
نَيْفَقٌ وَلَا سَاقَانِ، وَالْجَمْعُ نُطُقٌ»⁽³⁾.

(1) نهاية اللوحة (33/و).

(2) النهاية في غريب الحديث (75/5) مادة: نطق.

(3) الصحاح (1559/4) مادة: نطق.

فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي⁽¹⁾ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ
لِنَبِيِّ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ⁽²⁾».

(1) قوله: وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي، كذا في بعض النسخ، والمشهور فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي بالفاء.

(2) قوله: وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، أي العظمى، وله عَلَيْهِ السَّلَامُ شفاعات هذه أولاهها، وهي في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء عليهم السلام. والثانية: في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب، وهذه والتي قبلها من خصائصه عليه السلام.

والثالثة: في أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها.

والرابعة: في أناس دخلوا النار فيخرجون منها.

والخامسة: في رفع درجات أناس في الجنة.

قال النووي: «ويجوز أن تكون الثالثة والخامسة أيضا من خصائصه»⁽¹⁾.

والسادسة: تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها، كما في حق أبي طالب.

والسابعة: شفاعته لمن مات بالمدينة.

والثامنة: شفاعته لمن صبر على لأواء المدينة.

والتاسعة: شفاعته لفتح باب الجنة، كما رواه مسلم.

والعاشرة: شفاعته لمن زاره عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما روى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي»⁽²⁾.

والحادية عشر: شفاعته لمن أجاب المؤذن وصلى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما في الصحيحين من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي»⁽³⁾.

(1) شرح صحيح مسلم (35/3).

(2) كذا نسبه لابن خزيمة، ولا يوجد في صحيحه، وهو عند الدارقطني (2695)، والدولابي في الكنى والأسماء (1483)، والبيهقي في الشعب (3862) بسند ضعيف.

(3) انفرد به البخاري (614) دون مسلم من حديث جابر رضي الله عنه.

وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ «وَقِيلَ لِي سَلْ تُعْطَهُ».
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى «وَعُرِضَ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ
الْمَثْبُوعِ».

وَفِي رِوَايَةٍ «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ».
قِيلَ: السُّودُ الْعَرَبُ، لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِهِمُ الْأَدْمَةُ، فَهُمْ مِنَ السُّودِ،
وَالْحُمْرُ الْعَجَمُ.

وَقِيلَ: الْبَيْضُ وَالسُّودُ مِنَ الْأُمَمِ.
وَقِيلَ: الْحُمْرُ الْإِنْسُ، وَالسُّودُ الْجِنُّ.
وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ،
وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ
فِي يَدَيَّ⁽¹⁾».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ «وَحُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ».
وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ﷺ «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ
عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ
الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ
تَنَافَسُوا فِيهَا».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا
مُحَمَّدٌ، النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؛ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ،
وَعُلِّمْتُ⁽²⁾ خَزَنَةَ النَّارِ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ».

(1) (قوله: فِي يَدَيَّ)، بفتح الدال وتشديد الآخر.

(2) (قوله: وَعُلِّمْتُ)، بضم المهملة وتشديد اللام المكسورة، ويجوز فتح المهملة
وتخفيف اللام.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ».

وفي رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: سل يا مُحَمَّدُ، فقلت: ما أسأل يا رب؟ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمْتُ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَاضْطَفَيْتُ نُوحًا، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ، وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي يُنَادَى بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ طَهُورًا لَكَ وَلَأُمَّتِكَ، وَغَفَرْتُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ، وَلَمْ أَضْنَعْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا، وَخَبَأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ وَلَمْ أَخْبَاهَا لِنَبِيِّ غَيْرِكَ».

وفي حديث آخر رواه حذيفة «بشّرني - يعني ربه عز وجل - أول من يدخل الجنة معي من أمّتي سبعة ألفًا، مع كل ألف سبعة ألفًا، ليس عليهم حساب، وأعطاني ألا تجوع أمّتي ولا تغلب، وأعطاني النصر والعزة والرغب يسعى بين يدي أمّتي شهرًا، وطيب لي ولأمّتي المغانم، وأحل لنا كثيرًا ممّا شدد على من قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج».

وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا، وسائر معجزات الأنبياء ذهبَت للحين، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها.

ومعجزة القرآن يقف عليها قرنٌ بعد قرنٍ عياناً لا خبراً إلى يوم القيامة. وفيه كلام يطول، هذا نُحْبِثُهُ.

وقد بسطنا القول فيه، وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات.

وعن علي رضي الله عنه: «كلُّ نبي أُعطي سبعة نجباء وُزراء رُفقاء من أمّته، وأُعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيباً، منهم أبو بكر، وعمر، وابن مسعود، وعمرار».

وَقَالَ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ»⁽¹⁾، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ
وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ».

وَعَنْ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ،
وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ»⁽²⁾ فِي طِينَتِهِ، وَعِدَةٌ⁽³⁾ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ
عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى السَّمَاءِ وَعَلَى
الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: فَمَا فَضَلُهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ:
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ﴾ [الأنبياء: 29]
الآيَةِ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 1]، الْآيَةِ.

قَالُوا: فَمَا فَضَلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ؟

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾
[إبراهيم: 4]، الْآيَةِ.

وَقَالَ: لِمُحَمَّدٍ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: 28].

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ⁽⁴⁾ «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ».

(1) (قوله: الْفِيلَ)، كان اسم هذا الفيل محمودا.

(2) (قوله: لَمُنْجَدِلٌ)، أي ساقط، يقال: جدله، أي رماه بالجدالة، وهي الأرض
فانجدل⁽¹⁾، أي سقط.

(3) (قوله: وَعِدَةٌ)، بكسر العين المهملة وتخفيف الدال المهملة.

(4) (قوله: ابْنِ مَعْدَانَ)، بفتح الميم وسكون العين وتخفيف الدال المهملتين.

(1) نهاية اللوحة (33/ظ).

وَقَدْ رُويَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمْ - فَقَالَ: «نَعَمْ، أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ
 رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 129].

وَبَشَّرَ بِي عَيْسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي ⁽¹⁾ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ
 قُصُورٌ بُضْرَى ⁽²⁾ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ
 أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَزَعَى بِهِمَا ⁽³⁾ لَنَا، إِذْ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ.
 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «ثَلَاثَةُ رِجَالٍ بَطُسَتْ ⁽⁴⁾ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلَجًا
 فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي».

قَالَ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ: «مَنْ نَحَرِي إِلَى مَرَاقٍ بَطْنِي ⁽⁵⁾، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا
 مِنْهُ قَلْبِي، فَشَقَّاهُ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي
 بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ».

(1) (قوله: حِينَ حَمَلْتُ بِي)، كذا هنا، وفي غيره «حِينَ وَضَعْتَنِي» ⁽¹⁾.

(2) (قوله: بُضْرَى)، بضم الموحدة، مدينة حوران، وهي أول مدينة فتحت في
 الشام، وكان فتحها صلحا.

(3) (قوله: بِهِمَا)، بفتح الموحدة وسكون الهاء، جمع بهيمة، وهي ولد الضأن،
 ذكرا كان أو أنثى، وجمع البهم البهائم، ويقال لأولاد المعز: سخال.

(4) (قوله: بَطُسَتْ)، بالسین المهملة، ويقال أيضا: طس وطسة، وهو الآنية
 المعروفة.

وفي الصحاح: «الطُّسْتُ: الطُّسُّ في لغة طَيِّيّ، أُبدل من إحدى السِّينَيْنِ تَاءً
 للاستثقال، فإذا جَمَعَتْ أو صَغُرَتْ، رددت السِّينَ، لأنك فصلت بينهما بألف
 أو ياء، فقلت: طِسَّاسٌ، أو طُسَيْسٌ» ⁽²⁾.

(5) (قوله: مَرَاقٍ بَطْنِي)، بتخفيف الراء وتشديد القاف، أي ما سفلى من البطن ورق
 من جلده.

(1) هذه رواية البغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (4)، وابن سعد في الطبقات (82/1).

(2) الصحاح (258/1) مادة: طست.

قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «ثُمَّ تَنَاوَلَ أَحَدُهُمَا شَيْئًا، فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ، يَحَارُ⁽¹⁾ النَّاطِرُ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَأَمْتَلَأَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، وَأَمَرَ الْآخَرَ يَدَهُ عَلَى مَفْرَقِ⁽²⁾ صَدْرِي فَالْتَأَمَ».

وَفِي رَوَايَةٍ: «إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ: قَلْبٌ وَكِيعٌ⁽³⁾ - أَيُّ شَدِيدٍ - فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ».

ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنَةُ بَعْشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِي، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَةُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِي، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَةُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِي، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: دَعُهُ عَنْكَ، فَلَوْ وَزَنْتُهُ بِأُمَّتِي لَوَزَنْتُهَا».

قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ، وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ، ثُمَّ قَالُوا يَا حَبِيبُ لَمْ تُرْعَ⁽⁴⁾، إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّرْتَ عَيْنَاكَ».

وَفِي بَقِيَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِمْ: «مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ».

قَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: «فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَّيَا عَنِّي، فَكَأَنَّمَا أَرَى الْأَمْرَ مُعَايَنَةً».

(1) (قوله: يَحَارُ)، بفتح المشناة التحتية والحاء المهملة، أي يتحير.

(2) (قوله: مَفْرَقِ)، بفتح الميم وبكسر الراء.

(3) (قوله: وَكِيعٌ)، أي شديد.

(4) (قوله: لَمْ تُرْعَ)، بضم المشناة الفوقية وفتح الراء، أي لا تفزع⁽¹⁾.

(1) ورد في النسخة (أ) (قوله: الآجري)، بمد الهمزة وضم الجيم وفي آخره ياء للنسبة، هو الإمام

القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، ولا وجود لاسم الآجري في هذا

الفصل.

وَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَكِّي وَأَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَغَيْرُهُمَا: أَنَّ آدَمَ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي - وَيُزَوِّى - وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا؟

قال: رَأَيْتُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَيُزَوِّى: مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ.

وَهَذَا عِنْدَ قَائِلِهِ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَقَّحَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ [البقرة: 37].
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «فَقَالَ آدَمُ: لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنَّهُ لَا خَيْرَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ».

قال: وَكَانَ آدَمُ يُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ.

وَقِيلَ: بِأَبِي الْبَشْرِ.

وَرُوِيَ عَنْ سُرَيْجٍ⁽¹⁾ بَنِ يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، عِبَادَتُهَا عَلَى كُلِّ دَارٍ⁽²⁾ فِيهَا أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ، إِكْرَامًا مِنْهُمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

(1) (قوله: سُرَيْجِ بْنِ يُونُسَ)، سُرَيْج: بضم السين المهملة وفتح الراء وفي آخره جيم، هو أبو الحارث البغدادي، أحد أئمة الحديث.

(2) (قوله: عِبَادَتُهَا عَلَى كُلِّ دَارٍ)، عِبَادَةٌ: بالباء الموحدة، مبتدأ خبره «كُلِّ دَارٍ» على حذف مضاف، أي حفظ كل أهل دار، أو إكرام أهل كل دار.

وَرَوَى ابْنُ قَانِعٍ⁽¹⁾ الْقَاضِي عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ⁽²⁾ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ».

وَفِي التَّفْسِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كُتُبًا﴾ لَهُمَا [الكهف: 82].

قَالَ: «لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ: عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ، عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ، عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَا أُعَذِّبُ مَنْ قَالَهَا».

وَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ: «مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ».

وَذَكَرَ السَّمَنْطَارِيُّ أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَاسَانَ مَوْلُودًا وُلِدَ، عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَعَلَى الْآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

(1) (قوله: ابْنُ قَانِعٍ)، بالقاف والنون المكسورة بعدها عين مهملة، هو القاضي عبد الباقي بن مرزوق، صاحب معجم الصحابة، وكتاب اليوم والليلة.

(2) (قوله: عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ)، بفتح المهملة وسكون الميم والمد، اسم لصحابيين، أحدهما مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أخرج هَذَا الْحَدِيثَ⁽¹⁾ عَنْهُ ابْنُ مَاجَه، وَالْآخَر مولى آل عفراء، ولا يعلم له رواية.

(1) نهاية اللوحة (34/و).

وَذَكَرَ الْأَخْبَارِيُّونَ⁽¹⁾: أَنَّ بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَدًا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَرَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ:
أَلَا لِيَقُمْ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكِرَامَةِ اسْمِهِ ﷺ».

(1) (قوله: وَذَكَرَ الْأَخْبَارِيُّونَ)، بالخاء المعجمة.

قال الذهبي في ميزانه: «روى قريش بن أنس عن كليب بن وائل، وكليب نكرة لا يعرف، أنه رأى بالهند وردا، في الوردة مكتوب محمد رسول الله»⁽¹⁾.

وقال ابن العديم في تاريخه في ترجمة الحسن بن أحمد بن الحسن الوراق الخواص المصيصي مسندا عنه إلى علي بن عبد الله الهاشمي الرقي أنه قال: «دخلت في بلاد الهند إلى بعض قُرَاهَا، فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، أَبُو بَكْرُ الصديق عمر الفاروق، فشككت في ذلك وقلت: إنه معمول، فعمدت إلى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك، وفي البلد منه شيء كثير، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، ولا يعرفون الله عز وجل»⁽²⁾، انتهى.

وقال الشيخ عبد الله الياضي في كتابه المسمى بروض الرياحين: «قال بعض الشيوخ: دخلت بلاد الهند، فدخلت مدينة رأيت فيها شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران، فإذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب فيها بالحمرة «لا إله إلا الله»، كتابة جلية، وهم يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا من الغيث، فحدثت بهذا أبا يعقوب الصياد فقال لي: ما أستعظم هذا، كنت أصطاد على نهر الأُبُلَّة، فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن «لا إله إلا الله»، وعلى جنبها الأيسر «محمد رسول الله»، فلما رأيتها قذفتها في الماء احتراما لما عليها».

(1) ميزان الاعتدال (414/3).

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (2255/5).

وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ⁽¹⁾ فِي سَمَاعِهِ وَابْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ عَنْ مَالِكٍ:
سَمِعْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: «مَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ اسْمُ مُحَمَّدٍ إِلَّا نَمَى، وَرَزَقُوا،
وَرَزَقَ جِيرَانُهُمْ».

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ
وَثَلَاثَةٌ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى قُلُوبِ
الْعِبَادِ، فَاخْتَارَ مِنْهَا قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاضْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ».

وَحَكَى التَّقَاشُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: 53] الْآيَةَ، قَامَ خَطِيبًا
فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ تَفْضِيلًا، وَفَضَّلَ
نِسَائِي عَلَى نِسَائِكُمْ تَفْضِيلًا»، الْحَدِيثَ.

(1) (قوله: وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ)، هو الفقيه الإمام أبو عبد الله عبد الرحمن بن
القاسم، صاحب مالك، روي أنه قال: «خرجت إلى مالك اثني عشر مرة،
أنفقت في كل مرة ألف دينار»⁽¹⁾.

(1) رواه الخطيب في المتفق والمفترق (1500/3).

فَصْلٌ

فِي تَفْضِيلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ وَالرُّؤْيَا،

وَأَمَامَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،

وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ الرَّفْعَةِ
مِمَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، وَشَرَحَتْهُ صَحَاحُ الْأَخْبَارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: 1] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْجَمْعُ إِذَا هَوَىٰ ۖ﴾ [النجم: 1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكَبِيرِ﴾ [النجم: 18].

فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صِحَّةِ الْإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ، إِذْ هُوَ نَصُّ
الْقُرْآنِ، وَجَاءَتْ بِتَفْصِيلِهِ وَشَرَحَ عَجَائِبِهِ وَخَوَاصِّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهِ
أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ، رَأَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ أَكْمَلَهَا، وَنُشِيرَ إِلَى زِيَادَةٍ مِنْ غَيْرِهِ يَجِبُ
ذِكْرُهَا.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ، وَالْفَقِيهُ أَبُو بَحْرٍ بِسْمَاعِي عَلَيْهِمَا،
وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو
الْعَبَّاسِ الْعُدْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ، حَدَّثَنَا
ابْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ⁽¹⁾، حَدَّثَنَا
حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ⁽²⁾، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

(1) (قوله: ابْنُ فَرُّوخَ)، بفتح الفاء وتشديد الراء وفي آخره خاء معجمة.

(2) (قوله: الْبُنَانِيُّ)، بضم الموحدة وتخفيف النون.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ.

قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ⁽¹⁾ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ⁽²⁾، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ⁽³⁾؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ﷺ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

(1) (قوله: بِالْحَلَقَةِ)، بإسكان اللام وفتحها.

(2) (قوله: اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ)، أي الاستقامة.

(3) (قوله: بُعِثَ إِلَيْهِ)، وفي⁽¹⁾ بعض روايات الصحيح «أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟»، قالوا: وظاهره السؤال عن أصل الرسالة، ولا يصح، لأن أمر نبوته كان مشهوراً في الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السماوات وحراسها، فالمراد أرسل إليه للعروج والإسراء، وكان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو للاستبشار بعروجه.

قال الطبري: «ويحتمل أن تكون البعثة والرسالة خفيت على السائلين لاشتغالهم بالعبادة».

(1) نهاية اللوحة (34/ظ).

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ [مریم: 57].

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ⁽¹⁾، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ⁽²⁾، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ.

قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أَمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

(1) (قوله: إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ)، روي عن علي أنه قال: «الْبَيْتُ الْمُعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يُقَالُ لَهُ الضَّرَاحُ»⁽¹⁾، بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وفي آخره حاء مهملة، وقيل: في السماء الأولى، وقيل: في الرابعة، وقيل: في السادسة.

(2) (قوله: إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ)، إن قيل: لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الأشجار؟

أجيب: بأن شجرة السدر تختص بالظل المديد والطعم اللذيذ والرائحة الطيبة.

(1) رواه عبد الرزاق (8875)، والأزرقي في أخبار مكة (49/1)، وأبو الشيخ في العظمة (564)، والطبري في التفسير (455/22)، والضياء في المختارة (557) بسند صحيح.

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفَّفْ عَنِّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قَالَ: فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ.

قَالَ الْقَاضِي - وَفَقَّهَ اللَّهُ -: جَوَّدَ ثَابِتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ مَا شَاءَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ عَنْهُ بِأُصُوبٍ مِنْ هَذَا، وَقَدْ خَلَطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ تَخْلِيطًا كَثِيرًا، لَا سِيَّامَا مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكَ بْنِ أَبِي نَمِرٍ.

فَقَدْ ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ مَجِيءَ الْمَلِكِ لَهُ، وَشَقَّ بَطْنِهِ وَغَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ وَهُوَ صَبِيٌّ وَقَبْلَ الْوَحْيِ، وَقَدْ قَالَ شَرِيكَ فِي حَدِيثِهِ: «وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ» وَذَكَرَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْوَحْيِ.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةٍ.

وَقِيلَ: قَبْلَ هَذَا.

وَقَدْ رَوَى ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ أَيْضًا مَجِيءَ جَبْرِيلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ عِنْدَ ظَهْرِهِ⁽¹⁾ وَشَقَّ قَلْبَهُ، تِلْكَ الْقِصَّةُ مُفْرَدَةٌ مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ كَمَا رَوَاهُ النَّاسُ، فَجَوَّدَ فِي الْقِصَّتَيْنِ، وَفِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى كَانَ قِصَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ عَرَجَ مِنْ هُنَاكَ، فَأَزَاحَ كُلَّ إِشْكَالٍ أَوْهَمَهُ غَيْرُهُ.

(1) (قوله: عِنْدَ ظَهْرِهِ)، بكسر الظاء المعجمة وسكون الهمزة، المَرْضعة.

وَقَدْ رَوَى يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ....» فَذَكَرَ الْقِصَّةَ.

وَرَوَى قَتَادَةُ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ عَنْ أَنَسٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَفِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَزِيَادَةٌ وَنَقْصٌ، وَخِلَافٌ فِي تَرْتِيبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ. وَحَدِيثٌ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ أَتَقَنُّ وَأَجُودُ.

وَقَدْ وَقَعَتْ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ زِيَادَاتٌ نَذَكُرُ مِنْهَا نَكْتًا مُفِيدَةً فِي غَرَضِنَا.

مِنْهَا فِي حَدِيثِ ابْنِ شَهَابٍ، وَفِيهِ قَوْلُ كُلِّ نَبِيٍّ لَهُ: «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، إِلَّا آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ فَقَالَا لَهُ: وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ». وَفِيهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى⁽¹⁾ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ⁽²⁾».

وَعَنْ أَنَسٍ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى أَتَيْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ».

(1) (قوله: بِمُسْتَوَى)، بالتونين، أي مكان عال، من استوى على ظهر دابته، علا عليها.

(2) (قوله: صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ)، بفتح الصاد المهملة وكسر الراء، أي حركتها وجريانها على المخطوط فيه.

وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ بْنِ صَعْصَعَةَ: «فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ - يَعْنِي مُوسَى - بَكَى، فَتَوَدَّى مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ هَذَا غُلَامٌ⁽¹⁾ بَعَثْتُهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَ فَرَبَطَ فَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ، فَصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ قَالُوا: يَا جِبْرِيلُ: مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، قَالُوا: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ».

(1) (قوله: قَالَ رَبِّ هَذَا غُلَامٌ)، قيل: لم أطلق موسى عليه السلام على نبينا عليه السلام غلاما، وكان ﷺ في سن الكهولة إذ ذاك؟

وأجيب: بأن الغلام يقال بمعنى المستحكم القوة، ويمكن أن يقال: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لتقدمه عليه بزمان طويل.

وموسى اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف.

قال القرطبي: «قال ابن إسحاق: هو موسى بن عمران بن يَصْهَرَ بْنِ قَاهِثِ ابْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»⁽¹⁾.

قال السُّهَيْلِيُّ في التعريف: «وموسى بن عمران، وهو بالعبرانية عمر بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب، وسمي بموسى لأن التابوت الذي كان فيه وجد في ماء وشجر، و «مو» في لغة القبط⁽²⁾ هو الماء، و «سى» هو الشجر، وكان بين موسى وإبراهيم عليهما السلام سبعمائة سنة.

(1) الجامع لأحكام القرآن (395/1).

(2) نهاية اللوحة (35/و).

ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَذَكَرَ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَدَاوُدُ، وَسُلَيْمَانُ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: «كُلُّكُمْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمَ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتَمًا.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: بِهَذَا فَضَلَكُمُ مُحَمَّدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَمِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «وَأَنْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ⁽¹⁾، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا.

قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ ﴿١٦﴾ [النجم: 16].

(1) (قوله: وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ)، وفي بعض الروايات أنها في السَّابِعَةِ.

قال المصنف: «وكونها في السابعة هو الأصح، وقول الأكثرين، والذي يقتضيه تسميتها بالمنتهى».

قال النووي: «ويمكن الجمع بأن أصلها في السماء السادسة ومعظمها في السابعة»⁽¹⁾.

(1) شرح صحيح مسلم (2/3).

قَالَ: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ⁽¹⁾.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: «فَقِيلَ لِي: هَذِهِ السِّدْرَةُ الْمُتَنَهَّى، يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ⁽²⁾، وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُتَنَهَّى، يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مِطْلَةٌ⁽³⁾ الْخَلْقِ، فَغَشِيَهَا نُورٌ، وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ.

قَالَ: فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ غَشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى﴾ ﴿١٦﴾ [النجم: 16].

فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: سَلْ، فَقَالَ: إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا⁽⁴⁾ عَظِيمًا، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَعْطَيْتَ دَاوُودَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَّاحَ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى النَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَعَذَّتْهُ وَأُمُّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ.

(1) (قوله: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ)، الفَرَأَشُ: بفتح الفاء وتخفيف الراء وفي آخره شين معجمة، الطائر المعروف الذي يلقي نفسه في ضوء السراج.

(2) (قوله: خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ)، هو بفتح الخاء المعجمة واللام، بمعنى مضى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، أي مضى.

(3) (قوله: مُطْلَةٌ)، بضم الميم وكسر الظاء المعجمة وتشديد اللام.

(4) (قوله: مُلْكًا)، بضم الميم.

فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى: قَدْ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ: مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمْ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا، وَآخِرَهُمْ بَعْثًا، وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي، وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا.

وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُقْحِمَاتُ»⁽¹⁾.

وَقَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11] الْآيَتَيْنِ، رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ⁽²⁾.

(1) (قوله: الْمُقْحِمَاتُ)، بسكون القاف وكسر الحاء المهملة، الذنوب العظام التي تُقْحِمُ أصحابها في النار، أي تلقيهم فيها.

(2) (قوله: لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ)، قال السُّهَيْلِيُّ: «فِي قَوْلِهِ ﷺ فِي حَقِّ جَعْفَرٍ «قَدْ أَبْدَلَهُ اللَّهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ»»⁽¹⁾.

ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم مثل جناح الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية هي أشرف الصور وأكملها، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيتها جعفر كما أعطيتها الملائكة، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة: إنها ليست كما يتوهم من أجنحة الطير، وإنما هي صفة ملكية لا تفهم إلا بالمعانية، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحُ مَخْئٍ وَتِلْكَ أَرْبَعٌ﴾ [فاطر: 1]، فكيف تكون كأجنحة الطير ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة، فكيف بستمائية جناح كما جاء في صفة جبريل، فدل على أنها صفات تنضبط كيفيتها للفكر.

(1) الروض الأنف (173/7).

وَفِي حَدِيثِ شَرِيكَ: «أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّابِعَةِ، قَالَ: بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ. قَالَ: ثُمَّ عَلَيَّ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ مُوسَى: لَمْ أَظُنْ أَنْ يُزَفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ.

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ بَيْنَتِ الْمَقْدِسِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ دَخَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَكَزَ بَيْنَ كَتَفَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرِي الطَّائِرِ⁽¹⁾، فَقَعَدْتُ فِي وَاحِدَةٍ وَقَعَدْتُ فِي الْأُخْرَى، فَنِمْتُ⁽²⁾ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ⁽³⁾، وَلَوْ شِئْتُ لَمَسِسْتُ⁽⁴⁾ السَّمَاءَ وَأَنَا أَقْلَبُ طَرْفِي، وَنَظَرْتُ جَبْرِيلَ كَأَنَّهُ حِلْسٌ⁽⁵⁾ لَا طِيَّ⁽⁶⁾، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ، وَفَتَحَ لِي بَابَ السَّمَاءِ، وَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ، وَلَطَّ⁽⁷⁾ دُونِي الْحِجَابُ، وَفَرَجَهُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ.

(1) (قوله: وَكْرِي الطَّائِرِ)، بفتح الواو وسكون الكاف وفتح الراء، تشية وكر، وهو العش.

(2) (قوله: فَنِمْتُ)، بالفاء والنون المفتوحتين والميم المخففة، أي زادت، وفي بعض النسخ «فسمت»، بتخفيف الميم، أي ارتفعت.

(3) (قوله⁽¹⁾: الْخَافِقَيْنِ)، أي المشرق والمغرب، قال ابن السكيت: «لأن الليل والنهار يخفقان فيهما»⁽²⁾.

(4) (قوله: لَمَسِسْتُ)، بكسر المهملة الأولى، وحكى أبو عبيد فتحها، وفي بعض النسخ «لمست».

(5) (قوله: كَأَنَّهُ حِلْسٌ)، بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة، وهو كساء يلي ظهر البعير تحت القتب.

(6) (قوله: لَا طِيَّ)، بهمزة في آخره، أي لاصق.

(7) (قوله: وَلَطَّ)، بضم اللام وتشديد المهملة، أي أرخى.

(1) نهاية اللوحة (35/ظ).

(2) إصلاح المنطق (ص: 279).

وَذَكَرَ الْبَرَّاءُ⁽¹⁾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَ رَسُولَهُ ﷺ الْأَذَانَ، جَاءَهُ جَبْرِيلُ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبَرَّاقُ، فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا، فَاسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا جَبْرِيلُ: اسْكُنِي، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَارْكَبَهَا حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَى الْحِجَابِ الَّذِي يَلِي الرِّحْمَنَ تَعَالَى، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِّي لَأَقْرَبُ الْخَلْقِ مَكَانًا، وَإِنَّ هَذَا الْمَلِكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أَنَا أَكْبَرُ، أَنَا أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا.

وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الْأَذَانِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ.

وَقَالَ: ثُمَّ أَخَذَ الْمَلِكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدَّمَهُ، فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ فِيهِمْ آدَمَ وَنُوحَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَاوِيهِ: أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

قَالَ الْقَاضِي - وَفَقَهُ اللَّهُ -: مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ الْحِجَابِ فَهُوَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لَا فِي حَقِّ الْخَالِقِ، فَهُمْ الْمَحْجُوبُونَ، وَالْبَارِي جَلَّ اسْمُهُ مُنَزَّهٌ عَمَّا يُحْجَبُ، إِذِ الْحُجُبُ إِنَّمَا تُحِيطُ بِمُقَدَّرٍ مَحْسُوسٍ، وَلَكِنْ حُجُبُهُ عَلَى أَبْصَارِ خَلْقِهِ وَبَصَائِرِهِمْ وَإِدْرَاكَاتِهِمْ بِمَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ وَمَتَى شَاءَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [المطففين: 15].

(1) (قوله: وَذَكَرَ الْبَرَّاءُ)، بالباء الموحدة والزاي المشددة وفي آخره راء، نسبة إلى عمل بَزَرَ الكتان زيتا بلغة البغداديين.

فَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «الْحِجَابُ»، وَ «إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ»،
يَجِبُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ حِجَابٌ حَجَبَ بِهِ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ عَنِ الْإِطْلَاعِ عَلَى
مَا دُونَهُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ وَجَبَرُوتِهِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدِيثِ قَوْلُ جَبْرِيلَ عَنِ الْمَلِكِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ وَرَائِهِ:
«إِنَّ هَذَا الْمَلِكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ»، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا
الْحِجَابَ لَمْ يَخْتَصَّ بِالذَّاتِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ كَعْبٍ فِي تَفْسِيرِ ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 14]، قَالَ: إِلَيْهَا
يَنْتَهِي عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ، وَعِنْدَهَا يَجِدُونَ أَمْرَ اللَّهِ، لَا يُجَاوِزُهَا عِلْمُهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «الَّذِي يَلِي الرَّحْمَنَ»، فَيَحْمِلُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ:
يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَنِ، أَوْ أَمْرًا مَا مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ، أَوْ مَبَادِي حَقَائِقِ مَعَارِفِهِ مِمَّا
هُوَ أَعْلَمُ بِهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، أَيْ أَهْلَهَا.

وَقَوْلُهُ: «فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أَنَا أَكْبَرُ»، فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ
سَمِعَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾
[الشورى: 51]، أَيْ وَهُوَ لَا يَرَاهُ، حَجَبَ بَصَرَهُ عَنْ رُؤْيَيْهِ.

فَإِنْ صَحَّ الْقَوْلُ: بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ فِي
غَيْرِ هَذَا الْمَوْطِنِ، بَعْدَ هَذَا، أَوْ قَبْلَهُ، رُفِعَ الْحِجَابُ عَنْ بَصَرِهِ حَتَّى رَأَاهُ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

فصل

[فِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ]

ثُمَّ اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ هَلْ كَانَ إِسْرَؤُهُ بِرُوحِهِ أَوْ جَسَدِهِ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ⁽¹⁾:

فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ: إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالرُّوحِ، وَأَنَّهُ رُؤْيَا مَنْامٍ، مَعَ اتِّفَاقِهِمْ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ وَوَحْيٌ.

وَالِىَ هَذَا ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ، وَحُكَيِّ عَنِ الْحَسَنِ، وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ خِلَافُهُ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ.

وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60].

وَمَا حَكَّوْا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا فَقَدْتُ جَسَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَ قَوْلُهُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ».

فصل ثم اختلف

(1) (قوله: عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ⁽¹⁾)، قَالَ الشَّهَيْلِيُّ: «وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّتَيْنِ، أَحَدُهُمَا فِي نَوْمِهِ تَوَطُّةً وَتَسِيرًا عَلَيْهِ، كَمَا كَانَ بَدَأَ نُبُوته الرُّوْيَا الصَّادِقَةَ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ تَضَعُفُ عَنْهُ الْقَوَى الْبَشَرِيَّةُ، وَكَذَلِكَ الْإِسْرَاءُ سَهْلُهُ عَلَيْهِ بِالرُّوْيَا، لِأَنَّ هَوْلَهُ عَظِيمٌ، وَرَأَيْتُ الْمَهْلَبَ فِي شَرْحِ الْبَخَارِيِّ قَدْ حَكَى هَذَا الْقَوْلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُمْ قَالُوا: كَانَ الْإِسْرَاءُ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً فِي نَوْمِهِ، وَمَرَّةً فِي يَقْظَتِهِ بِيَدِنِهِ ﷺ⁽²⁾، أَنْتَهَى.

(1) كَذَا أوردته الشارح، ولعلها في نسخته، وفي نسخ الشفا المخطوطة والمطبوعة «على ثلاث مقالات».

(2) الروض الأنف (258/3).

وَقَوْلُ أَنَسٍ: «وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»، وَذَكَرَ الْقِصَّةَ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهَا: «فَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ».

وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَفِي الْيَقَظَةِ.

وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ، وَأَنَسٍ، وَخُذَيْفَةَ، وَعُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَالِكِ بْنِ صُعْصُعَةَ، وَأَبِي حَبَّةَ⁽¹⁾ الْبَدْرِيِّ، وَابْنَ مَسْعُودٍ، وَالضَّحَّاكَ، وَسَعِيدَ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةَ، وَابْنَ الْمُسَيَّبِ، وَابْنَ شَهَابٍ، وَابْنَ زَيْدٍ، وَالْحَسَنَ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرَمَةَ، وَبْنَ جُرَيْجٍ.

وَهُوَ دَلِيلٌ قَوْلِ عَائِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ حَنْبَلٍ وَجَمَاعَةِ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَالْمُحَدِّثِينَ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَالْمُفَسِّرِينَ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالْجَسَدِ يَقَظَةً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِلَى السَّمَاءِ بِالرُّوحِ.

وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1]، فَجَعَلَ ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ غَايَةَ الْإِسْرَاءِ الَّذِي وَقَعَ التَّعَجُّبُ فِيهِ بِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَالتَّمَدُّحِ بِتَشْرِيفِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهِ، وَإِظْهَارِ الْكِرَامَةِ لَهُ بِالْإِسْرَاءِ إِلَيْهِ.

قَالَ هَؤُلَاءِ: وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِجَسَدِهِ إِلَى زَائِدٍ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لَذَكَرَهُ، فَيَكُونُ أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ.

ثُمَّ اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْفِرْقَتَانِ: هَلْ صَلَّى بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ أَمْ لَا؟ فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ فِيهِ.

وَأَثَرُ ذَلِكَ خُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا زَالَا عَنْ ظَهْرِ الْبُرَاقِ حَتَّى رَجَعَا».

(1) (قوله: أَبِي حَبَّةَ)، بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة هو الصحيح، وقيل: بتشديد النون، وقيل: بتشديد المثناة التحتية، وقد اختلف هل أبو حبة الأنصاري وأبو حبة البدري واحد أو اثنان؟ وهل هما بالموحدة أو بالنون؟

قَالَ الْقَاضِي - وَفَقَهُ اللَّهُ -: وَالْحَقُّ مِنْ هَذَا وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ إِسْرَاءُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا، وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الْآيَةُ وَصَحِيحُ الْأَخْبَارِ وَالْإِغْتِبَارُ. وَلَا يُعَدَّلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ إِلَّا عِنْدَ الْإِسْتِحَالَةِ، وَلَيْسَ فِي الْإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ وَحَالٍ يَقْطَعُهُ اسْتِحَالَةٌ.

إِذْ لَوْ كَانَ مَنْامًا لَقَالَ: بِرُوحِ عَبْدِهِ وَلَمْ يَقُلْ: ﴿بِعَبْدِهِ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ﴿النجم: 17﴾، وَلَوْ كَانَ مَنْامًا لَمَا كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلَا مُعْجِزَةٌ، وَلَمَا اسْتَبْعَدَهُ الْكُفَّارُ وَلَا كَذَّبُوهُ فِيهِ، وَلَا ارْتَدَّ بِهِ ضُعْفَاءُ مَنْ أَسْلَمَ وَافْتَتَنُوا بِهِ، إِذْ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمَنَامَاتِ لَا يُنْكَرُ.

بَلْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ خَبْرَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالٍ يَقْطَعُهُ، إِلَى مَا ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ، أَوْ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا رَوَى غَيْرُهُ، وَذَكَرَ مَجِيءَ جَبْرِيلَ لَهُ بِالْبُرَاقِ، وَخَبَرَ الْمُعْزَاجِ، وَاسْتَفْتَحَ السَّمَاءَ، فَيُقَالُ: مَنْ مَعَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، وَلِقَائِهِ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا، وَخَبَرَهُمْ مَعَهُ، وَتَرْحِيْبُهُمْ بِهِ، وَشَأْنِهِ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ، وَمُرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَى فِي ذَلِكَ.

وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ «فَأَخَذَ - يَعْنِي جَبْرِيلَ - بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ»، إِلَى قَوْلِهِ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ»، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى، وَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا ﷺ لَا رُؤْيَا مَنْامٍ».

وَعَنِ الْحَسَنِ فِيهِ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ⁽¹⁾ جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِعَقْبِهِ فَقُمْتُ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَعُدْتُ لِمُضْجَعِي، ذَكَرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «فَأَخَذَ بَعْضُ دَيِّ فَجَزَّنِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا بِدَابَّةٍ»، وَذَكَرَ خَبَرَ الْبُرَاقِ.

(1) (قوله: فِي الْحِجْرِ)، بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم.

وقال النووي: «إنه رأى لبعض المصنفين على المذهب أنه يقال أيضا بفتح الحاء كحجر الإنسان»⁽¹⁾.

(1) تهذيب الأسماء واللغات (80/3).

وَعَنْ أُمِّ هَانِيٍّ⁽¹⁾: «مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ فِي بَيْتِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ، صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَنَامَ بَيْنَنَا، فَلَمَّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهَبْنَا⁽²⁾ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَصَلَيْنَا⁽³⁾ قَالَ: يَا أُمُّ هَانِيٍّ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتُ بِهِذَا الْوَادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ الْغَدَاةَ مَعَكُمْ الْآنَ كَمَا تَرَوْنَ». وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّهُ بِجِسْمِهِ.

(1) (قوله: أُمُّ هَانِيٍّ)، بهمزة في آخره.

(2) (قوله: أَهَبْنَا)، أي أيقظنا، يقال: هب إذا استيقظ، أهبه إذا أيقظه.

(3) (قوله: فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَصَلَيْنَا)، قيل إن إسلام أم هانئ كان عام الفتح وهي السنة الثامنة من الهجرة والإسراء قبله بكثير، فكيف تقول: وصلينا؟ وأيضا كيف تقول: صلى الصبح والصوات الخمس لم تكن في الوقت الذي أخبرت عنه؟

والجواب: أن⁽¹⁾ قبل الإسراء كانت صلاتان، صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها، فيصح قولها: «فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ»، هذا على أن المعراج من بيت المقدس، وأنه مع الإسراء في ليلة واحدة، وأما على أنه من مكة وأنه ليس مع الإسراء في ليلة واحدة، فقولها: «صَلَّى الصُّبْحَ» على حقيقته من غير تأويل، لأن الصلوات الخمس كانت ليلة المعراج، وهو على هذا القول كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا، والإسراء كان في ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.

وأما قولها: «وَصَلَّيْنَا» فأرادت به وهيانا له ما يحتاج إليه في الصلاة، على تقدير أنها لم تكن بعد آمنت، ولم تقل فرض الصبح حتى يقال: إن الصلاة لم تكن بعد فرضت، وإنما فرضت ليلة الإسراء.

(1) نهاية اللوحة (36/و).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ مِنْ رِوَايَةِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً أُشْرِي بِهِ: «طَلَبْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْبَارِحَةَ فِي مَكَانِكَ فَلَمْ أَجِدْكَ، فَأَجَابَهُ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَمَلَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَّيْتُ لَيْلَةً أُشْرِي بِي فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ دَخَلْتُ الصَّخْرَةَ فَإِذَا بِمَلِكٍ قَائِمٍ مَعَهُ آيَةٌ ثَلَاثٌ»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَهَذِهِ التَّضَرُّيحاتُ ظَاهِرَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ، فَتُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهَا.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْهُ ﷺ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَشَرَحَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ...»، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ، «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي...».

وَعَنْ أَنَسٍ: «أُتِيتُ فَاَنْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشَرَحَ عَنْ صَدْرِي».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ، وَفُرُشُ تَسَالُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ⁽¹⁾ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

وَنَحْوُهُ عَنْ جَابِرٍ.

وَقَدْ رَوَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلْتُ عَنْ جَانِبِهَا».

(1) (قوله: فَكُرِبْتُ)، بضم الكاف وكسر الراء، من الكَرْبِ بفتح الكاف، وهو الغم الذي يأخذ النفس.

فَصْلٌ

فِي إِبْطَالِ حُجَجِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا نَوْمٌ

اِحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ [الإسراء: 60]، فَسَمَّاها رُؤْيَا.

قُلْنَا: قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1] يَزُدُّهُ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي النَّوْمِ: ﴿أَسْرَى﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60] يُؤَيِّدُ أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ، وَإِسْرَاءٌ بِشَخْصٍ، إِذْ لَيْسَ فِي الْحُلْمِ فِتْنَةٌ، وَلَا يُكْذِبُ بِهِ أَحَدٌ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ مِنَ الْكُونِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَفْطَارٍ مُتَبَايِنَةٍ. عَلَى أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ⁽¹⁾، وَمَا وَقَعَ فِي نَفُوسِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ. وَقِيلَ: غَيْرَ هَذَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ قَدْ سَمَّاها فِي الْحَدِيثِ مَنَامًا، وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»، وَقَوْلُهُ أَيْضًا: «وَهُوَ نَائِمٌ»، وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ»، فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، إِذْ قَدْ يَحْتَمِلُ أَنَّ أَوَّلَ وُضُوءِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ كَانَ وَهُوَ نَائِمًا، أَوْ أَوَّلَ حَمَلِهِ وَإِسْرَاءِ بِهِ وَهُوَ نَائِمًا، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا، إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ».

(1) (قوله: الْحُدَيْبِيَّةُ)، بتخفيف المشاة التحتية قبل هاء التانيث، كذا عن الشافعي وأهل اللغة وبعض المحدثين، وقال أكثر المحدثين بتشديدها، وهي قرية ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة.

فَلَعَلَّ قَوْلُهُ: «اسْتَيْقَظْتُ» بِمَعْنَى أَصْبَحْتُ، أَوْ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمٍ آخَرَ بَعْدَ
وُضُوئِهِ بَيْتَهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ مَسْرَاهُ لَمْ يَكُنْ طَوْلَ لَيْلِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي بَعْضِهِ.

وَقَدْ يَكُونُ قَوْلُهُ: «اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» لِمَا كَانَ غَمْرُهُ
مِنْ عَجَائِبِ مَا طَالَعَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَامَرُ⁽¹⁾ بَاطِنُهُ مِنْ
مُشَاهَدَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، فَلَمْ يَسْتَفِقْ وَيَرْجِعْ
إِلَى حَالِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَوَجْهٌ ثَالِثٌ: أَنْ يَكُونَ نَوْمُهُ وَاسْتَيْقَاضُهُ حَقِيقَةً عَلَى مُقْتَضَى لَفْظِهِ،
وَلَكِنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ وَقَلْبُهُ حَاضِرٌ، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ، تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ
قُلُوبُهُمْ.

وَقَدْ مَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْإِشَارَاتِ إِلَى نَحْوٍ مِنْ هَذَا، قَالَ: تَغْمِضُ
عَيْنَيْهِ لئَلَّا يَشْغَلَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَصِحُّ هَذَا أَنْ
يَكُونَ فِي وَقْتِ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَلَعَلَّهُ كَانَتْ لَهُ فِي هَذَا الْإِسْرَاءِ حَالَاتٌ.
وَوَجْهٌ رَابِعٌ: وَهُوَ أَنْ يُعَبَّرَ بِالنَّوْمِ هَهُنَا عَنْ هَيْئَةِ النَّائِمِ مِنَ الْإِضْطِجَاعِ،
وَيُقَوِّيه قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ هَمَّامٍ⁽²⁾: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ» وَرُبَّمَا قَالَ:
«مُضْطَجِعٌ»، وَفِي رِوَايَةِ هُدْبَةَ⁽³⁾ عَنْهُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحُطِيمِ»، وَرُبَّمَا قَالَ:
«فِي الْحَجَرِ مُضْطَجِعٌ»، وَقَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»،
فَيَكُونُ سَمَّى هَيْئَتَهُ بِالنَّوْمِ لِمَا كَانَتْ هَيْئَةُ النَّائِمِ غَالِبًا.

(1) (قوله: خَامَرٌ)، بالخاء المعجمة، أي خالط.

(2) (قوله: عَنْ هَمَّامٍ)، بفتح الهاء وتشديد الميم.

(3) (قوله: هُدْبَةُ)، بضم الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها موحدة، هو ابن خالد
القيسي.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ: إِلَى أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَاتِ مِنَ النَّوْمِ، وَذَكَرُ شَقِّ الْبَطْنِ، وَذُنُوبِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، الْوَاقِعَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، إِنَّمَا هِيَ مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكَ عَنْ أَنَسٍ، فَهِيَ مُنْكَرَةٌ مِنْ رِوَايَتِهِ، إِذْ شَقَّ الْبَطْنِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا كَانَ فِي صِغَرِهِ ⁽¹⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْلَ الثُّبُوتِ.

وَلِأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: «قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ»، وَالْإِسْرَاءُ بِإِجْمَاعٍ كَانَ بَعْدَ الْمُبْعَثِ ⁽²⁾، فَهَذَا كُلُّهُ يُوْهِنُ مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ، مَعَ أَنَّ أَنَسًا قَدْ بَيَّنَّ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ أَنَّهُ إِنَّمَا رَوَاهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ مَرَّةً: «عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ».

وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ: «لَعَلَّهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ» عَلَى الشَّكِّ، وَقَالَ مَرَّةً: «كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ».

وَأَمَّا قَوْلُ عَائِشَةَ: «مَا فَقَدْتُ جَسَدَهُ»، فَعَائِشَةُ لَمْ تُحَدِّثْ بِهِ عَنْ مُشَاهَدَةٍ، لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حَيِّثُ زَوْجِهِ، وَلَا فِي سِنٍّ مَنْ يَضْبُطُ، وَلَعَلَّهَا لَمْ تَكُنْ وُلِدَتْ بَعْدَ عَلَى الْخِلَافِ فِي الْإِسْرَاءِ مَتَى كَانَ.

(1) (قوله: إِذْ شَقَّ الْبَطْنِ إِنَّمَا كَانَ فِي صِغَرِهِ)، قَالَ الشُّهَيْلِيُّ: «كَانَ شَقُّ بَطْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّتَيْنِ، أَحَدَاهُمَا فِي الصَّغَرِ لِإِزَالَةِ حَظِّ الشَّيْطَانِ، وَالْآخَرَى لِمَلَأَ قَلْبَهُ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً» ⁽¹⁾.

(2) (قوله: بَعْدَ الْمُبْعَثِ)، قِيلَ: بَعْدَهُ بَعَامٍ وَنَصَفٍ، وَاخْتَلَفَ فِي الشَّهْرِ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ، فَقِيلَ: رَبِيعُ الْأَوَّلِ، وَجُزِمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي فِتَاوِيهِ ⁽²⁾، وَقِيلَ: فِي رَبِيعِ الْآخِرِ، وَجُزِمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ ⁽³⁾ تَبَعًا لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ الْمُصَنِّفِ، وَقِيلَ: فِي رَجَبٍ، وَجُزِمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي الرَّوْضَةِ ⁽⁴⁾، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: فِي رَمَضَانَ، وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ: فِي ⁽⁵⁾ شَوَالٍ.

(1) الروض الأنف (111/2).

(2) فتاوى النووي (ص: 36).

(3) شرح صحيح مسلم (209/2).

(4) روضة الطالبين وعمدة المفتين (206/10).

(5) نهاية اللوحة (36/ظ).

فَإِنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ بَعْدَ الْمُبْعَثِ بِعَامٍ وَنِصْفٍ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ فِي الْهَجْرَةِ بِنْتُ نَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ.
وَقَدْ قِيلَ: كَانَ الْإِسْرَاءُ لِخَمْسٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَقِيلَ: قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِعَامٍ، وَالْأَشْبَهُ أَنَّهُ لِخَمْسٍ.

وَالْحُجَّةُ لِدَلِكِ تَطَوُّلُ لَيْسَتْ مِنْ غَرَضِنَا، فَإِذَا لَمْ تُشَاهِدْ ذَلِكَ عَائِشَةُ دَلَّ أَنَّهَا حَدَّثَتْ بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهَا، فَلَمْ يُرْجَحْ خَبَرُهَا عَلَى خَبَرِ غَيْرِهَا.
وَوَاقِعُهَا يَقُولُ خِلَافَهُ مِمَّا وَقَعَ نَصًّا فِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِيٍّ وَغَيْرِهِ.
وَأَيْضًا فَلَيْسَ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالثَّابِتِ، وَالْأَحَادِيثُ الْأُخْرَى أَثَبَتْ، لَسْنَا نَعْنِي حَدِيثَ أُمِّ هَانِيٍّ، وَمَا ذُكِرَتْ فِيهِ خَدِيجَةُ.
وَأَيْضًا فَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ «مَا فَقَدْتُ»، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَكُلُّ هَذَا يُوهِنُهُ⁽¹⁾.

بَلِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صَحِيحُ قَوْلِهَا: «إِنَّهُ بِجَسَدِهِ»، لِإِنْكَارِهَا أَنْ تَكُونَ رُؤْيَاهُ لِرَبِّهِ رُؤْيَا عَيْنٍ، وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَهَا مَنْ مِمَّا لَمْ تُتَكْرَهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11]، فَقَدْ جَعَلَ مَا رَأَاهُ لِلْقَلْبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رُؤْيَا نَوْمٍ وَوَحْيٍ، لَا مُشَاهَدَةً عَيْنٍ وَحِشٍّ.

قُلْنَا: يُقَابِلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17]، فَقَدْ أَضَافَ الْأَمْرَ لِلْبَصَرِ.

وَقَدْ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11]، أَيُّ لَمْ يُوهِمِ الْقَلْبُ الْعَيْنَ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ، بَلْ صَدَقَ رُؤْيَاهَا.
وَقِيلَ: مَا أَنْكَرَ قَلْبُهُ مَا رَأَاهُ عَيْنُهُ.

(1) (قوله: يُوهِنُهُ)، بسكون الواو كسر الهاء المخففة، ويجوز فتح الواو تشديد الهاء.

فصل

[فِي رُؤْيَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ]

وَأَمَّا رُؤْيَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، فَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهَا، فَأَنْكَرَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَتَّابِ الْفَقِيه، قَالَا: حَدَّثَنَا الْقَاضِي يُونُسُ بْنُ مُغِيثٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصَّقَلِيُّ⁽¹⁾، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمٍ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَجَدَّهِ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ⁽²⁾، عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ، ثَلَاثَ مَنْ حَدَّثَكَ بِهِمْ فَقَدْ كَذَبَ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103]، الْآيَةُ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ»، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ.

فصل وأما رؤيته

(1) (قوله: الصَّقَلِيُّ)، بفتح الصاد المهملة والقاف، كذا ضبطه ابن خلكان⁽¹⁾ في ترجمة ابن الزلاق الشاعر، نسبة إلى صقلية: جزيرة من جزائر بحر المغرب⁽²⁾.

(2) (قوله: عَنْ عَامِرٍ)، هو الصواب، لا ما يقع في بعض النسخ وهو عن مجاهد.

(1) في وفيات الأعيان (215/3).

(2) في (أ) بحر العرب، والتصحيح من وفيات الأعيان.

وَقَالَ بِإِنْكَارِ هَذَا وَامْتِنَاعِ رُؤْيِيهِ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ».

وَرَوَى عَطَاءٌ⁽¹⁾ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَاهُ بِقَلْبِهِ».

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ⁽²⁾ عَنْهُ: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
يَسْأَلُهُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

وَالْأَشْهَرُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ، رُويَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ طُرُقٍ.

وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَّ مُوسَى بِالْكَلامِ، وَإِبْرَاهِيمَ بِالْخِلَّةِ، وَمُحَمَّدًا
بِالرُّؤْيَةِ.

وَحُجَّتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾⁽¹¹⁾ أَيْفَتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى⁽¹²⁾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَى⁽¹³⁾ [النجم: 11 - 13].

قَالَ الْمَاورِدِيُّ: «قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيِيَهُ بَيْنَ مُوسَى
وَمُحَمَّدٍ ﷺ، فَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ، وَكَلَّمَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ».

وَحَكَى أَبُو الْفَتْحِ الرَّازِيُّ وَأَبُو اللَّيْثِ السَّمُرْقَنْدِيُّ الْحِكَايَةَ عَنْ كَعْبٍ.

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ⁽³⁾ قَالَ: «اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ، فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَا نَحْنُ بَنُو هَاشِمٍ فَتَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ».

(1) (قوله: وَرَوَى عَطَاءٌ)، هو ابن أبي رباح المكي الفقيه.

(2) (قوله: وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ)، هو رفيع بن مهران الرياحي.

(3) (قوله: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ)، هو زوج أخت محمد بن سيرين، روى هذا الحديث مرسلًا.

فَكَبَّرَ كَعْبٌ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤُوسَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى، فَكَلَّمَهُ مُوسَى وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ».

وَرَوَى شَرِيكٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَالَ: «رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ».

وَحَكَى السَّمَرَقَنْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ⁽¹⁾؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي، وَلَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي».

وَرَوَى مَالِكُ بْنُ يُحَاوِرٍ⁽²⁾ عَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ رَبِّي، وَذَكَرَ كَلِمَةً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟...»، الْحَدِيثُ.

وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ⁽³⁾: أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَخْلِفُ بِاللَّهِ: لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ.

وَحَكَاهُ أَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ⁽⁴⁾ عَنْ عِكْرَمَةَ.

وَحَكَى بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ هَذَا الْمَذْهَبَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(1) (قوله: سئل هل رأيت)، هذا الحديث مرسل، لأن محمد بن كعب والربيع تابعيان.

(2) (قوله: ابنُ يُحَاوِرٍ)، بضم المثناة التحتية وتخفيف الخاء المعجمة وكسر الميم بعدها راء.

قال المِزِّي: «حَدِيثُ مَالِكِ بْنِ يُحَاوِرٍ عَنْ مُعَاذٍ مَبِينٌ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ فِي النَّوْمِ».

(3) (قوله: وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، هو ابن همام بن رافع، الحافظ الصنعاني صاحب التصانيف، مات سنة إحدى عشرة ومائتين، أخرج له الأئمة الستة.

(4) (قوله: الطَّلَمَنْكِيُّ)، بفتح الطاء المهملة واللام والميم والنون وكسر الكاف، الإمام الحافظ المقرئ.

وَحَكَى ابْنُ إِسْحَاقَ: «أَنَّ مَرْوَانَ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ «هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ».

وَحَكَى الثَّقَافُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا أَقُولُ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِعَيْنِهِ: رَأَاهُ رَأَاهُ»، حَتَّى انْقَطَعَ نَفْسُهُ، يَغْنِي نَفْسَ أَحْمَدَ.

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ⁽¹⁾: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «رَأَاهُ بِقَلْبِهِ»، وَجُبْنَ عَنِ الْقَوْلِ بِرُؤْيَيْهِ فِي الدُّنْيَا بِالْأَبْصَارِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «لَا أَقُولُ رَأَاهُ وَلَا لَمْ يَرَهُ».

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ وَابْنَ مَسْعُودٍ.

فَحَكَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ: «رَأَاهُ بِقَلْبِهِ».

وَعَنِ الْحَسَنِ وَابْنِ مَسْعُودٍ: «رَأَى جِبْرِيلَ».

وَحَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ قَالَ: رَأَاهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾ [الشرح: 1] قَالَ: «(شَرَحَ صَدْرَهُ لِلرُّؤْيَى، وَشَرَحَ صَدْرَ مُوسَى لِلْكَلامِ)».

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَنَّهُ رَأَى اللَّهُ تَعَالَى بِبَصَرِهِ وَعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وَقَالَ: كُلُّ آيَةٍ أُوتِيَهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَهَا نَبِيُّنَا ﷺ، وَخُصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ بِتَفْضِيلِ الرُّؤْيَى.

وَوَقَّفَ بَعْضُ مَشَايخِنَا فِي هَذَا وَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ، وَلَكِنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ.

(1) (قوله: وَقَالَ أَبُو عُمَرَ)، الظاهر أنه الطَّلَمَنَكِيُّ المتقدم.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ - وَفَّقَهُ اللَّهُ -: وَالْحَقُّ الَّذِي لَا امْتِرَاءَ فِيهِ، أَنَّ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا جَائِزَةٌ عَقْلًا، وَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهَا فِي الدُّنْيَا سُؤَالُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا. وَمَحَالٌ أَنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ وَمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، بَلْ لَمْ يَسْأَلْ إِلَّا جَائِزًا غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ.

وَلَكِنْ وَقُوعُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ.

فَقَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: 143]، أَيُّ لَنْ تُطِيقَ وَلَا تَحْتَمِلَ رُؤْيَيْي، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ مَثَلًا مِمَّا هُوَ أَقْوَى مِنْ بِنْيَةِ مُوسَى وَأَثْبَتَ وَهُوَ الْجَبَلُ، وَكُلُّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ مَا يُحِيلُ رُؤْيَيْهِ فِي الدُّنْيَا بَلْ فِيهِ جَوَازُهَا عَلَى الْجُمْلَةِ.

وَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى اسْتِحَالَتِهَا وَلَا امْتِنَاعِهَا، إِذْ كُلُّ مَوْجُودٍ فَرُؤْيَيْهِ جَائِزَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ.

وَلَا حُجَّةَ لِمَنْ اسْتَدَلَّ عَلَى مَنَعِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103]، لِاخْتِلَافِ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْآيَةِ، وَإِذْ لَيْسَ يَقْتَضِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: فِي الدُّنْيَا، الْاسْتِحَالَةَ.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ نَفْسَهَا عَلَى جَوَازِ الرُّؤْيَةِ وَعَدَمِ اسْتِحَالَتِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ.

وَقَدْ قِيلَ: لَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْكُفَّارِ.

وَقِيلَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، لَا تُحِيطُ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَدْ قِيلَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وَإِنَّمَا يُدْرِكُهُ الْمُبْصِرُونَ.

وَكُلُّ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ لَا تَقْتَضِي مَنَعَ الرُّؤْيَةِ وَلَا اسْتِحَالَتِهَا.

وَكَذَلِكَ لَا حُجَّةَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: 143]، وَقَوْلِهِ:

﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143]، لِمَا قَدَّمْنَاهُ، وَلِأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى الْعُمُومِ، وَلِأَنَّ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهَا لَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ تَأْوِيلٌ.

وَأَيْضًا فَلَيْسَ فِيهِ نَصُّ الْإِمْتِنَاعِ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ فِي حَقِّ مُوسَى .
وَحَيْثُ تَتَطَرَّقُ التَّأْوِيلَاتُ، وَتَتَسَلَّطُ الاحْتِمَالَاتُ، فَلَيْسَ لِلْقَطْعِ إِلَيْهِ
سَبِيلٌ، وَقَوْلُهُ ﴿بُتَّ إِلَيْكَ﴾ أَيُّ مِنْ سُؤَالِي مَا لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي .
وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، أَيُّ لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يُطِيقَ
أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَيَّ مَاتَ .
وَقَدْ رَأَيْتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مَا مَعْنَاهُ: أَنْ رُؤْيَاهُ تَعَالَى فِي
الدُّنْيَا مُمْتَنِعَةٌ، لِضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا⁽¹⁾ وَقُوَاهُمْ، وَكَوْنِهَا مُتَغَيِّرَةٌ عَرْضًا
لِلْآفَاتِ وَالْفَنَاءِ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى الرُّؤْيَةِ .
فَإِذَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ، وَرُكِبُوا تَرْكِيبًا آخَرَ، وَرَزِقُوا قُوَى ثَابِتَةً بَاقِيَةً، وَأَتَمَّ
أَنْوَارَ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ قُوَى بِهَا عَلَى الرُّؤْيَةِ .
وَقَدْ رَأَيْتُ نَحْوَ هَذَا لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ
بَاقٍ، وَلَا يُرَى الْبَاقِي بِالْفَانِي، فَإِذَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ وَرَزِقُوا أَبْصَارًا بَاقِيَةً رُئِيَ
الْبَاقِي بِالْبَاقِي .
وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ، وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْإِسْتِحَالَةِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ
ضَعُفُ الْقُدْرَةِ، فَإِذَا قَوَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ
أَعْبَاءِ الرُّؤْيَةِ لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا ذُكِرَ فِي قُوَّةِ بَصَرِ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ
ﷺ، وَنَفُوذِ إِدْرَاكِهِمَا بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةِ مُنْحَاهَا لِإِدْرَاكِ مَا أَدْرَكَاهُ وَرُؤْيَةِ مَا رَأَيَاهُ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(1) (قوله: أَنْ رُؤْيَاهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا مُمْتَنِعَةٌ لِضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا)، قَالَ
الْمِزِّي: «يُؤَيِّدُهُ مَا فِي مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ: «فَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَغُورٌ، وَأَنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِأَغُورٍ، وَأَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»⁽¹⁾ .

(1) رواه مسلم (169) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ⁽¹⁾ فِي أَثْنَاءِ أَجْوِبَتِهِ عَنِ الْآيَتَيْنِ مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى اللَّهَ، فَلِذَلِكَ خَرَّ صَعِقًا، وَأَنَّ الْجَبَلَ رَأَى رَبَّهُ⁽²⁾ فَصَارَ دَكًّا بِإِذْرَاكِ خَلْقِهِ اللَّهُ لَهُ.

وَاسْتَنْبَطَ ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِّي﴾ [الأعراف: 143]، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143]، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ هُوَ ظُهُورُهُ لَهُ حَتَّى رَأَاهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «شَعَلَهُ بِالْجَبَلِ حَتَّى تَجَلَّى، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَاتَ صَعِقًا بِلَا إِفَاقَةٍ».

وَقَوْلُهُ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى رَأَاهُ.

وَقَدْ وَقَعَ لِبَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ فِي ﴿الْجَبَلِ﴾ أَنَّهُ رَأَاهُ، وَبِرُؤْيَا الْجَبَلِ لَهُ اسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ بِرُؤْيَا مُحَمَّدٍ نَبِينَا لَهُ، إِذْ جَعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى الْجَوَازِ. وَلَا مَرِيَّةَ فِي الْجَوَازِ، إِذْ لَيْسَ فِي الْآيَاتِ نَصٌّ فِي الْمَنْعِ. وَأَمَّا وَجُوبُهُ لِنَبِينَا ﷺ وَالْقَوْلُ بَأَنَّهُ رَأَاهُ بَعَيْنِهِ، فَلَيْسَ فِيهِ قَاطِعٌ أَيْضًا وَلَا نَصٌّ.

(1) (قوله: وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ)، يَعْنِي الْبَاقِلَانِي، لِأَنَّ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ مُعَاصِرٌ لِلْمَصْنَفِ، لِأَنَّ مَوْلَدَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَمَاتِهِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمَوْلَدُ الْمَصْنَفِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَمَاتِهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

(2) (قوله: وَأَنَّ الْجَبَلَ رَأَى رَبَّهُ)، قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِي فِي الْمَعَالِمِ: «فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَبَلِ حَيَاةً وَعَقْلًا وَفَهْمًا، وَخَلَقَ فِيهِ الرُّؤْيَا فَرَأَى بِهَا»⁽¹⁾.

(1) معالِم أصول الدين (ص: 76).

إِذِ الْمُعْوَلُ فِيهِ عَلَى آتِي النِّجْمِ، وَالتَّنَازُعُ فِيهِمَا مَأْثُورٌ.
وَالِإِحْتِمَالُ لَهُمَا مُمَكِّنٌ، وَلَا أَثَرَ قَاطِعٍ مُتَوَاتِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ.
وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: خَبِرَ عَنِ اعْتِقَادِهِ لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَجِبُ
الْعَمَلُ بِاعْتِقَادِ مُضْمَنِهِ.
وَمِثْلُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.
وَحَدِيثُ مُعَاذٍ مُحْتَمِلٌ لِلتَّأْوِيلِ، وَهُوَ مُضْطَرِبُ الْإِسْنَادِ وَالْمَنْ.
وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْآخَرُ مُخْتَلَفٌ، مُحْتَمَلٌ، مُشْكِلٌ، فَرُويَ «نُورٌ أَنِّي
أَرَاهُ»⁽¹⁾.
وَحَكَى بَعْضُ شُيُوخِنَا أَنَّهُ رُويَ «نُورَانِيَّ أَرَاهُ».
وَفِي حَدِيثِهِ الْآخَرِ: «سَأَلْتُهُ فَقَالَ: رَأَيْتُ نُورًا».

(1) (قوله: نُورٌ أَنِّي أَرَاهُ)، أَنِّي بهمزة مفتوحة ونون مشددة مفتوحة، بمعنى كيف.
قال المازري: «الضمير في أراه عائد على الله تعالى»⁽¹⁾، ومعنى الكلام أن النور
منعني من الرؤية، كما جرت العادة بإعشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك
ما حالت بين الرائي وبينه»⁽²⁾.
وروي «نُورَانِيَّ» بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء، ويحتمل أن يكون معناه
راجعاً إلى ما سبق.
وقال المِزِّي: «هذا تصحيف، والصواب الأول، يدل عليه قوله: «رَأَيْتُ نُورًا»،
وقوله: «حِجَابُهُ النُّور».

(1) نهاية اللوحة (37/و).

(2) المعلم بفوائد مسلم (334/1).

وَلَيْسَ يُمَكِّنُ الْإِخْتِجَاجُ بِوَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى صِحَّةِ الرُّؤْيَا، فَإِنْ كَانَ الصَّحِيحُ «رَأَيْتُ نُورًا»، فَهُوَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَإِنَّمَا رَأَى نُورًا مَنَعَهُ وَحَجَبَهُ عَنِ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى.

وَالِى هَذَا يَرْجِعُ قَوْلُهُ: «نُورٌ أَتَى أَرَاهُ»، أَيْ كَيْفَ أَرَاهُ مَعَ حِجَابِ النُّورِ الْمُغْشَى لِلْبَصَرِ.

وَهَذَا مِثْلُ مَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «حِجَابُهُ النُّورُ».

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي وَلَكِنْ رَأَيْتُهُ بِقَلْبِي مَرَّتَيْنِ، وَتَلَا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8]».

وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْإِدْرَاكِ الَّذِي فِي الْبَصَرِ فِي الْقَلْبِ، أَوْ كَيْفَ شَاءَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

فَإِنْ وَرَدَ حَدِيثٌ نَصَّ بَيِّنٌ فِي الْبَابِ اعْتُقِدَ وَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ، إِذْ لَا اسْتِحَالَةَ فِيهِ وَلَا مَانِعَ قَطْعِيَّ يَرُدُّهُ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ لِلصَّوَابِ.

فَصْلٌ

[فِي مُنَاجَاتِهِ ﷺ لِلَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ]

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مُنَاجَاتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ:
﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]، إِلَىٰ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَحَادِيثُ.

فَأَكْثَرَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ أَنَّ الْمَوْحِي هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا شَذُودًا مِنْهُمْ.

فَذَكَرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَالَ: «أَوْحَىٰ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةٍ».
وَنَحْوَهُ عَنِ الْوَاسِطِيِّ.

وَالِإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّ مُحَمَّدًا كَلَّمَ رَبَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ.
وَحُكِّيَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، وَحَكَّوْهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنْكَرَهُ
آخَرُونَ.

وَذَكَرَ النَّقَّاشُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿دَنَا
فَدَنَّا﴾ [النجم: 8]، قَالَ: «فَارَقَنِي جِبْرِيلُ، فَانْقَطَعَتِ الْأَصْوَاتُ عَنِّي، فَسَمِعْتُ
كَلَامَ رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ: لِيَهْدَأْ⁽¹⁾ رَوْعُكَ يَا مُحَمَّدُ، اذْنُ اذْنُ».
وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ فِي الْإِسْرَاءِ نَحْوُ مِنْهُ.

وَقَدْ احْتَجُّوا فِي هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ
مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51]، فَقَالُوا: هِيَ ثَلَاثَةُ
أَقْسَامٍ:

(1) (قوله: لِيَهْدَأْ)، بدال مهملة بعدها همزة.

والرَّوْعُ: بفتح الراء الفرع.

مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَتَكْلِيمِ مُوسَى .

وَبِإِزْسَالِ الْمَلَائِكَةِ، كَحَالِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَكْثَرِ أَحْوَالِ نَبِيِّنَا ﷺ.

الثَّالِثُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾، وَلَمْ يَتَّقِ مِنْ تَقْسِيمِ صُورِ الْكَلَامِ إِلَّا الْمُشَافَهَةَ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ.

وَقَدْ قِيلَ: الْوَحْيُ هُنَا: هُوَ مَا يُلْقِيهِ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ عَنْ عَلِيٍّ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ مَا هُوَ أَوْضَحُ فِي سَمَاعِ النَّبِيِّ ﷺ لِكَلَامِ اللَّهِ مِنَ الْآيَةِ، فَذَكَرَ فِيهِ: «فَقَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقِيلَ لِي مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أَنَا أَكْبَرُ، أَنَا أَكْبَرُ»، وَقَالَ فِي سَائِرِ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَيَجِيءُ الْكَلَامُ فِي مُشْكِلِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فِي الْفَصْلِ بَعْدَ هَذَا مَعَ مَا يُشَبِّهُهُ، وَفِي أَوَّلِ فَصْلٍ مِنَ الْبَابِ مِنْهُ.

وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ اخْتَصَّه مِنْ أَنْبِيَائِهِ جَائِزٌ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَقْلًا، وَلَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ قَاطِعٌ يَمْنَعُهُ، فَإِنْ صَحَّ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ اعْتُمِدَ عَلَيْهِ.

وَكَلَامُهُ تَعَالَى لِمُوسَى كَائِنٌ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ، نَصٌّ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَأَكَّدَهُ بِالْمُضَدَّرِ دَلَالَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَرَفَعَ مَكَانَهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِسَبَبِ كَلَامِهِ، وَرَفَعَ مُحَمَّدًا فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، حَتَّى بَلَغَ مُسْتَوَى وَسَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ.

فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ هَذَا، أَوْ يَبْعُدُ سَمَاعُ الْكَلَامِ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ، وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

الفصل السابع

[فِي دُنُوهِ ﷺ وَقُرْبِهِ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ]

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، وَظَاهِرِ الْآيَةِ مِنَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿١﴾ [النجم: 8 - 9]، فَأَكْثَرَ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ الدُّنُوَّ وَالتَّدَلَّى مُنْقَسِمٌ مَا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَجَبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَوْ مُحْتَضِرَ بَاحِدِهِمَا مِنَ الْآخِرِ، أَوْ مِنَ السَّدْرَةِ الْمُتَنَهَّى.

قَالَ الرَّازِيُّ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا فَتَدَلَّى مِنْ رَبِّهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَى «دَنَا» قُرْبٌ، وَ «تَدَلَّى» زَادَ فِي الْقُرْبِ.

وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَيْ قُرْبٌ.

وَحَكَى مَكِّي وَالْمَاوَرِدِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الرَّبُّ دَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ فَتَدَلَّى إِلَيْهِ، أَيْ أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ.

وَحَكَى النَّقَّاشُ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: ﴿دَنَا﴾ مِنْ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿فَتَدَلَّى﴾، فَقَرَّبَ مِنْهُ، فَأَرَاهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرِيَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هُوَ مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، تَدَلَّى الرَّفْرَفُ»^(١) لِمُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ رُفِعَ فَدَنَا مِنْ رَبِّهِ.

(١) قوله: الرَّفْرَفُ، في البيان: «الرفرف البساط، وقيل لِمَا كَانَ مِنَ الدِّيَاجِ، وقيل الفراش».

وفي الصحاح: «الرَّفْرَفُ: ثِيَابٌ خُضِرَ يُتَّخَذُ مِنْهَا الْمَحَابِسُ، الْوَاحِدَةُ رَفْرَفَةٌ، وَالرَّفْرَفُ أَيْضًا: كِسْرُ الْخَبَاءِ، وَجَوَانِبُ الدَّرْعِ، وَمَا تَدَلَّى مِنْهُ، الْوَاحِدَةُ رَفْرَفَةٌ»^(١).

(١) الصحاح (١٣٦٦/٤) مادة: رفف.

قَالَ: «فَارَقَنِي جَبْرِيلُ، وَانْقَطَعَتْ عَنِّي الْأَصْوَاتُ، وَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ».

وَعَنْ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحِ: «عَرَجَ بِي جَبْرِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبَّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى، حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ⁽¹⁾ أَوْ أَذْنَى»، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً، وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: «هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ». وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «أَذْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ». وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «وَالدُّنُوُّ مِنَ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ، وَمِنْ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «انْقَطَعَتْ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُوِّ، أَلَا تَرَى كَيْفَ حُجِبَ جَبْرِيلُ عَنْ دُنُوتِهِ، وَدَنَا مُحَمَّدٌ إِلَى مَا أَوْدَعَ قَلْبُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ، فَتَدَلَّى بِسُكُونٍ قَلْبُهُ إِلَى مَا أَذْنَاهُ، وَزَالَ عَنْ قَلْبِهِ الشُّكُّ وَالْازْتِيَابُ».

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ هُنَا مِنَ اللَّهِ، أَوْ إِلَى اللَّهِ، فَلَيْسَ بِدُنُوٍّ مَكَانٍ، وَلَا قُرْبٍ مَدًى⁽²⁾، بَلْ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، لَيْسَ بِدُنُوٍّ حَدٍّ، وَإِنَّمَا دُنُوُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رَبِّهِ.

(1) (قوله: قَابَ قَوْسَيْنِ)، في الكشف: «أي مقدار قوسين عريبتين، والقاب والقيب، والقاد والقيد، والقيس: المقدار، والتقدير في الآية فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين»⁽¹⁾.

وفى أنوار التنزيل: «والمقصود من الآية تمثيل تحقيق استماعه لما يوحى إليه بنفي البعد الملبس»⁽²⁾.

(2) (قوله: مَدًى)، بفتح الميم وتخفيف المهملة والتنوين، أي غاية.

(1) تفسير الكشف (4/419).

(2) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل (5/156).

وَقُرْبُهُ مِنْهُ إِبَانَةٌ عَظِيمٌ مَنَزَلَتُهُ، وَتَشْرِيفٌ رُتَبَتُهُ، وَإِشْرَاقٌ أُنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ،
وَمُشَاهَدَةٌ أَسْرَارِ غَيْبِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَبَرَّةٌ⁽¹⁾ وَتَأْنِيسٌ وَبَسْطٌ
وَإِكْرَامٌ، وَيَتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يَتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: «يُنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» عَلَى أَحَدِ
الْوُجُوهِ، نُزُولَ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ، وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ: «مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ دَنَا، جَعَلَ ثَمَّ مَسَافَةً، بَلْ كُلُّ مَا دَنَا
بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بُعْدًا، يَعْنِي عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ، إِذْ لَا دُنُوَ لِلْحَقِّ وَلَا بُعْدٌ».

وَقَوْلُهُ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا
إِلَى جِبْرِيلَ، عَلَى هَذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نِهَايَةِ الْقُرْبِ، وَلُطْفِ الْمَحَلِّ، وَإِيضًا
الْمَعْرِفَةِ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَعِبَارَةٌ عَنْ إِجَابَةِ الرَّغْبَةِ، وَقَضَاءِ الْمَطَالِبِ، وَإِظْهَارِ التَّحْفِي⁽²⁾، وَإِنَافَةٍ⁽³⁾
الْمَنْزِلَةِ وَالْمَرْتَبَةِ مِنَ اللَّهِ لَهُ.

وَيَتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يَتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا،
وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَزْوَلَةً»، قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ، وَإِثْنَانٌ بِالْإِحْسَانِ
وَتَعْجِيلِ الْمَأْمُولِ.

(1) (قوله: مَبَرَّةٌ)، أي برا.

(2) (قوله: التَّحْفِي)، بالمشناة الفوقية والحاء المهملة المفتوحة والفاء المشددة
المكسورة، أي المبالغة في الإلطاف والإكرام.

(3) (قوله: وَإِنَافَةٍ)، بكسر الهمزة وتخفيف النون، أي زيادة.

فَصْلٌ

فِي ذِكْرِ تَفْضِيلِهِ فِي الْقِيَامَةِ بِخُصُوصِ الْكَرَامَةِ

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْحُسَيْنِ⁽¹⁾، قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى، حَدَّثَنَا السِّنْجِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَحْبُوبٍ، حَدَّثَنَا التِّرْمِذِيُّ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ لَيْثٍ⁽²⁾، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعْثُوا، وَأَنَا خَطِيئُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أُيْسُوا، لِيَوَاءَ الْحَمْدِ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرٌ»⁽³⁾.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ زَحْرٍ⁽⁴⁾ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي لَفْظِ هَذَا الْحَدِيثِ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعْثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيئُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُيِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أُبْلِسُوا»⁽⁵⁾، لِيَوَاءَ الْكَرَمِ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرٌ، وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ لَوْلَوْ مَكْنُونٌ».

فصل في ذكر تفضيله

(1) (قوله: وَأَبُو الْحُسَيْنِ)، هو المبارك بن عبد الجبار، وفي بعض النسخ الحسن غير مصغر وليس بالحسين.

(2) (قوله: عَنْ لَيْثٍ)، هو ابن أبي سُلَيْمٍ بضم السين وفتح اللام، أبو بكر القرشي مولاهم الكوفي، أحد العلماء، يروي عن مجاهد وطبقته.

(3) (قوله: وَلَا فَخْرٌ)، أي قلت ذلك امتثالاً لأمر ربي لا افتخارا.

(4) (قوله: ابْنُ زَحْرٍ)، بفتح الزاي وسكون الحاء المهملة وبعدها راء، هو عبيد الله بن زحر الإفريقي العابد.

(5) (قوله: أُبْلِسُوا)، أي يئسوا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأُكْسِيَ حُلَّةً مِّنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِّنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا نَبِيٌّ يَوْمُنَا آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي، وَأَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ⁽¹⁾ فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُهَا وَيَدْخُلُهَا مَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ».

وَعَنْ أَنَسٍ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَذَرُونَ لِمَ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَطْمَعُ أَنْ أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) (قوله: حَلَقَ الْجَنَّةِ)، في الصحاح: «الْحَلَقَةُ: بالتسكين⁽¹⁾ الدروع، وكذلك حَلَقَةُ الباب، وحَلَقَةُ القوم، والجمع الحَلَقُ على غير قياس.

وقال الأصمعي: الجمع حَلَقٌ، مثل بَذَرَةٍ وَبَذَرٍ، وَقِصْعَةٍ وَقِصْعٍ، وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء حَلَقَةً في الواحد بالتحريك والجمع حَلَقٌ وحَلَقَاتٌ⁽²⁾.

(1) نهاية اللوحة (37/ظ).

(2) الصحاح (1462/4) مادة: حلق.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ وَعِيسَى فِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَيَقُولُ: أَنْتَ دَعَوْتِي وَذُرِّيَّتِي، فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِكَ، وَأَمَّا عِيسَى فَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ بَنُو عَلَاتٍ⁽¹⁾، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَإِنَّ عِيسَى أَخِي لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ».

قَوْلُهُ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، هُوَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ أَشَارَ ﷺ لِإِنْفِرَادِهِ فِيهِ بِالسُّؤْدُدِ وَالشَّفَاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ، إِذْ لَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَجِدُوا سِوَاهُ.

وَالسَّيِّدُ: هُوَ الَّذِي يَلْجَأُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَكَانَ حِينَئِذٍ سَيِّدًا مُنْفَرِدًا مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ، لَمْ يُزَاحِمْهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا ادَّعَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿١٦﴾ [غافر: 16]، وَالْمُلْكُ لَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَكِنْ فِي الْآخِرَةِ انْقَطَعَتْ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ لِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ لَجَأَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ جَمِيعُ النَّاسِ فِي الشَّفَاعَةِ فَكَانَ سَيِّدَهُمْ فِي الْآخِرَةِ دُونَ دَعْوَى.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

(1) (قوله: بَنُو عَلَاتٍ)، الْعَلَاتُ: بفتح العين المهملة، جمع عَلةٌ، وهي الضرة، سميت بذلك لأن الرجل تزوجها على أولى كانت قبلها، ثم علٌ من هذه، والعللُ الشُّرْبُ الثاني، فبنوا الْعَلَاتِ أولاد الرجل من نسوة شتى، والمعنى هنا أن الأنبياء عليهم السلام متفقون في أصول الشريعة متباينون في فروعها.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، كَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا».

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ نَحْوَهُ، وَقَالَ: «طُولُهُ مَا بَيْنَ عَمَّانَ⁽¹⁾ إِلَى أَيْلَةَ⁽²⁾، يَشْخَبُ⁽³⁾ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ».

وَعَنْ ثَوْبَانَ مِثْلَهُ، وَقَالَ: «أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

(1) (قوله: عَمَّانَ)، قال ابن الأثير: «حديث الحوض «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ»⁽¹⁾، بفتح العين وتشديد الميم، مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء، فأما بالضم والتخفيف فهو ضُقْعٌ عِنْدَ الْبَحْرَيْنِ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي الْحَدِيثِ»⁽²⁾.

وقال السُّهَيْلِيُّ: «عَمَّانَ: بضم العين وتخفيف الميم، قرية باليمن، سميت بعمان بن سنان من ولد إبراهيم فيما ذكروا، وأما بفتح العين وتشديد الميم فقرية بالشام قرب دمشق، سميت بعَمَّانَ بن لُوط بن هَارَانَ، كان يسكنها فيما ذكروا»⁽³⁾.

وقال المَوْزِيُّ: «يتعين ضم العين والتخفيف، لقوله في الحديث الآخر⁽⁴⁾ «أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ».

(2) (قوله: إِلَى أَيْلَةَ)، بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية، بلدة في طرف الشام على ساحل البحر، متوسطة بين المدينة الشريفة وبين دمشق، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل.

(3) (قوله: يَشْخَبُ)، بضم الخاء المعجمة وفتحها.

(1) رواه أحمد (22409)، ومسلم (2301)، وابن حبان (6456) عن ثوبان رضي الله عنه.

(2) النهاية في غريب الحديث (304/3) مادة: عَمِنَ.

(3) الروض الأنف (246/3).

(4) الحديث متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (6580)، ومسلم (2303).

وَفِي رَوَايَةٍ حَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ: «كَمَا يَتَنَ الْمَدِينَةَ وَصَنْعَاءَ».
وَقَالَ أَنَسٌ: «أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ».

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَمَا يَتَنَ الْكُوفَةَ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ».

وَرَوَى حَدِيثَ الْحَوْضِ أَيْضًا أَنَسٌ، وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ، وَابْنُ عُمَرَ،
وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَحَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ الْخَزَاعِيُّ، وَالْمُسْتَوْدُ⁽¹⁾، وَأَبُو بَرْزَةَ⁽²⁾،
الْأَسْلَمِيُّ، وَخُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَأَبُو أَمَامَةَ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ
اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَسُوَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ⁽³⁾، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ، وَابْنُ بُرَيْدَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ الصَّنَابِجِيُّ⁽⁴⁾، وَأَبُو
هُرَيْرَةَ، وَالْبَرَاءُ، وَجُنْدُبُ⁽⁵⁾، وَعَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرَةَ، وَخَوْلَةُ
بِنْتُ قَيْسٍ⁽⁶⁾، وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

(1) (قوله: وَالْمُسْتَوْدُ)، بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية،
هو ابن شداد بالشين المعجمة.

(2) (قوله: وَأَبُو بَرْزَةَ)، بفتح الموحدة وسكون الراء بعدها زاي.

(3) (قوله: وَسُوَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ)، سُوَيْدٌ: بضم السين المهملة وفتح الواو، وَجَبَلَةُ:
بفتح الجيم والباء الموحدة.

(4) (قوله: الصَّنَابِجِيُّ)، بضم الصاد المهملة وتخفيف النون وكسر الباء الموحدة
والحاء المهملة، قيل صحابي نسب إلى جد له اسمه صُنَابِج.

(5) (قوله: جُنْدُبُ)، بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال وضمها، هو ابن عبد
الله بن سفيان البجلي.

(6) (قوله: وَخَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ)، هي الأنصارية النجارية زوج حمزة بن عبد
المطلب، وقيل: زوج حمزة خولة بنت تامر، وقيل: تامر لقب قيس.

فَصْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ

جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَاخْتُصَّ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُسْلِمِينَ بِحَبِيبِ
اللَّهِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ، عَنْ كَرِيمَةَ⁽¹⁾ بِنْتِ
أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ، وَحَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ سَمَاعًا عَلَيْهِ،
حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ⁽²⁾، حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ⁽³⁾، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ⁽⁴⁾، عَنْ بُسْرِ⁽⁵⁾ بِنْتِ
سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي
لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

(1) (قوله: عَنْ كَرِيمَةَ)، قال ابن ماكولا: «كَرِيمَةُ بفتح الكاف وكسر الراء، ثم قال: وكريمة بنت أحمد بن محمد المروزي سمعت جامع البخاري من الكشميهني»⁽¹⁾.

(2) (قوله: عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ)، من غير إضافة عبد إلى الابن، هو أبو ذر الهروي.

(3) (قوله: فُلَيْحٌ)، بضم الفاء وفتح اللام، هو ابن سليمان العدوي مولاهم المدني.

(4) (قوله: أَبُو النَّضْرِ)، بالضاد المعجمة، هو سالم بن أبي أمية المدني.

(5) (قوله: عَنْ بُسْرِ)، بضم الموحدة وسكون السين المهملة.

(1) الإكمال لابن ماكولا (133/7).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا! إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى، كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ، وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبْتُكُمْ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرَكُ حَلَقُ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلُنيهَا وَمَعِيَ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَسَ⁽¹⁾ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ».

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِ «الْخَلَّةِ» وَأَصْلُ اشْتِقَاقِهَا.

فَقِيلَ: الْخَلِيلُ: الْمُتَقَطِّعُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ فِي انْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ اخْتِلَالٌ.

وَقِيلَ: الْخَلِيلُ: الْمُخْتَصُّ، وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ وَاحِدٍ.

(1) (قوله: فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَسَ)، هكذا وقعت هذه اللَّفْظَةُ فِي النسخ المعتمدة على هذه الصورة، وهي أَلَفٌ بعدها سين مهملة ثم جرة، وفي بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة: ذكر ابن جبير بِحَطِّهِ فِي كِتَابِهِ أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ وَقَعَتْ فِي طَرَةِ «الْأَمِّ» الْمَبْيُضَةِ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهِ كَمَا هِيَ هُنَا مَبْهَمَةٌ، فَحَكَيْتُهَا كَمَا وَقَعَتْ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَضْلُ الْخِلَّةِ الْاسْتِصْفَاءُ، وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ «خَلِيلَ اللَّهِ»،
لَأَنَّهُ يُوَالِي فِيهِ وَيُعَادِي فِيهِ، وَخَلَّةُ اللَّهِ لَهُ، نَصْرُهُ وَجَعْلُهُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ.

وَقِيلَ: الْخَلِيلُ: أَضْلُهُ الْفَقِيرُ، الْمُحْتَاجُ، الْمُنْقَطِعُ، مَاخُوذٌ مِنَ الْخِلَّةِ⁽¹⁾،
وَهِيَ الْحَاجَةُ، فَسُمِّيَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ لِأَنَّهُ قَصَرَ حَاجَتَهُ عَلَى رَبِّهِ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ
بِهَمِّهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ⁽²⁾، إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ فِي الْمُنْجِنِيقِ⁽³⁾ لِيُزِمَى بِهِ
فِي النَّارِ فَقَالَ: «أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا».

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ: «الْخِلَّةُ: صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ الَّتِي تُوجِبُ الْإِخْتِصَاصَ
بِتَخْلِيلِ الْأَسْرَارِ»⁽⁴⁾.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَضْلُ الْخِلَّةِ الْمَحَبَّةُ، وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ، وَالْإِلْطَافُ،
وَالْتَرْفِيعُ، وَالتَّشْفِيعُ.

وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبُّوهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: 18]، فَأَوْجَبَ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ لَا يُؤَاخَذَ
بِذُنُوبِهِ.

(1) (قوله: مِنَ الْخِلَّةِ) بفتح الخاء المعجمة، وهي الحاجة.

(2) (قوله: قَبْلَ غَيْرِهِ)، بكسر القاف وفتح الموحدة.

(3) (قوله: وَهُوَ فِي الْمُنْجِنِيقِ)، بفتح الميم والجيم وبكسر الميم، ذكرهما أبو عبيد
بن سلام في الغريب.

وفي الصحاح: «وَالْمُنْجِنِيقُ: الَّذِي تُزْمَى بِهَا الْحَجَارَةُ، مُعَرَّبَةٌ، وَأَضْلُهَا
بِالْفَارِسِيَّةِ: مَنْ جِي نِيكَ، أَي مَا أَجُودَنِي، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ»⁽¹⁾.

(4) (قوله: الْأَسْرَارِ)، بفتح الهمزة، جمع سر.

(1) الصحاح (1455/4) مادة: المنجنيق.

قَالَ: هَذَا وَالْحُلَّةُ أَقْوَى مِنَ الْبُنُوَّةِ، لِأَنَّ الْبُنُوَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا الْعَدَاوَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14]، الْآيَةُ.

وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَدَاوَةٌ مَعَ خُلَّةٍ، فَإِذَا تَسَمَّيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْحُلَّةِ إِمَّا بِانْقِطَاعِهِمَا إِلَى اللَّهِ، وَوَقَفَ حَوَائِجَهُمَا عَلَيْهِ، وَالْإِنْقِطَاعَ عَمَّنْ دُونَهُ، وَالْإِضْرَابَ عَنِ الْوَسَائِطِ وَالْأَسْبَابِ، أَوْ لِزِيَادَةِ الْإِخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمَا وَخَفِيِّ الطَّافِهِ⁽¹⁾ عِنْدَهُمَا، وَمَا خَالَ بَوَاطِنُهُمَا مِنْ أَسْرَارِ إِلَهِيَّتِهِ، وَمَكُونِ غُيُوبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، أَوْ لِمُتَضَفِّئِهِ لَهُمَا، وَاسْتِضْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُ، حَتَّى لَمْ يُخَالِلَهُمَا حُبٌّ لِعَیْرِهِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: الْخَلِيلُ مَنْ لَا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِوَاهُ.

وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ».

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَيُّهُمَا أَرْفَعُ، دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَوْ دَرَجَةُ الْمَحَبَّةِ؟ فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سَوَاءً، فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا، وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا، لَكِنَّهُ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ، وَمُحَمَّدًا بِالْمَحَبَّةِ.

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»، فَلَمْ يَتَّخِذْهُ، وَقَدْ أَطْلَقَ الْمَحَبَّةَ لِفَاطِمَةَ، وَابْنَيْهَا، وَأَسَامَةَ، وَغَيْرِهِمْ.

وَأَكْثَرُهُمْ جَعَلَ الْمَحَبَّةَ أَرْفَعَ مِنَ الْخُلَّةِ، لِأَنَّ دَرَجَةَ الْحَبِيبِ نَبِيَّنَا أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَةِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ.

(1) (قوله: وَخَفِيِّ الطَّافِهِ)، خَفِيَ: بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ أَوْ⁽¹⁾ الْمَهْمَلَةِ، وَالْإِلَاطَافُ بِكسر الهمزة مصدر، وبفتحتها جمع لطف.

(1) نهاية اللوحة (38/ظ).

وَأَضْلُ الْمَحَبَّةِ لِمَيْلٍ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْمُحِبَّ، وَلَكِنْ هَذَا فِي حَقِّ مَنْ يَصِحُّ الْمَيْلُ مِنْهُ، وَالِاتِّفَاعُ بِالْوُفْقِ وَهِيَ دَرَجَةُ الْمَخْلُوقِ، فَأَمَّا الْخَالِقُ فَمُنَزَّهٌ عَنِ الْأَغْرَاضِ.

فَمَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ تَمَكِينُهُ مِنْ سَعَادَتِهِ، وَعِصْمَتُهُ، وَتَوْفِيقُهُ، وَتَهْيِئَةُ أَسْبَابِ الْقُرْبِ، وَإِفَاضَةُ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَقُضْوَاهَا⁽¹⁾ كَشَفُ الْحُجُبِ عَنْ قَلْبِهِ، حَتَّى يَرَاهُ بِقَلْبِهِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِبَصِيرَتِهِ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ».

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هَذَا سِوَى التَّجَرُّدِ لِلَّهِ وَالِانْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِغْرَاضِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَصَفَاءِ الْقَلْبِ لِلَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْحَرَكَاتِ لِلَّهِ. كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ، بِرِضَاهُ يَرْضَى، وَبِسَخِطِهِ يَسْخَطُ».

وَمِنْ هَذَا عَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْخُلَّةِ بِقَوْلِهِ:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبَدَأَ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا
فَإِذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتُ حَدِيثِي وَإِذَا مَا سَكَتُ كُنْتُ الْغَلِيلَا⁽²⁾
فَإِذَا مَزِيَةُ الْخُلَّةِ وَخُصُوصِيَّةُ الْمَحَبَّةِ حَاصِلَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ الصَّحِيحَةُ الْمُتَشِيرَةُ، الْمُتَلَقَّاةُ بِالْقَبُولِ مِنَ الْأُمَّةِ.
وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [آل عمران: 31]، الْآيَةَ.

(1) (قوله: قُضْوَاهَا)، بضم القاف والقصر.

(2) (قوله: كُنْتُ الْغَلِيلَا)، في الصحاح: «الغلة حرارة العطش، وكذلك الغليل، يقول: منه غلّ الرجل يغلّ غللاً فهو مغلول، على ما لم يسم فاعله»⁽¹⁾.

(1) الصحاح (2298/6) مادة: جثا.

حَكَى أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ الْكُفَّارُ: إِنَّمَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَانًا كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ غَيْظًا لَهُمْ، وَرَعْمًا عَلَى مَقَالَتِهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 32]، فَزَادَهُ شَرَفًا بِأَمْرِهِمْ بِطَاعَتِهِ، وَقَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ عَلَى التَّوَلَّى عَنْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ عَنْ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ كَلَامًا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ بَيْنِ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ يَطُولُ، جُمْلَةً إِشَارَاتِهِ إِلَى تَفْضِيلِ مَقَامِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْخُلَّةِ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْخَلِيلُ يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75]، وَالْحَبِيبُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِهِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 9].

وَقِيلَ: الْخَلِيلُ الَّذِي تَكُونُ مَغْفِرَتُهُ فِي حَدِّ الطَّمَعِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي﴾ [الشعراء: 82]، وَالْحَبِيبُ الَّذِي مَغْفِرَتُهُ فِي حَدِّ الْيَقِينِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2]، الْآيَةُ.

وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: 87]، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [التحریم: 8]، فَأَبْتَدَى بِالْبَشَارَةِ قَبْلَ السُّؤَالِ.

وَالْخَلِيلُ قَالَ فِي الْمِحْنَةِ: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 38]، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 64].

وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84]، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]، أُعْطِيَ بِلا سُّؤَالٍ.

وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ﴾ [إبراهيم: 35]، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33].
 وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَنْبِيهُ عَلَى مَقْصِدِ أَصْحَابِ الْمَقَالِ مِنْ تَفْضِيلِ الْمَقَامَاتِ
 وَالْأَحْوَالِ، وَ ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾⁽¹⁾ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ [الإسراء: 84].

(1) (قوله: عَلَى شَاكِلَتِهِ)، أي عاداته أو جبلته التي طُبِعَ عليها.

فَصْلٌ

فِي تَفْضِيلِهِ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ

قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿٧٨﴾ [الإسراء: 79].

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْعَسَايُ الْجَيَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ بِخَطِّهِ، حَدَّثَنَا سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ، وَأَبُو أَحْمَدَ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ⁽¹⁾، عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَمَرَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا»⁽²⁾، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فَلَانُ، اشْفَعْ لَنَا، يَا فَلَانُ، اشْفَعْ لَنَا، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ».

(1) (قوله: أَبُو الْأَحْوَصِ)، بالحاء والصاد المهملتين.

(2) (قوله: جُثًّا)، بضم الجيم وفتح المثناة المخففة.

قال ابن الأثير: «الجُثَّا: جمع جُثْوَةٍ بالضم، وهو الشيء المجموع، ومنه «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا»⁽¹⁾، وتُرَوَّى هذه اللفظة بتشديد المثناة، جمع جَاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبتيه»⁽²⁾.

وفي الصحاح: «الجُثْوَةُ والجُثْوَةُ والجُثْوَةُ، ثلاث لغات، الحجارة المجموعة، وَجُثَّى الْحَرَمُ بالضم، وَجُثَّى الْحَرَمُ بالكسر أيضا، ما اجتمع فيه من حِجَارَةِ الْحِجَامِ، وَجُثَّا عَلَى رَكْبَتَيْهِ يَجُثُّ وَيَجُثِّي جُثًّا وَجُثِيًّا، عَلَى فَعُولٍ فِيهِمَا، وَقَوْمٌ جُثِّيٌّ أَيْضًا، مِثْلُ جَلَسَ جُلُوسًا وَقَوْمٌ جُلُوسٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ﴿٧٢﴾ [مريم: 72]، وَجُثِيًّا أَيْضًا بِكسر الجيم إِتْبَاعًا لِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْكسرة»⁽³⁾.

(1) رواه البخاري (4718)، والنسائي في الكبرى (11231) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(2) النهاية في غريب الحديث (239/1) مادة: جثا.

(3) الصحاح (2298/6) مادة: جثا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: سُئِلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْنِي قَوْلُهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]، فَقَالَ: «هِيَ الشَّفَاعَةُ».

وَرَوَى كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةَ خَضِرَاءَ، ثُمَّ يُؤَذِّنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ قَالَ: «فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحُلَّةِ الْجَنَّةِ، فَيُؤَمِّدُ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدَهُ».

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّهُ قِيَامُهُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ، يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ».

وَنَحْوُهُ عَنْ كَعْبٍ وَالْحَسَنِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ».

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَقَائِمُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: ذَلِكَ يَوْمَ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُرْسِيِّهِ»، الْحَدِيثُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﷺ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نَصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَيَبْنَى الشَّفَاعَةُ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ، أَتْرُونَهَا⁽¹⁾ لِلْمُنْتَقِينَ⁽²⁾؟ وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَائِينَ».

(1) (قوله: أَتْرُونَهَا)، بضم المثناة الفوقية وفتح الراء، أي أَتْظَنُّونَهَا.

(2) (قوله: لِلْمُنْتَقِينَ)، بالمثناة الفوقية، جمع متقى، وفي بعض النسخ «للمنقين» بالنون والقاف.

قال الحافظ المزي: «(روى ابن عرفة في جزئه هذا الحديث: «أَتْرُونَهَا لِلْمُنْتَقِينَ وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ»)⁽¹⁾، وقال: ضبطوا للمنقين بنون مفتوحة وقاف مشددة، وحسن ذلك لذكر المتلوثين، وأما إذا لم يكن ذكر المتلوثين فيضبط بالوجهين، والمتلوثين بميم مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة ومثناة مكسورة، ولو ث الماء كدره».

(1) ضعيف. رواه الحسن بن عرفة في جزئه (93)، وأحمد (5452).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ: شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ».

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرِيتُ مَا تُلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، وَسَفَكَ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ لِلْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ، فَفَعَلَ».

وَقَالَ حُذَيْفَةُ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حَيْثُ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرُ⁽¹⁾، حُفَاةً غَرَاءَ كَمَا خُلِقُوا، سُكُوتًا لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَيُنَادَى⁽²⁾ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ⁽³⁾، وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ⁽⁴⁾ وَلَا مُنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ، قَالَ: فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ».

(1) (قوله: وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرُ)، قال ابن الأثير: «قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يزوونه بالدال المعجمة، وإنما هو بالمهملة، أي يبلغ أولهم وآخرهم البصر حتى يراهم كلهم ويستوعبهم، من نَفَذَ الشَّيْءُ وَأَنْفَذْتُهُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: فَيُنَادَى)، بفتح الدال، و مُحَمَّدٌ بلا تنوين على أنه منادى محذوف الأداة أو بالتنوين، على أنه قائم مقام الفاعل لينادي.

(3) (قوله⁽²⁾: وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)، أي لا يتقرب به إليك، أو لا يصعد إليك، إنما يصعد إليك الكلام الطيب، أو لا يضاف إليك أدبا وإن كنت موجدا له بالحقيقة، إذ ليس الشر شرا بالنسبة إلى حكمتك، فإنك لا تُوجد شيئا عبثا.

(4) (قوله: لَا مَلْجَأَ)، بهمزة في آخره، والأجود تخفيفها لتناسب «مُنْجَا» فإنه مقصور.

(1) النهاية في غريب الحديث (91/5) مادة: نفذ.

(2) نهاية اللوحة (39/و).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَبْقَى آخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَآخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ، فَتَقُولُ زُمْرَةُ النَّارِ لَزُمْرَةِ الْجَنَّةِ: مَا نَفَعَكُمْ إِيمَانُكُمْ، فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضْجُونَ، فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَيَسْأَلُونَ آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ، فَكُلٌّ يَعْتَذِرُ، حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَيَشْفَعُ لَهُمْ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا، وَمُجَاهِدٍ.

وَذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِيَزِيدَ الْفَقِيرُ⁽¹⁾: «سَمِعْتُ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ يَغْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودِ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، يَعْنِي مِنَ النَّارِ، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَهَنَّمِيِّينَ.

وَعَنْ أَنَسٍ نَحْوُهُ، وَقَالَ: «فَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ».

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا، دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ، - أَوْ قَالَ: فَيُلْهَمُونَ - فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا».

وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْهُ: «مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُونَ: أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ؟ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ، - زَادَ بَعْضُهُمْ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ - اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ

(1) (قوله: لِيَزِيدَ الْفَقِيرَ)، هو ابن صهيب، كان يشكو فقار ظهره فقبل له الفقير.

الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ⁽¹⁾ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا بَلَّغْنَا⁽²⁾؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي، نَفْسِي».

قَالَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ: «وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، سُؤَالَ رَبِّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، أَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا»، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، «نَفْسِي، نَفْسِي، لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنَّهُ عَبْدُ آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَقَتْلَهُ النَّفْسِ، نَفْسِي، نَفْسِي، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ، عَبْدُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَأُوتِيَ فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا».

(1) (قوله: عَنِ الشَّجَرَةِ)، قيل: هي شجرة الكرم، وقيل: السنبلة.

(2) (قوله: بَلَّغْنَا)، بفتح الغين المعجمة.

قال النووي: «وضبطه بعض المتأخرين بالفتح والإسكان، ويدل للأول «ألا ترون ما قد بلغكم»، ولو كان بالإسكان لقال بلغتم»⁽¹⁾.

(1) شرح صحيح مسلم (67/3).

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَخِرُ سَاجِدًا»⁽¹⁾.
وَفِي رِوَايَةٍ: «فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدِ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّهُ يُلْهِمْنِيهَا
اللَّهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، شَيْئًا لَمْ
يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي».

قَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ،
وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَارْزُقْ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمِّتِي، يَا رَبِّ، أُمِّتِي، فَيَقُولُ:
أَدْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ
شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ».

وَلَمْ يَذْكُرْ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ هَذَا الْفَضْلَ، وَقَالَ مَكَانَهُ: «ثُمَّ أَخِرُ سَاجِدًا،
فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، وَسَلْ
تُعْطَهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمِّتِي، أُمِّتِي، فَيَقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ
حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى
رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ».

وَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَقَالَ فِيهِ: «مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، قَالَ: فَأَفْعَلُ، ثُمَّ
أَرْجِعُ».

وَذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ، وَقَالَ فِيهِ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِنْ
مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَأَفْعَلُ».

(1) (قوله: فَأَخِرُ سَاجِدًا)، في مسند أحمد (6476)، وأبو يعلى (56)، والبخاري (76)، والضياء في
الدُّنْيَا»⁽¹⁾.

(1) حسن. رواه أحمد (15)، وابن حبان (6476)، وأبو يعلى (56)، والبخاري (76)، والضياء في
المختارة (39) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وَذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ: «فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيائِي وَعَظَمَتِي وَجَبْرِيائِي، لَا أُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْهُ قَالَ: «فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»، أَيْ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَحُذَيْفَةَ مِثْلُهُ، قَالَ: «فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيُؤَذِّنُ لَهُ، وَتَأْتِي الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ».

وَذَكَرَ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ حُذَيْفَةَ: «فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيُشَفِّعُ، فَيَضْرِبُ الصِّرَاطَ فَيَمْرُؤْنَ، أَوَّلُهُمْ كَالْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ وَالطَّيْرِ، وَشَدَّ الرِّجَالِ⁽¹⁾، وَنَبِّئُكُمْ ﷺ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى يَجْتَازَ النَّاسُ»، وَذَكَرَ آخَرُهُمْ جَوَازًا، الْحَدِيثَ.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ: «يُوضَعُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وَيَبْقَى مَنَبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّي مُنْتَصِبًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأَمَّتِكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، عَجَلُ حِسَابِهِمْ، فَيُدْعَى بِهِمْ فَيَحَاسِبُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي، وَلَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكًا⁽²⁾ بَرَجَالٍ قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، حَتَّى إِنَّ خَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أَمَّتِكَ مِنْ نَقْمَةٍ».

(1) (قوله: وَشَدَّ الرِّجَالِ)، بالجيم هو الصحيح المعروف، أي جربهم.

(2) (قوله: صِكَاكًا)، بكسر الصاد المهملة وتخفيف الكاف، جمع صَلَكٍ بفتح الصاد وتشديد الكاف، وهو الكتاب.

وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادِ الثَّمِيرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضُ عَنْ جُمُعَتِهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَمَعِيَ لَوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَا فَخْرَ، فَاتِي فَأَخْذُ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيُفْتَحُ لِي، فَيَسْتَقْبِلُنِي الْجَبَّارُ تَعَالَى فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا»، وَذَكَرَ نَحْوُ مَا تَقَدَّمَ.

وَمِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ⁽¹⁾ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَأَشْفَعَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَكْثَرِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَجَرٍ وَشَجَرٍ».

فَقَدْ اجْتَمَعَ مِنْ اخْتِلَافِ الْأَفَاطِ هَذِهِ الْأَثَارِ أَنَّ شَفَاعَتَهُ ﷺ وَمَقَامَهُ الْمَحْمُودَ مِنْ أَوَّلِ الشَّفَاعَاتِ إِلَى آخِرِهَا، مِنْ حِينَ يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِلْحَشْرِ، وَتَضِيقُ بِهِمُ الْحَنَاجِرُ، وَيَبْلُغُ مِنْهُمْ الْعَرَقُ وَالشَّمْسُ وَالْوُقُوفُ مَبْلَغَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْحِسَابِ، فَيَشْفَعُ حِينَئِذٍ لِإِرَاحَةِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْقِفِ، ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ وَيُحَاسَبُ النَّاسُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَخُذِيفَةَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَثَقْنُ، فَيَشْفَعُ فِي تَعْجِيلِ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ يَشْفَعُ فِيمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَدَخَلَ النَّارَ مِنْهُمْ، حَسَبًا تَقْتَضِيهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، ثُمَّ فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ هَذَا لِسِوَاهُ ﷺ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَشَبِّهِ الصَّحِيحِ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَاخْتَبَأَتْ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) (قوله: وَمِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ)، بالتصغير، وهو أنصاري، روى عنه شهر بن حوشب حديث أن النبي ﷺ قال: «لَأَشْفَعَنَّ...» الحديث⁽¹⁾، ولم يرو عنه غيره، ذكر ذلك ابن عبد البر⁽²⁾.

(1) ضعيف. رواه الطبراني في الأوسط (5360)، والبغوي في معجم الصحابة (48)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (857)، وابن قانع في معجم الصحابة (67/1) عن أَنَسٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

(2) الاستيعاب (114/1).

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: مَعْنَاهُ دَعْوَةٌ أَعْلَمُ أَنَّهَا تُسْتَجَابُ لَهُمْ، وَيَبْلُغُ فِيهَا مَرْغُوبُهُمْ، وَإِلَّا فَكَمْ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْهُمْ مِنْ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ، وَلِنَبِيِّنَا ﷺ مِنْهَا مَا لَا يُعَدُّ، لَكِنَّ حَالَهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِهَا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَضَمِنَتْ لَهُمْ إِجَابَةُ دَعْوَةٍ فِيمَا شَاؤُهُ، يَدْعُونَ بِهَا عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْإِجَابَةِ.

وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ وَأَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ».

وَنَحْوُهُ فِي رِوَايَةِ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَعَنْ أَنَسٍ مِثْلُ رِوَايَةِ ابْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فَتَكُونُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمَذْكُورَةُ مَخْصُوصَةً بِالْأُمَّةِ مَضْمُونَةَ الْإِجَابَةِ، وَإِلَّا فَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ لِأُمَّتِهِ أَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، أُعْطِيَ بَعْضُهَا وَمُنِعَ بَعْضُهَا، وَادَّخَرَ لَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ، وَخَاتِمَةِ الْمَحْنِ، وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ.

جَزَاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا.

فصل

فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِالْوَسِيلَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْثَرِ وَالْفَضِيلَةِ

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى التَّمِيمِيُّ، وَالْفَقِيه أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ، بِقَرَأَتِي عَلَيْهِمَا، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْعَسَانِيُّ، حَدَّثَنَا النَّمِرِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ التَّمَارُ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ، وَحَيَّوَةَ⁽¹⁾، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُلْقَمَةَ⁽²⁾، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهُ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ⁽³⁾ الشَّفَاعَةُ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «الْوَسِيلَةُ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَّتَاهُ⁽⁴⁾ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ، قُلْتُ لِجَبْرِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينِهِ⁽⁵⁾ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًَا».

(1) (قوله: حَيَّوَةَ)، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو.

(2) (قوله: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُلْقَمَةَ)، وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة، وهو غير صواب.

(3) (قوله: حَلَّتْ عَلَيْهِ)، بتشديد اللام، أي نزلت.

(4) (قوله: حَافَّتَاهُ)، بتخفيف الفاء.

(5) (قوله: إِلَى طِينِهِ)، بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها نون وهاء للضمير.

وَعَنْ عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مِثْلُهُ، قَالَ: «وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ
وَالْيَاقُوتِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلَجِ».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: «فَإِذَا هُوَ يَجْرِي، وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ
أُمَّتِي»، وَذَكَرُ حَدِيثِ الْحَوْضِ.

وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا قَالَ: «الْكُوْثَرُ: الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ».
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «وَالنَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ
اللَّهُ».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ فِيمَا ذَكَرَ ﷺ عَنْ رَبِّهِ: «وَأَعْطَانِي الْكُوْثَرُ، نَهْرًا مِنَ الْجَنَّةِ
يَسِيلُ فِي حَوْضِي».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۗ﴾
[الضحى: 5] قَالَ: «أَلْفَ قَصْرِ مِنْ لَوْلُؤٍ، تُرَابُهُنَّ الْمِسْكُ، وَفِيهِ مَا يُصْلِحُهُنَّ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «وَفِيهِ مَا يُنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ».

فَصْلٌ

[فِي تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي النَّهْيِ عَنْ تَفْضِيلِهِ ﷺ]

فَإِنْ قُلْتُ: إِذَا تَقَرَّرَ مِنْ دَلِيلِ الْقُرْآنِ، وَصَحِيحِ الْأَثَرِ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، كَوْنُهُ أَكْرَمَ الْبَشَرِ، وَأَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ، فَمَا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ، كَقَوْلِهِ فِيمَا حَدَّثَنَا الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا السَّمَرْقَنْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَارِسِيُّ، حَدَّثَنَا الْجُلُودِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

وَفِي غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ»، الْحَدِيثُ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْيَهُودِيِّ الَّذِي قَالَ: «وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَالَ: «تَقُولُ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَا تُفْضِلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ».

وَفِي رِوَايَةٍ «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى»، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ».

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

وَفِي حَدِيثِهِ الْآخَرِ: «فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ: ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ».

فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَأْوِيلَاتٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْضِيلِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ، فَنَهَى
عَنِ التَّفْضِيلِ، إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ، وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ كَذَبَ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْهُ»، لَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُ هُوَ،
وَإِنَّمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ كَفِّ عَنِ التَّفْضِيلِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ قَالَهُ ﷺ عَنْ طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ التَّكْبَرِ وَالْعُجْبِ،
وَهَذَا لَا يَسْلَمُ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ.

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَلَّا يُفْضَلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلًا يُؤَدِّي إِلَى تَنْقُصِ بَعْضِهِمْ، أَوْ
الْغَضِّ مِنْهُ، لَا سِيَّمَا فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ،
لِيَلَّا يَقَعَ فِي نَفْسٍ مَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاضَةً وَانْحِطَاطًا مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ،
إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصافات: 140]، ﴿إِذْ ذَهَبَ
مُعْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87]، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
حَاطِطَتُهُ بِذَلِكَ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: مَنَعَ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا
عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ، إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ
الْأَحْوَالِ، وَالْخُصُوصِ، وَالْكَرَامَاتِ، وَالرُّتَبِ، وَالْأَلْطَافِ، وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي
نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ آخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ
رُسُلٌ، وَمِنْهُمْ أُولُو عِزٍّ مِنَ الرُّسُلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ
أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزُّبُورَ، وَبَعْضُهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ
اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾
[الإسراء: 55].

وَقَالَ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253].

وَقَالَ: بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ
بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

- أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجَزَاتُهُ أَبْهَرُ وَأَشْهَرُ.

- أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرُ.

- أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلُ وَأَظْهَرُ.

وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلَامٍ، أَوْ خُلَّةٍ، أَوْ رُؤْيَا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْطَّافَةِ، وَتَحَفٍ وَلَايَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلنَّبُوءَةِ أَثْقَالَ، وَإِنَّ يُونُسَ تَفَسَّخَ مِنْهَا تَفَسُّخَ الرَّبْعِ⁽¹⁾».

فَحَفِظَ ﷺ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ مِنْ أَوْهَامٍ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا جَرْخٌ فِي نَبُوءَتِهِ، أَوْ قَدْخٌ فِي اضْطِفَائِهِ وَحَطٌّ مِنْ رُتْبَتِهِ، وَوَهْنٌ فِي عِصْمَتِهِ، شَفَقَةٌ مِنْهُ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ وَجْهٌ خَامِسٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ: «أَنَا» رَاجِعًا إِلَى الْقَائِلِ نَفْسِهِ، أَيْ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَّارَةِ مَا بَلَغَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ لِأَجْلِ مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوءَةِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى، وَإِنَّ تِلْكَ الْأَقْدَارَ لَمْ تَخْطُ عَنْهَا حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَلَا أَدْنَى.

وَسَنَزِيدُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ فِي هَذَا بَيَانًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -، فَقَدْ بَانَ لَكَ الْغَرَضُ، وَسَقَطَ بِمَا حَرَّرْنَاهُ شُبْهَةُ الْمُعْتَرِضِ؛ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

(1) (قوله: تَفَسَّخَ الرَّبْعُ)، بضم الراء وفتح الموحدة.

في الصحاح: «الرَّبْعُ: الْفَصِيلُ يُنْتَجُ فِي الرَّبِيعِ، وَهُوَ أَوَّلُ النَّتَاجِ، وَالْجَمْعُ رِبَاعٌ وَأَرْبَاعٌ، مِثْلُ رُطْبٍ وَرِطَابٍ وَأَرْطَابٍ، وَالْأُنْثَى رُبْعَةٌ، وَالْجَمْعُ رُبْعَاتٌ، فَإِذَا نَتَجَ الْفَصِيلُ آخِرَ النَّتَاجِ فَهُوَ هُبْعٌ»⁽¹⁾.

(1) الصحاح (1212/3) مادة: ربع.

فصل

فِي أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فَضِيلَتِهِ

حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍانَ مُوسَى بْنُ أَبِي تَلِيدٍ الْفَقِيه، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمَرَ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا مَالِكُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءَ⁽¹⁾، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»⁽²⁾.

وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: مُحَمَّدًا، وَأَحْمَدَ.

فَمِنْ خَصَائِصِهِ تَعَالَى لَهُ: أَنْ ضَمَّنَ أَسْمَاءَهُ ثَنَاءَهُ فَطَوَى أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ.

فصل في أسمائه

- (1) (قوله: لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ)، فِي الْأَحْوَذِيِّ شَرْحُ التِّرْمِذِيِّ لِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بَنِ الْعَرَبِيِّ عَنْ بَعْضِهِمْ «أَنَّ لِلَّهِ أَلْفَ اسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ أَلْفَ اسْمٍ».
- (2) (قوله: وَالْعَاقِبُ)، فِي الصَّحَاحِ: «وَفِي الْحَدِيثِ «السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ»⁽¹⁾، فَالْعَاقِبُ مَنْ يَخْلُفُ السَّيِّدَ بَعْدَهُ، وَقَوْلُ⁽²⁾ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا الْعَاقِبُ»⁽³⁾، يَعْنِي آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكُلٌّ مِنْ خَلْفٍ بَعْدَ شَيْءٍ فَهُوَ عَاقِبُهُ»⁽⁴⁾، انْتَهَى.

(1) صحيح. رواه أحمد (23272)، والترمذي (3796)، وابن حبان (7000)، عن حذيفة رضي الله عنه.

(2) نهاية اللوحة (39/ظ).

(3) متفق عليه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه. رواه البخاري (3532)، ومسلم (2354).

(4) الصحاح (184/1) مادة: عقب.

فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ، مُبَالِغَةٌ مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ، وَمُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبَالِغَةٌ مِنْ كَثْرَةِ الْحَمْدِ، فَهُوَ ﷺ أَجَلُ مَنْ حَمِدَ⁽¹⁾، وَأَفْضَلُ مَنْ حَمِدَ⁽²⁾، وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا، فَهُوَ أَحْمَدُ الْمُحْمُودِينَ، وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ، وَمَعَهُ لُؤَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَتِمَّ لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ، وَيَتَشَهَّرَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ الْحَمْدِ، وَيَبْعَثَهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ، يَحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ، وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَحَامِدِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ»، وَسَمَّى أُمَّتَهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَادِينَ، فَحَقِيقُ أَنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا وَأَحْمَدًا.

ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ، فَنُ آخِرُ، هُوَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ.

أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، فَمَنْعَ اللَّهِ تَعَالَى بِحُكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُو قَبْلَهُ، حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌّ.

وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا، لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَا غَيْرُهُمْ، إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وَجُودِهِ ﷺ وَمِيلَادِهِ أَنْ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ هُوَ، وَ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124].

(1) (قوله: أَجَلُ مَنْ حَمِدَ)، بفتح الخاء المهملة وكسر الميم.

(2) (قوله: وَأَفْضَلُ مَنْ حَمِدَ)، بضم المهملة وكسر الميم.

وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْيَحَةَ⁽¹⁾، بِنِ الْجَلَّاحِ الْأَوْسِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ
الْأَنْصَارِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَرَاءِ الْبَكْرِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ، وَمُحَمَّدُ
ابْنُ حُمْرَانَ الْجُعْفِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خُرَاعٍ السَّلَمِيِّ، لَا سَابِعَ لَهُمْ.
وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ مُحَمَّدًا مُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ.
وَالْيَمْنُ تَقُولُ: بَلْ مُحَمَّدُ بْنُ الْيُحْمِدِ⁽²⁾ مِنَ الْأَزْدِ.

(1) (قوله: ابْنُ أَحْيَحَةَ)، بضم الهمزة وفتح الحاء المهملة وسكون المشاة التحتية.
ابْنُ الْجَلَّاحِ: بضم الجيم وتخفيف اللام وفي آخره حاء مهملة، ذكره ابن عبد
البر⁽¹⁾ وأبو موسى في الصحابة، وأما محمد بن البراء فعده أبو موسى أيضا
في الصحابة، ومحمد بن سفيان قال أبو نعيم وأبو موسى مختلف في صحبته،
ومحمد بن مسلمة شهد بدرًا وغيرها، ومات بالمدينة.
وفي سيرة مغلطاي: «وأيضا سمي محمد بن عدي بن ربيعة بن سعد المنقري،
ومحمد بن عثمان السعدي.
قال: وأظنهما واحدا، ومحمد الأسدي، ومحمد الفقيمي، ومحمد بن عتارة
الليثي، ومحمد بن حمران العمري، ومحمد بن خولة الهمداني، ومحمد بن
يزيد بن ربيعة، ومحمد بن أسامة بن مالك».
قال: وفي محمد بن مسلمة الأنصاري نظر».

(2) (قوله: ابْنُ الْيُحْمِدِ)، هذا ليس من الذين قال المصنف: لَا سَابِعَ لَهُمْ، وقد
ضبط ابن ماكولا وغيره نظير هذا الاسم، وهو سعيد بن يُحْمِدِ بضم الياء
وسكون المهملة وكسر الميم⁽²⁾.

(1) الاستيعاب (1451/4).

(2) الإكمال لابن ماكولا (327/7).

ثُمَّ حَمَى اللَّهُ كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِهِ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أَوْ يَدَّعِيَهَا أَحَدٌ لَهُ، أَوْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ سَبَبٌ يُشَكِّكُ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ حَتَّى تَحَقَّقَتِ السِّمَتَانِ لَهُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُنَازِعْ فِيهِمَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ»، فَفُسِّرَ فِي الْحَدِيثِ.

وَيَكُونُ مَحْوُ الْكُفْرِ إِمَّا مِنْ مَكَّةَ وَبِلَادِ الْعَرَبِ وَمَا زُوِيَ لَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَوُعِدَ أَنَّهُ يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ، أَوْ يَكُونُ الْمَحْوُ عَامًّا، بِمَعْنَى الظُّهُورِ وَالْغَلْبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: 33].

وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ الَّذِي مُحِيتَ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنْ اتَّبَعَهُ». وَقَوْلُهُ: «وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي»، أَيُّ عَلَى زَمَانِي وَعَهْدِي، أَيُّ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ كَمَا قَالَ: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]. وَسُمِّيَ: «عَاقِبًا»، لِأَنَّهُ عَقَبَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ».

وَقِيلَ: مَعْنَى «عَلَى قَدَمِي»، أَيُّ يُحْشَرُ النَّاسُ بِمُشَاهَدَتِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

وَقِيلَ: «عَلَى قَدَمِي»، عَلَى سَابِقَتِي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2].

وَقِيلَ: «عَلَى قَدَمِي»، أَيُّ قُدَّامِي وَحَوْلِي، أَيُّ يَجْتَمِعُونَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ «قَدَمِي»، عَلَى سُنَّتِي.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءَ»، قِيلَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَعِنْدَ أُولِي الْعِلْمِ مِنَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِي عَشْرَةُ أَشْمَاءَ»، وَذَكَرَ مِنْهَا: طَهَ، وَيَسَ، حَكَاهُ مَكِّيٌّ.

وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ تَفَاسِيرِ «طَهَ»: إِنَّهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي، وَفِي «يَسَ»، يَا سَيِّدُ، حَكَاهُ السُّلَمِيُّ عَنِ الْوَاسِطِيِّ، وَجَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ.

وَذَكَرَ غَيْرُهُ: «لِي عَشْرَةُ أَشْمَاءَ»، فَذَكَرَ الْخُمْسَةَ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ.

قَالَ: «وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ، وَرَسُولُ الرَّاحَةِ، وَرَسُولُ الْمَلَا حِمٍ، وَأَنَا الْمُقَفِّي قَفَيْتُ النَّبِيِّينَ، وَأَنَا قَيِّمٌ⁽¹⁾، وَالْقَيِّمُ الْجَامِعُ الْكَامِلُ»، كَذَا وَجَدْتُهُ وَلَمْ أَرَوْهُ، وَأَرَى أَنَّ صَوَابَهُ «قَتَمٌ» بِالثَّاءِ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَعْدَ عَنِ الْحَرَبِيِّ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالتَّفْسِيرِ.

وَقَدْ وَقَعَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا، مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفِتْرَةِ»، فَقَدْ يَكُونُ «الْقَيِّمُ» بِمَعْنَاهُ.

وَرَوَى النَّقَّاشُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِي فِي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَشْمَاءَ مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَيَسَ، وَطَهَ، وَالْمُدْتَرُّ، وَالْمُزْمَلُ، وَعَبْدُ اللَّهِ».

وَفِي حَدِيثٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هِيَ سِتٌّ، مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَخَاتَمٌ، وَعَاقِبٌ، وَحَاشِرٌ، وَمَاحٌ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَشْمَاءَ فَيَقُولُ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ⁽²⁾، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

(1) (قوله: وَأَنَا قَيِّمٌ)، وَالْقَيِّمُ: الجامع الكامل.

قال ابن الأثير: «ومنه الحديث «أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: أَنْتَ قَتَمٌ، وَخَلَقْتَ قَيِّمٌ⁽¹⁾»، أي مستقيم حسن»⁽²⁾.

(2) (قوله: وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ)، هي موضع القتال.

(1) في (أ) أنت قيم وخلقك قثم، والتصويب من النهاية.

(2) النهاية في غريب الحديث (134/4) مادة: قيم.

وَيُرَوَّى: «الْمَرْحَمَةُ وَالرَّاحَةُ»، وَكُلُّ صَحِيحٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَعْنَى الْمُتَّقِي مَعْنَى الْعَاقِبِ.

وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالْمَرْحَمَةِ، وَالرَّاحَةِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وَكَمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ: ﴿وَيُرْكَبُ بِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل

عمران: 164] ، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 16] ، وَ

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وَقَدْ قَالَ فِي صِفَةِ أُمَّتِهِ إِنَّهَا: «أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ».

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: 17]، أَيْ

يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَبَعَثَهُ ﷺ رَبُّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَرَحِيمًا بِهِمْ،

وَمُتَرَحِّمًا وَمُسْتَغْفِرًا لَهُمْ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَرْحُومَةً، وَوَصَفَهَا بِالرَّحْمَةِ، وَأَمَرَهَا

ﷺ بِالتَّرَاحُمِ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ».

وَقَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ

مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وَأَمَّا رِوَايَةُ: «نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ»، فَإِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ

ﷺ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ.

وَرَوَى حُذَيْفَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى وَفِيهِ: «وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ

التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلَا حِمٍ».

وَرَوَى الْحَرَبِيُّ فِي حَدِيثِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ لِي: أَنْتَ

قُتِمَ»، أَيْ مَجْتَمِعٌ، قَالَ: وَالْقُتُومُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ، وَهَذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ

ﷺ مَعْلُومٌ.

وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ أَلْقَابِهِ ﷺ وَسِمَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ، كَالنُّورِ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَالْمُنْذِرِ، وَالنَّذِيرِ، وَالْمُبَشِّرِ، وَالْبَشِيرِ، وَالشَّاهِدِ، وَالشَّهِيدِ، وَالْحَقِّ الْمُبِينِ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَالرُّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وَالْأَمِينِ، وَقَدَمِ الصِّدْقِ وَرَحْمَةِ الْعَالَمِينَ، وَنِعْمَةِ اللَّهِ، وَالْعُزَّةِ الْوُثْقَى، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ، وَالْكَرِيمِ، وَالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَدَاعِي اللَّهِ.

فِي أَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ، وَسِمَاتٍ جَلِيلَةٍ، وَجَرَى مِنْهَا فِي كُتُبِ اللَّهِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَكُتُبِ أَنْبِيَائِهِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِهِ وَإِطْلَاقِ الْأُمَّةِ جُمْلَةً شَافِيَةً كَتَسْمِيَّتِهِ: بِالْمُضْطَفَى، وَالْمُجْتَبَى، وَأَبِي الْقَاسِمِ، وَالْحَبِيبِ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالشَّفِيعِ الْمُشَفَّعِ، وَالْمُتَّقِي، وَالْمُصْلِحِ، وَالظَّاهِرِ، وَالْمُهَيِّمِ، وَالصَّادِقِ، وَالْمُضْذَوِّقِ، وَالْهَادِي، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدِ الْعُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَحَبِيبِ اللَّهِ، وَخَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَصَاحِبِ الْخَوَاضِ الْمَوْرُودِ، وَالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالذَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَصَاحِبِ التَّاجِ، وَالْمِعْرَاجِ، وَاللِّوَاءِ، وَالْقَضِيبِ، وَرَاكِبِ الْبُرَاقِ، وَالتَّاقَةِ، وَالنَّجِيبِ، وَصَاحِبِ الْحُجَّةِ، وَالسُّلْطَانِ، وَالْخَاتَمِ، وَالْعَلَامَةِ، وَالْبُرْهَانِ، وَصَاحِبِ الْهَرَاوَةِ⁽¹⁾ وَالنَّعْلَيْنِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْكُتُبِ: الْمُتَوَكَّلُ، وَالْمُخْتَارُ، وَمُقِيمُ السُّنَّةِ، وَالْمُقَدَّسُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ وَرُوحُ الْحَقِّ وَهُوَ مَعْنَى «الْبَارِ قَلِيط»⁽²⁾ فِي الْإِنْجِيلِ. وَقَالَ ثَعْلَبٌ: «الْبَارِ قَلِيط» الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

(1) (قوله: وَصَاحِبِ الْهَرَاوَةِ)، بكسر الهاء، أي العصا.

قال ابن الأثير: «لأنه كان يمسك بيده الْقَضِيبَ كثيرا، وكان يُمَشِّي بالعصا بين يديه، وتُعَرِّزُ لَهُ فَيُصَلِّي إِلَيْهَا»⁽¹⁾.

(2) (قوله: الْبَارِ قَلِيط)، بالموحدة والألف والراء المكسورة والقاف الساكنة واللام المكسورة والمثناة التحتية الساكنة بعدها طاء مهملة، قيل: معناه الحامد، وقيل: الحماد، وقيل: الحمد، وأكثر النصارى على أن معناه المخلص.

(1) النهاية في غريب الحديث (261/5) مادة: هرا.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ: «مَاذُ مَاذُ⁽¹⁾»، وَمَعْنَاهُ طَيِّبٌ وَطَيِّبٌ،
و «جَمَّطَايَا⁽²⁾»، وَالْحَاتِمُ، وَالْحَاتِمُ⁽³⁾، حَكَاهُ كَعْبُ الْأَخْبَارِ.
وَقَالَ ثَعْلَبٌ: فَالْحَاتِمُ الَّذِي خَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ، وَالْحَاتِمُ أَحْسَنُ الْأَنْبِيَاءِ خَلْقًا
وُخْلُقًا.

وَيُسَمَّى بِالسَّرِيَانِيَّةِ مُشَقَّحٌ⁽⁴⁾، وَالْمُنْحَمِنَا⁽⁵⁾.
وَأَسْمُهُ أَيْضًا فِي التَّوْرَةِ: «أُحَيْدُ⁽⁶⁾»، رُويَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ.

(1) (قوله: مَاذُ مَاذُ)، بميم فألف غير مهموزة فذال معجمة، وفي طرة بعض النسخ
إنه بميم مضمومة وإشمام الهمزة ضمة بين الواو والألف.

(2) (قوله: قَالَ جَمَّطَايَا)، بمهملة مفتوحة وميم مشددة مفتوحة وطاء مهملة بعدها
ألف فمشاة تحتية فألف⁽¹⁾.

قال أبو عمر: «سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال: معناه يحمي الحرم
ويمنع من الحرام ويوطئ الحلال».

(3) (قوله: وَالْحَاتِمُ وَالْحَاتِمُ)، الأول بالخاء المعجمة، والثاني بالمهملة.

(4) (قوله: مُشَقَّحٌ)، ضبط هذا الاسم بضم الميم وفتح الشين المعجمة والقاف
المشددة وفي آخره حاء مهملة.

(5) (قوله: وَالْمُنْحَمِنَا)، ضُبِطَ بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة
وكسر الميم وبعدها نون مشددة مفتوحة وألف.

قال أبو الفتح اليعمرى في سيرته: «هو محمد ﷺ، وكذا قال ابن إسحاق:
هو بالسريانية محمد ﷺ⁽²⁾».

(6) (قوله: أُحَيْدُ)، ضبط بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المشاة التحتية
وكسرها وفي آخره دال مهملة.

(1) نهاية اللوحة (40/و).

(2) عيون الأثر (81/1).

وَمَعْنَى «صَاحِبِ الْقَضِيبِ»، أَيِ السَّيْفِ وَقَعَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا فِي الْإِنْجِيلِ،
قَالَ: «مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ، وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ».

وَقَدْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ الْقَضِيبُ الْمَمْشُوقُ الَّذِي كَانَ يُمَسِّكُهُ ﷺ، وَهُوَ
الْآنَ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ.

وَأَمَّا: «الْهَرَاوَةُ» الَّتِي وُصِفَ بِهَا، فَهِيَ فِي اللُّغَةِ الْعَصَا.

وَأَرَاهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْعَصَا الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ ⁽¹⁾: «أَذُودُ
النَّاسِ عَنْهُ بَعْصَايَ»، لِأَهْلِ الْيَمَنِ ⁽²⁾.

وَأَمَّا: «التَّاجُ» فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِمَامَةُ، وَلَمْ تَكُنْ حِشْدًا إِلَّا لِلْعَرَبِ، وَالْعَمَائِمُ
تِيَجَانُ الْعَرَبِ.

وَأَوْصَافُهُ وَأَلْقَابُهُ وَسِمَاتُهُ فِي الْكُتُبِ كَثِيرَةٌ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا مَقْنَعٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ الْمَشْهُورَةُ أَبَا الْقَاسِمِ.

وَرُويَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ جَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ: «السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ»

(1) (قوله: وَأَرَاهَا وَاللهُ أَعْلَمُ الْعَصَا الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ)، قَالَ النُّووي:
«هَذَا ضَعِيفٌ، لِأَنَّ الْمُرَادَ تَعْرِيفَهُ بِصِفَةِ يَرَاهَا النَّاسُ مَعَهُ يَسْتَدْلُونَ بِهَا عَلَى
صَدَقِهِ وَأَنَّهُ الْمُبَشِّرُ بِهِ الْمَذْكُورُ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، فَلَا يَصِحُّ تَفْسِيرُهُ بِعَصَا
تَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ يَمْسِكُ الْقَضِيبَ بِيَدِهِ كَثِيرًا، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ
كَانَ يَمْشِي وَالْعَصَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَغَرَّزَ لَهُ فَيَصْلِي إِلَيْهَا» ⁽¹⁾.

(2) (قوله: لِأَهْلِ الْيَمَنِ)، الَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي الْمَنَاقِبِ «لِأَهْلِ الْيَمَنِ» ⁽²⁾، وَهِيَ
الْجِهَةُ الَّتِي عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ، وَمَعْنَاهُ أَذُودُ النَّاسِ لِأَجْلِ أَهْلِ الْيَمَنِ حَتَّى يَتَقَدَّمُوا.

(1) شرح صحيح مسلم (62/15).

(2) رواه مسلم (2301) عن ثوبان رضي الله عنه.

فَصْلٌ

فِي تَشْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا سَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى
وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْعُلَى

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَقَفَّهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا أُخْرَى هَذَا الْفَصْلَ بِفُضُولِ
الْبَابِ الْأَوَّلِ، لِإِنْخِرَاطِهِ فِي سِلْكِ مَضْمُونِهَا، وَامْتِزَاجِهِ بِعَذْبِ مَعِينِهَا، لَكِنْ لَمْ
يُشْرَحِ اللَّهُ الصَّدْرَ لِلْهَدَايَةِ إِلَى اسْتِنْبَاطِهِ، وَلَا أَنَارَ الْفِكْرَ لِاسْتِخْرَاجِ جَوْهَرِهِ
وَالْتِقَاطِهِ، إِلَّا عِنْدَ الْخَوْضِ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَهُ، فَرَأَيْنَا أَنْ نُضِيفَهُ إِلَيْهِ،
وَنَجْمَعُ بِهِ شَمْلَهُ.

فَاعْلَمْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَرَامَةٍ خَلَعَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْمَائِهِ.

كَتَسْمِيَةِ: إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ بِعَلِيمٍ وَحَلِيمٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بِحَلِيمٍ، وَنُوحَ
بَشَكُورٍ، وَعِيسَى وَيَحْيَى بِبَرٍّ، وَمُوسَى بِكَرِيمٍ⁽¹⁾ وَقَوِيٍّ، وَيُوسُفَ بِحَفِيفٍ عَلِيمٍ،
وَأَيُّوبَ بِبَصِيرٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بِصَادِقِ الْوَعْدِ، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنْ
مَوَاضِعِ ذِكْرِهِمْ.

وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ حَلَّاهُ⁽²⁾ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ
أَنْبِيَائِهِ بَعْدَهُ كَثِيرَةً، اجْتَمَعَ لَنَا مِنْهَا جُمْلَةٌ بَعْدَ إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَإِحْضَارِ الذِّكْرِ، إِذْ
لَمْ نَجِدْ مَنْ جَمَعَ مِنْهَا فَوْقَ اسْمَيْنِ، وَلَا مَنْ تَفَرَّغَ فِيهَا لِتَأْلِيفِ فَصْلَيْنِ،
وَحَرَّرْنَا مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ اسْمًا، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا أَلْهَمَ إِلَى
مَا عَلِمَ مِنْهَا وَحَقَّقَهُ يُتِمُّ النِّعْمَةَ بِإِبَانَةِ مَا لَمْ يُظْهِرْهُ لَنَا الْآنَ وَيُفْتَحِ غَلَقَهُ⁽³⁾.

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه

(1) (قوله: وَمُوسَى بِكَرِيمٍ)، في سورة الدخان ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾⁽¹⁾ [الدخان: 13].

(2) (قوله: بِأَنْ حَلَّاهُ)، بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام.

(3) (قوله: غَلَقَهُ)، بفتح الغين المعجمة، واللام، ما يغلق به.

(1) في (أ) رسول كريم.

فَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْحَمِيدُ»، وَمَعْنَاهُ الْمَحْمُودُ، لِأَنَّهُ حَمِدَ نَفْسَهُ وَحَمَدَهُ عِبَادُهُ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى الْحَامِدِ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ.

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ، فَمُحَمَّدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ، وَكَذَا وَقَعَ اسْمُهُ فِي زُبُرِ دَاوُودَ، «وَأَحْمَدُ» بِمَعْنَى أَكْبَرُ مِنْ حَمِدٍ، وَأَجَلُ مِنْ حَمْدٍ. وقد أشار إلى نحو هذا حَسَّانُ⁽¹⁾ بِقَوْلِهِ⁽²⁾:

وَشَقَّ لَهُ⁽³⁾ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

ومن أسمائه تعالى: «الرَّؤُفُ الرَّحِيمُ»، وهما بِمَعْنَى مُتَقَارِبٍ، وَسَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْحَقُّ الْمُبِينُ»، وَمَعْنَى الْحَقِّ الْمَوْجُودُ، وَالْمُتَحَقِّقُ أَمْرُهُ، وَكَذَلِكَ الْمُبِينُ، أَيِ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَإِلَهِيَّتُهُ، بَانَ وَأَبَانَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْمُبَيِّنِ لِعِبَادِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَمَعَادِهِمْ.

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: 29].

(1) (قوله: حَسَّانُ)، هو ابن ثابت الأنصاري، عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة وعشرين سنة، وعاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وقد شاركه في العيش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام حكيم بن حزام، ولم يذكر ابن الصلاح غيرهما، وزيد عليه حويطب بن عبد العزى القرشي، وسعيد بن يربوع القرشي، وَحَمَّنَ بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وفتح النون الأولى بن عوف القرشي⁽¹⁾ أخو عبد الرحمن بن عوف، ومخرمة بن نوفل القرشي الزهري.

(2) (قوله: وَشَقَّ لَهُ)، بفتح الشين المعجمة.

(1) نهاية اللوحة (40/ظ).

وَقَالَ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: 89].

وَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: 108].

وَقَالَ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: 5]، قِيلَ: مُحَمَّدٌ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ، وَمَعْنَاهُ هُنَا صِدْقُ الْبَاطِلِ، وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ.

وَالْمُبِينُ: الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ، أَوِ الْمُبِينُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا بَعَثَهُ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «النُّورُ»، وَمَعْنَاهُ ذُو النُّورِ، أَيْ خَالِقُهُ، أَوْ مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْأَنْوَارِ، وَمُنَوِّرُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهُدَايَةِ.

وَسَمَاءُهُ: نُورًا فَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]، قِيلَ: مُحَمَّدٌ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ.

وَقَالَ فِيهِ: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 46]، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُضُوحِ أَمْرِهِ وَبَيَانِ نُبُوتِهِ وَتَنْوِيرِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَارِفِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الشَّهِيدُ»، وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ، وَقِيلَ: الشَّاهِدُ عَلَى عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَسَمَاءُهُ شَهِيدًا وَشَاهِدًا فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: 45]

وَقَالَ: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الكَرِيمُ»، وَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ، وَقِيلَ: الْمُفْضَلُ، وَقِيلَ: الْعَفْوُ، وَقِيلَ: الْعَلِيُّ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْأَكْرَمُ».

وَسَمَاءُهُ تَعَالَى كَرِيمًا، بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: 40]، قِيلَ: مُحَمَّدٌ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ.

وَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ»، وَمَعَانِي الْأَسْمِ صَحِيحَةٌ فِي حَقِّهِ ﷺ.
وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْعَظِيمُ»، وَمَعْنَاهُ الْجَلِيلُ الشَّانِ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ
دُونُهُ.

وَقَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: 4].
وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سِفْرِ مِنَ التَّوْرَةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ: «وَسَيَلِدُ عَظِيمًا لِأُمَّةٍ
عَظِيمَةٍ»، فَهُوَ عَظِيمٌ وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.
وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْجَبَّارُ»، وَمَعْنَاهُ الْمُضْلِحُ، وَقِيلَ: الْقَاهِرُ، وَقِيلَ:
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ، وَقِيلَ: الْمُتَكَبِّرُ.
وُسَمِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كِتَابِ دَاوُدَ «بِجَبَّارٍ»، فَقَالَ: «تَقَلَّدَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ
سَيْفَكَ، فَإِنْ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةً بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ».
وَمَعْنَاهُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ إِمَّا لِإِصْلَاحِهِ الْأُمَّةَ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ، أَوْ
لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ، أَوْ لِعُلُوِّ مُنْزِلَتِهِ عَلَى الْبَشَرِ وَعَظِيمِ خَطَرِهِ.
وَنَفَى عَنْهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ جَبَرِيَّةَ التَّكَبُّرِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَنْتَ
عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: 45].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْحَبِيرُ»، وَمَعْنَاهُ الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ الْعَالِمُ
بِحَقِيقَتِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْمُخْبِرُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ [٥٩]
[الفرقان: 59].

قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ: «الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ،
وَالْمَسْئُورُ الْحَبِيرُ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ».

وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلِ السَّائِلُ النَّبِيُّ ﷺ، وَالْمَسْئُورُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَالنَّبِيُّ
خَبِيرٌ بِالْوُجْهَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، قِيلَ: لِأَنَّهُ عَالِمٌ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمَهُ
اللَّهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ، مُخْبِرٌ لِأُمَّتِهِ بِمَا أَدْنَى لَهُ فِي إِعْلَامِهِمْ بِهِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْفَاتِحُ»، وَمَعْنَاهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْمُنْعَلِقُ مِنْ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى النَّاصِرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: 19]، أَيْ إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مُبْتَدِئُ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ.

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْفَاتِحِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الطَّوِيلِ مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا»، وَفِيهِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ: «وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا»، فَيَكُونُ الْفَاتِحُ هُنَا بِمَعْنَى الْحَاكِمِ، أَوْ الْفَاتِحِ لِأَبْوَابِ الرَّحْمَةِ عَلَى أُمَّتِهِ، وَالْفَاتِحُ لِبَصَائِرِهِمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، أَوْ النَّاصِرُ لِلْحَقِّ، أَوْ الْمُبْتَدِئُ بِهَدَايَةِ الْأُمَّةِ، أَوْ الْمُبْدَأُ الْمُقَدَّمُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمُ لَهُمْ، كَمَا قَالَ ﷺ: «كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ».

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ «الشَّكُورُ»، وَمَعْنَاهُ الْمُثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ، وَقِيلَ: الْمُثْنِي عَلَى الْمُطِيعِينَ.

وَوَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: 3)، وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»، أَيْ مُعْتَرِفًا بِنِعَمِ رَبِّي، عَارِفًا بِقَدْرِ ذَلِكَ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ، مُجْهِدًا نَفْسِي فِي الزَّيَادَةِ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْعَلِيمُ» وَ «الْعَلَامُ» وَ «عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ».

وَوَصَفَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْعِلْمِ، وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ مِنْهُ فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113).

وَقَالَ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 129].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْأَوَّلُ» وَ «الْآخِرُ»، وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ.

وَقَالَ ﷺ: «كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ»، وَفُسِّرَ بِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: 7]، فَقَدَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ».

وَقَوْلُهُ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُ الرُّسُلِ ﷺ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْقَوِيُّ» وَ «ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»، وَمَعْنَاهُ الْقَادِرُ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20]، قِيلَ: مُحَمَّدٌ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الصَّادِقُ» فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ.

وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا اسْمُهُ ﷺ «بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ».

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْوَلِيُّ» وَ «الْمَوْلَى»، وَمَعْنَاهُمَا النَّاصِرُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَدَّعْتُكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: 55].

وَقَالَ ﷺ: «أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ».

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: 6].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتُ مَوْلَاهُ».

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْعَفْوُ»، وَمَعْنَاهُ الصَّفُوحُ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا نَبِيِّهِ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ، وَأَمَرَهُ بِالْعَفْوِ فَقَالَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: 199]، وَقَالَ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة: 13].

وَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: 199]، قَالَ: «أَنْ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ».

وَقَالَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ فِي صِفَتِهِ: «لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيُصْفَحُ».

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْهَادِي»، وَهُوَ بِمَعْنَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لِمَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، وَبِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالِدُعَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: 25].

وَأَضْلُ الْجَمِيعِ مِنَ الْمِثْلِ، وَقِيلَ: مِنَ التَّقْدِيمِ.

وَقِيلَ: فِي تَفْسِيرِ ﴿طه﴾ [طه: 1] إِنَّهُ يَا طَاهِرُ، يَا هَادِي، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

وَقَالَ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

وَقَالَ فِيهِ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ [الأحزاب: 46]، فَاللَّهُ تَعَالَى مُخْتَصَّ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56]، وَبِمَعْنَى الدَّلَالَةِ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ تَعَالَى.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْمُؤْمِنُ»، «الْمُهَيِّمُ»، قِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، فَمَعْنَى «الْمُؤْمِنِ» فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْمُصَدِّقُ وَعَدُّهُ عِبَادَهُ، وَالْمُصَدِّقُ قَوْلُهُ الْحَقُّ، وَالْمُصَدِّقُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ.

وَقِيلَ: الْمَوْحَدُ نَفْسُهُ.

وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ.

وَقِيلَ: «الْمُهَيْمِنُ» بِمَعْنَى الْأَمِينِ، مُصَغَّرٌ مِنْهُ فَقَلِبَتْ الْهَمْزَةُ هَاءً.
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ «آمِينَ»، إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى⁽¹⁾، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ.

وَقِيلَ: «الْمُهَيْمِنُ» بِمَعْنَى الشَّاهِدِ وَالْحَافِظِ.
وَالنَّبِيُّ ﷺ أَمِينٌ وَمُهَيْمِنٌ وَمُؤْمِنٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينًا فَقَالَ:
﴿مُطَاعٌ تَمَّ آمِينَ﴾ [التكوير: 21].

وَكَانَ ﷺ يُعْرِفُ «بِالْأَمِينِ»، وَشَهَرَ بِهِ قَبْلَ الثُّبُوتِ وَبَعْدَهَا.
وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ فِي شِعْرِهِ مُهَيْمِنًا فِي قَوْلِهِ:
ثُمَّ احْتَوَى بَيْنُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ * خِنْدِفٍ⁽²⁾ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
قِيلَ الْمُرَادُ: يَا أَيُّهَا الْمُهَيْمِنُ، قَالَهُ الْقُتَيْبِيُّ، وَالْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 61]، أَيِ يُصَدِّقُ.
وَقَالَ ﷺ «أَنَا أَمِنَةٌ لِأَصْحَابِي»، فَهَذَا بِمَعْنَى الْمُؤْمِنِ.

(1) (قوله: وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ آمِينَ إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)، قال النووي في التهذيب: «هذا لا يصح، لأنه ليس في أسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب، وأيضا أسماء الله تعالى لا تثبت إلا بالقرآن أو السنة المتواترة، وقد عدم الطريقان»⁽¹⁾.

(2) (قوله: مِنْ خِنْدِفٍ)، بكسر الخاء المعجمة، وقد تقدم.

(1) تهذيب الأسماء واللغات (13/3).

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: «الْقُدُّوسُ»، وَمَعْنَاهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ الْمُطَهَّرُ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ، وَسُمِّيَ «بَيْتُ الْمُقَدَّسِ» لِأَنَّهُ يُطَهَّرُ لِأَنَّهُ يُطَهَّرُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمِنْهُ الْوَادِي الْمُقَدَّسُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ.

وَوَقَعَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ «الْمُقَدَّسُ»، أَيِ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2]، أَوْ الَّذِي يُطَهَّرُ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُنَزِّهَهُ بِاتِّبَاعِهِ عَنْهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ [البقرة: 129].

وَقَالَ ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة: 16].
أَوْ يَكُونُ مُقَدَّسًا بِمَعْنَى مُطَهَّرًا مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالْأَوْصَافِ الدَّنِيئَةِ.
وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى «الْعَزِيزُ»، وَمَعْنَاهُ الْمُتَمَتِّعُ الْغَالِبُ، أَوْ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، أَوْ الْمُعْزُ لِغَيْرِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: 8]، أَيِ الْإِمْتِنَاعُ وَجَلَالَةُ الْقُدْرِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْبَشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ فَقَالَ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: 21].

وَقَالَ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى﴾ [آل عمران: 39]، وَ ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 45].
وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَبَشِيرًا، أَيِ مُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «طَه»، وَ «يَس».
وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَيْضًا أَنَّهُمَا مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرَفَ وَكَرَّمَ.

فصل

[فِي أَنْ مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تَشَابَهَ بَيْنَهُمَا]

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَذَا أَنَا أَذْكُرُ نُكْتَةً أُذِيلُ⁽¹⁾ بِهَا هَذَا الْفَضْلَ، وَأَخْتِمُ بِهَا هَذَا الْقِسْمَ، وَأُزِيحُ⁽²⁾ الْإِشْكَالَ بِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ كُلِّ ضَعِيفٍ الْوَهْمِ سَقِيمِ الْفَهْمِ، يُخَلِّصُهُ مِنْ مَهَاوِي التَّشْبِيهِ، وَتُرْخِضُهُ عَنْ شُبْهِ التَّمْوِيهِ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ وَمَلَكُوتِهِ، وَحُسْنِ أَسْمَائِهِ، وَعُلَيَّ صِفَاتِهِ⁽³⁾، لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُشَبِّهُ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ مِمَّا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تَشَابَهَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ، إِذْ صِفَاتُ الْقَدِيمِ بِخِلَافِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لَا تُشَبِّهُ الذَّوَاتِ، كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشَبِّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، إِذْ صِفَاتُهُمْ لَا تَنفَكُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ⁽⁴⁾، وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ.

وَكَفَى فِي هَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

فصل قال القاضي

(1) (قوله: أُذِيلُ)، بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة وتشديد المشاة التحتية المكسورة.

(2) (قوله: وَأُزِيحُ)، بضم الهمزة وكسر الزاي وفي آخره حاء مهملة، أي أَبْعُدُ.

(3) (قوله: وَعُلَيَّ صِفَاتِهِ)، بضم العين المهملة وفتح اللام، وفي بعض النسخ بفتح العين المهملة وكسر اللام وتشديد المشاة التحتية.

(4) (قوله: عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ)، كلاهما بالضاد المعجمة، وأحدهما بالغين المعجمة والآخر بالمهملة.

وَلِلَّهِ دَرْ⁽¹⁾ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ الْمُحَقِّقِينَ: «التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ، غَيْرِ مُشَبَّهَةٍ لِلذَّوَاتِ، وَلَا مُعْطَلَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ».

وَزَادَ هَذِهِ التُّكْتَةَ الْوَاسِطِي رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَانًا، وَهِيَ مَقْصُودُنَا فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ، وَلَا كَاسْمِهِ اسْمٌ، وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ، إِلَّا مِنْ جِهَةٍ مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ اللَّفْظِ».

وَجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةً، كَمَا اسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ لِلذَّاتِ الْمُحَدَّثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةً.

وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلَهُ هَذَا، لِيَزِيدَهُ بَيَانًا فَقَالَ: «هَذِهِ الْحِكَايَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَامِعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ، وَكَيْفَ تُشَبَّهُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْمُحَدَّثَاتِ، وَهِيَ بِوُجُودِهَا مُسْتَعْنِيَةٌ.

وَكَيْفَ يُشَبَّهُ فِعْلُهُ فِعْلَ الْخَلْقِ، وَهُوَ لِغَيْرِ جَلْبِ أَنْسٍ أَوْ دَفْعِ نَقْصٍ حَصَلَ، وَلَا لِخَوَاطِرٍ وَأَعْرَاضٍ⁽²⁾ وَجِدَ، وَلَا بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَالَجَةٍ ظَهَرَ، وَفِعْلُ الْخَلْقِ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ».

وَقَالَ آخَرُ مِنْ مَشَايِخِنَا: «مَا تَوَهَّمْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، أَوْ أَدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ، فَهُوَ مُحَدَّثٌ مِثْلُكُمْ».

(1) (قوله: وَلِلَّهِ دَرْ)، في الصحاح: «الدَّرُّ: اللَّبَنُ، يُقَالُ فِي الدِّمِّ: لَا دَرَّ دَرُّهُ، أَيْ لَا كَثَرَ خَيْرُهُ، وَفِي الْمَدْحِ: لَهُ دَرُّهُ، أَيْ عِلْمُهُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَلَا بِخَوَاطِرٍ وَأَعْرَاضٍ)، بالغين المعجمة.

(1) الصحاح (655/2) مادة: درر.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوْنِيُّ⁽¹⁾: «مَنْ اطمأنَّ إِلَى مَوْجُودِ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبَّهٌ، وَمَنْ اطمأنَّ إِلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ فَهُوَ مُعْطَلٌ، وَإِنْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحِّدٌ».

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ⁽²⁾: «حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَشْيَاءِ بِلَا عِلَاجٍ، وَصُنْعُهُ لَهَا بِلَا مِزَاجٍ، وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلَا عِلَّةُ لِصُنْعِهِ، وَمَا تُصَوِّرُ فِي وَهْمِكَ فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ»

وَهَذَا كَلَامٌ عَجِيبٌ، نَفِيسٌ، مُحَقَّقٌ.

وَالْفَضْلُ الْآخَرُ⁽³⁾ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

وَالثَّانِي تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23].

وَالثَّالِثُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40].

تَبَتَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ وَالتَّنْزِيهِ، وَجَنَّبَنَا طَرَفِي الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ.

(1) (قوله: أَبُو الْمَعَالِي الْجَوْنِيُّ)، هو إمام الحرمين عبد الملك النيسابوري، جاور مكة والمدينة أربع سنين، فلذا قيل له إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

(2) (قوله: ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ)، هو الزاهد العارف، اسمه يونان بن إبراهيم الإخميمي، كان أبوه نونيا، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين.

(3) (قوله: وَالْفَضْلُ الْآخَرُ)، هو قوله: «وَمَا تُصَوِّرُ فِي وَهْمِكَ»، والثاني قوله: «وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلَا عِلَّةُ لِصُنْعِهِ»، والثالث قوله: «أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ بِلَا عِلَاجٍ، وَصُنْعُهُ لَهَا بِلَا مِزَاجٍ».

الباب الرابع

فِيمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ،

وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: حَسِبُ الْمُتَأَمِّلِ أَنَّ يُحَقِّقَ أَنَّ كِتَابَنَا هَذَا لَمْ نَجْمَعْهُ لِمُنْكَرِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنا ﷺ، وَلَا لِطَاعِنٍ فِي مُعْجَزَاتِهِ، فَنَحْتَاجُ إِلَى نَضْبِ الْبَرَاهِينِ عَلَيْهَا، وَتَحْصِينِ حُوزَتِهَا⁽¹⁾ حَتَّى لَا يَتَوَصَّلَ الْمُطَاعِنُ إِلَيْهَا، وَنَذْكُرُ شُرُوطَ الْمُعْجَزِ، وَالتَّحْدِي⁽²⁾ وَخَدَهُ، وَفَسَادَ قَوْلِ مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ وَرَدُّهُ، بَلْ أَلْفَنَاهُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ الْمُتَلِينَ لِدَعْوَتِهِ، الْمُصَدِّقِينَ لِنُبُوَّتِهِ لِيَكُونَ تَأْكِيدًا فِي مُحِبَّتِهِمْ لَهُ، وَمَنْمَاهُ لِأَعْمَالِهِمْ، وَ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4].

وَنَبِّئْنَا أَنَّ نُثَبِّتَ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَمَاتٍ مُعْجَزَاتِهِ، وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ، لِتَدُلَّ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ.

وَأَتَيْنَا مِنْهَا بِالْمُحَقِّقِ وَالصَّحِيحِ الْإِسْنَادِ، وَأَكْثَرُهُ مِمَّا بَلَغَ الْقَطْعُ أَوْ كَادَ، وَأَضَفْنَا إِلَيْهَا بَعْضَ مَا وَقَعَ فِي مَشَاهِيرِ كُتُبِ الْأَيْمَةِ.

وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ الْمُنْصِفُ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ جَمِيلِ أَثَرِهِ، وَحَمِيدِ سِيرِهِ، وَبَرَاعَةِ عِلْمِهِ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَحِلْمِهِ، وَجُمْلَةِ كَمَالِهِ، وَجَمِيعِ خِصَالِهِ، وَشَاهِدِ حَالِهِ، وَصَوَابِ مَقَالِهِ، لَمْ يَمْتَرِ فِي صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَصَدَقَ دَعْوَتُهُ.

وَقَدْ كَفَى هَذَا غَيْرُ وَاحِدٍ فِي إِسْلَامِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَرَوَيْنَا عَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ قَانِعٍ وَغَيْرِهِمَا بِأَسَانِيدِهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ جِئْتُهُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ».

الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من المعجزات

(1) (قوله: حُوزَتِهَا)، بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها زاي.

(2) (قوله: وَالتَّحْدِي)، يفتح المثناة الفوقية وفتح الحاء وتشديد الدال المهملتين، هو طلب المعارضة.

حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ، وَأَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ، عَنْ أَبِي يَعْلَى الْبَغْدَادِيِّ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ السِّنْجِيِّ، عَنْ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ التَّرْمِذِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ⁽¹⁾ الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ.... الْحَدِيثُ.

وَعَنْ أَبِي رَمْثَةَ⁽²⁾ التَّيْمِيِّ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِيَ ابْنٌ لِي فَأَرَيْتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ: هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ: أَنَّ ضِمَادًا⁽³⁾ لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ⁽⁴⁾، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ

(1) (قوله: ابْنِ أَبِي جَمِيلَةَ)، بالجيم المفتوحة⁽¹⁾.

(2) (قوله: أَبِي رَمْثَةَ)، بكسر الراء وسكون الميم بعدها مثلثة، والرمث ضرب من النبات⁽²⁾.

(3) (قوله: ضِمَادًا)، بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الميم وفي آخره دال مهملة، هو ابن ثعلبة الأزدي، أزد شنوءة، كان صديقاً للنبي ﷺ قبل النبوة، أسلم أول الإسلام، وكان يتطيب ويرقي ويطلب العلم.

(4) (قوله: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ)، بفتح الهمزة وكسر النون المخففة لالتقاء الساكنين⁽³⁾.

(1) نهاية اللوحة (41/و).

(2) في (أ) الثياب.

(3) ما ذكره الشارح هنا اعترض عليه، يقول الملا علي القاري في شرح الشفا (529/1): «(إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب الحمد، وفي نسخة واقتصر عليها الشُّمْنِيُّ بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد، ووجهه غير ظاهر وإن اختاره كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين، نعم لفظ الحديث على ما في الحصن الحصين «وَأَنَّ تَوَلَّى عَقْدًا فَحُطِبَتْهُ: أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ»، فضبط هناك بالوجهين، وأما ههنا فلا يصح كون أن المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة، ولا التفسيرية لوجود القول الصريح، وهي لا تكون إلا مقرونة بما فيه معنى القول كالوحي والنداء وأمثال ذلك».

فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ لَهُ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَلَقَدْ بَلَغَن قَامُوسَ الْبَحْرِ⁽¹⁾، هَاتِ⁽²⁾ يَدَكَ أَبَايَعُكَ».

وَقَالَ جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ: طَارِقٌ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِيعُونَهُ؟ قُلْنَا: هَذَا الْبَعِيرُ، قَالَ: بِكُمْ؟ قُلْنَا: بَكْذَا وَكَذَا وَسَقَّا مِنْ تَمْرٍ، فَأَخَذَ بِخَطَامِهِ وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقُلْنَا: بَعْنَا مِنْ رَجُلٍ لَا نَذْرِي مَنْ هُوَ؟ وَمَعَنَا طَعِينَةٌ⁽³⁾، فَقَالَتْ: أَنَا ضَامِنَةٌ لِثَمَنِ الْبَعِيرِ، رَأَيْتُ وَجْهَ رَجُلٍ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَخِيسُ⁽⁴⁾ بِكُمْ، فَأَصْبَحْنَا فَجَاءَ رَجُلٌ بِتَمْرٍ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ، يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ هَذَا التَّمْرِ، وَتَكْتَلُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا فَفَعَلْنَا».

(1) (قوله: قَامُوسَ الْبَحْرِ)، بالقاف والميم.

قال ابن قرقول: «عند السجزي «تَاغُوسُ الْبَحْرِ»، وعند العذري «قَاعُوسُ الْبَحْرِ»، وذكره الدمشقي «قَامُوسُ الْبَحْرِ»، وهو الذي يعرفه أهل اللغة، ورواه أبو داود «قَامُوسُ أَوْ قَابُوسُ» على الشك في الميم والباء.
قال: والمعول من هذا كله على قَامُوسٍ أَوْ قَاعُوسٍ⁽¹⁾.

وقال أبو عبيدة: «قَامُوسُ الْبَحْرِ وَسَطُهُ»⁽²⁾.

وقال أبو الحسين بن سراج: قاعوس البحر صحيح مثل قاموس البحر كأنه من القعس، وهو دخول الظهر وتعمقه، أي إن كلماتك بلغت عمقه وَلَجَّتْهُ الدَّاخِلَةُ.

(2) (قوله: هَاتِ)، بكسر المثناة الفوقية.

(3) (قوله: طَعِينَةٌ)، أي امرأة، وأصله الهودج الذي تكون فيه المرأة، ثم سميت به المرأة، قيل: ولا يقال للمرأة طعينة إلا إذا كانت راكبة.

(4) (قوله: لَا يَخِيسُ)، بالخاء المعجمة، مضارع خاس، أي غدر، ويقال أيضا: يخوس.

(1) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (26/2) في التاء مع العين.

(2) الغريبين (1582/5) مادة: قمس.

وَفِي خَبَرِ الْجُلَنْدِيِّ⁽¹⁾ مَلِكِ عُمَانَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ الْجُلَنْدِيُّ: «وَاللَّهِ لَقَدْ دَلَّنِي عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ آخِذٍ بِهِ، وَلَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ، وَأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلَا يَبْطُرُ، وَيُغْلِبُ فَلَا يَضْجَرُ، وَيَفِي بِالْعَهْدِ، وَيُنْجِزُ الْمَوْعُودَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ».

وَقَالَ نَفْطَوِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهُ يَأْخُذُ وَلَوْ أَنَّمَا تَمَسَّسَهُ نَارٌ﴾ [النور: 35]: «هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ، يَقُولُ: يَكَادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَثُلْ قُرْآنًا، كَمَا قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِئُكَ بِالْخَبَرِ
وَقَدْ آتَى أَنْ نَأْخُذَ فِي ذِكْرِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَبَعْدَهُ فِي مُعْجَزَةِ الْقُرْآنِ، وَمَا فِيهِ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ.

(1) (قوله: الْجُلَنْدِيُّ)، بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون بعدها دال مهملة.

في الصحاح: «جُلَنْدَى بضم الجيم مقصورا اسم مَلِكِ عُمَانَ، بضم العين وتخفيف الميم»⁽¹⁾.

وفي القاموس: «وَجُلَنْدَى: بضم أوله اسم مَلِكِ عُمَانَ، وَوَهُمَ الْجَوْهَرِيُّ فَقَصَرَهُ»⁽²⁾.

(1) الصحاح (459/2) مادة: جلد.

(2) القاموس المحيط (ص: 273) مادة: الجلد.

فَصْلٌ

[فِي الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبُوءَةِ وَالرَّسَالَةِ]

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْمَعْرِفَةِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَالْعِلْمِ بِذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَجَمِيعِ تَكْلِيفَاتِهِ، ابْتِدَاءً دُونَ وَاسِطَةً لَوْ شَاءَ، كَمَا حُكِيَ عَنْ سُنَّتِهِ فِي بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: 51].

وَجَائِزٌ أَنْ يُوَصَلَ إِلَيْهِمْ جَمِيعُ ذَلِكَ بِوَاسِطَةٍ تُبَلِّغُهُمْ كَلَامَهُ، وَتَكُونُ تِلْكَ الْوَاسِطَةُ إِمَّا مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ كَالْمَلَائِكَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ مِنْ جَنْسِهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ الْأُمَمِ، وَلَا مَانِعَ لِهَذَا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ.

وَإِذَا جازَ هَذَا وَلَمْ يَسْتَحِلْ، وَجَاءَتِ الرُّسُلُ بِمَا دَلَّ عَلَى صِدْقِهِمْ مِنْ مُعْجَزَاتِهِمْ، وَجَبَ تَصْدِيقُهُمْ فِي جَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ، لِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ مَعَ التَّحْدِي مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَائِمٌ مَقَامُ قَوْلِ اللَّهِ: صَدَقَ عَبْدِي فَأَطِيعُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، وَشَاهِدٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَقُولُهُ.

وَهَذَا كَافٍ، وَالطَّوِيلُ فِيهِ خَارِجٌ عَنِ الْغَرَضِ، فَمَنْ أَرَادَ تَتَبُعَهُ وَجَدَهُ مُسْتَوْفَى فِي مُصَنَّفَاتِ أَيْمَتِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فَالنُّبُوءَةُ: فِي لُغَةٍ مِنْ هَمَزٍ مَأْخُودَةٌ مِنَ النَّبَأِ، وَهُوَ الْخَبَرُ، وَقَدْ لَا يَهْمَزُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَسْهِيلاً.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى غَيْبِهِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَبِيُّهُ، فَيَكُونُ نَبِيٌّ مُنْبَأً، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَوْ يَكُونُ مُخْبِراً عَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَمُنْبَأً بِمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ.

وَيَكُونُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَهْمَزْهُ مِنَ النُّبُوءَةِ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ لَهُ رُتْبَةً شَرِيفَةً وَمَكَانَةً نَبِيَّهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ مَنِفَةً، فَالْوُضْفَانِ فِي حَقِّهِ مُؤْتَلِفَانِ.

وَأَمَّا الرُّسُولُ، فَهُوَ الْمُرْسَلُ، وَلَمْ يَأْتِ فِعُولٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ فِي اللُّغَةِ إِلَّا نَادِراً.

وَأَرْسَلَهُ أَمْرُ اللَّهِ لَهُ بِالْإِبْلَاحِ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، وَاشْتَقَّاقُهُ مِنَ التَّابِعِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَاءَ النَّاسُ أَرْسَالًا، إِذَا تَبَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكَأَنَّهُ أَلْزَمَ تَكَرِيرَ التَّبْلِيغِ، أَوْ أَلْزَمَتِ الْأُمَّةُ اتِّبَاعَهُ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلِ النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ بِمَعْنَى أَوْ بِمَعْنَيْنِ؟ فَقِيلَ: هُمَا سَوَاءٌ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِنْبَاءِ وَهُوَ الْإِعْلَامُ.

وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: 52]، فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُمَا مَعَا الْإِرْسَالِ؛ قَالَ: وَلَا يَكُونُ النَّبِيُّ إِلَّا رَسُولًا، وَلَا الرَّسُولُ إِلَّا نَبِيًّا.

وَقِيلَ: هُمَا مُفْتَرَقَانِ مِنْ وَجْهِ، إِذْ قَدْ اجْتَمَعَا فِي الثُّبُوتِ الَّتِي هِيَ الْإِطْلَاحُ عَلَى الْغَيْبِ، وَالْإِعْلَامُ بِخَوَاصِّ الثُّبُوتِ أَوْ الرِّفْعَةِ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَحُوزِ دَرَجَتِهَا. وَافْتَرَقَا فِي زِيَادَةِ الرِّسَالَةِ لِلرَّسُولِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِالْإِنذَارِ وَالْإِعْلَامُ كَمَا قُلْنَا.

وَحُجَّتُهُمْ مِنَ الْآيَةِ نَفْسُهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْأَسْمَيْنِ، وَلَوْ كَانَا شَيْئًا وَاحِدًا لَمَا حَسُنَ تَكَرُّرُهُمَا فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ.

قَالُوا: وَالْمَعْنَى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ، أَوْ نَبِيٍّ وَلَيْسَ بِمُرْسَلٍ إِلَى أَحَدٍ.

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ مَنْ جَاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدَأٍ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ رَسُولٍ وَإِنْ أَمَرَ بِالْإِبْلَاحِ وَالْإِنذَارِ.

وَالصَّحِيحُ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاءُ الْغَفِيرُ⁽¹⁾، أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا.

فصل اعلم أن الله جل اسمه

(1) (قوله: الْجَمَاءُ الْغَفِيرُ)، فِي الصَّحَاحِ: «قَوْلُهُمْ: جَاءُوا جَمًّا غَفِيرًا، وَالْجَمَاءُ الْغَفِيرُ، وَجَمًّا الْغَفِيرُ، بِالْمَدِّ فِي الْجَمَاءِ، أَيِ جَاءُوا بِجَمَاعَتِهِمُ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَكَانَ فِيهِمْ كَثْرَةٌ»⁽¹⁾.

(1) الصَّحَاحُ (771/2) مَادَّةُ: غَفِرَ.

وَأَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِائَةٌ أَلْفٌ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ»، وَذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، أَوَّلُهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقَدْ بَانَ لَكَ مَعْنَى الثُّبُوتِ وَالرِّسَالَةِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ذَاتًا لِلنَّبِيِّ، وَلَا وَصْفَ ذَاتٍ، خِلَافًا لِلْكَرَامِيَّةِ⁽¹⁾، فِي تَطْوِيلٍ لَهُمْ وَتَهْوِيلٍ، لَيْسَ عَلَيْهِ تَعْوِيلٌ.

(1) (قوله: لِلْكَرَامِيَّةِ)، بتشديد الراء، نسبه إلى محمد بن كَرَام، بفتح الكاف وتشديد الراء، كذا قيده ابن ماکولا والسمعاني وغير واحد⁽¹⁾، وهو الجاري على الألسنة.

وأنكره محمد بن الهيثم وغيره من الكرامية، وحكى فيه⁽²⁾ ابن الهيثم وجهين: أحدهما التخفيف وفتح الكاف، وذكر أنه المعروف في السنة مشايخهم، وزعم أنه بمعنى كريم أو بمعنى كرامة، والثاني التخفيف وكسر الكاف على لفظ جمع كريم، وحكى هذا عن أهل سجستان.

قال ابن الصلاح: «ولا يعدل عن الأول، وهو ما رواه السمعاني في الأنساب⁽³⁾ قال: وكان والده يحفظ الكرم فقليل له كرام».

قال الذهبي: «وفيما قاله السمعاني نظر، فإن كلمة كرام علم على والد محمد، سواء عمل في الكرم أو لم يعمل»⁽⁴⁾.

وأقول هذا لا يضر السمعاني، لجواز أن يكون صار علما عليه بالغلبة لعمله في الكرم وهو صبي، وهجر ما وُضِعَ علما عليه بُعِيدَ الولادة، وكان ابن كرام سُجِنَ بنيسابور ثمانية أعوام لأجل بدعته، ثم أخرج فسار إلى بيت المقدس، ومات بالشام في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين

(1) الإكمال لابن ماکولا (128/7)، والأنساب للسمعاني (60/11).

(2) نهاية اللوحة (41/ظ).

(3) الأنساب للسمعاني (60/11).

(4) ميزان الاعتدال (22/4).

وَأَمَّا الْوَحْيُ، فَأَصْلُهُ الْإِسْرَاعُ، فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ يَتَلَقَّى مَا يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ
بِعَجَلٍ سُمِّيَ وَحْيًا.

وَسُمِّيَتْ أَنْوَاعُ الْإِلْهَامَاتِ وَحْيًا تَشْبِيهَا بِالْوَحْيِ إِلَى النَّبِيِّ، وَسُمِّيَ الْخَطُّ
وَحْيًا لِسُرْعَةِ حَرَكَةِ يَدِ كَاتِبِهِ، وَوَحْيٍ الْحَاجِبِ وَاللَّحْظِ سُرْعَةَ إِشَارَتَيْهِمَا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَجِدُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝﴾ [مريم: 11]، أَيْ
أَوْمًا وَرَمَزًا، وَقِيلَ: كَتَبَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ الْوَحَا⁽¹⁾، الْوَحَا، أَيْ السُّرْعَةُ، السُّرْعَةُ.

وَقِيلَ: أَصْلُ الْوَحْيِ السِّرُّ وَالْإِخْفَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْإِلْهَامُ وَحْيًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: 121]، أَيْ يُوسُوسُونَ فِي
صُدُورِهِمْ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 7]، أَيْ أَلْقَيْ فِي قَلْبِهَا.

وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾
[الشورى: 51]، أَيْ مَا يُلْقِيهِ فِي قَلْبِهِ دُونَ وَاسِطَةٍ.

(1) (قوله: الْوَحَا)، بفتح الواو والحاء المهملة.

في الصحاح: «وَالْوَحَا: السُّرْعَةُ، تَمَدُّ وَتُقْصَرُ، وَيُقَالُ: الْوَحَا الْوَحَا، بِمَعْنَى
الْبِدَارِ الْبِدَارِ»⁽¹⁾.

(1) الصحاح (2520/6) مادة: وحى.

فصل

[فِي مَعْنَى الْمُعْجَزَاتِ]

اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى تَسْمِيَّتِنَا مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مُعْجِزَةً، هُوَ أَنَّ الْخَلْقَ عَجَزُوا عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهَا، وَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

ضَرْبٌ هُوَ مِنْ نَوْعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ فَعَجَزُوا عَنْهُ، فَتَعَجِيزُهُمْ عَنْهُ فِعْلٌ لِلَّهِ دَلٌّ عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِ، كَصَرْفِهِمْ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ، وَتَعَجِيزِهِمْ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ عَلَى رَأْيِ بَعْضِهِمْ، وَنَحْوِهِ.

وَضَرْبٌ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ، كِإِخْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً، وَإِخْرَاجِ نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ، وَكَلَامِ شَجَرَةٍ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْأَصَابِعِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، مِمَّا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْدِيثِهِ مَنْ يُكَذِّبُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَعَجِيزٌ لَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ نَبِيِّنَا ﷺ وَدَلَائِلَ نُبُوَّتِهِ وَبَرَاهِينِ صِدْقِهِ مِنْ هَذَيْنِ التَّوَعَيْنِ مَعًا، وَهُوَ أَكْثَرُ الرُّسُلِ مُعْجِزَةً، وَأَبْهَرُهُمْ آيَةً وَأَظْهَرُهُمْ بُرْهَانًا، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ.

وَهِيَ فِي كَثَرَتِهَا لَا يُحِيطُ بِهَا ضَبْطٌ، فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْهَا وَهُوَ «الْقُرْآنُ»، لَا يُحْصَى عَدْدُ مُعْجِزَاتِهِ بِأَلْفٍ وَلَا أَلْفَيْنِ وَلَا أَكْثَرَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ تَحَدَّى بِسُورَةٍ مِنْهُ فَعَجَزَ عَنْهَا.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَأَقْصَرُ السُّورِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ ﴿الكوثر: 1﴾، فَكُلُّ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ مِنْهُ بِعَدْدِهَا وَقَدْرِهَا مُعْجِزَةٌ.

ثُمَّ فِيهَا نَفْسُهَا مُعْجِزَاتٌ عَلَى مَا سَنُفَصِّلُهُ فِيمَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنْ الْمُعْجِزَاتِ.

ثُمَّ مُعْجَزَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ مِنْهَا عُلِمَ قَطْعًا وَنُقِلَ إِلَيْنَا مُتَوَاتِرًا كَالْقُرْآنِ، فَلَا مَرِيَّةَ وَلَا خِلَافَ بِمَجِيءِ النَّبِيِّ بِهِ، وَظُهُورِهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَاسْتِدْلَالِهِ بِحُجَّتِهِ، وَإِنْ أَنْكَرَ هَذَا مُعَانِدٌ جَاحِدٌ فَهُوَ كَانْكَارِهِ وَجُودُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا.

وَأِنَّمَا جَاءَ اعْتِرَاضُ الْجَاحِدِينَ فِي الْحُجَّةِ بِهِ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ وَجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ مُعْجَزٍ مَعْلُومٍ ضَرُورَةً، وَوَجْهٍ إِعْجَازِهِ مَعْلُومٍ ضَرُورَةً وَنَظَرًا كَمَا سَنَشْرَحُهُ.

قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا: وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّهُ قَدْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَاتٌ وَخَوَارِقُ عَادَاتٍ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ وَاحِدٌ مِنْهَا مُعَيَّنًا الْقَطْعَ فَيَبْلُغُهَا جَمِيعُهَا، فَلَا مَرِيَّةَ فِي جَرَيَانِ مَعَانِيهَا عَلَى يَدَيْهِ، وَلَا يَخْتَلِفُ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ أَنَّهُ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ عَجَائِبُ.

وَأِنَّمَا خِلَافُ الْمُعَانِدِ فِي كَوْنِهَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا كَوْنَهَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِمِثَابَةِ قَوْلِهِ «صَدَقْتُ»، فَقَدْ عُلِمَ وَقُوعُ مِثْلِ هَذَا أَيْضًا مِنْ نَبِيِّنا ضَرُورَةً لِاتِّفَاقِ مَعَانِيهَا، كَمَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً جُودَ حَاتِمٍ⁽¹⁾، وَشَجَاعَةَ عَثْرَةَ⁽²⁾، وَحِلْمَ أَخْنَفٍ⁽³⁾، لِاتِّفَاقِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، عَلَى كَرَمِ هَذَا، وَشَجَاعَةِ هَذَا، وَحِلْمِ هَذَا، وَإِنْ كَانَ كُلُّ خَبَرٍ بِنَفْسِهِ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ وَلَا يَقْطَعُ بِصِحَّتِهِ.

فصل اعلم أن معنى تسميتنا

(1) (قوله: حَاتِمٌ)، هو والد عدي بن حاتم، هلك على كفره، وَقَدِمَ ابنه عدي سنة تسع في شعبان، وكان نصرانيا فأسلم.

(2) (قوله: عَثْرَةٌ)، هو ابن معاوية بن شداد العبسي، كان شديد السواد، وأما زبيبة كانت أمة سوداء لأبيه، كان من أشهر فرسان العرب وأشدّهم بأسا.

(3) (قوله: أَخْنَفٌ)، بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح النون بعدها فاء، هو ابن قيس أبو بحر التميمي، اسمه الضحّاك، وقيل: صخر، أسلم في زمنه عليه السلام، ودعا له عليه السلام، ولم تتفق له رواية.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: مَا لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الضَّرُورَةِ وَالْقَطْعِ، وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ:

نَوْعٌ مُشْتَهَرٌ مُتَشَبِّهٌ، رَوَاهُ الْعَدَدُ، وَشَاعَ الْخَبَرُ بِهِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَالرُّوَاةِ وَنَقَلَهُ السَّيْرُ وَالْأَخْبَارُ، كَتَبَعَ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ، وَتَكَثَّرَ الطَّعَامُ.

وَنَوْعٌ مِنْهُ اخْتَصَّ بِهِ الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانِ، وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْيَسِيرُ وَلَمْ يَشْتَهَرْ اِسْتِهَارَ غَيْرِهِ، لَكِنَّهُ إِذَا جُمِعَ إِلَى مِثْلِهِ اتَّفَقَا فِي الْمَعْنَى وَاجْتَمَعَا عَلَى الْإِثْنَانِ بِالْمُعْجَزِ كَمَا قَدَّمَاهُ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: وَأَنَا أَقُولُ - صَدْعًا بِالْحَقِّ -: إِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ ﷺ مَعْلُومَةٌ بِالْقَطْعِ.

أَمَّا اِنْشِقَاقُ الْقَمَرِ، فَالْقُرْآنُ نَصٌّ بِوُقُوعِهِ، وَأَخْبَرَ عَنْ وُجُودِهِ، وَلَا يُعْدَلُ عَنْ ظَاهِرٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

وَجَاءَ بَرَفُ احْتِمَالِهِ صَحِيحُ الْأَخْبَارِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا يُوهِنُ عَزْمَنَا خِلَافُ أَخْرَقَ⁽¹⁾ مُنْحَلَّ عَرَى الدِّينِ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى سَخَافَةٍ⁽²⁾ مُبْتَدِعٍ يُلْقِي الشَّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ نُزْعِمُ⁽³⁾ بِهَذَا أَنْفَهُ، وَنَنْبِذُ بِالْعَرَاءِ⁽⁴⁾ سُخْفَهُ⁽⁵⁾.

-
- (1) (قوله: أَخْرَقَ)، بالخاء المعجمة، ضد الرفيق.
- (2) (قوله: سَخَافَةٍ)، بفتح السين المهملة والخاء المعجمة المخففة، يقال: سَخَفَ الرجل بالضم سَخْفًا وسَخَافَةً، أي رق عقله.
- (3) (قوله: نُزْعِمُ)، بضم أوله، يقال: أرغم الله أنفه، ألصقه بالرغام بفتح الراء، وهو التراب.
- (4) (قوله: الْعَرَاءِ)، بفتح العين المهملة وتخفيف الراء والمد، هو الفضاء لاستربه.
- (5) (قوله: سُخْفَهُ)، بضم السين المهملة.

وَكَذَلِكَ قِصَّةُ نَبْعِ الْمَاءِ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ، رَوَاهَا الثِّقَاتُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ عَنِ الْجَمَاءِ الْغَفِيرِ، عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ مُتَّصِلًا عَمَّنْ حَدَّثَ بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ وَأَخْيَارِهِمْ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي مَوْطِنِ اجْتِمَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ⁽¹⁾، وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطٍ⁽²⁾، وَعُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ⁽³⁾، وَغَزْوَةِ تَبُوكَ⁽⁴⁾، وَأَمْثَالِهَا مِنْ مَحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ وَمَجْمَعِ الْعَسَاكِرِ، وَلَمْ يُؤَثَّرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مُخَالَفَةٌ لِلرَّأْيِ فِيْمَا حَكَاهُ، وَلَا إِنكَارٌ لِمَا ذَكَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَمَا رَأَاهُ، فَسُكُوتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ كَنُطْقِ النَّاطِقِ، إِذْ هُمْ الْمُنْتَزَهُونَ عَنِ السُّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ، وَالْمُدَاهَنَةِ فِي كَذِبٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ تَمْنَعُهُمْ، وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُتَكَرِّرًا عِنْدَهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ لَأَنْكَرُوهُ، كَمَا أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَشْيَاءَ رَوَاهَا مِنَ الشُّنَنِ وَالسَّيْرِ وَحُزُوفِ الْقُرْآنِ، وَخَطَأَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَوَهَمَهُ فِي ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ.

فَهَذَا النَّوْعُ كُلُّهُ يَلْحَقُ⁽⁵⁾ بِالْقَطْعِيِّ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ، لِمَا بَيَّنَّاهُ.

(1) (قوله: فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ)، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ⁽¹⁾: كَانَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ⁽²⁾: فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَقَالَ ابْنُ عَقْبَةَ: سَنَةُ أَرْبَعٍ.

(2) (قوله: بُوَاطٍ)، بَضْمُ الْمَوْحِدَةِ وَتَخْفِيفُ الْوَاوِ وَفِي آخِرِهِ طَاءٌ مَهْمَلَةٌ، جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ جُهَيْنَةَ.

(3) (قوله: عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ)، كَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، خَرَجَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: «خَرَجَ إِلَيْهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ بِهَالَالِ ذِي الْقَعْدَةِ»⁽³⁾.

(4) (قوله: وَغَزْوَةُ تَبُوكَ)، كَانَتْ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ.

(5) (قوله: يَلْحَقُ)، بَفَتْحِ أَوَّلِهِ.

(1) نَهَايَةُ اللَّوْحَةِ (42/و).

(2) فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى (50/2).

(3) الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى (73/2).

وَأَيْضًا فَإِنَّ أَمْثَالَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَا أَضِلُّ لَهَا وَبُنِيَتْ عَلَى بَاطِلٍ لَا بُدَّ مَعَ
مُرُورِ الْأَزْمَانِ وَتَدَاوُلِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْبَحْثِ مِنْ انْكِشَافِ ضَعْفِهَا وَخُمُولِ
ذِكْرِهَا، كَمَا يُشَاهَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَرَاغِفِ الطَّارِئَةِ.

وَأَعْلَامُ نَبِيِّنَا ﷺ هَذِهِ الْوَارِدَةُ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، لَا تَزْدَادُ مَعَ مُرُورِ
الزَّمَانِ إِلَّا ظُهُورًا، وَمَعَ تَدَاوُلِ الْفِرَقِ وَكَثْرَةِ طَعْنِ الْعَدُوِّ وَحِرْصِهِ عَلَى
تَوْهِينِهَا، وَتَضْعِيفِ أَضْلُهَا، وَإِجْهَادِ الْمُلْحِدِ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِهَا، إِلَّا قُوَّةً
وَقَبُولًا، وَلَا لِلطَّاعِنِ عَلَيْهَا إِلَّا حَسْرَةٌ وَغَلِيلًا.

وَكَذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْغُيُوبِ⁽¹⁾ وَإِنْبَاؤُهُ بِمَا يَكُونُ وَكَانَ مَعْلُومٌ مِنْ آيَاتِهِ
عَلَى الْجُمْلَةِ بِالضَّرُورَةِ؛ وَهَذَا حَقٌّ لَا غِطَاءَ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ بِهِ مِنْ أَيْمَتِنَا الْقَاضِي
وَالْأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَمَا عِنْدِي أَوْجَبَ قَوْلِ الْقَائِلِ: إِنَّ هَذِهِ
الْقِصَصَ الْمَشْهُورَةَ مِنْ بَابِ خَبَرِ الْوَاحِدِ، إِلَّا قَلَّةٌ مُطَالَعَتِهِ لِلْأَخْبَارِ وَرَوَايَتِهَا،
وَشُغْلُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَإِلَّا فَمَنْ اعْتَنَى بِطُرُقِ الثَّقَلِ، وَطَالَعَ الْأَحَادِيثَ
وَالسِّيَرِ، لَمْ يَزَلْ فِي صِحَّةِ هَذِهِ الْقِصَصِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

وَلَا يَتَعَدُّ أَنْ يَخْضُلَ الْعِلْمُ بِالتَّوَاتُرِ عِنْدَ وَاحِدٍ، وَلَا يَخْضُلُ عِنْدَ آخَرَ، فَإِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ بِالْخَبَرِ كَوْنُ بَغْدَادَ⁽²⁾ مَوْجُودَةً، وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَارُ
الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ، وَآحَادٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ اسْمَهَا فَضْلًا عَنْ وَصْفِهَا.

(1) (قوله: وَإِخْبَارُهُ عَنِ الْغُيُوبِ)، بكسر الهمزة.

(2) (قوله: بَغْدَادَ)، يجوز في داليه الإعجام والإهمال.

قال صاحب القاموس: «بَغْدَادُ بِمَهْمَلَتَيْنِ وَمُعْجَمَتَيْنِ، وَتَقْدِيمُ كُلِّ مِنْهُمَا،
وَبَغْدَانُ وَبَغْدِينُ وَمَغْدَانُ: مَدِينَةُ دَارِ السَّلَامِ»⁽¹⁾.

وهي عمرت في زمن أبي جعفر المنصور العباسي أخِي السَّفَاحِ سَنَةَ خَمْسٍ
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَبْقَلَةً، وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بَغْدَادَ أَنْ كَسَرَى
أَقْطَعَهَا لَخْصِي لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْخْصِي يَعْبُدُ صَنْمًا فِي الشَّرْقِ يُقَالُ لَهُ بَغْ،
فَسَمَّاها ذَلِكَ الْخْصِي بَغْدَادَ، أَيْ عَطِيَّةَ ذَلِكَ الصَّنَمِ.

(1) القاموس المحيط (ص: 268) مادة: بغداد.

وَهَكَذَا يَعْلَمُ الْفُقَهَاءُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ بِالضَّرُورَةِ وَتَوَاتُرِ النَّقْلِ عَنْهُ أَنَّ
مَذْهَبَهُ إِجْبَابُ قِرَاءَةِ أُمِّ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ لِلْمُنْفَرِدِ وَالْإِمَامِ، وَإِجْرَاءُ النِّيَّةِ فِي
أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَنَّ الشَّافِعِيَّ يَرَى تَجْدِيدَ النِّيَّةِ كُلَّ لَيْلَةٍ،
وَالْإِفْتِصَارَ فِي الْمَسْحِ عَلَى بَعْضِ الرَّأْسِ.

وَأَنَّ مَذْهَبَهُمَا الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ بِالْمُحَدَّدِ وَغَيْرِهِ، وَإِجْبَابُ النِّيَّةِ فِي
الْوُضُوءِ، وَاشْتِرَاطُ الْوَلِيِّ فِي النِّكَاحِ، وَأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ يُخَالِفُهُمَا فِي هَذِهِ
الْمَسَائِلِ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَشْتَغَلْ بِمَذَاهِبِهِمْ وَلَا رَوَى أَقْوَالَهُمْ لَا يَعْرِفُ هَذَا
مِنْ مَذَاهِبِهِمْ فَضْلًا عَمَّنْ سِوَاهُ.

وَعِنْدَ ذِكْرِنَا أَحَادَ هَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ نَزِيدُ الْكَلَامَ فِيهَا بَيَانًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى.

فَصْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ: أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ الْعَزِيزِ مُنْطَوٍ عَلَى وُجُوهِ مِنَ الْإِعْجَازِ كَثِيرَةٍ، وَتَحْصِيلُهَا مِنْ جِهَةٍ ضَبُطِ أَنْوَاعِهَا فِي أَرْبَعَةٍ وَجُوهِ:

أَوَّلُهَا: حُسْنُ تَأْلِيفِهِ، وَالتَّامُّ كَلِمِهِ، وَفَصَاحَتُهُ، وَوُجُوهُ إِيجَازِهِ، وَبَلَاغَتُهُ الْخَارِقَةُ عَادَةَ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَابَ هَذَا الشَّانِ، وَفُرْسَانَ الْكَلَامِ، قَدْ خُصُّوا مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِكْمِ مَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَأُوتُوا مِنْ ذَرَابَةِ اللِّسَانِ⁽¹⁾ مَا لَمْ يُؤْتَ إِنْسَانٌ، وَمِنْ فَضْلِ الْخِطَابِ مَا يُقَيِّدُ⁽²⁾ الْأَلْبَابَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ طَبْعًا وَخِلْقَةً، وَفِيهِمْ غَرِيزَةٌ وَقُوَّةٌ، يَأْتُونَ مِنْهُ عَلَى الْبَدِيهِةِ بِالْعَجَبِ، وَيُدْلُونَ⁽³⁾ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ، فَيُخْطَبُونَ بِدِيهَا فِي الْمَقَامَاتِ وَشَدِيدِ الْخُطْبِ، وَيَزْتَجِرُونَ بِهِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَيَمْدَحُونَ وَيَقْدَحُونَ، وَيَتَوَسَّلُونَ وَيَتَوَصَّلُونَ، وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ، فَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِالسَّخْرِ الْحَالِ، وَيُطَوِّقُونَ⁽⁴⁾ مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجْمَلَ مِنْ سِمَطِ⁽⁵⁾ اللَّالِ، فَيَخْدَعُونَ الْأَلْبَابَ،

فصل في إعجاز القرآن

(1) (قوله: ذَرَابَةُ اللِّسَانِ)، بفتح الذال المعجمة والراء المخففة والباء الموحدة، أي حذقه.

(2) (قوله: يُقَيِّدُ)، بمثناة تحية مضمومة وقاف مفتوحة بعدها مثناة تحتية مشددة مكسورة.

(3) (قوله: وَيُدْلُونَ)، بضم أوله وسكون ثانيه.

(4) (قوله: وَيُطَوِّقُونَ)، بضم أوله وتشديد الواو المكسورة بعدها قاف.

(5) (قوله: مِنْ سِمَطٍ)، بكسر السين المهملة.

في الصحاح: «الْخَيْطُ مادام فيه الْخَرْزُ سِمَطٌ، وَإِلَّا فَهُوَ سِلْكٌ»⁽¹⁾.

(1) الصحاح (1134/3) مادة: سمط.

وَيَذَلِّلُونَ الصَّعَابَ، وَيُذْهِبُونَ الْإِحْنَ⁽¹⁾، وَيُهِيجُونَ⁽²⁾ الدِّمْنَ⁽³⁾، وَيَجَرِّثُونَ
الْجَبَانَ، وَيَسْطُونُ يَدَ الْجَعْدِ الْبَنَانِ⁽⁴⁾، وَيَصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا، وَيَتْرَكُونَ
النَّبِيَّةَ⁽⁵⁾ خَامِلًا.

مِنْهُمْ الْبَدَوِيُّ ذُو اللَّفْظِ الْجَزْلِ⁽⁶⁾، وَالْقَوْلِ الْفَضْلِ⁽⁷⁾ وَالْكَلَامِ الْفَحْمِ،
وَالطَّبْعِ الْجَوْهَرِيِّ، وَالْمَنْزَعِ الْقَوِيِّ.

(1) (قوله: الْإِحْنَ)، بكسر الهمزة وفتح المهملة، جمع إِحْنَةٍ، بكسر الهمزة
وسكون المهملة، وهي الحقد.

(2) (قوله: وَيُهِيجُونَ)، بضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مشددا، ويجوز فتح أوله
وكسر ثانيه وسكون ثالثه، يقال: هَاجَ الشيءَ وَهَاجَهُ غَيْرُهُ وَهَيَّجْتُهُ وَهَاجَهُ.

(3) (قوله: الدِّمْنَ)، بكسر المهملة وفتح الميم، جمع دِمْنَةٍ، بكسرها وسكون
الميم، وهي الحقد.

(4) (قوله: الْجَعْدِ الْبَنَانِ)، الْجَعْدُ: بفتح الجيم⁽¹⁾ وسكون العين المهملة.

في الصحاح: «يَقَالُ لِلْكَرِيمِ مِنَ الرِّجَالِ: جَعْدٌ، فَأَمَّا إِذَا قِيلَ: فَلَانِ جَعْدُ الْيَدَيْنِ
أَوْ جَعْدُ الْأَنْمَالِ، فَهُوَ الْبَخِيلُ، وَرَبْمَا لَمْ يَذْكُرُوا مَعَهُ الْيَدَ»⁽²⁾.

وَالْبَنَانُ: بفتح الموحدة وتخفيف النون، أطراف الأصابع، جمع بنانة.

(5) (قوله: النَّبِيَّةَ)، هو خلاف الخامل.

(6) (قوله: الْجَزْلِ)، بفتح الجيم وسكون الزاي، خلاف الركيك.

(7) (قوله: وَالْقَوْلِ الْفَضْلِ)، بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ، بِمَعْنَى الْمَفْصُولِ، أَيِ الَّذِي يَتَبَيَّنُ مِنْ
يَخَاطَبُ بِهِ وَلَا يَلْتَبَسُ عَلَيْهِ، أَوْ بِمَعْنَى الْفَاصِلِ، أَيِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ وَالصَّوَابِ وَالْخَطَأِ.

(1) نهاية اللوحة (42/ظ).

(2) الصحاح (457/2) مادة: جعد.

وَمِنْهُمْ الْحَضَرِيُّ ذُو الْبَلَاغَةِ الْبَارِعَةِ، وَالْأَلْفَاظِ النَّاصِعَةِ⁽¹⁾، وَالْكَلِمَاتِ
الْجَامِعَةِ، وَالطَّنْعِ السَّهْلِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْقَوْلِ الْقَلِيلِ الْكُلْفَةِ الْكَثِيرِ الرُّوْنَقِ،
الرَّقِيقِ الْحَاشِيَةِ.

وَكِلَا الْبَايِنِ فَلَهُمَا فِي الْبَلَاغَةِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْقُوَّةُ الدَّامِغَةُ، وَالْقِدْحُ
الْفَالِجُ⁽²⁾، وَالْمَهْيَعُ⁽³⁾ النَّاهِجُ، لَا يَشْكُونُ أَنَّ الْكَلَامَ طَوَّعَ مُرَادِهِمْ، وَالْبَلَاغَةُ
مِلْكُ قِيَادِهِمْ، قَدْ حَوَّوْا فُنُونَهَا، وَاسْتَنْبَطُوا عُيُونَهَا، وَدَخَلُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْ
أَبْوَابِهَا، وَعَلَّوْا صَرْحًا⁽⁴⁾ لِبُلُوغِ أَسْبَابِهَا، فَقَالُوا فِي الْخَطِيرِ وَالْمَهْمِينِ، وَتَفَنَّنُوا
فِي الْغَثِّ⁽⁵⁾ وَالسَّيْمِينِ، وَتَقَاوَلُوا فِي الْقَلِّ وَالْكَثْرِ⁽⁶⁾، وَتَسَاجَلُوا⁽⁷⁾ فِي النَّظْمِ
وَالشَّرِّ، فَمَا رَاعَهُمْ⁽⁸⁾ إِلَّا رَسُولُ كَرِيمٍ، بِكِتَابٍ عَزِيزٍ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

-
- (1) (قوله: النَّاصِعَةُ)، بالنون والصاد والعين المهملتين، أي الخالصة.
 - (2) (قوله: وَالْقِدْحُ الْفَالِجُ)، القِدْحُ: بكسر القاف وسكون الدال بعدها حاء مهملة،
السهم قبل أن يراش ويجعل فيه نصل.
 - (3) (قوله: وَالْمَهْيَعُ)، بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية، الطريق،
والنَّاهِجُ: بالنون، السالك.
 - (4) (قوله: صَرْحًا)، الصَّرْحُ: القصر، وكل بناء عال.
 - (5) (قوله: فِي الْغَثِّ)، بفتح الغين المعجمة بعدها مثلثة مشددة، أي المهزول.
 - (6) (قوله: فِي الْقَلِّ وَالْكَثْرِ)، بضم أول كل منهما.
 - (7) (قوله: تَسَاجَلُوا)، بالسین المهملة والجيم، أي تفاخروا، وَالْمُسَاجَلَةُ المفاخرة،
بأن يصنع مثل صنيعه في جَزِيٍّ أو سَفِيٍّ، وأصله من السَّجَلِ وهو الدلو، ومنه
قولهم: الحرب سَجَالٌ، كذا في الصحاح⁽¹⁾.
 - (8) (قوله: رَاعَهُمْ)، أي أفرغهم.

(1) الصحاح (1725/5) مادة: سجل.

أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ، وَفُضِّلَتْ كَلِمَاتُهُ، وَبَهَّرَتْ بَلَاغَتُهُ الْعُقُولَ، وَظَهَّرَتْ فَصَاحَتُهُ عَلَى كُلِّ مَقُولٍ، وَتَظَافَرَتْ إِيجَارُهُ وَإِعْجَازُهُ، وَتَظَاهَرَتْ حَقِيقَتُهُ وَمَعْجَازُهُ، وَتَبَارَتْ⁽¹⁾ فِي الْحُسْنِ مَطَالِعُهُ وَمَقَاطِعُهُ، وَحَوَتْ كُلَّ الْبَيَانِ جَوَامِعُهُ وَبِدَائِعُهُ، وَاعْتَدَلَ مَعَ إِيجَارِهِ حُسْنُ نَظْمِهِ، وَانْطَبَقَ عَلَى كَثْرَةِ فَوَائِدِهِ مُخْتَارُ لَفْظِهِ، وَهُمْ أَفْسَحُ مَا كَانُوا فِي هَذَا الْبَابِ مَجَالًا، وَأَشْهَرُ فِي الْخُطَابَةِ رَجَالًا، وَأَكْثَرُ فِي السَّجْعِ⁽²⁾ وَالشَّعْرِ سَجَالًا، وَأَوْسَعُ فِي الْغَرِيبِ وَاللُّغَةِ مَقَالًا، بَلَّغَتْهُمْ الَّتِي بِهَا يَتَحَاوَرُونَ وَمَنَازِعِهِمُ الَّتِي عَنْهَا يَتَنَاضَلُونَ، صَارِحًا بِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمُقَرَّرًا لَهُمْ بِضَعَا⁽³⁾ وَعِشْرِينَ عَامًا عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 24].

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: 88] الْآيَةِ.

﴿قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: 13].

(1) (قوله: وَتَبَارَتْ)، بموحدة فمثناة فوقية فموحدة.

في الصحاح: «فَلَانٌ يُبَارِي فَلَانًا، أَيِ يِعَارِضُهُ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: فِي السَّجْعِ)، بالسّين المهملة، يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرًا، وَهُوَ تَوَافُقُ الْأَلْفَاظِ الْوَاقِعَةِ فِي أَوَاخِرِ الْفَقْرِ، وَأَنْ يَكُونَ جَمْعَ سَجْعَةٍ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْآخِرَةُ مِنَ الْفَقْرِ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا مُوَافِقَةً لِلْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَقْرِ الْآخَرِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ هَدِيرُ الْحَمَامِ وَنَحْوُهَا.

(3) (قوله: بِضَعَا)، بِكسر الموحدة وفتحها.

(1) الصحاح (2280/6) مادة: برا.

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُفْتَرَى⁽¹⁾، أَسْهَلُ، وَوَضَعَ الْبَاطِلَ وَالْمُخْتَلَقَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ أَقْرَبُ، وَاللَّفْظُ إِذَا تَبَعَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ كَانَ أَضْعَبَ، وَلِهَذَا قِيلَ: فُلَانٌ يَكْتُبُ كَمَا يُقَالُ لَهُ، وَفُلَانٌ يَكْتُبُ كَمَا يُرِيدُ، وَلِلأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي فَضْلٌ، وَيَيْنَهُمَا شَأَوٌ⁽²⁾ بَعِيدٌ.

فَلَمْ يَزَلْ يَفْرَعُهُمْ ﷺ أَشَدَّ التَّقْرِيعِ، وَيُوبِّخُهُمْ غَايَةَ التَّوْبِيخِ، وَيُسِفُّهُ أَخْلَامَهُمْ، وَيَحْطُ أَغْلَامَهُمْ، وَيُسْتَتُّ نِظَامَهُمْ، وَيَذُمُّ آلِهَتَهُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَيَسْتِيحُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَهُمْ فِي كُلِّ هَذَا نَاكِصُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، مُحْجِمُونَ⁽³⁾ عَنْ مُمَآثِلَتِهِ، يُخَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّشْغِيبِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِغْرَاءِ بِالْإِفْتِرَاءِ، وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ^(٢٥) ﴿[المدثر: 24 . 25]

وَ ﴿سِحْرٌ مُسْتَمَرٌّ﴾^(٢٦) ﴿[القمر: 2]

وَ ﴿إِفْكٌ أَفْرَنُهُ﴾^(٢٧) ﴿[الفرقان: 4]

وَ ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢٨) ﴿[الأنعام: 25]

وَالْمُبَاهَاةِ وَالرِّضَى بِالذَّنْبِ⁽⁴⁾، كَقَوْلِهِمْ: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^(٢٩) ﴿[البقرة: 88]

وَ ﴿فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْءَانٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^(٣٠) ﴿[فصلت: 5]

وَ ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْفِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾^(٣١) ﴿[فصلت: 26]

وَالادِّعَاءَ مَعَ الْعَجْزِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٣٢) ﴿[الأنفال: 31]

(1) (قوله: الْمُفْتَرَى)، بفتح الراء، وَالْمُخْتَلَق بفتح اللام.

(2) (قوله: شَأَوٌ)، بهمزة ساكنة في وسطه، أي شوط ومدى.

(3) (قوله: مُحْجِمُونَ)، بسكون المهملة وكسر الجيم، أي متأخرون.

(4) (قوله: بِالذَّنْبِ)، بالهمزة وقد⁽¹⁾ تسهل، أي الخصلة الخبيثة، يقال: دَنَأَ ذُنُوءًا، حَبَثَ فِعْلُهُ وَلَوْمْ قَوْلُهُ.

(1) نهاية اللوحة (43/و).

وَقَدْ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 24]، فَمَا فَعَلُوا وَلَا قَدَرُوا، وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ سُخْفَائِهِمْ كَمُسِيلِمَةَ كُشِفَ عَوَارُهُ⁽¹⁾، لِجَمِيعِهِمْ، وَسَلَبَهُمُ اللَّهُ مَا أَلْفَوْهُ مِنْ فَصِيحٍ كَلَامِهِمْ، وَإِلَّا فَلَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الْمَيْزِ الْمَيْزُ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَمَطٍ فَصَاحَتِهِمْ، وَلَا جَنْسٍ بَلَغَتِهِمْ، بَلْ وَلَوْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ، وَأَتَوْا مُذْعِنِينَ، مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَفْشُونٍ، وَلِهَذَا لَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ⁽²⁾ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، الْآيَةَ، قَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً⁽³⁾، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لِمُعْدَقٌ⁽⁴⁾، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لِمُشْمَرٌ، مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ».

(1) (قوله: عَوَارُهُ)، في الصحاح: «العَوَارُ: العَيْبُ، يقال سلعة ذاتُ عَوَارٍ، بفتح العين وقد تُضْمُ عند أبي زيد»⁽¹⁾، انتهى؛ وعن ديوان الأدب: «إن الضم أفصح»⁽²⁾.

(2) (قوله: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ)، وكذا رواه البيهقي في الشعب في حديث ابن عباس، وذكره ابن إسحاق في السيرة⁽³⁾.

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب من غير إسناد، والغزالي في الإحياء في أدب تلاوة القرآن أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ، وذكر الحديث⁽⁴⁾.

(3) (قوله: لَطَلَاوَةً)، بضم الطاء المهملة وفتحها، أي لحسنا وقبولا.

(4) (قوله: وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لِمُعْدَقٌ)، لفظ ابن إسحاق: «وإن أصله لَعْدَقُ»⁽⁵⁾، بفتح العين المهملة وسكون الدال المعجمة، وَالْعَدْقُ: النخلة بحملها.

ولفظ ابن هشام: «لَعْدَقُ»⁽⁶⁾، بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة، من الْعَدْقُ، وهو الماء الكثير.

قال السُّهَيْلِيُّ: «ورواية ابن إسحاق أفصح، لأن بها آخر الكلام يشبه أوله»⁽⁷⁾.

(1) الصحاح (761/2) مادة: عور.

(2) الذي في معجم ديوان الأدب (371/3) «العَوَارُ: لُغَةٌ فِي الْعَوَارِ، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ».

(3) شعب الإيمان (133)، والسير والمغازي لابن إسحاق (ص: 151) بسند جيد.

(4) الاستيعاب (433/2)، وإحياء علوم الدين (274/1).

(5) في النسخة المطبوعة من سيرة ابن إسحاق (ص: 151) «لَعْدَقُ».

(6) سيرة ابن هشام (270/1).

(7) الروض الأنف (19/3).

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ⁽¹⁾ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]، فَسَجَدَ وَقَالَ: «سَجَدْتُ لِفَصَاحَتِهِ».

وَسَمِعَ آخَرُ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ».

وَحُكِّيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِقَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَهَّدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَاسْتَحْبَرَهُ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَارِقَةِ⁽²⁾ الرُّومِ مِمَّنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرَهَا، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا، فَإِذَا قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52]، الْآيَةُ.

وَحَكَّى الْأَضْمَعِيُّ⁽³⁾: «أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ فَقَالَ لَهَا: قَاتِلْكَ اللَّهُ مَا أَفْصَحَكَ! فَقَالَتْ: أَوْ يُعَذِّبْ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مَوْسَى أَنْ أَرْضِعِي﴾ [القصص: 7]، الْآيَةُ، فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ.

فَهَذَا نَوْعٌ مِنْ إعْجَازِهِ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ، غَيْرُ مُضَافٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ.

(1) (قوله: وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ)، هو الإمام الحافظ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ، بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، الْبَغْدَادِيُّ، أَخَذَ عَنِ الشَّافِعِيِّ الْفَقِيهِ، كَانَ أَبُوهُ سَلَامٌ عَبْدًا رُومِيًّا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هِرَاةَ، رَوَى عَنْهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُ، تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

(2) (قوله: مِنْ بَطَارِقَةٍ)، بَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ، جَمْعُ بَطْرِيقٍ، بِكَسْرِهَا.

قَالَ ابْنُ الْجَوَالِيقِيِّ: «هُوَ بَلُغَةُ الرُّومِ الْقَائِدُ، أَيْ مُقَدِّمُ الْجِيُوشِ وَأَمِيرُهَا».

(3) (قوله: وَحَكَّى الْأَضْمَعِيُّ)، هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَرِيبٍ، بَضَمِ الْقَافِ وَفَتْحِ الرَّاءِ، ابْنُ أَصْمَعَ، وَلَدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَتَوَفَّى سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةٍ وَمِائَتَيْنِ.

وَكُونُ الْقُرْآنِ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ أَتَى بِهِ، مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ، وَكَوْنُهُ ﷺ مُتَّحِدِيًّا بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ، وَعَجَزُ الْعَرَبِ عَنِ الْإِثْبَانِ بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ، وَكَوْنُهُ فِي فَصَاحَتِهِ خَارِقًا لِلْعَادَةِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ لِلْعَالَمِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ.

وَسَبِيلٌ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عِلْمٌ ذَلِكَ بِعَجَزِ الْمُنْكَرِينَ مِنْ أَهْلِهَا عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الْمُفَرِّينَ بِاعْجَازِ بَلَاغَتِهِ.

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: 179].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغْنَا فَتَاتَ وَآخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبا: 51].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَتَسْمَأِ أَقْلَعِي﴾ [هود: 44]، الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت: 40]، الآية.

وَأَشْبَاهُهَا مِنَ الْآيِ، بَلْ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ، حَقَّقَتْ مَا بَيَّنَّتُهُ مِنْ إِيْجَازِ أَلْفَاظِهَا وَكَثْرَةِ مَعَانِيهَا، وَدِيْبَاجَةِ عِبَارَتِهَا، وَحُسْنِ تَأْلِيْفِ حُرُوفِهَا، وَتَلَاوُْمِ كَلِمِهَا، وَأَنْ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا جُمْلًا كَثِيرَةٌ، وَفُضُولًا جَمَّةٌ، وَعِلْمُومًا زَوَاحِرٌ، مُلِئَتْ الدَّوَاوِينُ مِنْ بَعْضِ مَا اسْتُفِيدَ مِنْهَا، وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ فِي الْمُسْتَنْبَطَاتِ عَنْهَا.

ثُمَّ هُوَ فِي سَرْدِ الْقِصَصِ الطَّوَالِ، وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ، الَّتِي يَضَعُفُ فِي عَادَةِ الْفُصَحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلَامُ، وَيَذْهَبُ مَاءُ الْبَيَانِ، آيَةٌ لِمُتَأَمِّلِهِ مِنْ رِبْطِ الْكَلَامِ بِبَعْضِهِ بِبَعْضٍ، وَالتَّيَّامِ سَرْدِهِ، وَتَنَاصُفِ وَجُوهِهِ، كَقِصَّةِ يُوسُفَ عَلَى طُولِهَا.

ثُمَّ إِذَا تَرَدَّدَتْ قِصَصُهُ، اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ عَنْهَا عَلَى كَثْرَةِ تَرَدُّدِهَا، حَتَّى تَكَادَ كُلُّ وَاحِدَةٍ تُنْسِي فِي الْبَيَانِ صَاحِبَتَهَا، وَتُنَاصِفُ فِي الْحُسْنِ وَجْهَ مُقَابَلَتِهَا، وَلَا تُفَوِّرُ لِلنُّفُوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا، وَلَا مُعَادَاةَ لِمُعَادِهَا.

فَصْلٌ

[فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ بِنَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ]

الْوَجْهُ الثَّانِي مِنْ إعْجَازِهِ صُورَةُ نَظْمِهِ الْعَجِيبِ، وَالْأُسْلُوبُ الْغَرِيبُ، الْمُخَالِفُ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَمَنَاهِجِ نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ، وَوَقَفَتْ مَقَاطِعُ آيِهِ، وَانْتَهَتْ فَوَاصِلُ كَلِمَاتِهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُوْجَدْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ، وَلَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مُمَثِّلَةً شَيْءٍ مِنْهُ، بَلْ حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ، وَتَدَلَّهَتْ⁽¹⁾ دُونَهُ أَحْلَامُهُمْ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى مِثْلِهِ فِي جِنْسِ كَلَامِهِمْ، مِنْ نَثْرِ، أَوْ نَظْمٍ، أَوْ سَجْعٍ، أَوْ رَجَزٍ، أَوْ شِعْرِ.

وَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ ﷺ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ رَقً، فَجَاءَهُ أَبُو جَهْلٍ مُنْكَرًا عَلَيْهِ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِنِّي، وَاللَّهِ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا».

وَفِي خَبَرِهِ الْآخِرِ حِينَ جَمَعَ قُرَيْشًا عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ: «إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَرُدُّ فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا لَا يُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَقَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، مَا هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ⁽²⁾ وَلَا سَجْعِهِ. قَالُوا: مَجْنُونٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، وَلَا بِخَنْقِهِ⁽³⁾ وَلَا وَسْوَستِهِ.

فصل الوجه الثاني

(1) (قوله: وَتَدَلَّهَتْ)، بفتح الدال المهملة واللام المشددة، من التَّدْلِيهِ، وهو ذهاب العقل من الهوى.

(2) (قوله: مَا هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ)، الزَمْزَمَةُ: صوت خفي لا يكاد يفهم.

(3) (قوله: وَلَا بِخَنْقِهِ)، في الصحاح: «الْخَنْقُ: بكسر النون، مصدر خَنْقَهُ يَخْنُقُهُ»⁽¹⁾.

وفي مطالع ابن قرقول: «أنه بفتح النون وإسكانها»⁽²⁾.

(1) الصحاح (1472/4) مادة: خنق.

(2) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (458/2) في الخاء مع النون.

قَالُوا: فَتَقُولُ شَاعِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ عَرَفْنَا الشَّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ، وَقَرِيضَهُ وَمَبْسُوطَهُ وَمَقْبُوضَهُ، مَا هُوَ بِشَاعِرٍ.

قَالُوا: فَتَقُولُ سَاحِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، وَلَا نَفْثُهُ وَلَا عَقْدِهِ⁽¹⁾.

قَالُوا: فَمَا نَقُولُ؟

قَالَ: مَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنْ أَقْرَبَ الْقَوْلِ أَنَّهُ سَاحِرٌ، فَإِنَّهُ سَحَرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَائِنِهِ، وَالْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَالْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَالْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ، فَتَفَرَّقُوا وَجَلَسُوا عَلَى السُّبُلِ يُحَدِّثُونَ النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدرثر: 11] الْآيَاتِ.

وَقَالَ عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ سَمِعَ الْقُرْآنَ: «يَا قَوْمُ، قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُهُ وَقَرَأْتُهُ وَقُلْتُهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسَّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ⁽²⁾».

وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ نَحْوَهُ.

وَفِي حَدِيثِ إِسْلَامَ أَبِي ذَرٍّ وَوَصَفَ أَخَاهُ أُنَيْسًا فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِأَشْعَرَ مِنْ أَخِي أُنَيْسٍ، لَقَدْ نَاقَضَ⁽³⁾ اثْنَيْ عَشَرَ شَاعِرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَنَا أَحَدُهُمْ، وَإِنَّهُ انْطَلَقَ إِلَى مَكَّةَ وَجَاءَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ بِخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْتُ: فَمَا

(1) (قوله: وَلَا نَفْثُهُ وَلَا عَقْدِهِ)، كان الساحر يعقد خيطا ثم ينفث عليه⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَلَا بِالْكِهَانَةِ)، الكَاهِنُ: الذي يخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفه الأسرار، ويزعم أن له تابعا من الجن وَرِثِيًّا يُلْقِي إليه الأخبار، وأما من يزعم أنه يعرف الأمور بأسباب يَسْتَدِلُّ بها من كلم من سألَهُ أو فعله أو حاله، مثل أن يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة، فهذا يخصونه باسم العَرَّافِ.

(3) (قوله: نَاقَضَ)، بالضاد المعجمة، على وزن فاعل، من نَقَضَ البناء، أي هدمه.

(1) نهاية اللوحة (43/ظ).

يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَانَةِ
فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشَّعْرِ⁽¹⁾ فَلَمْ يَلْتِمِمْ، وَمَا يَلْتِمِمْ عَلَى
لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».
وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ.

وَالْإِعْجَازُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ التَّوَعَيْنِ: الْإِعْجَازُ وَالْبَلَاغَةُ بِذَاتِهَا، وَالْأُسْلُوبُ
الْغَرِيبُ بِذَاتِهِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَوْعٌ إِعْجَازٌ عَلَى التَّحْقِيقِ، لَمْ تَقْدِرِ الْعَرَبُ
عَلَى الْإِثْنَانِ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهَا، مُبَايِنٌ لِفَصَاحَتِهَا
وَكَلَامِهَا، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُحَقِّقِينَ.

وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُقْتَدِي بِهِمْ إِلَى أَنَّ الْإِعْجَازَ فِي مَجْمُوعِ الْبَلَاغَةِ
وَالْأُسْلُوبِ، وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ تَمْجُؤُهُ الْأَسْمَاعُ وَتَنْفُرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ.

وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمَاهُ، وَالْعِلْمُ بِهِذَا كُلِّهِ ضَرُورَةٌ قَطْعًا، وَمَنْ تَفَنَّنَ فِي عُلُومِ
الْبَلَاغَةِ، وَأَرْهَفَ⁽²⁾ خَاطِرَهُ وَلِسَانَهُ أَدَبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ مَا قُلْنَا.

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَيْمَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي وَجْهِ عَجْزِهِمْ عَنْهُ، فَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ إِنَّهُ مِمَّا
جُمِعَ فِي قُوَّةِ جَزَالَتِهِ، وَنِصَاعَةِ أَلْفَاطِهِ، وَحُسْنِ نَظْمِهِ، وَإِعْجَازِهِ، وَبَدِيعِ تَأْلِيفِهِ،
وَأُسْلُوبِهِ، لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْخَوَارِقِ الْمُتَمَنِّعَةِ
عَنْ أَقْدَارِ الْخَلْقِ عَلَيْهَا، كَأَحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَلْبِ الْعَصَا، وَتَسْيِيحِ الْحَصَا.

وَذَهَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْخُلَ مِثْلُهُ تَحْتَ
مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَيَقْدِرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا يَكُونُ، فَمَنْعَهُمُ اللَّهُ
هَذَا وَعَجَّزَهُمْ عَنْهُ، وَقَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

(1) (قوله: أَقْرَاءِ الشَّعْرِ)، بفتح الهمزة وسكون القاف والمد، أي طريقه وأنواعه،
قاله الهروي⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَأَرْهَفَ)، أي رَقَّقَ.

(1) الغريبين (1517/5) مادة: قرأ.

وَعَلَى الطَّرِيقَيْنِ، فَعَجَزُ الْعَرَبِ عَنْهُ ثَابِتٌ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ وَتَحْدِيثِهِمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ قَاطِعٌ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّعْجِيزِ، وَأَخْرَى بِالتَّفْرِيعِ، وَالِاخْتِجَاجِ بِمَجِيءِ بَشَرٍ مِثْلِهِمْ بِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ لَازِمٌ، وَهُوَ أَبْهَرُ آيَةٍ، وَأَقْمَعُ دَلَالَةٍ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَا أَتَوْا فِي ذَلِكَ بِمَقَالٍ، بَلْ صَبَرُوا عَلَى الْجَلَاءِ⁽¹⁾ وَالْقَتْلِ، وَتَجَرَّعُوا كَاسَاتِ الصَّغَارِ وَالذُّلِّ، وَكَانُوا مِنْ شُمُوحِ الْأَنْفِ⁽²⁾ وَإِبَاءَةِ الضَّيْمِ بَحِيثٌ لَا يُؤْثِرُونَ ذَلِكَ اخْتِيَارًا، وَلَا يَرْضُونَهُ إِلَّا اضْطِرَارًا، وَإِلَّا فَالْمُعَارَضَةُ لَوْ كَانَتْ مِنْ قُدْرِهِمْ⁽³⁾ وَالشُّغْلُ بِهَا أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرَعُ بِالنَّجْحِ وَقَطْعِ الْعُذْرِ وَإِفْحَامِ الْخُصْمِ لَدَيْهِمْ، وَهُمْ مِمَّنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى الْكَلَامِ، وَقُدُوءٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ لِجَمِيعِ الْأَنَامِ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ جَهَدَ جَهْدَهُ وَاسْتَنْفَذَ مَا عِنْدَهُ فِي إِخْفَاءِ ظُهُورِهِ، وَإِظْفَاءِ نُورِهِ، فَمَا جَلَوْا فِي ذَلِكَ خَبِيئَةً مِنْ بَنَاتِ شِفَاهِهِمْ، وَلَا أَتَوْا بِنُطْفَةٍ⁽⁴⁾ مِنْ مُعِينِ مِيَاهِهِمْ، مَعَ طُولِ الْأَمَدِ، وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ، وَتَظَاهُرِ الْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ، بَلْ أَبْلَسُوا فَمَا نَبَسُوا⁽⁵⁾، وَمُنِعُوا فَاَنْقَطَعُوا، فَهَذَانِ التَّوَعَانِ مِنْ إِعْجَازِهِ.

(1) (قوله: عَلَى الْجَلَاءِ)، بفتح الجيم والمد، أي الخروج من البلد.

(2) (قوله: الْأَنْفِ)، بهمزة ونون مضمومتين، جمع أَنْفٍ، بفتح الهمزة وسكون النون.

(3) (قوله: مِنْ قُدْرِهِمْ)، بضم القاف وفتح الدال، جمع قدرة.

(4) (قوله: بِنُطْفَةٍ)، بالطاء المهملة والفاء، أي بشيء يسير.

(5) (قوله: نَبَسُوا)، بنون مفتوحة وموحدة مخففة ومشددة مفتوحتين وسين مهملة.

في الصحاح: «مَا نَبَسَ بِكَلِمَةٍ، أَي مَا تَكَلَّمَ»⁽¹⁾.

(1) الصحاح (981/3) مادة: نبس.

فصل

[فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغِيبَاتِ]

الْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الْإِعْجَازِ، مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغِيبَاتِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ وَلَمْ يَقَعْ، فَوُجِدَ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: 27].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: 3].

وَقَوْلِهِ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: 33].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: 55]، الْآيَةُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] إِلَى آخِرِهَا.

فَكَانَ جَمِيعُ هَذَا كَمَا قَالَ، فَعَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ فِي بَضْعِ سِنِينَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا، فَمَا مَاتَ ﷺ وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الْإِسْلَامُ، وَاسْتَخْلَفَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ، وَمَكَّنَ فِيهَا دِينَهُمْ، وَمَلَكَهُمْ إِثَّاها مِنْ أَقْصَى الْمَشَارِقِ إِلَى أَقْصَى الْمَغَارِبِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «زُوِيْتُ⁽¹⁾ لِي الْأَرْضُ فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا».

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فَكَانَ كَذَلِكَ، لَا يَكَادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى فِي تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُحْكَمِهِ مِنَ الْمُلْحَدَةِ وَالْمُعْطَلَةِ لَا سِيَّمَا الْقَرَامِطَةُ⁽²⁾، فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ وَقَوَّتَهُمُ الْيَوْمَ نَيْفًا⁽³⁾ عَلَى خَمْسِمِائَةِ عَامٍ،

فصل الوجه الثالث

(1) (قوله: زُوِيْتُ)، بالزاي المضمومة، أي جمعت.

(2) (قوله: الْقَرَامِطَةُ)، هم أتباع حمدان القرمطي.

(3) (قوله: نَيْفًا)، النَيْفُ: بفتح النون وسكون المثناة التحتية، أو كسرهما وتشديدها، الزيادة.

فَمَا قَدَرُوا عَلَى إطفاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ، وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ، وَلَا تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر: 45].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14]، الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ [التوبة: 33]، الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَنْ يَضُرَّوَكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا كُمْ﴾ [آل عمران: 111]، الآية، فَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ.

وَمَا فِيهِ مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ وَمَقَالِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فِي حَلْفِهِمْ، وَتَقْرِيعِهِمْ بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: 8].

وَقَوْلِهِ: ﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: 154]، الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: 41]، الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي الدِّينِ﴾ [النساء: 46].

وَقَدْ قَالَ مُبْدِيًا مَا قَدَرَهُ اللَّهُ وَاعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهِنَّ لَكُمُ وَتُودُونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7].

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ١٥﴾ [الحجر: 95]، وَلَمَّا نَزَلَتْ بَشَرُ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ، بِأَنَّ اللَّهَ كَفَاهُ إِيَّاهُمْ، وَكَانَ الْمُسْتَهْزِئُونَ نَفَرًا بِمَكَّةَ يُنْفِرُونَ النَّاسَ عَنْهُ وَيُؤْذُونَهُ فَهَلَكُوا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، فَكَانَ كَذَلِكَ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ رَامَ ضُرَّهُ وَقَصَدَ قَتْلَهُ.

وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ صَحِيحَةٌ.

فصل

[فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ]

الْوَجْهُ الرَّابِعُ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ،
وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةُ الْوَاحِدَةُ إِلَّا الْفَدُّ⁽¹⁾ مِنْ أَخْبَارِ
أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي قَطَعَ عُمُرُهُ فِي تَعْلُمِ ذَلِكَ، فَيُورِدُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ،
وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصْبِهِ، فَيَعْتَرِفُ الْعَالَمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ، وَأَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَنْلُهُ
بِتَعْلِيمٍ.

وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ ﷺ أُمِّي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَلَا اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ وَلَا
مُثَافَنَةٍ⁽²⁾، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ، وَلَا جَهْلَ حَالِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

فصل الوجه الرابع

(1) (قوله: إِلَّا الْفَدُّ)، بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة، أي الفرد.

(2) (قوله: وَلَا مُثَافَنَةٍ)، بالمثلثة والفاء والنون.

في الصحاح: «ثَافَنْتُ فَلَانًا: جَالَسْتُهُ».

ويقال: اشتقاقه من الثَّفْنَةِ، واحدة ثَفْنَاتِ البعير، وهو ما يقع على الأرض من
أعضائه إذا استناخ وغلظ كالركبتين، كأنك أَلْصَقْتَ ثَفْنَةً رُكْبَتِكَ بَثْفْنَةٍ
رُكْبَتِهِ⁽¹⁾.

(1) الصحاح (2088/5) مادة: ثفن.

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ كَثِيرًا مَّا يَسْأَلُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا، فَيُنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْهُ ذِكْرًا، كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ، وَخَبَرِ مُوسَى وَالْخَضِرِ⁽¹⁾،

(1) (قوله: وَالْخَضِرِ)، بفتح أوله وكسر ثانيه، ويجوز كسر أوله وسكون ثانيه، سمي خضرا لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز خلفه خضراء، والفروة الحشيش اليابس، وقيل: لأنه إذا جلس اخضر ما حوله، اختلف هل كان وليا أو نبيا؟ والقاتلون بأنه نبي اختلفوا⁽¹⁾ هل كان رسولا أم لا؟

قال الثعلبي: «نبي على جميع الأقوال، معمر محجب عن الأبصار».

قال ابن الصلاح: «وهو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة»⁽²⁾.

وقال البخاري وطائفة منهم الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بن العربي: «إنه مات قبل انقضاء المائة، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»⁽³⁾.

والجواب: أن هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس ويخالطونه، لا فيمن ليس كذلك كالخضر، بدليل أن الدجال خارج عن هذا الحديث، لما روى مسلم من حديث الجساسة⁽⁴⁾ الدال على وجود الدجال في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى بقائه إلى زمن ظهوره، مع أن مسلما روى عن ابن عمر أن المراد بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»، انخرام ذلك القرن.

(1) نهاية اللوحة (44/و).

(2) فتاوى ابن الصلاح (ص: 185).

(3) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما. رواه البخاري (116) ومسلم (2537).

(4) رواه مسلم (2942) عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

وَيُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقُرْنَيْنِ⁽¹⁾، وَلُقْمَانَ وَابْنِهِ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ، وَبَدَأَ الْخَلْقَ، وَمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذَكَرَ مِنْهَا، بَلْ أَدْعَنُوا لِذَلِكَ، فَمَنْ مُوَفَّقٍ آمَنَ بِمَا سَبَقَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَمَنْ شَقِيٌّ مُعَانِدٌ حَاسِدٌ.

(1) (قوله: وَذِي الْقُرْنَيْنِ)، روى الحاكم في المستدرک أنه عليه السلام سُئِلَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ فَقَالَ: لَا أَدْرِي نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا⁽¹⁾.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئْهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾ [الكهف: 84]، أي علما يتبعه، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْبِئْهُمْ سَبِيًّا﴾ [الكهف: 85]، أي طريقا موصلة.

وقال ابن هشام في غير السيرة: «السَّبَبُ: حَبْلٌ مِنْ نُورٍ كَانَ مَلَكٌ يَمْشِي بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَتَّبِعُهُ»⁽²⁾.

وروي عن أبي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ قَالَ: «سَأَلَ ابْنَ الْكَوَّاءِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ ذَا الْقُرْنَيْنِ أَنْبِيَا كَانَ أَمْ مَلِكًا؟ لَا نَبِيًّا كَانَ وَلَا مَلِكًا، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا، دَعَا قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنَيْ رَأْسِهِ ضَرْبَتَيْنِ، وَفِيكُمْ مِثْلُهُ، يَعْنِي نَفْسَهُ»⁽³⁾، انتهى.

وقيل: كانت له ضفيرتان من شعر، والعرب تُسَمِّي الضفيرة من الشعر قرنا.

(1) رواه الحاكم (104)، والبيهقي (17595) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(2) انظر الروض الأنف (89/3).

(3) رواه ابن أبي عاصم في السنة (1318)، والضياء في المختارة (555) بسند صحيح.

وَمَعَ هَذَا لَمْ يُحَكَّ عَنْ وَاحِدٍ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ عَلَى شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَطُولِ احْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ، وَتَقْرِيعِهِمْ بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مَصَاحِفُهُمْ، وَكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ لَهُ ﷺ، وَتَغْنِيَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ أَخْبَارِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَأَسْرَارِ عُلُومِهِمْ، وَمُسْتَوْدَعَاتِ سِيرِهِمْ، وَإِعْلَامِهِ لَهُمْ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ، وَمُضْمَنَاتِ كُتُبِهِمْ، مِثْلَ سُؤَالِهِمْ عَنِ الرُّوحِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعِيسَى، وَحُكْمِ الرَّجْمِ، وَمَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَمِنْ طَيِّبَاتِ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ فَحَرِّمَتْ عَلَيْهِمْ بِبَعْضِهِمْ، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: 29]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمُ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا الْقُرْآنُ، فَأَجَابَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَمَا عُرِفَ عَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَوْ كَذَّبَهُ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ صَرَّحَ بِصِحَّةِ نُبُوتِهِ وَصَدَقِ مَقَالَتِهِ، وَاعْتَرَفَ بِعِنَادِهِ وَحَسَدِهِ إِيَّاهُ، كَأَهْلِ نَجْرَانَ، وَابْنِ صُورِيَا، وَابْنِي أَخْطَبَ، وَغَيْرِهِمْ.

وَمَنْ بَاهَتْ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْمُبَاهِتَةِ، وَادَّعَى أَنَّ فِيْمَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِمَا حَكَاهُ مُخَالَفَةً، دُعِيَ إِلَى إِقَامَةِ حُجَّتِهِ، وَكُشِفَ دَعْوَتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 93]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [١٤]، [آل عمران: 94]، فَقَرَعَ وَوَبَّخَ، وَدَعَا إِلَى إِحْضَارِ مُمَكِّنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ، فَمِنْ مُعْتَرِفٍ بِمَا جَحَدَهُ، وَمُتَوَاقِحٍ يُلْقِي عَلَى فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتَابِهِ يَدُهُ.

وَلَمْ يُؤْثَرِ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَظْهَرَ خِلَافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتُبِهِ، وَلَا أَبْدَى صَحِيحًا وَلَا سَقِيمًا مِنْ صُحُفِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15]، الْآيَتَيْنِ.

فصل

[فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِالتَّحْدِي وَالتَّعْجِيزِ]

هَذِهِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ إِعْجَازِهِ بَيِّنَةٌ لَا نِزَاعَ فِيهَا وَلَا مَرِئَةَ.

وَمِنْ الْوُجُوهِ الْبَيِّنَةِ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْوُجُوهِ، آتِي وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ فِي قَضَايَا، وَإِعْلَامِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهَا، فَمَا فَعَلُوا، وَلَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ لِلْيَهُودِ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ [البقرة: 94]، الْآيَةُ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: «فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَكْثَرُ حُجَّةٍ، وَأَظْهَرُ دَلَالَةٍ عَلَى صِحَّةِ الرِّسَالَةِ، لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: ﴿فَتَمَتُّوا أَلَمُوتَ﴾ [البقرة: 94]، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَتُّوهُ أَبَدًا، فَلَمْ يَتَمَتَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ».

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَّا غُصَّ⁽¹⁾ بِرِيقِهِ»، يَعْنِي يَمُوتُ مَكَانَهُ، فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ تَمَتُّيهِ، وَجَزَّعَهُمْ لِيُظْهَرَ صِدْقَ رَسُولِهِ، وَصَحَّةَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَتَمَتَّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَكَانُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ أَحْرَصَ لَوْ قَدَرُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، فَظَهَرَتْ بِذَلِكَ مُعْجَزَتُهُ، وَبَانَ تَحُجَّتُهُ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ: «مَنْ أَعْجَبَ أَمْرُهُمْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا وَاحِدٌ مِنْ يَوْمٍ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ، وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ، وَهَذَا مَوْجُودٌ مَشَاهِدٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ مِنْهُمْ».

فصل هذه الوجه الأربعة

(1) (قوله: إِلَّا غُصَّ)، بالغين المعجمة والصاد المهملة.

وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى، حَيْثُ وَفَدَ عَلَيْهِ أَسَاقِفَةُ نَجْرَانَ⁽¹⁾ وَأَبَوْا الْإِسْلَامَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ [آل عمران: 61]، الْآيَةُ، فَاُمْتَنَعُوا مِنْهَا، وَرَضُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَاقِبَ عَظِيمُهُمْ قَالَ لَهُمْ: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّهُ مَا لَاعَنَ قَوْمًا نَبِيٌّ قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلَا صَغِيرُهُمْ».

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 24]، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ كَمَا كَانَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ أَدْخَلَ فِي بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ، وَلَكِنْ فِيهَا مِنَ التَّعْجِيزِ مَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا.

(1) (قوله: أَسَاقِفَةُ نَجْرَانَ)، الْأَسَاقِفَةُ: جمع أُسْقُفٍّ، بضم الهمزة وتشديد الفاء، وهو رئيس دين النصارى وقاضيهـم. ونَجْرَانُ: بفتح النون وسكون الجيم، منزل للنصارى بين مكة واليمن، على سبع⁽¹⁾ مراحل من مكة.

(1) نهاية اللوحة (44/ظ).

فصل

[فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ بِرَوْعَتِهِ فِي السَّمْعِ وَهَيْبَتِهِ فِي الْقُلُوبِ]

وَمِنْهَا الرُّوعَةُ الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعَهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَالْهَيْبَةُ الَّتِي تَغْتَرِيهِمْ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، لِقُوَّةِ حَالِهِ وَإِنَافَةِ خَطَرِهِ، وَهِيَ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ أَعْظَمُ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ سَمَاعَهُ وَيَزِيدُهُمْ نُفُورًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى، وَيَوْدُونَ انْقِطَاعَهُ لِكِرَاهَتِهِمْ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ صَعْبٌ مُسْتَصَعَّبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ، وَهُوَ الْحَكَمُ».

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَا تَزَالُ رَوْعَتُهُ بِهِ وَهَيْبَتُهُ إِثْبَاتًا مَعَ تِلَاوَتِهِ تُؤْلِيهِ انْجِدَابًا، وَتُكْسِبُهُ هَشَاشَةً⁽¹⁾، لِمَيْلِ قَلْبِهِ إِلَيْهِ، وَتَضْدِيقِهِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَقْشَعُرُهُمْ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23].

وَقَالَ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر: 21]، الْآيَةُ.

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا شَيْءٌ خُصَّ بِهِ، أَنَّهُ يَغْتَرِي مَنْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيهِ، وَلَا يَعْلَمُ تَفَاسِيرَهُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ نَضْرَانِي أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِيٍّ فَوَقَفَ يَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: مِمَّ بَكَيتَ؟ قَالَ: لِلشَّجَا⁽²⁾ وَالنَّظْمِ.

فصل ومنها الروعة

(1) (قوله: هَشَاشَةٌ)، في الصحاح: «هي الازْتِيَاخُ والخِفَّةُ للمعروف»⁽¹⁾.

(2) (قوله: لِلشَّجَا)، يقال شجاه يشجوه، إذا أحزنه.

وفى المجمل: «شَجَانِي، أَطْرَبَنِي»⁽²⁾.

(1) الصحاح (1028/3) مادة: هَشَشَ.

(2) مجمل اللغة لابن فارس (522/1) مادة: شَجَو.

وَهَذِهِ الرُّوعَةُ قَدْ اغْتَرَتْ جَمَاعَةً قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ لَهَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَآمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ.

فُحْكِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُوتُ﴾ (٣٥) ﴿الطُّور: 35﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْمُهَيِّطُونَ﴾ (٣٧) ﴿الطُّور: 37﴾، كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ لِلْإِسْلَامِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي».

وَعَنْ عُثْبَةَ بْنِ رِبِيعَةَ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِ قَوْمِهِ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ: ﴿حَمْرٌ﴾ [فصلت: 1] فَصَلَّتْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿صَعَقَةً مِثْلَ صَعَقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (١٣) [فصلت: 13]، فَأَمْسَكَ عُثْبَةُ بِيَدِهِ عَلَى فِي النَّبِيِّ ﷺ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفُفَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ، وَعُثْبَةُ مُضْغٌ مُلْقٍ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ عُثْبَةُ لَا يَذْرِي بِمِ يَرَا جَعُهُ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ فَأَعْتَذَرَ لَهُمْ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنَائِي بِمِثْلِهِ قَطُّ، فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ».

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ رَامَ مُعَارَضَتَهُ أَنَّهُ اغْتَرَتْهُ رُوعَةٌ وَهْيَةُ كَفَّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ، فُحْكِي أَنَّ ابْنَ الْمُقَفِّعِ⁽¹⁾ طَلَبَ ذَلِكَ وَرَامَهُ وَشَرَعَ فِيهِ، فَمَرَّ بِصِيبِي يَقْرَأُ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: 44]، فَارْجَعَ فَمَحَى مَا عَمِلَ، وَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا لَا يُعَارِضُ، وَمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ»، وَكَانَ مِنْ أَفْصَحِ أَهْلِ وَقْتِهِ.

(1) (قوله: ابْنُ الْمُقَفِّعِ)، ضبطه ابن ماکولا بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء بعدها مهملة، ولم يتعرض لحركة القاف⁽¹⁾.

(1) الإكمال لابن ماکولا (228/7).

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ الْغَزَالُ⁽¹⁾ بَلِيغَ الْأَنْدَلُسِ⁽²⁾ فِي زَمَنِهِ، فَحُكِيَ أَنَّهُ
رَامَ شَيْئًا مِنْ هَذَا، فَنَظَرَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِيَحْذُوَ عَلَى مِثَالِهَا، وَيَنْسِجَ
بِزَعْمِهِ عَلَى مِنْوَالِهَا، قَالَ: «فَاعْتَرَتْنِي مِنْهُ خَشْيَةٌ وَرَفَّةٌ حَمَلَتْنِي عَلَى التَّوْبَةِ
وَالْإِنَابَةِ».

(1) (قوله: الْغَزَالُ)، بفتح الغين المعجمة والزاي مخففة.

(2) (قوله: الْأَنْدَلُسِ)، المشهور فيه فتح الهمزة والdal، ويقال أيضا بضمهما.

فصل

[فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ بِبَقَائِهِ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا]

وَمِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْدُودَةِ كَوْنُهُ آيَةً بَاقِيَةً لَا تُعْدَمُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، مَعَ تَكْفُلِ اللَّهِ تَعَالَى بِحِفْظِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

وَقَالَ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42].

وَسَائِرُ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَضَتْ بِانْقِضَاءِ أَوْقَاتِهَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبَرُهَا، وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ الْبَاهِرُ آيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ مُعْجَزَاتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ مُدَّةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً لِأَوَّلِ نَزُولِهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا، حُجَّتُهُ فَاهِرَةٌ، وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةٌ، وَالْأَعْصَارُ كُلُّهَا طَافِحَةٌ بِأَهْلِ الْبَيَانِ وَحَمَلَةِ عِلْمِ اللِّسَانِ، وَأَثَمَةُ الْبَلَاغَةِ، وَفُرْسَانُ الْكَلَامِ وَجَهَابِدَةُ الْبَرَاعَةِ، وَالْمُلْحِدُ فِيهِمْ كَثِيرٌ، وَالْمُعَادِي لِلشَّرْعِ عَتِيدٌ، فَمَا مِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِشَيْءٍ يُؤْثِرُ فِي مُعَارَضَتِهِ، وَلَا أَلْفَ كَلِمَتَيْنِ فِي مُنَاقَضَتِهِ، وَلَا قَدَرَ فِيهِ عَلَى مَطْعَنِ صَحِيحٍ، وَلَا قَدَحَ الْمُتَكَلِّفِ مِنْ ذَهْنِهِ فِي ذَلِكَ إِلَّا بَزْنِدٌ⁽¹⁾ شَحِيحٌ، بَلِ الْمَأْثُورُ عَنْ كُلِّ مَنْ رَامَ ذَلِكَ الْقَاوُةُ فِي الْعَجْزِ بِيَدَيْهِ، وَالنُّكُوصُ عَلَى عَقْبَيْهِ.

(1) (قوله: إِلَّا بَزْنِدٌ)، بفتح الزاي وسكون النون.

في الصحاح: «وهو مَوْصِلُ طَرَفِ الذِّرَاعِ فِي الْكَفِّ، وَهُمَا زَنْدَانِ: الْكُوعُ وَالْكَرْسُوعُ، وَالزَّنْدُ أَيْضًا الْعُودُ الَّذِي يُفْدَحُ بِهِ النَّارُ، وَهُوَ الْأَعْلَى، وَالزَّنْدَةُ السُّفْلَى فِيهَا ثَقَبٌ، وَهِيَ الْأَنْثَى»⁽¹⁾، انتهى.

(1) الصحاح (481/2) مادة: الزند.

فَصْلٌ

[فِي وُجُوهِ الإِعْجَازِ الْآخَرَى]

وَقَدْ عَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَيْمَّةِ وَمُقَلِّدِي الْأُمَّةِ فِي إِعْجَازِهِ وَجُوهًا كَثِيرَةً، مِنْهَا أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمْلُهُ، وَسَامِعُهُ لَا يَمْجُهُ، بَلِ الْإِكْبَابُ عَلَى تِلَاوَتِهِ يَزِيدُهُ حَلَاوَةً، وَتَرْدِيدُهُ يُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةً، لَا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا، وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْحُسْنِ وَالْبَلَاغَةِ مَبْلَغَهُ يُمَلُّ مَعَ التَّرْدِيدِ، وَيُعَادَى إِذَا أُعِيدَ، وَكِتَابُنَا يُسْتَلَذُّ بِهِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَيُؤْنَسُ بِتِلَاوَتِهِ فِي الْأَزْمَاتِ⁽¹⁾، وَسِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذَلِكَ، حَتَّى أَحْدَثَ أَصْحَابُهَا لَهَا لُحُونًا وَطُرُقًا يَسْتَجْلِبُونَ بِتِلْكَ اللَّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَاءَتِهَا.

وَلِهَذَا وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ: «لَا يَخْلُقُ»⁽²⁾ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عِبْرَتُهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَرِيعُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْعِجْرُ حِينَ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾⁽³⁾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿[الجن: 2. 1]﴾.

وَمِنْهَا جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَمْ تَعْهَدِ الْعَرَبُ عَامَّةً وَلَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَبْلَ نُبُوتِهِ خَاصَّةً بِمَعْرِفَتِهَا وَلَا الْقِيَامَ بِهَا، وَلَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ، وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِهِمْ، فَجَمَعَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِلْمِ الشَّرَائِعِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى

(1) (قوله: فِي الْأَزْمَاتِ)، الْأَزْمَةُ بفتح الهمزة وسكون الزاي، الشدة.

(2) (قوله: لَا يَخْلُقُ)، بفتح أوله وضم ثالثة، أو بضم أوله وكسر ثالثة.

فِي الصَّحَاحِ: «خَلَقَ الثُّوبُ: بِالضَّمِّ، خُلُوقَةً، أَي بَلِي، وَأَخْلَقَ الثُّوبُ مِثْلَهُ، وَأَخْلَقْتُهُ أَنَا، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى»⁽¹⁾.

(1) الصَّحَاحُ (1472/4) مادة: خلق.

طُرِقَ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ، وَالرَّدِّ عَلَى فِرْقِ الْأُمَمِ بِبَرَاهِينٍ قَوِيَّةٍ وَأَدَلَّةٍ بَيِّنَةٍ، سَهْلَةً
الْأَلْفَاظِ مُوجِزَةً الْمَقَاصِدِ، رَامَ الْمُتَحَذِّلُونَ⁽¹⁾ بَعْدَ أَنْ يَنْصُبُوا أَدَلَّةً مِثْلَهَا فَلَمْ
يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ بَلَى﴾ [يس: 81].

و ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: 79].

و ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

إِلَى مَا حَوَاهُ مِنْ عُلُومِ السِّيَرِ، وَأَنْبَاءِ الْأُمَمِ، وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ، وَأَخْبَارِ
الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَحَاسِنِ الْأَدَابِ وَالشَّيْمِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ: ﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ
مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

و ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: 58].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ أَمْرًا وَزَاجِرًا، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا
مَضْرُوبًا، فِيهِ نَبُوءُكُمْ، وَخَبَرُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، لَا
يُخْلِقُهُ طَوْلُ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ قَالَ بِهِ
الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ،
صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ⁽²⁾، وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ⁽³⁾،

(1) (قوله: الْمُتَحَذِّلُونَ)، بالحاء المهملة.

يقال: حَذَلَقَ الرجل وتَحَذَلَقَ، إِذَا أَظْهَرَ الْحِذْقَ، وَادْعَى أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَهُ.

(2) (قوله: فَلَجَ)، بفتح الفاء واللام وبعدهما جيم.

في الصحاح: «الْفَلَجُ: الظَّفَرُ وَالْفَوْزُ»⁽¹⁾.

(3) (قوله: أَقْسَطَ)، أي عدل، وأما قسط فمعناه جار، وحكى يعقوب في كتاب
الأضداد أنه يأتي أيضا بمعنى عدل.

(1) الصحاح (335/1) مادة: فلج.

وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرٌ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مَنْ طَلَبَ
وَالنُّورَ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَحَبَلَ اللَّهُ الْمَتِينَ⁽¹⁾، وَالشِّفَاءَ النَّافِعَ،
عِصْمَةً لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةً لِمَنْ اتَّبَعَهُ، لَا يَغْوُجُ فَيَقْوَمَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ،
وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ.

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ فِيهِ: «وَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَّشَانُ⁽²⁾، فِيهِ نَبَأُ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ».

وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: «إِنِّي مُنَزَّلٌ عَلَيْكَ تَوْرَةً
حَدِيثَةً، تَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، فِيهَا يَنَابِيعُ الْعِلْمِ،
وَفَهُمُ الْحِكْمَةِ، وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ».

وَعَنْ كَعْبٍ: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعُقُولِ، وَنُورُ الْحِكْمَةِ».

(1) (قوله: وَحَبَلَ اللَّهُ الْمَتِينَ)، من المتانة وهي القوة.

وقال ابن الأثير: «حَبَلَ اللَّهُ نُورَ هُدَاهُ، وَقِيلَ: عَهْدُهُ وَأَمَانُهُ الَّذِي يُؤْمِنُ مِنْ
العذاب، والحبلُ العهدُ والميثاقُ»⁽¹⁾، انتهى.

(2) (قوله: وَلَا يَتَّشَانُ)، بشين معجمة وفي آخره نون مخففة، من الشَّانَ بفتح
النون وإسكانها مهموز، وهو البغض، شَأُهُ أَبْغَضَهُ⁽²⁾.

قال الهروي وابن الأثير: «وفي حديث ابن مسعود في صفة القرآن «وَلَا
يَتَّشَانُ»، معناه لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، مَأْخُودٌ مِنَ الشَّنِّ»⁽³⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث (332/1) مادة: حبل.

(2) [مخففة، من الشَّانَ.....شَأُهُ أَبْغَضَهُ] ساقط من (أ).

(3) الغريبين (1038/3)، والنهاية في غريب الحديث (507/2) مادة: شن.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

﴿٧٦﴾ [النمل: 76].

وَقَالَ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ [آل عمران: 138]، الآية.

فَجُمِعَ فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ أَلْفَاظِهِ وَجَوَامِعِ كَلِمِهِ، أَضْعَافُ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ،
الَّتِي أَلْفَاظُهَا عَلَى الضَّعْفِ مِنْهُ مَرَّاتٍ.

وَمِنْهَا: جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدْلُولِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اخْتَجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ
وَحُسْنِ وَضْفِهِ وَإِيْجَازِهِ وَبَلَغَتِهِ، وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْبَلََاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ
وَوَعِيدُهُ، فَالتَّالِي لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعًا مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ،
وَسُورَةٍ مُنْفَرَدَةٍ.

وَمِنْهَا: أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيْزِ الْمَنْظُومِ، الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَشْهُورِ،
لِأَنَّ الْمَنْظُومَ أَسْهَلُ عَلَى الثُّفُوسِ، وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ، وَأَسْمَعُ فِي الْأَذَانِ،
وَأَحْلَى عَلَى الْأَفْهَامِ، فَالِنَّاسُ إِلَيْهِ أَمِيلٌ، وَالْأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ.

وَمِنْهَا تَيْسِيرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ، وَتَقْرِيْبُهُ عَلَى مُتَحَفِّظِيهِ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 17]، وَسَائِرُ الْأَمَمِ لَا يَحْفَظُ كُتُبَهَا
الْوَاحِدَ مِنْهُمْ، فَكَيْفَ الْجَمَاءُ عَلَى مُرُورِ السِّنِينَ عَلَيْهِمْ، وَالْقُرْآنُ مُيسَّرٌ حِفْظُهُ
لِلْغُلَمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ.

وَمِنْهَا: مُشَاكَلَةُ بَعْضِ أَجْزَائِهِ بَعْضًا، وَحُسْنُ ائْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَالتَّيْسَامِ
أَقْسَامِهَا، وَحُسْنُ التَّخْلُصِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى، وَالْخُرُوجِ مِنْ بَابٍ إِلَى غَيْرِهِ
عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهِ، وَانْقِسَامِ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَخَبَرٍ
وَاسْتِخْبَارٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةٍ وَتَوْحِيدٍ وَتَفْرِيدٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ،
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ، دُونَ خَلَلٍ يَتَخَلَّلُ فُصُولُهُ.

وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ إِذَا اغْتَوَرَهُ مِثْلُ هَذَا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَلَآتَتْ جَزَالَتُهُ، وَقَلَّ رَوْنُكُهُ، وَتَقَلَّقَتْ أَلْفَاظُهُ، فَتَأَمَّلْ أَوَّلَ ﴿ص﴾ [ص: 1] وَمَا جُمِعَ فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْكُفَّارِ وَشِقَاقِهِمْ، وَتَقْرِيعِهِمْ بِإِهْلَاكِ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمَا ذُكِرَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَعْجِيبِهِمْ مِمَّا أَتَى بِهِ، وَالْخَبَرِ عَنِ اجْتِمَاعِ مَلِكِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْحَسَدِ فِي كَلَامِهِمْ، وَتَعْجِيزِهِمْ، وَتَوَهِينِهِمْ، وَوَعِيدِهِمْ بِخِزْيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَكْذِيبِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، وَإِهْلَاكِ اللَّهِ لَهُمْ، وَوَعِيدِ هَؤُلَاءِ مِثْلَ مُصَابِهِمْ، وَتَضْيِيرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَذَاهُمْ، وَتَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُودَ وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، كُلُّ هَذَا فِي أَوْجَزِ كَلَامٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ.

وَمِنْهُ الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي انْطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ.
وَهَذَا كُلُّهُ وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، إِلَى وُجُوهِ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الْأَيْمَةُ لَمْ نَذْكُرْهَا إِذْ أَكْثَرَهَا دَاخِلٌ فِي بَابِ بَلَاغَتِهِ، فَلَا نَحِبُّ أَنْ يُعَدَّ فَنَّا مُنْفَرِدًا فِي إِعْجَازِهِ، إِلَّا فِي بَابِ تَفْصِيلِ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ.
وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ، يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ لَا فِي إِعْجَازِهِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِعْجَازِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا، فَلْيُعْتَمَدْ عَلَيْهَا وَمَا بَعْدَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تَنْقُضِي، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

فَصْلٌ

فِي انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَحَبْسِ الشَّمْسِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۚ﴾ [القمر: 1 . 2]، أَخْبَرَ تَعَالَى بِوُقُوعِ انْشِقَاقِهِ بِلَفْظِ الْمَاضِي، وَإِعْرَاضِ الْكُفْرَةِ عَنْ آيَاتِهِ.

وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُقُوعِهِ.

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ مِنْ كِتَابِهِ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا الْأَصِيلِيُّ، حَدَّثَنَا الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَرَبَرِيُّ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ⁽¹⁾، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، وَسُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ⁽²⁾، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اشْهَدُوا».

وَفِي رِوَايَةٍ مُجَاهِدٍ: «وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ».

فِي بَعْضِ طُرُقِ الْأَعْمَشِ بِمَنْى.

(1) (قوله: مُسَدَّدٌ)، قال ابن الجوزي: «هو ابن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مطربل».

وذكر ابن ماكولا عن أبي علي الخالدي أنه مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن أرندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد⁽¹⁾ الأسدي⁽²⁾.

(2) (قوله: عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ)، بفتح الميم وسكون العين المهملة، عبد الله بن سَحْبَرَةَ، بفتح السين المهملة وسكون الخاء المعجمة.

(1) نهاية اللوحة (45/و).

(2) الإكمال في رفع الارياب لابن ماكولا (192/7).

وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْأَسْوَدُ وَقَالَ: «حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ بَيْنَ فُرْجَتَيْ الْقَمَرِ⁽¹⁾».

وَرَوَاهُ عَنْهُ مَسْرُوقٌ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ، وَزَادَ: «فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: سَحَرَكُمُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ⁽²⁾»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا إِنْ كَانَ سَحَرَ الْقَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسَحَرَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، فَاسْأَلُوا مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ هَلْ رَأَوْا هَذَا؟ فَاتَّوَا فَسَأَلُوهُمْ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ».

وَحَكَى السَّمُرْقَنْدِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ وَقَالَ: «فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا سِحْرٌ، فَابْعَثُوا إِلَى أَهْلِ الْأَفَاقِ حَتَّى تَنْظُرُوا، أَرَأَوْا ذَلِكَ أَمْ لَا؟ فَأَخْبَرَ أَهْلُ الْأَفَاقِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مُنَشَّقًا، فَقَالُوا - يَعْنِي الْكُفَّارَ -: ﴿سِحْرُ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: 2]».

رَوَاهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَقَمَةَ، فَهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ ابْنِ مَسْعُودٍ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، مِنْهُمْ: أَنَسٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عَمْرٍ، وَحُذَيْفَةُ، وَعَلِيٌّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ.

فَقَالَ عَلِيٌّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ الْأَرْحَبِيِّ⁽³⁾: «انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ».

(1) (قوله: فُرْجَتَيْ الْقَمَرِ)، يقال بينهما فُرْجَةٌ، بضم الفاء، أي انفراج، وأما بفتح الفاء فالتَّفْصِي عن الهم.

(2) (قوله: ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ)، قيل: أبو كبشة رجل تَأَلَّه قديمًا وفارق دين الجاهلية وعبد الشعري، فشبهت المشركون النبي ﷺ به، وقيل: كانت له عليه السلام أخت من الرضاعة تسمى كبشة، وكان أبوه مِنَ الرِّضَاعَةِ يَكْنَى بها، وقيل: كان في أجداده لأمه من يكنى بذلك.

(3) (قوله: الْأَرْحَبِيِّ)، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الحاء المهملة بعدها باء موحدة وياء للنسبة إلى قبيلة من همدان، وقيل: إلى مكان.

وَعَنْ أَنَسٍ: «سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ⁽¹⁾ بَيْنَهُمَا». رَوَاهُ عَنْ أَنَسٍ قَتَادَةُ.

وَفِي رِوَايَةٍ مَعْمَرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْهُ: «أَرَاهُمْ الْقَمَرَ مَرَّتَيْنِ⁽²⁾ انْشِقَاقَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾» [القمر: 1].

وَرَوَاهُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ، وَابْنُ ابْنِهِ جُبَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ. وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ. وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مُجَاهِدٌ.

وَرَوَاهُ عَنْ حُذَيْفَةَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَمُسْلِمٌ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْأَزْدِيُّ.

وَأَكْثَرُ طُرُقِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ صَحِيحَةٌ، وَالْآيَةُ مُصَرِّحَةٌ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى اعْتِرَاضِ مَخْذُولٍ، بَأَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا لَمْ يَخَفْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، إِذْ هُوَ شَيْءٌ ظَاهِرٌ لِحَمِيْعِهِمْ، إِذْ لَمْ يُنْقَلْ لَنَا عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ رَصَدُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَوْهُ انْشَقَّ.

(1) (قوله: حِرَاءَ)، بكسر المهملة يمد ويقصر ويذكر ويؤنث، جبل على ثلاثة أميال من مكة.

(2) (قوله: مَرَّتَيْنِ)، قال ابن قيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان: «إن المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى، وأكثر ما تستعمل في الأفعال، وأما الأعيان فكما جاء في الحديث «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ»⁽¹⁾، أي فَرَقَتَيْنِ، ولما خَفِيَ هذا على من لم يحط به علما زعم أن الانشقاق وقع مرة بعد مرة في زمانين، ولم يقع الانشقاق إلا مرة واحدة»⁽²⁾.

(1) رواه بهذا اللفظ الحاكم (3761)، وأبو يعلى (3254) عن أنس رضي الله عنه بسند صحيح.

(2) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (301/1).

وَلَوْ نُقِلَ إِلَيْنَا عَمَّنْ لَا يَجُوزُ تَمَالُؤُهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى الْكَذِبِ، لَمَا كَانَتْ عَلَيْنَا بِهِ حُجَّةٌ، إِذْ لَيْسَ الْقَمَرُ فِي حَدٍّ وَاحِدٍ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَدْ يَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى الْآخَرِينَ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْمٍ بِضِدِّ مَا هُوَ مِنْ مُقَابِلِهِمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، أَوْ يَحُولُ بَيْنَ قَوْمٍ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ أَوْ جَبَالٌ، وَلِهَذَا نَجِدُ الْكُسُوفَاتِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ دُونَ بَعْضٍ، وَفِي بَعْضِهَا جُزْئِيَّةً، وَفِي بَعْضِهَا كُلِّيَّةً، وَفِي بَعْضِهَا لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُدَّعُونَ لِعِلْمِهَا، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٦) [الأنعام: 96].

وَأَيَّةُ الْقَمَرِ كَانَتْ لَيْلًا، وَالْعَادَةُ مِنَ النَّاسِ بِاللَّيْلِ الْهُدُوُّ وَالشُّكُونُ، وَإِيجَافٌ^(١)، الْأَبْوَابِ، وَقَطْعُ التَّصَرُّفِ، وَلَا يَكَادُ يَعْرِفُ مِنْ أُمُورِ السَّمَاءِ شَيْئًا إِلَّا مَنْ رَصَدَ ذَلِكَ وَاهْتَبَلَ^(٢) بِهِ، وَلِذَلِكَ مَا يَكُونُ الْكُسُوفُ الْقَمَرِيُّ كَثِيرًا فِي الْبِلَادِ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُ بِهِ حَتَّى يُخْبَرَ، وَكَثِيرًا مَا يُحَدِّثُ الثَّقَاتُ بِعَجَائِبِ يُشَاهِدُونَهَا مِنْ أَنْوَارٍ وَنُجُومٍ طَوَالِ عِظَامٍ، تَظْهَرُ فِي الْأَحْيَانِ بِاللَّيْلِ فِي السَّمَاءِ وَلَا عِلْمَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهَا.

وَخَرَجَ الطَّحَاوِيُّ فِي مُشْكِلِ الْحَدِيثِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ^(٣) مِنْ طَرِيقَيْنِ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، فَلَمْ يُصَلِّ

(١) (قوله: وَإِيجَافٌ)، بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وتخفيف الجيم، مصدر أوجف، أي أغلق.

(٢) (قوله: وَاهْتَبَلَ)، بمثناة فوقية مفتوحة بعدها موحدة مفتوحة، أي تخيل.

(٣) (قوله: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ)، بضم العين المهملة وفي آخره سين مهملة.

قال ابن الجوزي في الموضوعات: «حديث رد الشمس في قصة علي موضوع بلا شك»^(١).

الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيٌّ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْزُقْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ، وَوَقَفْتُ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ بِالصَّهْبَاءِ⁽¹⁾ فِي خَيْبَرَ.

قَالَ: وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ ثَابِتَانِ، وَرَوَاتُهُمَا ثِقَاتٌ.

وَحَكَى الطَّحَاوِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ كَانَ يَقُولُ: «لَا يَنْبَغِي لِمَنْ سَبِيلُهُ الْعِلْمُ التَّخَلُّفُ عَنْ حِفْظِ حَدِيثِ أَهْلِ السَّمَاءِ، لِأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ».

وَرَوَى يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ فِي زِيَادَةِ الْمَغَازِي رَوَايَتَهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُخْبِرَ قَوْمُهُ بِالرُّفْقَةِ وَالْعَلَامَةِ الَّتِي فِي الْعِيرِ⁽²⁾ قَالُوا: مَتَى تَجِيءُ؟ قَالَ: يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ⁽³⁾، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفْتُ فُرُشَ يَنْظُرُونَ، وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ تَجِئْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

(1) (قوله: بِالصَّهْبَاءِ)، ممدودة، موضع على مرحلة من خَيْبَرَ.

(2) (قوله: فِي الْعِيرِ)، بكسر العين المهملة، هي في القافلة من الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات، ولا تسمى عيرا إلا إذا كانت كذلك.

(3) (قوله: يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ)، بثلاث الموحدة والأجود كسرهما، كذا في المحكم⁽¹⁾.

وقد حُبِسَتْ الشَّمْسُ لِيُوشَعَ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ فِي⁽²⁾ صَبِيحَةِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْخَنْدَقِ كَمَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي غَيْرِ الشِّفَاءِ، وَفِي قِصَّةِ عَلِيٍّ فِي حَدِيثِ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَحُبِسَتْ لِدَاوُدَ كَمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِي كِتَابِ النُّجُومِ⁽³⁾، وَضَعُفَ رَوَاتُهُ، نَقَلَهُ عَنْهُ مَغْلَطًا فِي سِيرَتِهِ، وَحُبِسَتْ لِسُلَيْمَانَ كَمَا ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي سُورَةِ ص⁽⁴⁾.

(1) انظر المحكم والمحيط الأعظم (143/2).

(2) نهاية اللوحة (45/ظ).

(3) انظر القول في علم النجوم للخطيب (ص: 199).

(4) انظر تفسير البغوي معالم التنزيل (68/4).

فصل

فِي نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكَثِيرِهِ بِبَرَكَتِهِ

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جَدًّا.

رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ: أَنَسٌ، وَجَابِرٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ.

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْفَقِيهَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي عِيسَى بْنُ سَهْلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمَرَ بْنُ الْفَخَّارِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى⁽¹⁾، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ. فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ⁽²⁾ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ.

قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ⁽³⁾ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى يَتَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ».

وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ قَتَادَةُ وَقَالَ: «بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، يَغْمُرُ أَصَابِعُهُ أَوْ لَا يَكَادُ يَغْمُرُ، قَالَ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: زُهَاءٌ⁽⁴⁾ ثَلَاثِمِائَةٍ».

(1) (قوله: حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى حَدَّثَنَا يَحْيَى)، الصواب حدثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ابن يحيى عن أبيه يحيى، لأن أبا عيسى إنما يروى عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه.

(2) (قوله: بِوُضُوءٍ)، بفتح الواو وقد تُضْمُ.

(3) (قوله: يَنْبُعُ)، بتثنية الموحدة.

(4) (قوله: زُهَاءٌ)، بضم الزاي والمد، أي قدر.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: «وَهُمْ بِالزُّورَاءِ⁽¹⁾ عِنْدَ السُّوقِ»
وَرَوَاهُ أَيْضًا حُمَيْدٌ وَثَابِتٌ وَالْحَسَنُ عَنْ أَنَسٍ.
وَفِي رِوَايَةٍ حُمَيْدٍ قُلْتُ: «كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: ثَمَانِينَ رَجُلًا».
وَنَحْوُهُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ.
وَعَنْهُ أَيْضًا «وَهُمْ نَحْوُ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا».

وَأَمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ فَفِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةٍ عُلْقَمَةُ عَنْهُ: «بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اطْلُبُوا مِنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ، فَأَتَيْتُ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يُنبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ وَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ. فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يُفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ».

وَفِيهِ: «فَقُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةً أَلْفٍ لَكَفَّانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً».

وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ جَابِرٍ وَفِيهِ «أَنَّهُ كَانَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ فِي حَدِيثِ مُسْلِمِ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، نَادِ الْوُضُوءَ».

(1) (قوله: بِالزُّورَاءِ)، بفتح الزاي والمد، مكان قريب من المسجد.

قال الدَّوْدِيُّ: «هو مرتفع كالمنار».

وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ، «وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءٍ شَجَبٍ⁽¹⁾ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَعَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَقَالَ: نَادِ بِجَفْنَةِ الرُّكْبِ، فَأَتَيْتُ بِهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ، وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ، وَصَبَّ جَابِزٌ عَلَيْهِ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يُفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ⁽²⁾ حَتَّى امْتَلَأَتْ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقَاءِ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوَوْا، فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى».

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بِإِدَاوَةٍ⁽³⁾ مَاءٍ وَقِيلَ: مَا مَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاءٌ غَيْرُهَا، فَسَكَبَهَا فِي رُكْوَةٍ، وَوَضَعَ إِصْبَعَهُ وَسَطَهَا وَغَمَسَهَا فِي الْمَاءِ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَجِيئُونَ وَيَتَوَضَّؤُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «وَفِي الْبَابِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ».

وَمِثْلُ هَذَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الْحَفَلَةِ وَالْجُمُوعِ الْكَثِيرَةِ لَا تَتَطَرَّقُ التَّهْمَةُ إِلَى الْمُحَدِّثِ بِهِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مِمَّنْ لَا يَسْكُتُ عَلَى بَاطِلٍ، فَهَؤُلَاءِ قَدْ رَوَوْا هَذَا وَأَشَاعُوهُ، وَنَسَبُوا حُضُورَ الْجَمَاءِ الْعَفِيرِ لَهُ، وَلَمْ يُنَكِّرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ وَشَاهَدُوهُ، فَصَارَ كَتَّصْدِيقٍ جَمِيعِهِمْ لَهُ.

(1) (قوله: فِي عَزْلَاءٍ شَجَبٍ)، العزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاي والمد، فم المزايدة الأسفل، والجمع عزالي بكسر اللام وفتحها، والشَجَبُ بفتح الشين المعجمة وسكون الجيم وفي آخره موحدة، مَا قَدَّمَ مِنَ الْقَرَبِ مِثْلُ الشِّنِ.

(2) (قوله: ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ)، فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ»⁽¹⁾.

(3) (قوله: بِإِدَاوَةٍ)، بكسر الهمزة وتخفيف الدال المهملة، أَي مَطْهَرَةٌ.

فَصْلٌ

[فِي تَفْجِيرِ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ]

وَمِمَّا يُشَبِّهُ هَذَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ، تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ، وَابْتِعَاثُهُ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ.

فِيمَا رَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوطَأِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ «وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا الْعَيْنَ وَهِيَ تَبْضُ⁽¹⁾ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ مِثْلِ الشَّرَاكِ، فَعَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَأَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ، فَاسْتَقَى النَّاسُ».

قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: «فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ مَا لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جَنَانًا».

وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَحَدِيثُهُ أَتَمُّ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَهُمْ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً، وَبِئْرُهَا لَا تَزُولُ خَمْسِينَ شَأَةً⁽²⁾، فَتَزَحْنَاهَا فَلَمْ فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبَاهَا⁽³⁾».

فصل ومما يشبه هذا

(1) (قوله: تَبْضُ⁽¹⁾)، من البصيص، بالصاد المهملة، وهو البريق واللمعان، وبالضاد المعجمة، القطر والسيلان القليل.

(2) (قوله: خَمْسِينَ شَأَةً)، قال الْمِزِّيُّ: «المعروف عند أهل الحديث خمسين أشاة، والأشاة النخلة الصغيرة».

(3) (قوله: عَلَى جَبَاهَا)، بفتح الجيم وتخفيف الموحدة والقصر، أي ما حول فمها.

(1) كذا أورده الشارح بالصاد المهملة، وفي بعض النسخ «تَبْضُ» بالمعجمة، قال الملا علي القاري في شرح الشفا (601/1) «بكسر الموحدة وتشديد المهملة، أي تلمح وتلمع، أو المعجمة أي تقطر وتسيل، واختاره النووي».

قَالَ الْبَرَاءُ: «وَأُوتِيَ بَدَلُ مِنْهَا فَبَصَقَ فِدْعًا».

وَقَالَ سَلَمَةُ: «فَإِمَّا دَعَا وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا، فَجَاشَتْ⁽¹⁾، فَأَزَوْوا أَنْفُسَهُمْ وَرَكَابَهُمْ».

وَفِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ شِهَابٍ فِي الْحُدَيْيَةِ: «فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي قَعْرِ قَلِيبٍ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ، فَرُوي النَّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطْنٍ⁽²⁾».

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَذَكَرَ «أَنَّ النَّاسَ شَكُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَدَعَا بِالْمِيضَاءِ⁽³⁾ فَجَعَلَهَا فِي ضَبْنِهِ⁽⁴⁾، ثُمَّ التَّقَمَ فَمَهَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ نَفَثَ⁽⁵⁾ فِيهَا أَمْ لَا، فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوْوا وَمَلَّؤُوا كُلَّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ فَخِيلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي، وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا».

وَرَوَى مِثْلُهُ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ.

(1) (قوله: فَجَاشَتْ)، بالجيم والشين المعجمة، أي فارت وارتفعت.

(2) (قوله: حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطْنٍ)، أي رَووا ورويت إبلهم حتى بركت، لأن عطن الإبل مباركها، وذلك حول الماء، حتى تعاد إلى الشرب.

(3) (قوله: بِالْمِيضَاءِ)، بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الضاد المعجمة وهمزة، هي آلة الوضوء.

(4) (قوله: ضَبْنِهِ)، بكسر الضاد المعجمة وسكون الموحدة بعدها نون فهاء للضمير، والضَبْنُ ما بَيْنَ الكَشْحِ إِلَى الإِبْطِ، قاله الخطابي في⁽¹⁾ غريب الحديث⁽²⁾.

(5) (قوله: نَفَثَ)، أي نَفَخَ لَا رِيْقَ مَعَهُ.

(1) نهاية اللوحة (46/و).

(2) غريب الحديث للخطابي (271/1).

وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ حَدِيثَ أَبِي قَتَادَةَ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ بِهِمْ مُمِدًّا لِأَهْلِ مُؤْتَةٍ⁽¹⁾ عِنْدَمَا بَلَغَهُ قَتْلُ الْأَمْرَاءِ».

وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ مُعْجَزَاتُ وَآيَاتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ إِغْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ يَفْقِدُونَ الْمَاءَ فِي غَدٍ، وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِيضَاءِ، قَالَ: «وَالْقَوْمُ زُهَاءٌ⁽²⁾ ثَلَاثِمِائَةٍ».

وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ: «اخْفِظْ عَلَيَّ مِيضَاتَكَ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ»، وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ حِينَ أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ فِي بَعْضِ أَشْفَارِهِمْ، فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ⁽³⁾ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ⁽⁴⁾، الْحَدِيثُ، «فَوَجَدَاهَا وَأَتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ فِي إِنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ، ثُمَّ فُتِحَتْ عَزَالِيَهُمَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَمَلَّوْا أَسْقَيْتَهُمْ حَتَّى لَمْ يَدْعُوا شَيْئًا إِلَّا مَلَّوْهُ».

قَالَ عِمْرَانُ: وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَمْ تَزِدَا إِلَّا امْتِلَاءً، ثُمَّ أَمَرَ فَجُمِعَ لِلْمَرْأَةِ مِنَ الْأَرْوَادِ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهَا وَقَالَ: اذْهَبِي، فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَقَانَا»، الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ.

(1) (قوله: لِأَهْلِ مُؤْتَةٍ)، بضم الميم وسكون الهمزة، وقد تُبْدَلُ واوا.

(2) (قوله: وَالْقَوْمُ زُهَاءٌ)، قال المِزِّي: «الوجه نصب زهاء، ولكن أهل الحديث يرفعونه».

(3) (قوله: وَجَّهَ رَجُلَيْنِ)، هما عُمَيْرُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

(4) (قوله: مَزَادَتَانِ)، المَزَادَةُ: بفتح الميم وتخفيف الزاي، أكبر من القربة.

قال ابن قرقول: «وقيل: ما زيد فيه جلد ثالث بين جلدَيْنِ لِيَتَسَعَ»⁽¹⁾.

(1) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (199/3) في الرأ مع الواو.

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مِنْ وَضوءٍ؟ فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُطْفَةٌ⁽¹⁾ فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ، فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا نُدْغِفُهُ⁽²⁾» دَغْفَقَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً.

وَفِي حَدِيثٍ عُمَرَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ⁽³⁾، وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَطَشِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعَصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرِبُهُ، فَرَغِبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّعَاءِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يُزِجْهُمَا حَتَّى قَالَتْ السَّمَاءُ فَاَنْسَكَبَتْ، فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آيَةٍ، وَلَمْ تُجَاوِزِ الْعُسْكَرَ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ «أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَدِيفُهُ بِذِي الْمَجَازِ⁽⁴⁾: «عَطِشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ، فَزَلَّ النَّبِيُّ ﷺ وَضَرَبَ بِقَدَمِهِ الْأَرْضَ فَخَرَجَ الْمَاءُ فَقَالَ: اشْرَبْ».

وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ، وَمِنْهُ الْإِجَابَةُ بِدُعَاءِ الْإِسْتِسْقَاءِ وَمَا جَانَسَهُ.

(1) (قوله: فِيهَا نُطْفَةٌ)، أَي شَيْءٌ يَسِيرُ.

(2) (قوله: نُدْغِفُهُ)، مِنْ الدَّغْفَقَةِ، بِالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ وَالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْفَاءِ فَالْقَافِ⁽¹⁾، وَهِيَ الصَّبُّ الشَّدِيدُ.

(3) (قوله: فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ)، يَعْنِي غَزْوَةَ تَبُوكَ.

(4) (قوله: بِذِي الْمَجَازِ)، بِالْمِيمِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْجِيمِ الْمَخْفُفَةِ وَالزَّايِ، سَوْقٌ عِنْدَ عَرَفَةَ، مِنْ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ.

(1) [وَالْفَاءُ فَالْقَافُ] سَاقِطٌ مِنْ (أ).

فصل

[فِي تَكْثِيرِ الطَّعَامِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ ﷺ]

وَمِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنَا الْعُذْرِيُّ، حَدَّثَنَا الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا الْجُلُودِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ سُقْيَانَ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَغَيْنٍ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ بِكُمْ».

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ الْمَشْهُورِ وَإِطْعَامُهُ ﷺ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنْسٌ تَحْتَ يَدِهِ، أَيْ إِبْطِهِ، فَأَمَرَ بِهَا فَفُتَّتْ وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ».

وَحَدِيثُ جَابِرٍ فِي إِطْعَامِهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ صَاعٍ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ. وَقَالَ جَابِرٌ: «فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَكُلُوا حَتَّى تَرْكُوهُ وَانْحَرْفُوا، وَإِنْ بُزِمْتَنَا لَتَعْطُ كَمَا هِيَ، وَإِنْ عَجِينَنَا لِيُخَبِّرْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَقَ فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةِ وَبَارَكَ»، رَوَاهُ عَنْ جَابِرٍ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ⁽¹⁾ وَأَيْمَنُ⁽²⁾.

وَعَنْ ثَابِتٍ مِثْلُهُ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَامْرَأَتِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِمَا، قَالَ: «وَجِيءَ بِمِثْلِ الْكَفِّ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْسُطُهَا فِي الْإِنَاءِ وَيَقُولُ مَا شَاءَ

فصل ومن معجزاته

- (1) (قوله: بَنُ مِينَاءَ)، بكسر الميم والمد أو القصر.
 - (2) (قوله: وَأَيْمَنُ)، هو أَيْمَنُ الحبشي المكي، والد عبد الواحد بن أَيْمَن، مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْمَخْزُومِي.
- وَفِي كِتَابِ ابْنِ حَبَانَ: «إِنَّهُ أَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنٍ مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽¹⁾.
- وَرَدَّ بَأْنَ أَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنٍ قَتَلَ فِي حَنِينٍ.

(1) الثقات لابن حبان (47/4 رقم: 1769).

اللَّهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ فِي الْبَيْتِ وَالْحُجْرَةِ وَالْدَّارِ، وَكَانَ ذَلِكَ قَدْ امْتَلَأَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَهُ ﷺ لِذَلِكَ، وَبَقِيَ بَعْدَ مَا شَبِعُوا مِثْلُ مَا كَانَ فِي الْإِنَاءِ».

وَحَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءً مَا يَكْفِيهِمَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ، فَدَعَاهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ سِتِينَ، فَكَانَ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ سَبْعِينَ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْهُ، وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ. قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي مِائَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا».

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ: «أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِقِصْعَةٍ⁽¹⁾ فِيهَا لَحْمٌ، فَتَعَاقَبُوهَا مِنْ غَدُوءٍ حَتَّى اللَّيْلِ، يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ».

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً»، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ «أَنَّهُ عَجَنَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ، وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشَوِي سَوَادٌ بَطْنُهَا⁽²⁾»، قَالَ: وَائِمُ اللَّهُ، مَا مِنْ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حَزَّةٌ⁽³⁾ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قِصْعَتَيْنِ، فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَفَضَلَ⁽⁴⁾ فِي الْقِصْعَتَيْنِ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ».

(1) (قوله: بِقِصْعَةٍ)، بفتح القاف.

(2) (قوله: سَوَادٌ بَطْنُهَا)، هو الكبد، وقيل: حشوا البطن كله.

(3) (قوله: حَزَّةٌ)، بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي، القطعة المحزوزة، وبفتح الحاء، المرة من الحز.

(4) (قوله: وَفَضَلَ)، قال الصِّمَرِيُّ: «فَضَلَ يُفْضَلُ بفتح العين في الماضي وضمها في المستقبل، من الفضل، وهو السُّودُّ، وبالكسر في الماضي والفتح⁽¹⁾ في المستقبل، من الفضلة، وهي بقية الشيء».

وفي الصحاح: «فَضَلَ مِنْهُ شَيْءٌ، مِثْلُ دَخَلَ يَدْخُلُ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى: فَضَلَ يُفْضَلُ، مِثْلُ حَذَرَ يَحْذَرُ»⁽²⁾.

(1) كذا ذكر، والصواب بالضم، وقد نقل الزبيدي في تاج العروس (172/30) قول الصيمري ونصه: «وَقَالَ الصِّمَرِيُّ فِي كِتَابِ الْبَصَرَةِ لَهُ: فَضَلَ يُفْضَلُ كَنَصَرٍ يُنْصَرُ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي هُوَ السُّودُّ، وَفَضَلَ يُفْضَلُ بِكسرها في الماضي وضمها في المضارع من الفضلة وهي بقية الشيء».

(2) الصحاح (1791/5) مادة: فضل.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ، وَمِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «فَذَكِّرُوا مَحْمَصَةً»⁽¹⁾ أَصَابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثِيَةِ⁽²⁾ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ، وَأَعْلَاهُمْ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ الثَّمَرِ، فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ⁽³⁾.

قَالَ سَلَمَةُ: فَحَزَرْتُهُ كَرْبُضَةً⁽⁴⁾ الْعُزْرِ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَغَاءٌ إِلَّا مَلُؤُوهُ، وَبَقِيَ مِنْهُ قَدْرٌ مَا جَعَلَ وَأَكْثَرُ، وَلَوْ وَرَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَكَفَّاهُمْ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَدْعُو لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ»⁽⁵⁾، فَتَبَعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَّغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ».

(1) (قوله: مَحْمَصَةً)، أي مجاعة.

(2) (قوله: بِالْحَثِيَةِ)، بفتح الحاء المهملة، من حَثَى يَحْثِي.

(3) (قوله: عَلَى نِطْعٍ)، يجوز فيه فتح النون وكسرها، مع سكون الطاء وفتحها، فهذه أربع لغات، أفصحها كسر النون وفتح الطاء.

(4) (قوله: كَرْبُضَةً)، بفتح الراء وسكون الموحدة.

وقال ابن دريد: «بكسر الراء، يقال: رَبَضْتُ الْغَنَمَ تَرْبُضٌ بِالْكَسْرِ رُبُوضًا، وهو من البقر والغنم والفرس»⁽¹⁾ والكلب، مثل الْبُرُوكِ من الإبل، والجُثُوم من الطير».

(5) (قوله: أَهْلَ الصُّفَّةِ)، في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ»⁽²⁾، وَعَدَّ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ مِنْهُمْ مِائَةً وَنِيفًا، وَفِي عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ لِلْسَهْرُورِيِّ إِنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ⁽³⁾.

(1) نهاية اللوحة (46/ظ).

(2) صحيح البخاري (47/442 رقم: 1769) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) انظر حلية الأولياء (337/1 . 385) و (78 . 1/2).

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ، مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذْعَةَ وَيَشْرَبُونَ الْفَرْقَ، فَصَنَعَ لَهُمْ مِدًّا مِنْ طَعَامٍ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ، ثُمَّ دَعَا بُعَيْسَ⁽¹⁾ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا، وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ».

وَقَالَ أَنَسٌ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ ابْتَنَى بَزَيْنَبَ⁽²⁾ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو لَهُ قَوْمًا سَمَاهُمْ، وَكُلَّ مَنْ لَقِيتُ، حَتَّى امْتَلَأَ الْبَيْتُ وَالْحُجْرَةُ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ تَوْرًا⁽³⁾ فِيهِ قَدْرٌ مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ، جَعَلَ حَيْسًا⁽⁴⁾ فَوَضَعَهُ قُدَّامَهُ وَغَمَسَ ثَلَاثَ أَصَابِعِهِ وَجَعَلَ الْقَوْمَ يَتَعَدُّونَ⁽⁵⁾ وَيَخْرُجُونَ، وَبَقِيَ التَّوْرُ نَحْوًا مِمَّا كَانَ، وَكَانَ الْقَوْمُ أَحَدًا أَوْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ».

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ مِثْلِهَا «إِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ، وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَقَالَ لِي: ارْفَعْ، فَلَا أَدْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ».

(1) (قوله: بُعَيْسٌ)، بضم العين وتشديد السين المهملتين، هو قَدَحٌ ضخم.

(2) (قوله: ابْتَنَى بَزَيْنَبَ)، المعروف أن ذلك لما ابتنى بصفية.

وفى شرح مسلم للمصنف: «إن الراوي أدخل قصة في قصة»⁽¹⁾.

(3) (قوله: تَوْرًا)، بالمشناة الفوقية، وهو إناء شبه قدح من حجارة.

(4) (قوله: حَيْسًا) بفتح المهملة وسكون المشناة التحتيّة بعدها سين مهملة، هو تمر وسمن وأقط.

وقال ابن وضاح: «هو التمر يُنَزَعُ نَوَاهُ وَيُخْلَطُ بِالسَّوْبِقِ».

(5) (قوله: يَتَعَدُّونَ)، من الغداء، بفتح الغين المعجمة والذال المهملة والمد، وهو الطعام نفسه، خلاف العشاء، لما في صحيح مسلم: «فَدَعَا بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ»⁽²⁾، وأما الغداء بكسر الغين وبالذال المعجمتين والمد، هو ما يُتَغَذَّى بِهِ من الطعام والشراب.

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم (602/4).

(2) رواه مسلم (1428) ولفظه: «فَدَعَا النَّاسَ لِلطَّعَامِ بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ».

وَفِي حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ فَاطِمَةَ طَبَخَتْ قِدْرًا لِغَدَائِهِمَا وَوَجَّهَتْ عَلَيْهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَتَغَدَّى مَعَهُمَا، فَأَمَرَهَا فَعَرَفَتْ مِنْهَا لِجَمِيعِ نِسَائِهِ صَحْفَةً صَحْفَةً، ثُمَّ لَهُ ﷺ وَلِعَلِّي ثُمَّ لَهَا، ثُمَّ رَفَعَتِ الْقِدْرَ وَإِنَّهَا لَتَفِيضُ، قَالَتْ: فَأَكَلْنَا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ».

وَأَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنْ يُزَوِّدَ أَرْبَعِمِائَةَ رَاكِبٍ مِنْ أَحْمَسَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هِيَ إِلَّا أَضْوُعُ⁽¹⁾، قَالَ: اذْهَبْ، فَذَهَبَ فَرَزَوْدَهُمْ مِنْهُ، وَكَانَ قَدْرَ الْفَصِيلِ الرَّابِضِ مِنَ التَّمْرِ، وَبَقِيَ بِحَالِهِ⁽²⁾، مِنْ رِوَايَةِ دُكَيْنٍ⁽²⁾ الْأَحْمَسِيِّ، وَمِنْ رِوَايَةِ جَرِيرٍ.

وَمِثْلُهُ مِنْ رِوَايَةِ الثُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ، الْخَبَرُ بِعَيْنِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «أَرْبَعِمِائَةَ رَاكِبٍ مِنْ مُرَيْنَةَ».

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرٍ فِي دَيْنِ أَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَقَدْ كَانَ بَذَلَ لِعُرْمَاءِ أَبِيهِ أَضْلَ مَالِهِ فَلَمْ يَقْبَلُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ثَمَرِهَا سَتَتَيْنِ كِفَافٍ دَيْنَهُمْ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ بِجَدِّهَا⁽³⁾ وَجَعَلَهَا بَيَادِرَ فِي أَصُولِهَا، فَمَشَى فِيهَا وَدَعَا، فَأَوْفَى مِنْهُ جَابِرٌ غُرْمَاءَ أَبِيهِ وَفَضَلَ مِثْلُ مَا كَانُوا يَجِدُونَ كُلَّ سَنَةٍ».

(1) (قوله: أَضْوُعُ)، بضم الواو، جمع صاع.

وفي الصحاح: «وإن شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة»⁽¹⁾.

(2) (قوله: دُكَيْنٍ)، بضم الدال المهملة وفتح الكاف، هو ابن سعيد بفتح السين، ويقال: بضمها، ويقال: ابن سَعْدٍ، له صحبة، وحديث في أبي داود في الأدب⁽²⁾.

(3) (قوله: بِجَدِّهَا)، بالجيم والدال المهملة، أي قطعها، ومنه ثوب جديد، بمعنى مجدود، كأنه حين جده الجائك أي قطعه.

(1) الصحاح (1245/3) مادة: صوع.

(2) الحديث رواه الحميدي (917)، وابن أبي شيبة (672)، وأحمد (17576)، وأبو داود (5238)،

وابن حبان (6528) عن دُكَيْنِ بن سعيد المُرْنِيِّ بسند صحيح.

وَفِي رِوَايَةٍ «مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ، قَالَ: وَكَانَ الْغُرَمَاءُ يَهُودَ فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَصَابَ النَّاسَ مَحْمَصَةٌ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ قُلْتُ: شَيْءٌ مِنَ التَّمْرِ فِي الْمَزُودِ⁽¹⁾، قَالَ: فَأَتَيْتَنِي بِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قُبْضَةً⁽²⁾، فَبَسَطَهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ عَشْرَةَ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ عَشْرَةَ كَذَلِكَ، حَتَّى أَطْعَمَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ وَشَبِعُوا، قَالَ: خُذْ مَا جِئْتُ بِهِ وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَاقْبِضْ مِنْهُ وَلَا تَكْبَهُ، فَقَبِضْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا جِئْتُ بِهِ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَأَطْعَمْتُ حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَى أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ⁽³⁾، فَانْتَهَبَ مِنِّي فَذَهَبَ».

وَفِي رِوَايَةٍ «فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وَذُكِرَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَأَنَّ التَّمَرَ كَانَ بِضْعَ عَشْرَةَ تَمْرَةً.

وَمِنْهُ أَيْضًا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حِينَ أَصَابَهُ الْجُوعُ، فَاسْتَتَبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ قَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو أَهْلَ الصُّفَّةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا اللَّبَنُ فِيهِمْ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أَصِيبَ مِنْهُ شُرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَدَعَوْتُهُمْ، وَذَكَرَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ، فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْرِبُ حَتَّى يَزُودَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ الْآخَرُ حَتَّى رُويَ جَمِيعُهُمْ.

قَالَ: فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَدَحَ وَقَالَ: بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ، اقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ: اشْرَبْ، وَمَا زَالَ يَقُولُهَا وَأَشْرَبُ حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ».

(1) (قوله: فِي الْمَزُودِ)، بكسر الميم وسكون الزاي، ما يجعل فيه الزاد.

(2) (قوله: قُبْضَةً)، بفتح القاف المرة، وبضمها، الشيء المقبوض.

(3) (قوله: إِلَى أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ)، كان قتله⁽¹⁾ في سنة خمس وثلاثين.

(1) [قتله] ساقط من (أ).

وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى «أَنَّهُ أَجْزَرَ النَّبِيِّ ﷺ شَاةً⁽¹⁾، وَكَانَ عِيَالُ خَالِدٍ كَثِيرًا، يَذْبَحُ الشَّاةَ فَلَا تُبَدُّ⁽²⁾، عِيَالُهُ عَظْمًا عَظْمًا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ وَجَعَلَ فَضْلَتَهَا فِي دَلْوِ خَالِدٍ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، فَتَشَرَ ذَلِكَ لِعِيَالِهِ، فَأَكَلُوا وَأَفْضَلُوا»، ذَكَرَ خَبْرَهُ الدُّوَلَابِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ الْأَجْرِيِّ فِي إِنْكَاحِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ فَاطِمَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِأَلَا بِقُصْعَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ أَوْ خَمْسَةٍ، وَيَذْبَحُ جُزُورًا لَوْلِيَمَتِهَا، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِذَلِكَ، فَطَعَنَ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ أَذْخَلَ النَّاسَ رُفْقَةً رُفْقَةً يَأْكُلُونَ مِنْهَا حَتَّى فَرَّغُوا، وَبَقِيََتْ مِنْهَا فَضْلَةٌ، فَبَرَكَ فِيهَا وَأَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى أَزْوَاجِهِ وَقَالَ: كُلُّنَا وَأَطْعِمُنَا مِنْ غَشِيكُنَّ».

(1) (قوله: أَجْزَرَ النَّبِيِّ ﷺ شَاةً)، بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الزاي بعدها راء.

قال ابن السكيت: «يقال: أَجْزَرْتُ القوم، إذا أعطيتهم شاة يذبحونها، نعجة أو كبشا أو عنزا».

قَالَ: «وَلَا تَكُونُ الْجَزْرة إِلَّا من الغنم، ولا يقال: أَجْزَرْتُهُمْ ناقة، لأنها قد تصلح لغير الذبح»⁽¹⁾.

(2) (قوله: تُبَدُّ)، بضم⁽²⁾ المثناة الفوقية وكسر الموحدة.

في الصحاح: «والبِدَّة بالكسر، النصيب، تقول منه: أَبَدَّ بينهم العطاء، أي أعطى كُلَّ واحدٍ منهم بِدَّتَهُ، أي نصيبه»⁽³⁾.

(1) إصلاح المنطق لابن السكيت (ص: 194).

(2) نهاية اللوحة (47/و).

(3) الصحاح (444/2) مادة: بدد.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ضَعُوهُ وَأَذْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتَ، فَدَعَوْتُهُمْ، وَلَمْ أَدْعُ أَحَدًا لَقِيتُهُ إِلَّا دَعَوْتُهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ حَتَّى مَلَأُوا الصُّفَّةَ وَالْحُجْرَةَ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: تَحَلَّقُوا عَشْرَةَ عَشْرَةَ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ فَدَعَا فِيهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا كُلُّهُمْ، فَقَالَ لِي ارْفَعْ: فَمَا أَذْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ».

وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَذِهِ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي الصَّحِيحِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى حَدِيثِ هَذَا الْفَصْلِ بِضْعَةُ عَشَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ، رَوَاهُ عَنْهُمْ أَضْعَافُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، ثُمَّ مِنْ لَا يَنْعَدُ بَعْدَهُمْ.

وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصِ مَشْهُورَةٍ وَمَجَامِعِ مَشْهُودَةٍ، وَلَا يُمَكِّنُ التَّحَدُّثُ عَنْهَا إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أُتِيَ مِنْهَا.

فصل

فِي كَلَامِ الشَّجَرِ وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَاجَابَتِهَا دَعْوَتَهُ

قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ غَلْبُونِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ فِيمَا أَجَازَنِيهِ⁽¹⁾، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الطَّلَمَنْكِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمُهَنْدِسِ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ⁽²⁾، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ الْأَخْنَسِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ⁽³⁾، التِّيمِيُّ وَكَانَ صَدُوقًا، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيٌّ، أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّجَرَةُ السَّمُرَةُ⁽⁴⁾ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلْتُ تَخُذُ⁽⁵⁾ الْأَرْضَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَكَانِهَا».

فصل في كلام الشجر

- (1) (قوله: فِيمَا أَجَازَنِيهِ)، هذه لغة حكاها ابن فارس، والمعروف أجازه لي.
- (2) (قوله: عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ)، هو الحافظ الكبير المسند، البغوي الأصل، مولده سنة أربع عشرة ومائتين، وعاش مائة وثلاث سنين.
- (3) (قوله: أَبُو حَيَّانَ)، بفتح الحاء المهملة بعدها مثناة تحتية مشددة.
- وعن المَرْزِيِّ: «أنه سقط بين أَحْمَدَ بْنِ عِمْرَانَ الْأَخْنَسِيِّ وبين أَبِي حَيَّانِ التِّيمِيِّ رجل، ولعله يكون محمد بن فُضَيْل».
- ثم قال: «بل هو مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، فإنه يروي عنه، وأما الْأَخْنَسِيُّ فلم يدرك أبا حَيَّانَ».

(4) (قوله: السَّمُرَةُ)، بضم الميم، شجرة من شجر الطلع.

(5) (قوله: تَخُذُ)، بضم الخاء المعجمة، أي تَشُقُّ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ: سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَقَالَ لَهُ: قُلْ لِّتِلْكَ الشَّجَرَةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكِ، قَالَ: فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلْفَهَا فَتَقَطَّعَتْ عُرْوَقُهَا، ثُمَّ جَاءَتْ تَحْدُ الْأَرْضِ تَجْرُ عُرْوَقَهَا مُعْبَرَةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعِ إِلَى مَنْبَتِهَا، فَرَجَعَتْ، فَدَلَّتْ عُرْوَقَهَا فَاسْتَوَتْ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: ائْذَنْ لِي أَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرِجْلِهَا، قَالَ فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقْبَلَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ، فَأَذَنْ لَهُ».

وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّوِيلِ: «ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُضْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَحْشُوشِ⁽¹⁾ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ فَعَلَ بِالْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصِفِ⁽²⁾ بَيْنَهُمَا قَالَ: التَّمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَالْتَأَمَتَا».

(1) (قوله: الْمَحْشُوشُ)، بخاء وشينين معجمات، هو البعير يجعل في أنفه الخشاش، بكسر الخاء المعجمة، وهو عود يربط عليه حبل ويدخل في عظم أنف البعير لينقاد.

(2) (قوله: بِالْمَنْصِفِ)، في الصحاح: «وَالْمَنْصِفُ بِالْفَتْحِ، نِصْفُ الطَّرِيقِ⁽¹⁾، وَالْمَنْصِفُ بِالْكَسْرِ، الْخَادِمُ، هَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ⁽²⁾».

(1) [والمَنْصِفُ بِالْفَتْحِ نِصْفُ الطَّرِيقِ] ساقط من (ز).

(2) الصحاح (1433/4) مادة: نصف.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى «فَقَالَ: يَا جَابِرُ، قُلْ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَقِّي بِصَاحِبَتِكَ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا، فَزَحَفْتُ حَتَّى لَحِقْتُ بِصَاحِبَتِهَا، فَجَلَسَ خَلْفَهُمَا، فَخَرَجْتُ أُخْضِرُ⁽¹⁾، وَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَالْتَفْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا وَالشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَفَةً فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا».

وَرَوَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ نَحْوَهُ قَالَ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَعَاذِرِهِ هَلْ تُعْنِي مَكَانًا لِحَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ الْوَادِي مَا فِيهِ مَوْضِعٌ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَرَى مِنْ نَخْلٍ أَوْ حِجَارَةٍ؟ قُلْتُ: أَرَى نَخْلَاتٍ مُتَقَارِبَاتٍ، قَالَ: انْطَلِقْ وَقُلْ لَهُنَّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَأْتِينَ لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُلْ لِلْحِجَارَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ ذَلِكَ لَهُنَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخْلَاتِ يَتَقَارَبْنَ حَتَّى اجْتَمَعْنَ، وَالْحِجَارَةَ يَتَعَاقَدْنَ حَتَّى صِرْنَ رُكَامًا خَلْفَهُنَّ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ لِي: قُلْ لَهُنَّ يَفْتَرِقْنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَرَأَيْتُهُنَّ وَالْحِجَارَةَ يَفْتَرِقْنَ حَتَّى عُذْنَ إِلَى مَوَاضِعِهِنَّ».

(1) (قوله: أُخْضِرُ)، هو بضم الهمزة وكسر الضاد المعجمة، مضارع أُخْضَرَ، بفتحهما إذا عدا.

قال في الصحاح: «يقال: أَخْضَرَ الفرس والغلام⁽¹⁾ إِحْضَارًا وَاحْتَضَرَ، أَي عدا، وَاسْتَحْضَرْتُهُ أَي أَعْدَيْتُهُ»⁽²⁾.

(1) في (ز) الكلام.

(2) الصحاح (632/2) مادة: حضر.

وَقَالَ يَغْلَى بْنُ سَيَابَةَ⁽¹⁾: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ....»، وَذَكَرَ
نَحْوًا مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، وَذَكَرَ «فَأَمَرَ وَدَيْتَيْنِ⁽²⁾» فَانْضَمَّتَا».
وَفِي رِوَايَةٍ: «أَشَاءَتَيْنِ⁽³⁾».

وَعَنْ غِيلَانَ⁽⁴⁾ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ مِثْلُهُ «فِي شَجَرَتَيْنِ».

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُهُ «فِي غَزَاةٍ حُنَيْنٍ».

وَعَنْ يَغْلَى بْنِ مُرَّةَ وَهُوَ ابْنُ سَيَابَةَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ رَأَاهَا مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ «أَنَّ طَلْحَةَ⁽⁵⁾ أَوْ سَمُرَةَ جَاءَتْ فَأَطَافَتْ بِهِ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى
مَنْبَتِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا اسْتَأْذَنْتُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ».

(1) (قوله: يَغْلَى بْنُ سَيَابَةَ)، بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة التحتية، وهو ابن
مرة، أبو المرازم⁽¹⁾، وَسَيَابَةَ أمه، ولهم أيضا يعلى بن أمية التيمي، وهو يعلى
بن مُنِيَّة، ومُنِيَّة أمه، وهو أيضا صحابي.

(2) (قوله: وَدَيْتَيْنِ)، الْوَدْيَةُ: بفتح الواو وسكون الدال المهملة وفتح المثناة
التي، تثنية ودية، وهي الصغيرة من الفسيل، وهو صغار النخل.

(3) (قوله: أَشَاءَتَيْنِ) تثنية أَشَاءَ، بفتح الهمزة وفتح الشين⁽²⁾ المعجمة والمد،
وهي النخلة الصغيرة.

(4) (قوله: غِيلَانَ)، بفتح الغين المعجمة، توفي آخر خلافة عمر بن الخطاب.

قال المِزِّي: «ليس في الرواة عيلان⁽³⁾ بالمهملة، إنما هو بالمعجمة، ولا يقال
بالمهملة إلا في نسب مضر قيس بن عيلان».

(5) (قوله: أَنَّ طَلْحَةَ)، هي واحدة الطلح، وهو شجر عظيم من شجر الْعِصَاهِ.

(1) في (أ) المראה.

(2) في (ز) بفتح الهمزة والشين.

(3) نهاية اللوحة (47/ظ).

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَذْنَتِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنِّ لَيْلَةَ اسْتَمْعُوا لَهُ شَجَرَةً».

وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ «أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّجَرَةُ، تَعَالِي يَا شَجَرَةُ، فَجَاءَتْ تَجُرُّ عُرْوَقَهَا لَهَا قَعَاقِعُ⁽¹⁾»، وَذَكَرَ مِثْلَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ أَوْ نَحْوَهُ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: فَهَذَا ابْنُ عُمَرَ، وَبُرَيْدَةُ، وَجَابِرٌ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَيَعْلَى بْنُ مُرَّةٍ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمْ، قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ نَفْسَهَا أَوْ مَعْنَاهَا وَرَوَاهَا عَنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَضْعَافُهُمْ، فَصَارَتْ فِي انْتِشَارِهَا مِنَ الْقُوَّةِ حَيْثُ هِيَ.

وَذَكَرَ ابْنُ فُورِكَ «أَنَّهُ ﷺ سَارَ فِي غُرُورَةِ الطَّائِفِ⁽²⁾ لَيْلًا وَهُوَ وَسِينُ⁽³⁾، فَاعْتَرَضَتْهُ سِدْرَةٌ، فَأَنْفَرَجَتْ لَهُ نِصْفَيْنِ حَتَّى جَاَزَ بَيْنَهُمَا، وَبَقِيَتْ عَلَى سَاقَيْنِ إِلَى وَقْتِنَا، وَهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةً».

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَرَأَاهُ حَزِينًا: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ: ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: مُرَّهَا فَلْتَرْجِعْ، فَعَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا».

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ نَحْوٍ هَذَا، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا جَبْرِيلَ، «قَالَ: اللَّهُمَّ أَرِنِي آيَةً لَا أَبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا، فَدَعَا شَجَرَةً»، وَذَكَرَ مِثْلَهُ، وَحُزْنُهُ ﷺ لِتَكْذِيبِ

(1) (قوله: قَعَاقِعُ)، بقافين وعينين مهملتين، حكاية صوت السلاح.

(2) (قوله: فِي غُرُورَةِ الطَّائِفِ)، كانت في السنة الثامنة بعد الفتح، وبعد حين.

(3) (قوله⁽¹⁾: وَسِينُ)، بفتح الواو وكسر السين المهملة، أي نعلان.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

قَوْمِهِ⁽¹⁾، وَطَلَبُهُ الْآيَةَ لَهُمْ لَا لَهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَى رُكَانَةَ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاَهَا فَأَتَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعِي فَرَجَعْتُ».

وَعَنِ الْحَسَنِ «أَنَّهُ ﷺ شَكَى إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ يُخَوِّفُونَهُ، وَسَأَلَهُ يَغْلُمُ بِهَا أَنْ لَا مَخَافَةَ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ: أَنْ أَنْتِ وَادِي كَذَا فِيهِ شَجَرَةٌ، فَادْعِي غُصْنًا مِنْهَا يَأْتِكَ، فَفَعَلْ، فَجَاءَ يَحْطُ الْأَرْضَ خَطًّا حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَبَسَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ارْجِعِي كَمَا جِئْتِ، فَرَجَعِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ عَلِمْتُ أَنْ لَا مَخَافَةَ عَلَيَّ».

وَنَحْوُ مِنْهُ عَنْ عُمَرَ وَقَالَ فِيهِ: «أَرِنِي آيَةً لَا أَبَالِي مِنْ كَذِبِنِي بَعْدَهَا»، وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ: «أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ⁽²⁾ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ نَعَمْ، فَدَعَاهُ فَجَعَلَ يَنْقُزُ⁽³⁾ حَتَّى أَتَاهُ، فَقَالَ: ارْجِعِي، فَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ»، وَخَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

(1) (قوله: وَحُزْنُهُ ﷺ لِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ)، فَإِنْ قُلْتُ: قَدْ سَبَقَ فِي حَدِيثِ هُنْدَ بْنِ أَبِي هَالَةَ أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ قَالَ: «إِنَّهُ ﷺ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَزْنُهُ عَلَى الْكُفَّارِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَهَاها عَنْهُ»⁽¹⁾.

قلت: لعل الحزن الذي في الحديث المفسر هنا قبل النهي عن حزنه على الكفار، على أن حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنًا عليهم، لجواز أن يكون لما نسبوه إليه مما هو معصوم منه وهو الكذب.

(2) (قوله: الْعِدْقُ)، بكسر العين المهملة بعدها ذال معجمة، الْكِبَاسَةُ، وهو التمر، بمنزلة العنقود من العنب، كذا في الصحاح⁽²⁾.

(3) (قوله: يَنْقُزُ)، بالقاف المضمومة والزاي، أي يثب صُعْدًا.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (502/1).

(2) الصحاح (1522/4) مادة: عِدْق.

فَصْلٌ

فِي قِصَّةِ حَنِينِ الْجَذَعِ لَهُ ﷺ

وَيُعْضِدُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ حَدِيثُ أَنَيْنِ الْجَذَعِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَشْهُورٌ مُتَشَتِّرٌ، وَالْخَبَرُ بِهِ مُتَوَاتِرٌ، قَدْ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ.

وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ، مِنْهُمْ: أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَبُرَيْدَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَالْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ، كُلُّهُمْ يُحَدِّثُ بِمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «وَحَدِيثُ أَنَسٍ صَحِيحٌ».

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعِ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جَذَعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجَذَعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ⁽¹⁾».

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ «حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِخَوَارِهِ⁽²⁾».

وَفِي رِوَايَةِ سَهْلٍ «وَكَثُرَ بُكَاءُ النَّاسِ لِمَا رَأَوْا بِهِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْمُطَّلِبِ وَأَبِي «حَتَّى تَصْدَعَ وَانْشَقَّ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَتَ».

زَادَ غَيْرُهُ: «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ».

فصل في حنين الجذع

(1) (قوله: العِشَارِ)، بكسر العين المهملة وتخفيف الشين المعجمة، هي النوق الحوامل، واحدها عُشْرَاء، بضم العين وفتح الشين والمد.

وقال ابن دريد: «هي التي أتى لحملها عشرة أشهر».

(2) (قوله: بِخَوَارِهِ)، هو بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو، الصوت للشاة والطبي والبقرة، وبضم الجيم وفتح الهمزة صوت البقرة والناس.

وذكر غَيْرُهُ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْزُنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ».

كَذَا فِي حَدِيثِ الْمُطَّلِبِ وَسَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ وَإِسْحَاقَ عَنْ أَنَسٍ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ سَهْلٍ: «فَدَفِنْتُ تَحْتَ مَنْبَرِهِ، أَوْ جُعِلَتْ فِي السَّقْفِ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي «فَكَانَ إِذَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَدِمَ الْمَسْجِدَ أَخَذَهُ أَبِي فَكَانَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضُ وَعَادَ رُفَاتًا».

وَذَكَرَ الْإِسْفَرَائِينِيُّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُ إِلَى نَفْسِهِ فَجَاءَهُ يَحْرِقُ الْأَرْضَ، فَالْتَزَمَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ».

وَفِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ «فَقَالَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ -: «إِنْ شِئْتَ أَرَدْتُكَ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ تَنْبُتُ لَكَ عُرُوقُكَ وَيُكْمَلُ خَلْقُكَ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خَوْصَ وَثْمَرَهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَغْرَسُكَ فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ، ثُمَّ أَصْغَى لَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ، فَقَالَ: بَلْ تَغْرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أَبْلَى فِيهِ، فَسَمِعَهُ مِنْ يَلِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ فَعَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ؛ فَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَكَى وَقَالَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، الْخَشَبَةُ تَحْنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ، فَانْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ».

رَوَاهُ عَنْ جَابِرِ حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَفْصٍ، وَأَيْمَنُ⁽¹⁾، وَأَبُو نَضْرَةَ⁽²⁾، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي كَرْبٍ، وَكَرَيْبٌ، وَأَبُو صَالِحٍ.

(1) (قوله⁽¹⁾: وَأَيْمَنُ)، هو أيمن الحبشي، مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْمَخْزُومِي.

(2) (قوله: وَأَبُو نَضْرَةَ)، بالنون والضاد المعجمة، اسمه المنذر بن مالك، ولا نعلم أبو بصرية - بالموحدة والمهملة - إلا جميل الغفاري الصحابي، وليس له شيء عن جابر.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

وَرَوَاهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْحَسَنُ، وَثَابِتٌ، وَإِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ.
وَرَوَاهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ نَافِعٌ، وَأَبُو حَيَّةَ⁽¹⁾.
وَرَوَاهُ أَبُو نَضْرَةَ وَأَبُو الْوَدَّاعِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ.

وَعَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبُو حَازِمٍ⁽²⁾ وَعَبَّاسُ⁽³⁾ بْنُ سَهْلٍ
عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَكَثِيرُ⁽⁴⁾ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ⁽⁵⁾ عَنْ
أَبِيهِ، وَالطُّفَيْلُ⁽⁶⁾ بْنُ أَبِي عَنْ أَبِيهِ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ: فَهَذَا حَدِيثٌ كَمَا تَرَاهُ خَرَجَهُ أَهْلُ
الصَّحَّةِ، وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ ذَكَرْنَا، وَغَيْرُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ضِعْفُهُمْ إِلَى مَنْ
لَمْ نَذْكُرْهُ، وَبِدُونِ هَذَا الْعَدَدِ يَقَعُ الْعِلْمُ لِمَنْ اعْتَنَى بِهَذَا الْبَابِ، وَاللَّهُ الْمُتَّبِتُ
عَلَى الصَّوَابِ.

-
- (1) (قوله: وَأَبُو حَيَّةَ)، بفتح الحاء المهملة بعدها مشاة تحتية، الكلبي الكوفي.
(2) (قوله: وَأَبُو حَازِمٍ)، بالحاء المهملة والزاي، هو سلمة بن دينار الأعرج
المديني، أحد الأعلام.
(3) (قوله: وَعَبَّاسُ)، بالموحدة والسين المهملة.
(4) (قوله⁽¹⁾: وَكَثِيرُ⁽²⁾)، بفتح الكاف وكسر المثلثة.
(5) (قوله: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ)، هو قاضي مرو وعاملها.
(6) (قوله: وَالطُّفَيْلُ)، بضم الطاء المهملة وفتح الفاء المخففة.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

(2) نهاية اللوحة (48/و).

فصل

[فِي تَسْبِيحِ الْجَمَادَاتِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَامِهَا عَلَيْهِ]

وَمِثْلُ هَذَا فِي سَائِرِ الْجَمَادَاتِ.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التِّيمِّي، حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُرَابِطِ، حَدَّثَنَا الْمُهَلَّبُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِي، حَدَّثَنَا الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَرَبَرِيُّ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ⁽¹⁾ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ⁽²⁾، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ».

وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ «كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ».

وَقَالَ أَنَسُ: «أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ كَفًّا مِنْ حَصَى، فَسَبَّحَنَ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا التَّسْبِيحَ، ثُمَّ صَبَّهْنِ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَبَّحَنَ، ثُمَّ فِي أَيْدِينَا فَمَا سَبَّحَنَ».

وَرَوَى مِثْلَهُ أَبُو ذَرٍّ وَذَكَرَ «أَنَّهُنَّ سَبَّحَنَ فِي كَفِّ عُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

فصل ومثل هذا

(1) (قوله: أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ)، بضم الزاي وفتح الموحدة، وهو محمد بن عبد الله بن الزبير، نُسِبَ إِلَى جَدِهِ.

(2) (قوله: إِسْرَائِيلُ)، هو ابن يونس بن أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ الكُوفِيُّ⁽¹⁾.

(1) [الكوفي] ساقط من (ز).

وَقَالَ عَلِيٌّ: «كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَى بَعْضِ نَوَاحِيهَا
فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرَةٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا قَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْهُ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ
عَلَيَّ».

قِيلَ: «إِنَّهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ»⁽¹⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرِّسَالَةِ،
جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا
سَجَدَ لَهُ».

وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ: «إِذَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَى بَنِيهِ بِمُلَاعَةٍ
وَدَعَا لَهُمْ بِالسَّيْرِ مِنَ النَّارِ كَسَّرَهُ إِيَّاهُمْ بِمُلَاعَتِهِ»⁽²⁾، فَأَمَنْتُ أُسْكُفَةُ الْبَابِ⁽³⁾،
وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ، آمِينَ، آمِينَ»

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ: «مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِطَبَقٍ
فِيهِ رُمَّانٌ وَعَنْبٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَّحَ».

وَعَنْ أَنَسٍ: «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ أَحَدًا فَرَجَفَ
بِهِمْ، فَقَالَ: اثْبُتْ أَحَدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

(1) قوله: قِيلَ إِنَّهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، قال الشَّهَيْلِيُّ: «رُوي فِي بَعْضِ الْمُسْنَدَاتِ «إِنَّهُ
الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ»⁽¹⁾.

(2) قوله: بِمُلَاعَتِهِ، بضم الميم والمد، الملحفة، والجمع مُلَاءٌ.

(3) قوله: أُسْكُفَةُ الْبَابِ، أي عَتَبَتُهُ، ويقال: أُسْكُوفَةُ أيضًا.

(1) الروض الأنف (388/2).

وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «فِي حِرَاءٍ، وَزَادَ: «مَعَهُ عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، وَقَالَ: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ».

وَالْخَبَرُ فِي حِرَاءٍ أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: «وَمَعَهُ عَشْرَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَا فِيهِمْ».

وَزَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَعْدًا «قَالَ: وَنَسِيتُ الْاِثْنَيْنِ».

وَفِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضًا مِثْلُهُ، وَذَكَرَ عَشْرَةً وَزَادَ نَفْسَهُ.

وَقَدْ رُوِيَ: أَنَّهُ حِينَ طَلَبَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ لَهُ ثَبِيرٌ⁽¹⁾: «اهْبِطْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ، فَقَالَ حِرَاءٌ: إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ عَلَى الْمُنْبَرِ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91]، ثُمَّ قَالَ: «يُمَجِّدُ الْجَبَّارُ نَفْسَهُ، يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ»، فَارْجَفَ الْمُنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لِيَخِرَنَّ عَنْهُ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةً صَنِمٌ مُثَبَّتَةٌ الْأَرْجُلُ بِالرَّصَاصِ فِي الْحِجَارَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ عَامَ الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقُضَيْبٍ فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَمْسُهَا وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: 81]، الْآيَةِ، فَمَا أَشَارَ إِلَى وَجْهِ صَنِمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقَفَاهُ، وَلَا لِقَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهِهِ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنِمٌ».

وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ: «فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا⁽²⁾ وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 49]».

-
- (1) (قوله: ثَبِيرٌ)، بمثلثة مفتوحة فموحدة مكسورة، جبل بالمزدلفة، وللعرب جبال أربعة أخرى حجازية، كل منها سمي ثَبِيرًا.
- (2) (قوله: يَطْعُنُهَا)، بضم العين المهملة، وقد تفتح.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الرَّاهِبِ⁽¹⁾ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، إِذْ خَرَجَ تَاجِرًا مَعَ عَمِّهِ⁽²⁾، وَكَانَ الرَّاهِبُ لَا يَخْرُجُ إِلَى أَحَدٍ، فَخَرَجَ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخُ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا لَهُ، وَلَا يَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيِّ».

وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ: «وَأَقْبَلَ ﷺ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ الْفَيْءِ إِلَيْهِ».

(1) (قوله: مَعَ الرَّاهِبِ)، هو بَحِيرَا، بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة والقصر.
قال الذهبي: «رأى رسول الله ﷺ قبل المبعث وآمن به، ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة»⁽¹⁾.

وقال السُّهَيْلِيُّ: «وقع في سيرة الزهري أنه كان حَبْرًا من يهود تَيْمَاء»⁽²⁾.
وفي المسعودي: «أنه كان من عبد القيس، واسمه جِرْجَس»⁽³⁾.

(2) (قوله: إِذْ خَرَجَ تَاجِرًا مَعَ عَمِّهِ)، قيل: لم يخرج عليه السلام في هذه المرة تاجرا، وإنما خرج تاجرا بعد ذلك مع مَيْسَرَةَ⁽⁴⁾ غُلَامَ خديجة، وفي هذه الخرجة لقي نسطور الراهب.

ويمكن الجواب بأن «تَاجِرًا» حال من عمه، لا من الضمير المستتر في خرج.

(1) انظر معرفة الصحابة لابن منده (ص: 314)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (445/1)، وتجريد أسماء الصحابة (44/1).

(2) الروض الأنف (140/2).

(3) في (ز) جرس.

(4) في (ز) بعد ميسرة.

فصل

فِي الْآيَاتِ فِي ضُرُوبِ الْحَيَوَانَاتِ

حَدَّثَنَا سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصَّقَلِيُّ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ وَجَدِهِ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَلَاءِ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ عِنْدَنَا دَاجِنٌ⁽¹⁾، فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرَّ وَثَبَتْ مَكَانَهُ فَلَمْ يَجِئْ وَلَمْ يَذْهَبْ، وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ وَذَهَبَ».

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي مَحْفَلٍ⁽²⁾ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَ أَغْرَابِيٌّ قَدْ صَادَ ضَبًّا فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: نَبِيُّ اللَّهِ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أَمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنُ بِكَ هَذَا الضَّبُّ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ: يَا ضَبُّ، فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ، قَالَ: مَنْ تَعْبُدُ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ، قَالَ فَمَنْ أَنَا؟ قَالَ: رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ، وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ؛ فَأَسْلَمَ الْأَغْرَابِيُّ».

فصل في الآيات

(1) (قوله: دَاجِنٌ)، بالذال المهملة والجيم المكسورة، ما يألف البيت من الحيوان، يقال دجن فيه بيته، إذا لزمه.

(2) (قوله: فِي مَحْفَلٍ)، بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء، أي مجتمع.

وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ كَلَامِ الذَّنْبِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ «بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ عَرَضَ الذَّنْبُ لِشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذَّنْبُ وَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ، حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي، قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ مِنْ ذَنْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذَّنْبُ: أَلَا أَخْبَرْتُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ⁽¹⁾ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ؛ فَاتَى الرَّاعِي النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ: قُمْ فَحَدِّثْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ».

وَالْحَدِيثُ فِيهِ قِصَّةٌ، وَفِي بَعْضِهِ طُولٌ.

وَرُوِيَ حَدِيثُ الذَّنْبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فَقَالَ الذَّنْبُ: أَنْتَ أَعْجَبُ وَأَقْفَا عَلَى غَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْرًا، قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هَذَا الشَّعْبُ⁽²⁾، فَتَصِيرُ فِي جُنُودِ اللَّهِ».

قَالَ الرَّاعِي: مَنْ لِي بِغَنَمِي؟ قَالَ الذَّنْبُ: أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ، فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ غَنَمَهُ وَمَضَى».

وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلَامَهُ وَوُجُودَهُ النَّبِيِّ ﷺ يُقَاتِلُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا، فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ، وَذَبَحَ لِلذَّنْبِ شَاةً مِنْهَا».

وَعَنْ أَهْبَانَ بْنِ أَوْسٍ وَأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ الْقِصَّةِ وَالْمُحَدِّثِ بِهَا وَمُكَلِّمِ الذَّنْبِ.

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَاعِ وَأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَيْضًا، وَسَبَّبَ إِسْلَامَهُ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

(1) (قوله: بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ)، تشية حرة، بفتح المهملة، وهي أرض ذات حجارة سود.

(2) (قوله: الشَّعْبُ)، بكسر الشين المعجمة، ما انفرج بين الجبلين.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ مِثْلَ هَذَا أَنَّهُ جَرَى لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مَعَ ذُنْبٍ وَجَدَاهُ أَخَذَ ظَبْيًا، فَدَخَلَ الظَّبْيُ الْحَرَمَ فَأَنْصَرَفَ الذَّنْبُ، فَعَجِبَا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ الذَّنْبُ: أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ ذَكَرْتَ هَذَا بِمَكَّةَ لَتَتْرُكْنَهَا خُلُوفًا⁽¹⁾».

وقد روي قبل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه.

وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِزْدَاسٍ «لَمَّا تَعَجَّبَ مِنْ كَلَامِ (ضِمَارٍ⁽²⁾) صَنِمِهِ وَإِنْشَادِهِ الشَّعْرِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا طَائِرٌ سَقَطَ فَقَالَ يَا عَبَّاسُ: أَتَعْجَبُ مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ وَلَا تَعْجَبُ مِنْ نَفْسِكَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ».

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «عَنْ رَجُلٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، وَكَانَ فِي غَنَمٍ يَزْعَاهَا لَهُمْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بِالْغَنَمِ؟ قَالَ: أَحْصِبْ وَجُوهَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيُرُدُّهَا إِلَى أَهْلِهَا، فَفَعَلَ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطَ أَنْصَارِيٍّ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْهَا»، الْحَدِيثُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا، فَجَاءَ بَعِيرٌ فَسَجَدَ لَهُ»، وَذَكَرَ مِثْلَهُ.

(1) (قوله: خُلُوفًا)، بضم الخاء المعجمة واللام، من قولهم: حَيَّ خُلُوفٌ، إِذَا غَابَ رَجَالُهُمْ وَبَقِيَ نَسَائُهُمْ، أَوْ مِنْ خُلُوفِ الْفَمِ تَغْيِرُهُ، وَالْمَعْنَى لِتَرْكِهَا مَتَغْيِرَةً⁽¹⁾.

(2) (قوله: ضِمَارٍ)، بكسر الصاد المعجمة وتخفيف الميم وفي آخره راء.

(1) نهاية اللوحة (48/ظ).

وَمِثْلُهُ فِي الْجَمَلِ عَنْ ثُعَلْبَةَ⁽¹⁾ بْنِ مَالِكٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَيَعْلَى بْنُ مِرَّةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: «وَكَانَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْحَائِطَ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ دَعَاهُ فَوَضَعَ مِشْفَرَهُ⁽²⁾ عَلَى الْأَرْضِ وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَطَّمَهُ وَقَالَ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ».

وَمِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى.

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ فِي حَدِيثِ الْجَمَلِ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «أَنَّهُ شَكَى كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلْفِ».

وَفِي رِوَايَةٍ «أَنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ فِي شَأْقِ الْعَمَلِ مِنْ صِغَرِهِ، فَقَالُوا: نَعَمْ».

وَقَدْ رُوِيَ فِي قِصَّةِ الْعُضْبَاءِ⁽³⁾ وَكَلَامِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْرِيفِهَا لَهُ بِنَفْسِهَا، وَمُبَادَرَةِ الْعُشْبِ إِلَيْهَا فِي الرَّعْيِ، وَتَجَنُّبِ الْوُحُوشِ عَنْهَا، وَنِدَائِهِمْ لَهَا: إِنَّكَ لِمُحَمَّدٍ، وَأَنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى مَاتَتْ»، ذَكَرَهُ الْإِسْفَرَائِينِيُّ.

(1) (قوله: عَنْ ثُعَلْبَةَ)، قَالَ الْمِزِّي: «هُوَ ثُعَلْبَةُ بْنُ مَالِكٍ الْقُرَظِيُّ»⁽¹⁾.

لَا نَعْرِفُ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ اسْمِهِ ثُعَلْبَةُ بْنُ مَالِكٍ غَيْرَهُ، قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ، فَتَزَلَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَتُسِبَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ.

(2) (قوله: مِشْفَرُهُ)، بِكسْرِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ.

فِي الصَّحَاحِ: «وَالْمِشْفَرُ مِنَ الْبَعِيرِ كَالْجَحْفَلَةِ مِنَ الْفَرَسِ، وَالْجَحْفَلَةُ لِلْحَافِرِ كَالشُّفَةِ لِلْإِنْسَانِ»⁽²⁾.

(3) (قوله: وَقَدْ رُوِيَ فِي قِصَّةِ الْعُضْبَاءِ)، قِيلَ: الْعُضْبَاءُ وَالْقُصَوَى وَالْجَدْعَاءُ، ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ وَالْمَسْمَى وَاحِدٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُنَّ ثَلَاثٌ، وَقِيلَ: الْجَدْعَاءُ وَالْقُصَوَى وَاحِدٌ، وَالْعُضْبَاءُ أُخْرَى.

(1) تهذيب الكمال (396/4) رقم: 846.

(2) الصحاح (701/2) مادة: شفر.

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ «أَنَّ حَمَامَ مَكَّةَ أَظَلَّتِ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِهَا فَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ».
وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«أَمَرَ اللَّهُ لَيْلَةَ الْعَارِ شَجَرَةً⁽¹⁾ فَتَبَّتْ ثَجَاهَ النَّبِيِّ ﷺ فَسْتَرَتْهُ، وَأَمَرَ حَمَامَتَيْنِ
فَوَقَفَتَا بِفَمِ الْعَارِ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «وَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلَى بَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى الطَّالِبُونَ
لَهُ وَرَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمْ تَكُنِ الْحَمَامَتَانِ بِبَابِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ
يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، فَأَنْصَرَفُوا».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ⁽²⁾: «قُرِبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بَدَنَاتٍ خَمْسٍ أَوْ سِتُّ
أَوْ سَبْعٌ لِيَنْحَرَهَا يَوْمَ عِيدٍ، فَازْدَلْفَنَ⁽³⁾ إِلَيْهِ بِأَيْهِنَّ يَبْدَأُ».

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَحْرَاءَ، فَنَادَتْهُ ظَنِيَّةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
قَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَانٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ،
فَأُطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ، قَالَ: أَوْ تَفْعَلِينَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ،
فَأُطْلِقْهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعْتُ، فَأَوْثَقَهَا، فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَكِ
حَاجَةٌ؟ قَالَ: «تُطْلِقُ هَذِهِ الظَّنِّيَّةَ، فَأُطْلِقْهَا فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ:
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ».

(1) (قوله: أَمَرَ اللَّهُ شَجَرَةً)، قال قاسم بن ثابت: هي الرّاءة، وقال أبو حنيفة رحمه الله:
الرّاءة من أغلاث الشجر، وتكون مثل قامة الإنسان، ولها خيطان وزهر أبيض
تُحْسَى منه المَخَادُ، ويكون كالريش لِحَفَّتِهِ وَلِينِهِ لِأَنَّهُ كَالْقُطْنِ، قاله السُّهَيْلِيُّ⁽¹⁾.

(2) (قوله⁽²⁾: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرْطٍ)، بضم القاف؛ قال ابن عبد البر: «كان اسم عبد الله
فِي الجاهلية شيطانا، فسماه رسول الله⁽³⁾ ﷺ عبد الله»⁽⁴⁾.

(3) (قوله: فَازْدَلْفَنَ)، بالزاي والفاء، أي تقربن.

(1) الروض الأنف (4/134).

(2) [قوله] ساقط من (ز).

(3) في (ز) في الجاهلية سباطا، فسماه النبي.

(4) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/978).

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ مِنْ تَسْخِيرِ الْأَسَدِ لِسَفِينَةِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
إِذْ وَجَّهَهُ إِلَى مُعَاذٍ بِالْيَمَنِ، فَلَقِيَ الْأَسَدَ فَعَرَفَهُ أَنَّهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ
كِتَابُهُ، فَهَمَّهُمْ وَتَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ، وَذَكَرَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ «أَنَّ سَفِينَةً تَكَسَّرَتْ بِهِ فَخَرَجَ إِلَى جَزِيرَةٍ، فَإِذَا
الْأَسَدُ فَقُلْتُ: أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَغْمِزُنِي بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أَقَامَنِي
عَلَى الطَّرِيقِ».

وَأَخَذَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُذُنِ شَاةٍ لِقَوْمٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ثُمَّ
خَلَّاهَا، فَصَارَ لَهَا مَيْسَمًا، وَبَقِيَ ذَلِكَ الْأَثَرُ فِيهَا وَفِي نَسْلِهَا بَعْدُ».

وَمَا رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمَّادٍ بِسَنَدِهِ مِنْ كَلَامِ الْحِمَارِ⁽¹⁾ الَّذِي أَصَابَهُ
بُخَيْرٌ وَقَالَ لَهُ: اسْمِي يَزِيدُ بْنُ شَهَابٍ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَغْفُورًا، وَأَنَّهُ كَانَ
يُوجَّهُهُ إِلَى دُورِ أَصْحَابِهِ فَيَضْرِبُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ بِرَأْسِهِ وَيَسْتَدْعِيهِمْ، وَأَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ لَمَّا مَاتَ، تَرَدَّى فِي بئرٍ جَزَعًا وَحُزْنًا، فَمَاتَ.

وَحَدِيثُ النَّاقَةِ الَّتِي شَهِدَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ لِصَاحِبِهَا أَنَّهُ مَا سَرَقَهَا وَأَنَّهَا
مِلْكُهُ.

وَفِي حَدِيثِ الْعَنْزِ الَّتِي أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي عَسْكَرِهِ وَقَدْ أَصَابَهُمْ
عَطَشٌ وَنَزَلُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَهُمْ زُهَاءٌ ثَلَاثِمِائَةً، فَحَلَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَأَرَوَى الْجُنْدَ، ثُمَّ قَالَ لِرَافِعٍ: «امْلِكْهَا، وَمَا أَرَاكَ، فَرَبَطَهَا فَوَجَدَهَا قَدْ
انْطَلَقَتْ».

رَوَاهُ ابْنُ قَانِعٍ وَغَيْرُهُ وَفِيهِ: «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي جَاءَ بِهَا هُوَ
الَّذِي ذَهَبَ بِهَا».

(1) (قوله: مِنْ كَلَامِ الْحِمَارِ)، فِي سِيرَةِ مَغْلَطَايَ: «كَانَ لَهُ ﷺ مِنَ الْحَمِيرِ يَغْفُورُ،
وَعَفِيرٌ، وَيُقَالُ: هُمَا وَاحِدٌ، وَآخِرُ أُعْطَاهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ».

وَقَالَ لِفَرَسِهِ⁽¹⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ: «لَا تَبْرَحْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ حَتَّى تَفْرَغَ مِنْ صَلَاتِنَا، وَجَعَلَهُ قِبْلَتَهُ، فَمَا حَرَكَ عُضْوًا حَتَّى صَلَّى ﷺ».

وَيَلْتَحِقُ بِهَذَا مَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا وَجَّهَ رُسُلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ، فَخَرَجَ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ؛ وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ، وَقَدْ جِئْنَا مِنْهُ بِالْمَشْهُورِ، وَمَا وَقَعَ فِي كُتُبِ الْأُئِمَّةِ.

-
- (1) (قوله: لِفَرَسِهِ)، الخيل المتفق عليها لرسول الله ﷺ كما قاله الحافظ الدمياطي سبعة، وقد نظمهما القاضي بدر الدين بن جماعة في بيت فقال:
- وَالْخَيْلُ سَكَبٌ لِحَيْفٍ سَبْحَةٌ ظَرْبٌ لِرَازٍ مُرْتَجِزٌ وَرَدٌ لَهَا أَسْرَارُ
- سَكَبٌ: بفتح المهملة، سمي بذلك لخفة جريه وسرعته، تشبيها له بِسَكَبِ الْمَاءِ.
- وَلِحَيْفٍ: بفتح اللام وكسر المهملة، فعيل بمعنى فاعل، سمي بذلك لطول ذَنَبِهِ، كأنه يلحف الأرض بذنبه⁽¹⁾، أي يضع عليها لِحَافًا، وذكر ابن قرقول⁽²⁾ أنه ضبطه عن عامة شيوخه بضم اللام وفتح المهملة.
- وَسَبْحَةٌ: بمهملتين بينهما موحدة، من قولهم: فَرَسٌ سَابِجٌ، إِذَا كَانَ حَسَنَ مَدِّ الْيَدَيْنِ فِي الْجَزْيِ.
- وَالظَّرْبُ: بفتح المعجمة المشالة وكسر الراء، واحد الظراب، وهي الجبال الضغار، سمي بذلك لقوته وصلابة حافره، وقيل كذلك لكبره وسمنه.
- وَلِرَازٍ: بفتح اللام⁽³⁾ وبزائين، من لَازَرْتَهُ، أي لاصقته، كأنه يلتزق بالمطلوب⁽⁴⁾ لسرعة جَزْيِهِ.
- وَمُرْتَجِزٌ: من الرَّجَزِ الذي هو ضرب من الشَّعْرِ، سمي بذلك لِحُسْنِ صَهِيلِهِ.
- وَالْوَرْدُ: سمي الْوَرْدُ الذي يُشَمُّ لَأَن لونه بين الْكُمَيْتِ وَالْأَشْقَرِ⁽⁵⁾.

(1) في (ز) بجريته، والتصويب من بهجة المحافل وبغية الأمثال (164/2).

(2) في مطالع الأنوار على صحاح الآثار (421/3) في اللام مع الحاء.

(3) كذا ورد في (ز) بفتح اللام، والصحيح بكسرها، انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (6/3).

(4) في (ز) بالمط، والتصويب من المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (565/1).

(5) [سكب: بفتح المهملة، سمي بذلك.....بين الكميت والأشقر] ساقط من (أ).

فصل^{١٨}

فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَكَلَامِهِمْ، وَكَلَامِ الصَّبِيَّانِ وَالْمَرَضِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ﷺ

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، وَالْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ رُشْدٍ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ سَمَاعًا وَإِذْنَا، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ هُوَ الطَّحَّانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِخَبِيرٍ شَاةً مَضْلِيَّةً^(٢) سَمَّيْنَاهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: ارْزُقُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ، فَمَاتَ بَشْرٌ^(٣) بْنُ الْبَرَاءِ، وَقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَتْ: إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتُ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا فُقِّتِلَتْ».

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ أَنَسُ وَفِيهِ: «قَالَتْ: أَرَدْتُ قَتْلَكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَسْلُطَكَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا نَقُتْلُهَا قَالَ: لَا».

فصل في إحياء الموتى

- (١) (قوله: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)، قَالَ الْمَرْثِيُّ فِي الْأَطْرَافِ: «هَكَذَا وَقَعَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي رَوَايَةِ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، وَعِنْدَنَا فِي الرِّوَاةِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(١)، لَيْسَ فِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ»^(٢).
- (٢) (قوله: مَضْلِيَّةٌ)، بَفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ، أَيْ مَشْوِبَةٌ.
- (٣) (قوله: بَشْرٌ)، بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ^(٣) الْمَعْجَمَةِ، هُوَ ابْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، بَفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ.

(١) فِي (ز) أَنَّ النَّبِيَّ.

(٢) تَحْفَةُ الْأَشْرَافِ (١١/٥١٥٢٥).

(٣) نِهَايَةُ اللَّوْحَةِ (٤٩/و).

وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ رِوَايَةٍ غَيْرِ وَهَبٍ قَالَ: «فَمَا عَرَضَ لَهَا». وَرَوَاهُ أَيْضًا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَفِيهِ: «أَخْبَرْتَنِي بِهِ هَذِهِ الدِّرَاعُ»، قَالَ: «وَلَمْ يُعَاقِبْهَا».

وَفِي رِوَايَةِ الْحَسَنِ. «أَنَّ فَخِذَهَا تُكَلِّمُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: قَالَتْ: «إِنِّي مَسْمُومَةٌ» وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الْخَبَرُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ فِيهِ: «فَتَجَاوَزَ عَنْهَا». وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: «فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ⁽¹⁾ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: مَا زَالَتْ أَكَلُهُ خَيْبَرٌ⁽²⁾ تُعَادُنِي⁽³⁾، فَلَا أَوَانَ فَطَعْتُ أَبْهَرِي⁽⁴⁾.

(1) (قوله: فِي لَهَوَاتٍ)، بثلاث فتحات، جمع لَهَاةٍ، وهي في الأصل اسم اللحمة المعلقة⁽¹⁾ في أقصى الفم.

(2) (قوله: أَكَلُهُ خَيْبَرٌ)، بضم الهمزة.

(3) (قوله: تُعَادُنِي)، بضم أوله ورابعه وتشديده، أي تُرَاجِعُنِي وَيُعَاوِذُنِي أَلَمُ سَمِّهَا. قال الدَّوْدِيُّ: «الْأَلَمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُ ﷺ مِنَ الْأَكَلَةِ هُوَ نَقْصُ لَذَّةِ ذَوْقِهِ».

قال ابن الأثير: «وليس بيبين، لأن نقص الذوق ليس بألم»⁽²⁾.

(4) (قوله: أَبْهَرِي)، بفتح الهمزة وسكون الموحدة، عِرْقٌ يَكْتَنِفُ الصُّلْبَ وَالْقَلْبَ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ.

قيل: ما الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، وبين هذا الحديث المقتضي، لأن موته عليه السلام للسم الصادر من اليهودية؟ والجواب: أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَامَ تَبُوكَ، وَالسَّم كَانَ بِخَيْبَرَ قَبْلَ ذَلِكَ.

(1) [المعلقة] ساقط من (أ).

(2) كذا نسبه لابن الأثير، ولم أعر عليه في كتبه، ولعل الصواب ما ذكره العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (61/18) أنه منقول ابن التين شرح البخاري.

وَحَكَى ابْنُ إِسْحَاقَ «إِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ».

وَقَالَ ابْنُ سَعْنُونٍ: «أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ الْيَهُودِيَّةَ الَّتِي سَمَّيْتُهَا».

وَقَدْ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَ الرِّوَايَاتِ فِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّهُ دَفَعَهَا لِأَوْلِيَاءِ بَشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ فَقَتَلُوهَا».

وَكَذَلِكَ قَدْ اخْتَلَفَ فِي قَتْلِهِ لِلَّذِي سَحَرَهُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: «وَعَفُوهُ عَنْهُ أُثْبِتُ عِنْدَنَا».

وَقَدْ رَوَى عَنْهُ «أَنَّهُ قَتَلَهُ».

وَرَوَى الْحَدِيثَ الْبَزَّازُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: «فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ: كُلُّوا بِسْمِ اللَّهِ فَأَكَلْنَا، وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلَمْ تَضُرَّ مِنَّا أَحَدًا».

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: وَقَدْ خَرَجَ حَدِيثُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ أَهْلُ الصَّحِيحِ، وَخَرَجَهُ الْأَيْمَنُ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ.

وَاخْتَلَفَ أَيْمَنُ أَهْلِ النَّظَرِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: هُوَ كَلَامٌ يَخْلُقُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّاةِ الْمَيِّتَةِ، أَوِ الْحَجَرِ، أَوِ الشَّجَرِ. وَحُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ يُحْدِثُهَا اللَّهُ فِيهَا وَيُسْمِعُهَا مِنْهَا دُونَ تَغْيِيرِ أَشْكَالِهَا وَنَقْلِهَا عَنْ هَيْئَتِهَا، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَآخَرُونَ ذَهَبُوا إِلَى إِيْجَادِ الْحَيَاةِ بِهَا أَوَّلًا ثُمَّ الْكَلَامَ بَعْدَهُ.

وَحِكْمِي هَذَا أَيْضًا عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْحَسَنِ⁽¹⁾.

وَكُلُّ مُحْتَمَلٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، إِذْ لَمْ نَجْعَلِ الْحَيَاةَ شَرْطًا لَوْجُودِ الْحُرُوفِ
وَالْأَصْوَاتِ، إِذْ لَا يَسْتَحِيلُ وُجُودُهَا مَعَ عَدَمِ الْحَيَاةِ بِمُجَرَّدِهَا، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ
عِبَارَةً عَنِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ، فَلَا بُدَّ مِنْ شَرْطِ الْحَيَاةِ لَهَا، إِذْ لَا يُوجَدُ كَلَامٌ

(1) (قوله: عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْحَسَنِ)، أي الأشعري، وهو علي بن إسماعيل بن أبي
بشر بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي
موسى عبد الله بن قيس الأشعري.

أَخَذَ فَقَه الشافعي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيِّ، كَذَا فِي طَبَقَاتِ السَّبْكِ⁽¹⁾، وَبِهِ
رُذُّ عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَالِكِي، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَعْتَزِلًا تَلْمِيزًا لِلْجُبَّائِيِّ، وَكَانَ
صَاحِبَ نَظَرٍ وَإِقْدَامٍ عَلَى الْخُصُومِ، وَكَانَ الْجُبَّائِيُّ صَاحِبَ تَصْنِيفٍ، فَكَانَ
الْجُبَّائِيُّ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ مَنَازِرَةٌ يَقُولُ لِلْأَشْعَرِيِّ نَبْ عَنِي.

وَأَقَامَ الْأَشْعَرِيُّ عَلَى الْإِعْتِرَالِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ إِنَّهُ غَابَ عَنِ النَّاسِ فِي بَيْتِهِ خَمْسَةَ
عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجَامِعِ وَصَعِدَ الْمَنْبَرِ وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا تَغَيَّبْتُ
عَنْكُمْ هَذِهِ الْمُدَّةَ لِأَنِّي نَظَرْتُ فَتَكَافَأْتُ عِنْدِي الْأَدْلَةُ وَلَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدِي شَيْءٌ عَلَى
شَيْءٍ، فَاسْتَهْدَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَهَدَانِي إِلَى اعْتِقَادِ مَا أَوْدَعْتَهُ فِي كِتَابِي هَذِهِ، وَانْخَلَعْتُ
مِنْ جَمِيعِ مَا كُنْتُ أَعْتَقِدُهُ كَمَا انْخَلَعْتُ مِنْ ثَوْبِي هَذَا⁽²⁾»،⁽³⁾ وَانْخَلَعَ مِنْ ثَوْبِ
كَانَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَ الْكُتُبَ الَّتِي أَلْفَهَا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السَّنَةِ لِلنَّاسِ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتِينَ وَمِائَتَيْنِ⁽⁴⁾، وَتُوفِيَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَقَبْلَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
وِثَلَاثُمِائَةٍ.

(1) انظر طبقات الشافعية الكبرى (3/352).

(2) [هذا] ساقط من (ز).

(3) انظر تبیین کذب المفتری فیما نُسبَ إلى الأشعري (ص: 39).

(4) نهاية اللوحة (49/ظ).

النَّفْسِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ، خِلَافًا لِلْجُبَّائِيِّ⁽¹⁾ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ مُتَكَلِّمِي الْفَرَقِ، فِي إِحَالَةِ
وُجُودِ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ وَالْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ مُرَكَّبٍ عَلَى تَرْكِيبِ
مَنْ يَصْحُ مِنْهُ النُّطْقُ بِالْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، وَالتَّزَمَ ذَلِكَ فِي الْحَصَا وَالْجَذْعِ
وَالدَّرَاعِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ فِيهَا حَيَاةً، وَخَرَقَ لَهَا فَمَا وَلِسَانًا وَآلَةً أَمَكْنَهَا
بِهَا مِنَ الْكَلَامِ».

وَهَذَا لَوْ كَانَ لَكَانَ نَقْلُهُ، وَالتَّهَمُّ بِهِ آكُذُ مِنَ التَّهَمِّ بِنَقْلِ تَسْبِيحِهِ أَوْ حَنِينِهِ.
وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالرِّوَايَةِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَدَلَّ عَلَى سُقُوطِ
دَعْوَاهُ، مَعَ أَنَّهُ لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ، وَالْمَوْفُوقُ لِلَّهِ.

وَرَوَى وَكِيعٌ رَفَعَهُ عَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِصَبِيٍّ قَدْ
شَبَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ، فَقَالَ: مَنْ أَنَا؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ».

وَرَوَى عَنْ مُعَرِّضِ بْنِ مُعْنِقِيبٍ: «رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَجَبًا، جِيءَ
بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ»، فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

وَهُوَ حَدِيثُ مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ، وَيَعْرِفُ بِحَدِيثِ شَاصُونَةَ، اسْمُ رَاوِيهِ،
وَفِيهِ: «فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقْتَ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ»، ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ
بَعْدَهَا حَتَّى شَبَّ، فَكَانَ يُسَمَّى مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِمَكَّةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: «أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ طَرَحَ بُنْيَةً لَهُ فِي وَادِي
كَذَا، فَأَنْطَلَقَ مَعَهُ إِلَى الْوَادِي، وَنَادَاهَا بِاسْمِهَا يَا فُلَانَةَ، أَجِيبِي بِإِذْنِ اللَّهِ،
فَخَرَجَتْ وَهِيَ تَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ أَبَوَيْكَ قَدْ أَسْلَمَا، فَإِنْ

(1) (قوله: لِلْجُبَّائِيِّ)، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، رَئِيسُ الْمَعْتَزِلَةِ فِي
عَصْرِهِ بِالْبَصْرَةِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ وَابْنُ خُلِكَانَ: «وَجَبَّى: مَدِينَةُ وَرَسْتَاقَ، عَرِيضُ مَشْتَبِكِ الْعِمَائِرِ
وَالنَّخِيلِ وَقَصَبِ السَّكْرِ وَغَيْرِهَا، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ»⁽¹⁾.

(1) نَقَلَهُ ابْنُ خُلِكَانَ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ (268/4)، نَقَلًا عَنْ كِتَابِ صُورَةِ الْأَرْضِ لِابْنِ حَوْقَلٍ
(257/2).

أَحْبَبْتُ أَنْ أَرُدَّكَ عَلَيْهِمَا، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِمَا، وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا لِي مِنْهُمَا».

وَعَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ شَابًّا مِنَ الْأَنْصَارِ تُوفِّيَ وَلَهُ أُمُّ عَجُوزٍ عَمِيَاءُ، فَسَجَّيْنَاهُ وَعَزَّيْنَاهَا، فَقَالَتْ: مَاتَ ابْنِي؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ رَجَاءً أَنْ تُعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ، فَمَا بَرَحْنَا أَنْ كَشَفَ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعَمَ وَطَعَمْنَا».

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ كُنْتُ فِيْمَنْ دَفِنَ ثَابِتَ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَكَانَ قُتِلَ بِالْيَمَامَةِ، فَسَمِعْنَاهُ حِينَ أَدْخَلْنَاهُ الْقَبْرَ يَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، عُمَرُ الشَّهِيدُ، عُثْمَانُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ».

وَذَكَرَ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ⁽¹⁾ خَرَّ مَيِّتًا فِي بَعْضِ أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ فَرَفَعَ وَسَجَّيَ إِذْ سَمِعُوهُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَالنِّسَاءِ يَضْرُخْنَ حَوْلَهُ، يَقُولُ: أَنْصِتُوا، أَنْصِتُوا، فَحَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ».

(1) (قوله: أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ)، بَنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَهِيرٍ.

قال أبو نعيم الأصبهاني: «خَارِجَةُ بَنُ زَيْدٍ تكلم بعد الموت»⁽¹⁾.

ثم قال: «الصحيح أن الذي تكلم بعد الموت زيد بن خارجة، كذا قال أبو عمر في الاستيعاب»⁽²⁾.

وقال الذهبي: «زيد بن خارجة المتكلم بعد الموت على الصحيح، وقيل المتكلم بعد الموت أبوه، وذلك وهم، لأنه قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ»⁽³⁾.

(1) معرفة الصحابة (970/2).

(2) انظر الاستيعاب (417/2).

(3) انظر تجريد أسماء الصحابة (198/1)، وتاريخ الإسلام (340/3).

فَصْلٌ

فِي إِبْرَاءِ الْمَرْضَى وَذَوِي الْعَاهَاتِ

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرِّفٍ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَالُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَرْدِ، عَنْ الْبَرْقِيِّ، عَنْ ابْنِ هِشَامٍ⁽¹⁾، عَنْ زِيَادِ الْبَكَّائِيِّ⁽²⁾، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا ابْنُ شَهَابٍ⁽³⁾، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَجَمَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ بِقُضْيَةِ أَحَدٍ بِطُولِهَا، قَالَ: وَقَالُوا: قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنَاولُنِي السَّهْمَ لَا نَضِلُّ⁽⁴⁾ لَهُ فَيَقُولُ: ازْمِ بِهِ، وَقَدْ رَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَنْ قَوْسِهِ⁽⁵⁾ حَتَّى انْدَقَتْ، وَأَصِيبَ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ - يَعْنِي ابْنَ النُّعْمَانِ - حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ».

فصل في إبراء المرضى

- (1) (قوله: عَنْ ابْنِ هِشَامٍ)، هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامِ بْنِ أَيُوبَ، أَصْلُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَتُوفِيَ بِمِصْرَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ.
- (2) (قوله: عَنْ زِيَادِ الْبَكَّائِيِّ)، بَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ.
- (3) (قوله: ابْنُ شَهَابٍ)، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّهْرِيِّ، مِمَّنْ يُرْوَى عَنْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ ابْنُ هِشَامٍ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ.
- (4) (قوله: لَا نَضِلُّ لَهُ)، بِالنُّونِ الْمَفْتُوحَةِ وَالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ السَّاكِنَةِ.
- (5) (قوله: وَقَدْ رَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِقَوْسِهِ)، كَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ⁽¹⁾ قِسِيَّ الرَّوْحَاءِ⁽²⁾ وَالصَّفْرَاءِ مِنْ نَبْعٍ، وَهُوَ بَنُونَ فَمُوَحَّدَةٍ فَمَهْمَلَةٍ، شَجَرٌ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ تُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِسِيُّ وَمِنْ أَغْصَانِهِ السَّهَامُ، وَالْبَيْضَاءُ مِنْ شَوْحَطِ أَصَابِهَا مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعَ، وَالرَّوْرَاءُ، وَالْكَثُومُ لَانْخِفَاضِ صَوْتِهَا إِذَا رُمِيَ عَلَيْهَا، قِيلَ وَالسَّدَادُ.

قال صاحب الهدى: «والتي انكسرت في أخذِ هي الكتوم»⁽³⁾.

(1) في (أ) عليه السلام.

(2) في (ز) الرحا.

(3) زاد المعاد في هدى خير العباد (126/1).

وَرَوَى قِصَّةَ قَتَادَةَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ عِيَاضٍ بْنُ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ.
وَرَوَاهَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنْ قَتَادَةَ.

«وَبَصَقَ عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ⁽¹⁾، قَالَ: فَمَا ضَرَبَ عَلَيَّ وَلَا قَاحَ⁽²⁾».

وَرَوَى النَّسَائِيُّ⁽³⁾ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُثَيْفٍ⁽⁴⁾ أَنَّ أَعْمَى قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي، قَالَ: فَاَنْطَلِقْ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ بَصَرِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، قَالَ: فَارْجِعْ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصَرِهِ».

(1) (قوله: فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ)، بفتح القاف والراء، ماء على ليلتين من المدينة، بينها وبين خيبر.

قال ابن سعد: «كَانَ يَوْمُ ذِي قَرْدٍ فِي ربيع الأول سنة ست»⁽¹⁾.
وفى البخاري: «كَانَ قَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»⁽²⁾.

(2) (قوله: قَاحَ)، بالقاف والحاء المهملة، يقال: قَاحَ الجرحُ وَقَيَّحَ، إِذَا حَصَلَ فِيهِ المدة التي لا يخالطها دم.

(3) (قوله⁽³⁾): وَرَوَى النَّسَائِيُّ)، هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب صاحب السنن، توفي سنة عشرين وثلثمائة، ولم يتأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة⁽⁴⁾ إلا هو.

(4) (قوله: عُثْمَانَ بْنِ حُثَيْفٍ)، بضم الحاء المهملة وفتح النون، شَهِدَ أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا، وتولى مسح سواد العراق لعمر.

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (61/2).

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذِي قَرْدٍ.

(3) نهاية اللوحة (50/و).

(4) [الستة] ساقط من (ز).

وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ، فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً مِنَ الْأَرْضِ فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ، فَأَخَذَهَا مُتَعَجِّبًا
يَرَى أَنَّ قَدْ هُرِيَ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهَا وَهُوَ عَلَى شَفَا⁽¹⁾، فَشَرِبَهَا فَشَفَاهُ اللَّهُ.

وَذَكَرَ الْعُقَيْلِيُّ⁽²⁾ عَنْ حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ، وَيُقَالُ: فُرَيْكٍ، أَنَّ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ
عَيْنَاهُ، فَكَانَ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا، فَتَفَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ فَأَبْصَرَ، فَرَأَيْتُهُ
يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ.

وَرُمِيَ كُلُّثُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ⁽³⁾ يَوْمَ أَحُدٍ فِي نَحْرِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فِيهِ فَبَرَأَ⁽⁴⁾.

وَتَفَلَّ عَلَى شَجَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ فَلَمْ تُمَدَّ⁽⁵⁾.

وَتَفَلَّ فِي عَيْنِي عَلَيَّ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمْدًا، فَأَصْبَحَ بَارِئًا.

وَنَفَثَ عَلَى ضَرْبَةِ بِسَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ يَوْمَ حَيْرٍ فَبَرِئْتُ.

وَفِي رَجُلٍ زَيْدِ بْنِ مُعَاذٍ⁽⁶⁾ حِينَ أَصَابَهَا السَّيْفُ إِلَى الْكَعْبِ حِينَ قَتَلَ
ابْنَ الْأَشْرَفِ فَبَرِئْتُ.

(1) (قوله: عَلَى شَفَا)، بفتح الشين المعجمة والقصر، يقال: أَشْفَى الْمَرِيضَ عَلَى
الْمَوْتِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا شَفَى، أَي قَلِيلٌ.

(2) (قوله: وَذَكَرَ الْعُقَيْلِيُّ)، بضم العين المهملة، هو الإمام الحافظ أَبُو جَعْفَرٍ
مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُوسَى بْنِ حَمَادِ الْمَكِّي، صَاحِبُ كِتَابِ الضَّعْفَاءِ.

(3) (قوله: كُلُّثُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ)، بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين.

(4) (قوله: فَبَرَأَ)، يقال: بَرَأَ مِنَ الْمَرَضِ، بفتح الراء، وَبَرِئَ مِنَ الدَّيْنِ، بكسرها.

(5) (قوله: فَلَمْ تُمَدَّ)، بضم أوله وكسر ثانيه، مِنْ أَمَدٍ الْجُرْحُ، صَارَ فِيهِ مَدَّةٌ.

(6) (قوله: وَفِي رَجُلٍ زَيْدِ بْنِ مُعَاذٍ)، قِيلَ لَمْ يَحْضُرْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ أَحَدٌ يُسَمَّى زَيْدُ
بْنِ مُعَاذٍ، بَلْ وَلَا فِي الصَّحَابَةِ أَحَدٌ يُسَمَّى زَيْدُ بْنُ مُعَاذٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَسَبٌ إِلَى
جَدِّ لَهُ، أَوْ إِلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ، وَالَّذِي جَرَحَ فِي رِجْلِهِ أَوْ فِي رَأْسِهِ عَلَى الشَّكِّ
مِنَ الرَّاوي فِي قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ إِنَّمَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ
النَّعْمَانِ، وَقِيلَ: الْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ النَّعْمَانِ، وَقِيلَ هُمَا وَاحِدٌ، نَسَبٌ فِي
أَحَدِهِمَا إِلَى جَدِّهِ.

وَعَلَى سَاقِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَكَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذْ انْكَسَرَتْ فَبَرِيءُ مَكَانَهُ، وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ.

وَاشْتَكَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَجَعَلَ يَدْعُو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ اشْفِهِ أَوْ عَافِهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، فَمَا اشْتَكَى ذَلِكَ الْوَجَعَ بَعْدُ.

وَقَطَعَ أَبُو جَهْلٍ⁽¹⁾ يَوْمَ بَدْرٍ يَدَ مُعَوِّذٍ⁽²⁾ بْنِ عَفْرَاءَ، فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ، فَبَصَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَلْصَقَهَا فَلَصِقَتْ، رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ.

وَمِنْ رَوَايَتِهِ أَيْضًا أَنَّ خُبَيْبَ بْنَ إِسَافٍ⁽³⁾ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبَةٍ عَلَى عَاتِقِهِ حَتَّى مَالَ شِقُّهُ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَفَثَ عَلَيْهِ حَتَّى صَحَّ.

(1) (قوله: وَقَطَعَ أَبُو جَهْلٍ) قيل: المعروف أن عكرمة بن أبي جهل فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه.

(2) (قوله: مُعَوِّذٍ) بكسر الواو المشددة وفتحها، صحابي معروف قُتِلَ يوم بدر.

(3) (قوله: خُبَيْبُ بْنُ إِسَافٍ)، خُبَيْبُ: بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة المخففة، وإساف بكسر الهمزة، ويقال: يَسَافُ بالمشناة التحتية، شهد بَدْرًا وأُحُدًا وما بعدهما، كان نازلا بالمدينة فتأخر إسلامه حتى سار رسول الله ﷺ بدرًا فلحقه في الطريق فأسلم وشهد يدرًا، فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فَتَقَلَّ ﷺ على شقه وَلَأَمَّهُ وَرَدَّهُ، فانطلق فقتل الذي⁽²⁾ ضربه، ثم تزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح، فيقول: لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار.

(1) في (ز) سار النبي.

(2) نهاية اللوحة (50/ظ).

وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَنْعَمَ مَعَهَا صَبِيٌّ بِهِ بَلَاءٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَأَتَى بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ
فَاهُ وَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَأَمَرَهَا بِسَفِيهِ وَمَسِّهِ بِهِ، فَبَرَأَ الْغَلَامَ وَعَقَلَ
عَقْلًا يَفْضُلُ عُقُولَ النَّاسِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جُنُونٌ، فَمَسَحَ صَدْرَهُ، فَتَعَّ⁽¹⁾
ثَعَّةً فَخَرَجَ مِنْ مِثْلِ الْجَزْوِ⁽²⁾ الْأَسْوَدِ فَشَفِيَ.

وَانْكَفَأَتِ الْقِدْرُ عَلَى ذِرَاعِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ⁽³⁾ وَهُوَ طِفْلٌ، فَمَسَحَ عَلَيْهِ
وَدَعَا لَهُ، وَنَقَلَ فِيهِ فَبَرَأَ لِحِينَهُ.

وَكَانَتْ فِي كَفِّ شُرْحَبِيلِ الْجُعْفِيِّ سَلْعَةً⁽⁴⁾ تَمْنَعُهُ الْقَبْضَ عَلَى السَّيْفِ
وَعِنَانِ الدَّابَّةِ، فَشَكَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا⁽⁵⁾ بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا وَلَمْ
يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ.

وَسَأَلَتْهُ جَارِيَةٌ طَعَامًا وَهُوَ يَأْكُلُ، فَنَاولَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَكَانَتْ قَلِيلَةً
الْحَيَاءِ فَقَالَتْ: إِنَّمَا أُرِيدُ مِنَ الَّذِي فِي فَيْكِ، فَنَاولَهَا مَا فِي فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ
يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا أُلْقِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَمْ تَكُنْ
امْرَأَةً بِالْمَدِينَةِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا.

(1) (قوله: فَتَعَّ)، بالمثلثة والعين المهملة المشددة، أي قاء.

(2) (قوله: مِثْلُ الْجَزْوِ)، هو بثلاث الجيم، ولد الكلب والسبع.

(3) (قوله: ابْنِ حَاطِبٍ)، بالحاء والطاء المهملتين.

(4) (قوله: سَلْعَةً)، بكسر السين المهملة، زيادة تحدث في الجسد كَالْغُدَّةِ تكون
من قدر الحِمَصَةِ إِلَى قَدَرِ الْبَطِيخَةِ.

(5) (قوله: يَطْحَنُهَا)، بفتح الحاء المهملة، مضارع طَحَنَ، بفتحها أيضا.

فصل

فِي إِجَابَةِ دُعَائِهِ ﷺ

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جَدًّا، وَإِجَابَةُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمَاعَةٍ بِمَا دَعَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مُتَوَاتِرٌ عَلَى الْجُمْلَةِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ.

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ حُذِيفَةٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَذْرَكَتِ الدَّعْوَةُ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ».

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَتَّابِيُّ⁽¹⁾ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْزُوقِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ، اذْغُ اللَّهُ لَهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا آتَيْتَهُ».

وَمِنْ رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ⁽²⁾ قَالَ أَنَسٌ: «فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيُعَادُونَ⁽³⁾ الْيَوْمَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ».

فصل في إجابة دعائه

(1) (قوله: العتّابي)، بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية.

(2) (قوله: وَمِنْ رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ)، هو ابن عمار الحنفي اليماني، يروي عن الهرماس وعن طاووس وطائفة، والهرماس له صحبة.

(3) (قوله: لَيُعَادُونَ)، بضم المثناة التحتية وتخفيف العين وتشديد الدال المهملتين.

وَفِي رَوَايَةٍ: «فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَصَابَ مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ مِائَةً⁽¹⁾ مِنْ وَلَدِي، لَا أَقُولُ سَقَطًا⁽²⁾ وَلَا وَلَدٌ وَلَدٌ».

وَمِنْهُ دُعَاؤُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «فَلَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَبًا، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَاتَ فَحَفِرَ الذَّهَبُ مِنْ تَرِكَتِهِ بِالْفُؤُوسِ⁽³⁾ حَتَّى مَجَلَّتْ⁽⁴⁾ فِيهِ الْأَيْدِي، وَأَخَذْتُ كُلَّ زَوْجَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَكُنَّ أَرْبَعًا، وَقِيلَ: مِائَةُ أَلْفٍ، وَقِيلَ بَلْ صَوْلَحْتُ إِحْدَاهُنَّ لِأَنَّهُ طَلَّقَهَا فِي مَرَضِهِ عَلَى نَيْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا، وَأَوْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفًا بَعْدَ صَدَقَاتِهِ الْفَاشِيَةِ فِي حَيَاتِهِ وَعَوَارِفِهِ الْعَظِيمَةِ».

-
- (1) (قوله: سَقَطًا) بتثنية السين المهملة وبالقاف، الجنين الذي يسقط قبل تمامه.
- (2) (قوله: مِائَةً) في صحيح البخاري قال أنس: «وَحَدَّثَنِي ابْنَتِي أُمَيَّةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ الْحَجَّاجِ⁽¹⁾ الْبَصْرَةَ بِضْعٍ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً⁽²⁾»، انتهى.
- وكان مقدم الحجاج البصرة سنة خمس وسبعين، وكانت وفاة أنس سنة ثلاث وتسعين، وقد ولد له بعد مقدم الحجاج أولاد كثيرة.
- ومن كثرة الأولاد ما قال ابن قتيبة⁽³⁾: «وقع إلى الأرض من صُلْبِ الْمُهَلَّبِ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَلَدٌ⁽⁴⁾».
- وقال بن خلكان في ترجمة تميم بن المعز بن باديس: «إنه خلف مائة ذكر وستين أنثى⁽⁵⁾».
- (3) (قوله: بِالْفُؤُوسِ) بهمزة مضمومة بعد الفاء، جمع فأس بسكون الهمزة، كرأس ورؤوس، وكأس وكؤوس.
- (4) (قوله: مَجَلَّتْ) بكسر الجيم وفتحها، أي تَنَقَّطَتْ من العمل وحصل بين الجلد واللحم ماء.

(1) في (أ) مقدم الحاج البصرة، وفي (ز) دفن لصلبي الحجاج البصرة.

(2) رواه البخاري (1982).

(3) في (ز) قال: عتبة بن قتيبة.

(4) المعارف لابن قتيبة (ص: 400).

(5) وفيات الأعيان (306/1).

أَعْتَقَ يَوْمًا ثَلَاثِينَ عَبْدًا، وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بَعِيرٍ⁽¹⁾ فِيهَا سَبْعُمِائَةٍ بَعِيرٍ وَرَدَّتْ عَلَيْهِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا وَبِأَقْتَابِهَا وَأَخْلَاسِهَا. وَدَعَا لِمُعَاوِيَةَ بِالْتَّمُكِينَ فِي الْبِلَادِ فَنَالَ الْخِلَافَةَ. وَلِسَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُجِيبَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ، فَمَا دَعَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ. وَدَعَا بِعِزِّ الْإِسْلَامِ بِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوْ بِأَبِي جَهْلٍ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِي عُمَرَ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ». وَأَصَابَ النَّاسَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ عَطَشٌ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ الدُّعَاءَ، فَدَعَا، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَسَقَتْهُمْ حَاجَتَهُمْ ثُمَّ أَقْلَعَتْ. وَدَعَا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ فَسُقُوا، ثُمَّ شَكُوا إِلَيْهِ الْمَطَرُ فَدَعَا فَضُحُوا. وَقَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ: «أَفْلَحَ وَجْهُكَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ»، فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً وَكَانَتْهُ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً.

(1) (قوله: وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بَعِيرٍ) بكسر العين المهملة، روى الترمذي «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَوْصَى لِأُمِّهِاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَدِيثَةٍ، بَيْعَتْ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ»⁽¹⁾. وَقَالَ عَزُورَةُ⁽²⁾ بن الزبير: «أَوْصَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁽³⁾. قَالَ الزُّهْرِيُّ: «أَوْصَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِمَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ لِكُلِّ رَجُلٍ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ، وَكَانُوا مِائَةً، فَأَخَذُوهَا، وَأَخَذَهَا عُثْمَانُ فِيمَنْ أَخَذُوا، وَأَوْصَى بِأَلْفٍ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁽⁴⁾.

(1) رواه الترمذي (3750) وقال: حسن ، والحاكم (5359).

(2) نهاية اللوحة (51/و).

(3) رواه ابن سعد في الطبقات (100/3)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (299/35).

(4) رواه البخاري في التاريخ الكبير (167/1)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (2199)،

وابن عساكر في تاريخ دمشق (300/35).

وَقَالَ لِلنَّابِغَةِ⁽¹⁾: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ»، فَمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ.
 وَفِي رَوَايَةٍ: فَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ثَغْرًا، إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ نَبَتْ لَهُ
 أُخْرَى، وَعَاشَ عَشْرِينَ وَمِائَةً، وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا.
 وَدَعَا لِابْنِ عَبَّاسٍ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، فَسَمِيَ بَعْدُ
 الْحَبْرَ⁽²⁾ وَتَرْجُمَانَ⁽³⁾ الْقُرْآنِ.
 وَدَعَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بِالْبَرَكَةِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ، فَمَا اشْتَرَى شَيْئًا إِلَّا
 رِبْحَ فِيهِ.
 وَدَعَا لِلْمِقْدَادِ بِالْبَرَكَةِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ عَرَائِرُ مِنَ الْمَالِ.
 وَدَعَا بِمِثْلِهِ لِعُزْوَةَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ فَقَالَ: «فَلَقَدْ كُنْتُ أَقُومُ بِالْكُنَاسَةِ⁽⁴⁾،
 فَمَا أَرْجِعُ حَتَّى أَرْبِحَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا».
 وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي حَدِيثِهِ: «فَكَانَ لَوْ اشْتَرَى الثَّرَابَ رِبْحَ فِيهِ».
 وَرُويَ مِثْلُ هَذَا لِعُزْقَدَةَ⁽⁵⁾ أَيْضًا.

-
- (1) (قوله: وَقَالَ لِلنَّابِغَةِ) هو الجعدي، واسمه قيس بن عبد الله، وقيل بالعكس، قال الشعر ثم بقي ثلاثين سنة لا يقوله، ثم نبغ فيه فَسُمِّيَ النَّابِغَةُ.
 (2) (قوله: الْحَبْرُ) بكسر الحاء المهملة وفتحها، أي العالم.
 (3) (قوله: تَرْجُمَانَ) بفتح المثناة الفوقية وضمها وحكى الجوهري⁽¹⁾ فتح التاء مع فتح الجيم، وهو المعبر عن لغة ثانية⁽²⁾.
 (4) (قوله: فَلَقَدْ كُنْتُ أَقُومُ بِالْكُنَاسَةِ) بضم الكاف وتخفيف النون، مكان بالكوفة، وأيضاً الكناسة القمامة الحاصلة من الكنس.
 (5) (قوله: لِعُزْقَدَةَ) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح القاف والذال المهملة.

(1) انظر الصحاح (1928/5) مادة: رجم.

(2) في (ز) المعبر عن لغة بلغة.

وَنَدَّتْ⁽¹⁾ لَهُ نَاقَةٌ فَدَعَا، فَجَاءَهُ بِهَا إِعْصَارُ رِيحٍ حَتَّى رَدَّهَا عَلَيْهِ.
وَدَعَا لِأُمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ⁽²⁾ فَأَسْلَمَتْ.

وَدَعَا لَعَلِّي أَنْ يُكْفَى الْحَرَّ وَالْقُرَّ⁽³⁾، فَكَانَ يَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ثِيَابَ
الصَّيْفِ، وَفِي الصَّيْفِ ثِيَابَ الشِّتَاءِ، وَلَا يُصِيبُهُ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ.

وَدَعَا اللَّهَ لِغَاطِمَةَ ابْنَتِهِ أَنْ لَا يُجِيعَهَا، قَالَتْ: «فَمَا جُعْتُ بَعْدُ».

وَسَأَلَهُ الطُّفَيْلُ⁽⁴⁾ بُنْ عَمْرُو آيَةَ لِقَوْمِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَوِّرْ لَهُ، فَسَطَعَ لَهُ نُورٌ
بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَخَافُ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ، فَتَحَوَّلَ إِلَى طَرَفِ سَوْطِهِ،
فَكَانَ يُضِيئُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ، فَسَمِّيَ ذَا النَّوْرِ.

وَدَعَا عَلَى مُضَرٍّ فَأَقْحَطُوا حَتَّى اسْتَعْطَفْتُهُ فُرَيْشٌ، فَدَعَا لَهُمْ فَسُقُوا.

وَدَعَا عَلَى كِسْرَى⁽⁵⁾ حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ أَنْ يُمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكُهُ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ
بَاقِيَةٌ، وَلَا بَقِيَتْ لِفَارِسِ رِيَاسَةٍ فِي أَفْطَارِ الدُّنْيَا.

وَدَعَا عَلَى صَبِيٍّ قَطَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ أَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ أَثَرَهُ فَأُقْعِدَ.

(1) قوله: وَنَدَّتْ) بفتح النون والذال المشددة المهملة، أي نَفَرَتْ.

(2) قوله: وَدَعَا لِأُمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ)، قال ابن الأثير وتبعه الذهبي: «اسمها أُميمة،
وقيل: ميمونة»⁽¹⁾.

(3) قوله: وَالْقُرَّ) بالقاف المضمومة والراء المشددة، البرْدُ.

(4) قوله: الطُّفَيْلُ) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء، هو ابن عمرو الدوسي، يلقب
ذا النور، قتل يوم اليمامة، وأصحاب النور أَسِيد بضم الهمزة بن خُضَيْر بضم
الحاء المهملة، وعباد بن بشر، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وقتادة بن النعمان،
والطفيل بن عمرو الدوسي.

(5) قوله: وَدَعَا عَلَى كِسْرَى) هو أبرويز بن هُرْمُز، كذا ذكره السُّهَيْلِيُّ وغيره⁽²⁾.

(1) أسد الغابة (30/6)، وتجريد أسماء الصحابة (248/2).

(2) الروض الأنف (76/1).

وَقَالَ لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ⁽¹⁾ كُلُّ يَمِينِكَ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، فَلَمْ يَزَفْعَهَا إِلَى فِيهِ.

وَقَالَ لِعُتْبَةَ⁽²⁾ بَنِ أَبِي لَهَبٍ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ»، فَأَكَلَهُ الْأَسَدُ. وَقَالَ لَامْرَأَةٍ: «أَكَلَكِ الْأَسَدُ»، فَأَكَلَهَا.

وَحَدِيثُهُ الْمَشْهُورُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي دُعَائِهِ عَلَى قُرَيْشٍ حِينَ وَضَعُوا السَّلَا⁽³⁾ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ مَعَ الْفَرَسِ وَالْدِّمِ وَسَمَاهُمْ وَقَالَ: «فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ⁽⁴⁾ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ».

(1) قوله: وَقَالَ لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ) هو بُسْر، بضم الموحدة وسكون السين المهملة.

(2) قوله: وَقَالَ لِعُتْبَةَ) المشهور أن عُتْبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ أسلم يوم الفتح هو وأخوه مُعَتَّبٌ، ولم يهاجرا من مكة، وأن عُتْبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ تصغير عُتْبَةَ، هو الذي دعا عليه رسول الله ﷺ بأن يسلط الله عليه كلبا فأكله الأسد، وبعضهم قال: إن عتيبة هو الذي أسلم وعتبة هو الذي دعا عليه⁽¹⁾ رسول الله ﷺ، وعلى هذا بنى القاضي كلامه.

(3) قوله: السَّلَا) بفتح المهملة والقصر، هو في البهائم كالمَشِيمَةِ لبني آدم، وهى الجلدَةُ الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي إن شقت عن وجه الفَصِيلِ ساعة يُنْتَجَجُ⁽³⁾ وإلا قتلته، وكذلك إذا انقطع السَّلَا في البطن، فإذا خرج السَّلَا سَلِمَتِ الناقةُ وسَلِمَ الولد، وإن انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد.

(4) قوله: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ)، أي معظمهم، لأن عُتْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ لم يُقْتَلْ ببدر، وإنما حُمِلَ منها أسيرا ثم قُتِلَ، وعُمَارَةُ بن الوليد هلك على كفره بأرض الحبشة زمن عمر.

(1) نهاية اللوحة (51/ظ).

(2) في (ز) دعا عليه النبي.

(3) في (أ) يفتح، .

وَدَعَا عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَكَانَ يَخْتَلِجُ بِوَجْهِهِ وَيَعْمُرُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، أَيْ لَا، فَرَأَهُ فَقَالَ: «كَذَلِكَ كُنْ»، فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِجُ إِلَى أَنْ مَاتَ.

وَدَعَا عَلَى مُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ⁽¹⁾ فَمَاتَ لِسَبْعٍ فَلَقَطَتْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ وَوَرِي فَلَقَطَتْهُ مَرَّاتٍ، فَأَلْقَوْهُ بَيْنَ صُدَّيْنِ⁽²⁾ وَرَضَمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ، وَالصُّدُّ جَانِبُ الْوَادِي.

وَجَحَدَهُ رَجُلٌ بَيْنَ فَرَسٍ وَهِيَ الَّتِي شَهِدَ فِيهَا خُزَيْمَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ الْفَرَسَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الرَّجُلِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلَا تُبَارِكْ لَهُ فِيهَا»، فَأَضْبَحَتْ شَاصِيَةً⁽³⁾ بِرِجْلِهَا، أَيْ رَافِعَةً. وَهَذَا الْبَابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ.

(1) (قوله: مُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ)، مُحَلِّمٌ بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد اللام المكسورة، وجَثَّامَةُ بفتح الجيم وتشديد المثناة. قال السُّهَيْلِيُّ: «مَاتَ فِي حِمَصِ أَيَّامِ ابْنِ الزَّبِيرِ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: بَيْنَ صُدَّيْنِ) بضم الصاد المهملة وفتحها وتشديد الدال المهملة، أي جبلين.

(3) (قوله: شَاصِيَةً) بالشين المعجمة والصاد المهملة، أي رافعة.

فَصْلٌ

فِي كَرَامَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ وَانْقِلَابِ الْأَعْيَانِ لَهُ فِيمَا لَمَسَهُ أَوْ بَاشَرَهُ ﷺ

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ إِجَازَةً، وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ سَمَاعًا، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَغَيْرُهُمَا، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الْقَاضِي، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ، قَالُوا: حَدَّثَنَا الْفَرَبْرِيُّ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ⁽¹⁾، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَعُوا مَرَّةً، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطُفُ⁽²⁾، أَوْ بِهِ قِطَافٌ، وَقَالَ غَيْرُهُ يُبْطَأُ⁽³⁾، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: وَجَدْنَا فَرَسَكَ بَحْرًا، فَكَانَ بَعْدُ لَا يُجَارَى».

وَنَحَسَ جَمَلَ جَابِرٍ وَكَانَ قَدْ أَعْيَا، فَنَشِطُ⁽⁴⁾ حَتَّى كَانَ مَا يَمْلِكُ زِمَامَهُ. وَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ بِفَرَسٍ لِحُجَيْلٍ⁽⁵⁾ الْأَشْجَعِيِّ، خَفَقَهَا بِمُخَفِّقَةٍ⁽⁶⁾ مَعَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهَا فَلَمْ يَمْلِكُ رَأْسَهَا نَشَاطًا، وَبَاغَ مِنْ بَطْنِهَا بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا.

فصل في كراماته

- (1) قوله: حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كذا في كثير من النسخ، وقد سقط واحد بين البخاري ويزيد، لأن يزيد شيخ شيخ البخاري، والساقط هو عبد الأعلى بن حماد، كذا ساقاة البخاري في كتاب الجهاد، ووقع في بعض النسخ.
- (2) قوله: يَقْطُفُ بسكون القاف وضم الطاء المهملة، أي يُبْطِئُ في السير، وأما يَقْطِفُ العنب وغيره فبكسر الطاء.
- (3) قوله: يُبْطَأُ بضم أوله وتشديد الطاء المهملة المفتوحة بعدها همزة.
- (4) قوله: فَنَشِطُ بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المستقبل.
- (5) قوله: لِحُجَيْلٍ بضم الجيم وفتح العين المهملة.
- (6) قوله: بِمُخَفِّقَةٍ بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء بعدها قاف، هي الدَّرَّةُ التي يُضْرَبُ بها.

وَرَكِبَ حِمَارًا قَطُوفًا لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَرَدَّهُ هِمْلًا جَا⁽¹⁾ لَا يُسَايِرُ.
وَكَانَتْ شَعْرَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ فِي قَلَنْسُوءِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
قِتَالًا إِلَّا رُزِقَ النَّصْرُ.
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا أَخْرَجَتْ
جُبَّةَ طَيَالِسَةَ⁽²⁾ وَقَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَتَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرَضَى
يُسْتَشْفَى بِهَا».
وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَأْمُونِ قَالَ:
«كَانَتْ عِنْدَنَا قِصْعَةٌ مِنْ قِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا الْمَاءَ لِلْمَرَضَى
فَيَسْتَشْفُونَ بِهَا.
وَأَخَذَ جَهْجَاهُ⁽³⁾ الْغِفَارِيُّ الْقَضِيبَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ
عَلَى رُكْبَتِهِ فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ، فَأَخَذَتْهُ فِيهَا الْأَكِلَةُ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ.
وَسَكَبَ مِنْ فَضْلٍ وَضَوْئِهِ فِي بَثْرِ قَبَاءَ فَمَا نَزَفَتْ بَعْدُ.
وَبَزَقَ فِي بَثْرِ كَانَتْ فِي دَارِ أَنْسٍ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ أَغْذَبُ مِنْهَا.

-
- (1) (قوله: هِمْلًا جَا) بكسر الهاء وسكون الميم وفي آخره جيم.
في الصحاح: «الهِمْلَاجُ مِنَ الْبَرَازِينَ، وَمَشِيهَا الْهَمْلَجَةُ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ»⁽¹⁾.
(2) (قوله: جُبَّةَ طَيَالِسَةَ) قال النووي: «هو بإضافة جُبَّةٍ إِلَى طَيَالِسَةٍ، وَالطَيَالِسَةُ
جَمْعُ طَيْلَسَانَ، بَفَتْحِ⁽²⁾ اللَّامِ عَلَى الشَّهْرِ»⁽³⁾.
(3) (قوله: جَهْجَاهُ) بجيمين أولاهما مفتوحة.
قال الطبري: «المحدثون يزيدون»⁽⁴⁾ في آخره هاء، والصواب جهجا بدون هاء
في آخره».

(1) الصحاح (351/1) مادة: هملج.

(2) نهاية اللوحة (52/و).

(3) شرح صحيح مسلم (43/14).

(4) [يزيدون] ساقط من (ز).

وَمَرَّ عَلَى مَاءٍ فَسَالَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: اسْمُهُ بَيْسَانُ وَمَاؤُهُ مِلْحٌ، فَقَالَ: «بَلْ هُوَ نُعْمَانُ، وَمَاؤُهُ طَيِّبٌ»، فَطَابَ.

وَأَتَى بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ فَمَجَّ فِيهِ، فَصَارَ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ.

وَأَعْطَى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ لِسَانَهُ، فَمَضَاهُ، وَكَانَا يَبْكِيَانِ عَطْشًا فَسَكَّتَا.

وَكَانَ لِأُمِّ مَالِكٍ عُكَّةٌ تَهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا، فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَعَصِرَهَا ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ مَمْلُوءَةٌ سَمْنًا، فَيَأْتِيهَا بَنُوها يَسْأَلُونَهَا الْأَدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، فَتَعْمِدُ إِلَيْهَا فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا، فَكَانَتْ تُقِيمُ أَدْمَهَا حَتَّى عَصَرَتْهَا.

وَكَانَ يَتَفَلُّ⁽¹⁾ فِي أَفْوَاهِ الصَّبِيَّانِ الْمَرَاضِعِ فَيَجْزِئُهُمْ رِيقُهُ إِلَى اللَّيْلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ بَرَكَتُهُ يَدِهِ فِيمَا لَمَسَهُ وَغَرَسَهُ لِسْلَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ كَاتَبَهُ مَوَالِيهِ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَدِيَّةٍ يَغْرِسُهَا لَهُمْ كُلُّهَا تَغْلُقُ وَتُطْعِمُ، وَعَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً⁽²⁾ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَامَ ﷺ وَغَرَسَهَا لَهُ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا غَيْرُهُ⁽³⁾ فَأَخَذَتْ كُلُّهَا إِلَّا تِلْكَ الْوَاحِدَةَ، فَقَلَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَرَدَّهَا فَأَخَذَتْ.

(1) (قوله: يَتَفَلُّ) بكسر الفاء وضمها.

(2) (قوله: أُوقِيَّةً) بضم الهمزة على المشهور، وبحذفها في لغة، وهي أربعون درهما، والنش بفتح النون وسكون المعجمة، عشرون درهما.

(3) (قوله: غَرَسَهَا غَيْرُهُ) روى أبو عمر ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ⁽¹⁾ قصة سلمان، وأن الذي غرس الواحدة عمر⁽²⁾.

وروى البخاري في غير صحيحه أن الذي غرسها سلمان.

فإن قيل: ما الجمع بين رواية ابنِ عَبْدِ الْبَرِّ ورواية البخاري؟

أجيب بأن عمر وسلمان اشتركا في غرس واحدة، فأضاف الراوي غرسها مرة لعمر ومرة لسلمان.

(1) في التمهيد (99/3).

(2) حسن. رواه أحمد (22997)، والحاكم (2183)، والبزار (4407)، والبيهقي (21625).

وَفِي كِتَابِ الْبَزَارِ: «فَأَطْعَمَ النَّحْلُ مِنْ عَامِهِ إِلَّا الْوَاحِدَةَ، فَقَلَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَغَرَسَهَا فَأَطْعَمْتُ مِنْ عَامِهَا، وَأَعْطَاهُ مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَهَا عَلَى لِسَانِهِ، فَوَزَنَ مِنْهَا لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً وَبَقِيَ عِنْدَهُ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ».

وَفِي حَدِيثِ حَنْشٍ⁽¹⁾ بْنِ عُقَيْلٍ: «سَقَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَرْبَةً مِنْ سَوِيْقٍ شَرِبَ أَوَّلَهَا وَشَرِبْتُ آخِرَهَا، فَمَا بَرِحْتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ وَرِيَّهَا إِذَا عَطِشْتُ وَبَرَدَهَا إِذَا ظَمِئْتُ».

وَأَعْطَى قَتَادَةَ بْنَ الثُّعْمَانَ، وَصَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ عُرْجُونًا⁽²⁾، وَقَالَ: «انْطَلِقْ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا، وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَادًا فَاضِرَبُهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ»، فَاَنْطَلَقَ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، وَوَجَدَ السَّوَادَ فَضْرَبَهُ حَتَّى خَرَجَ.

وَمِنْهَا دَفَعُهُ لِعُكَاشَةَ⁽³⁾ جَذَلَ حَطَبٍ وَقَالَ: «اضْرِبْ بِهِ»، حِينَ انْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ أَبْيَضَ شَدِيدَ الْمَثَنِ، فَقَاتَلَ بِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَوَاقِفَ إِلَى أَنْ اسْتُشْهِدَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ.

وَدَفَعَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ، عَسِيبَ نَحْلٍ فَرَجَعَ فِي يَدِهِ سَيْفًا.

(1) (قوله: حَنْشٍ) بحاء مهملة ونون مفتوحتين بعدهما شين معجمة.

(2) (قوله: عُرْجُونًا) هو أصل العِدْق الذي يُقَطَّعُ مِنْهُ الشَّمَارِيخُ فَبَقِيَ عَلَى النَّحْلِ يَابَسًا.

(3) (قوله: لِعُكَاشَةَ) بتشديد الكاف وتخفيفها.

وَمِنْهُ بَرَكَتُهُ فِي دُرُورِ الشَّيَاهِ الْحَوَائِلِ بِاللَّبَنِ الْكَثِيرِ، كَقِصَّةِ شَاةٍ أُمِّ مَعْبِدٍ،
وَأَعْنَزُ مُعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ⁽¹⁾، وَشَاةٍ أَنَسٍ، وَغَنَمٍ حَلِيمَةَ مُرْضِعَتِهِ وَشَارِفَهَا⁽²⁾، وَشَاةٍ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَكَانَتْ لَمْ يَنْزُ⁽³⁾ عَلَيْهَا فَحُلٌّ، وَشَاةُ الْمُقَدَّادِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَزْوِيدُهُ أَصْحَابَهُ سِقَاءَ مَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَوْكَاهُ⁽⁴⁾ وَدَعَا فِيهِ، فَلَمَّا
حَضَرَتْهُمْ الصَّلَاةُ نَزَلُوا فَحَلُّوهُ، فَإِذَا بِهِ لَبَنٌ طَيِّبٌ وَزُبْدَةٌ فِي فَمِهِ.
مِنْ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ.

وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ وَبَرَكَ، فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ فَمَا
شَابَ.

وَرُويَ مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَصِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ،
وَمَذْلُوكٌ.

وَكَانَ يُوجَدُ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ طَيِّبٌ يَغْلِبُ طِيبَ نِسَائِهِ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ مَسَحَ بِيَدَيْهِ عَلَى بَطْنِهِ وَظَهْرِهِ.

وَسَلَّتِ الدَّمُ عَنْ وَجْهِ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو وَكَانَ جُرْحَ يَوْمٍ حُنَيْنٍ وَدَعَا لَهُ،
فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ.

وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ الْجَذَامِيِّ وَدَعَا لَهُ، فَهَلَكَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ
سَنَةٍ وَرَأْسُهُ أَبْيَضُ، وَمَوْضِعُ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ مِنْ شَعْرِهِ
أَسْوَدُ، فَكَانَ يُدْعَى الْأَغْرَ.

(1) (قوله: ابنِ ثَوْرٍ)، بالمثلثة.

(2) (قوله: وَشَارِفَهَا)، الشارف: بالشين المعجمة والفاء، المسنة من النوق، وقيل
من الإبل.

(3) (قوله: لَمْ يَنْزُ)، يقال في الحافر والظلف والسباع: نَزَا يَنْزُو نَزْوًا وَنَزَوَانًا.

(4) (قوله: أَوْكَاهُ)، بَألف بعد الكاف، يقال: أَوْكَى يُوكِي، كما يقال: أُعْطِيَ يُعْطِي.

وَرُويَ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لِعَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْجُهَنِيِّ.

وَمَسَحَ وَجْهَهُ آخِرَ فَمَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ.

وَمَسَحَ وَجْهَهُ قَتَادَةُ بْنُ مِلْحَانَ فَكَانَ لَوَجْهِهِ بَرِيقٌ، حَتَّى كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمُرَاةِ.

وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ حَنْظَلَةَ بْنِ حَذِيمٍ وَبَرَكَ عَلَيْهِ، فَكَانَ حَنْظَلَةُ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ وَرِمَ وَجْهُهُ، وَالشَّاهُ قَدْ وَرِمَ ضَرْعُهَا، فَيُوضَعُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ.

وَنَضَحَ فِي وَجْهِ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ نَضْحَةً مِنْ مَاءٍ، فَمَا يُعْرِفُ كَانَ فِي وَجْهِ امْرَأَةٍ مِنَ الْجَمَالِ مَا بِهَا.

وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ صَبِيٍّ بِهِ عَاهَةٌ فَبَرَأَ وَاسْتَوَى شَعْرُهُ.

وَمِثْلُهُ رُويَ فِي خَبَرِ الْمُهَلَّبِ بْنِ قُبَالَةَ، وَعَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَالْمَرْضَى وَالْمَجَانِينِ فَبَرُّوا.

وَأَتَاهُ رَجُلٌ بِهِ أُذْرَةٌ⁽¹⁾، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْضَحَهَا بِمَاءٍ مِنْ عَيْنٍ مَجٍّ فِيهِ، فَفَعَلَ فَبَرَأَ.

وَعَنْ طَاوُوسٍ: «لَمْ يُؤْتَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ فَصَكَ فِي صَدْرِهِ⁽¹⁾ إِلَّا ذَهَبَ».

وَالْمَسُّ: الْجُنُونُ.

وَمَجٌّ فِي دَلْوٍ مِنْ بَثْرٍ ثُمَّ صَبَّ فِيهَا، فَفَاحَ مِنْهَا رِيحُ الْمِسْكِ.

(1) (قوله: أُذْرَةٌ)، بضم الهمزة وسكون الدال المهملة، هي نَفْخَةٌ فِي الْخُصْيَةِ، يقال: رَجُلٌ آذَرُ، بفتح الهمزة والدال.

(2) (قوله: فَصَكَ فِي صَدْرِهِ)، أي ضرب.

وَأَخَذَ قَبْضَةً⁽¹⁾ مِنْ تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ وَقَالَ:
«شَاهَتِ الْوُجُوهُ»⁽²⁾، فَأَنْصَرَفُوا يَمْسَحُونَ الْقَذَى⁽³⁾ عَنْ أَعْيُنِهِمْ.

وَشَكَاَ إِلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّسِيَّانَ، فَأَمَرَهُ بِسُطِ ثَوْبِهِ، وَغَرَفَ
بِيَدِهِ فِيهِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِضَمِّهِ فَفَعَلَ، فَمَا نَسِيَ شَيْئًا بَعْدُ.

وَمَا يُزَوِّى عَنْهُ فِي هَذَا كَثِيرٌ.

وَضَرَبَ صَدْرَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَدَعَا لَهُ، وَكَانَ ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَنْبُتُ عَلَى
الْخَيْلِ، فَصَارَ مِنْ أَفْرِسِ الْعَرَبِ وَأَثْبَتِهِمْ.

وَمَسَحَ رَأْسَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَكَانَ
دَمِيمًا⁽⁴⁾، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، فَفَرَعَ⁽⁵⁾ الرَّجَالُ طُولًا وَتَمَامًا.

(1) قوله: قَبْضَةً، بضم القاف، تراب مقبوض.

(2) قوله: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، أي قُبِحَتْ.

(3) قوله: الْقَذَى، بفتح القاف والذال المعجمة والقصر، هو ما يسقط في العين.

(4) قوله: دَمِيمًا، بالذال المهملة، أي قبيحا.

(5) قوله: فَفَرَعَ، بالفاء والراء والعين المهملة، أي طال.

فَصْلٌ

[فِي مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ وَمَا يَكُونُ]

وَمِنْ ذَلِكَ مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ وَمَا يَكُونُ، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا
الْبَابِ بَحْرٌ لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ وَلَا يُنْزِفُ غَمْرُهُ.

وَهَذِهِ الْمُعْجِزَةُ مِنْ جُمْلَةِ مُعْجَزَاتِهِ الْمَعْلُومَةِ عَلَى الْقَطْعِ، الْوَاصِلِ إِلَيْنَا
خَبَرُهَا عَلَى التَّوَاتُرِ، لِكَثَرَةِ رَوَاتِهَا وَاتِّفَاقِ مَعَانِيهَا عَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ.

حَدَّثَنَا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفَهْرِيُّ إِجَازَةً، وَقَرَأْتُهُ عَلَى
غَيْرِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الشُّسْتَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمَرَ الْهَاشِمِيُّ، حَدَّثَنَا
الْلُّؤْلُؤِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ⁽¹⁾، عَنْ
الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، فَمَا
تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ
وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَأَعْرِفُهُ
فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ».

ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ: «مَا أَذْرِي أَنْسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْهُ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدٍ فَتَنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مِنْ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا
قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ».

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي
السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكُرْنَا مِنْهُ عِلْمًا».

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب

(1) (قوله: جَرِيرٌ)، بفتح الجيم وكسر الراء.

وَقَدْ خَرَجَ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَالْأَيْمَةُ مَا أَعْلَمَ بِهِ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا وَعَدَهُمْ بِهِ
مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَفَتَحَ مَكَّةَ، وَبَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالْيَمَنَ وَالشَّامَ وَالْعِرَاقَ،
وَوُظِّهُرِ الْأَمْنِ حَتَّى تَطْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيرَةِ⁽¹⁾ إِلَى مَكَّةَ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ.

وَأَنَّ الْمَدِينَةَ سَتُعْزَى⁽²⁾، وَتُفْتَحُ خَيْبَرٌ عَلَى يَدَيَّ عَلِيٍّ فِي غَدٍ يَوْمِهِ.

وَمَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُؤْتُونَ مِنْ زَهْرَتِهَا، وَقَسَمَتِهِمْ كُنُوزَ
كَسْرَى وَقَيْصَرَ، وَمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفُتُونِ وَالْإِخْتِلَافِ وَالْأَهْوَاءِ، وَسُلُوكِ
سَبِيلٍ مِنْ قَبْلِهِمْ.

وَافْتَرَقَهُمْ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، النَّاجِيَةُ مِنْهَا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُمْ أَنْمَاطٌ⁽³⁾، وَيَعْدُو أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرْوَحُ فِي أُخْرَى،
وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَتُرْفَعُ أُخْرَى، وَيَسْتُرُونَ بَيُوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ.

ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ: «وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ، وَإِنَّهُمْ إِذَا
مَشَوْا الْمُطَيِّطَاءَ⁽⁴⁾ وَخَدَمَتْهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومَ رَدَّ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ، وَسَلَطَ

(1) (قوله: مِنَ الْحِيرَةِ) بكسر الحاء المهملة، مدينة معروفة عند الكوفة وأخرى
عند نيسابور.

(2) (قوله: وَأَنَّ الْمَدِينَةَ سَتُعْزَى)، بالغين المعجمة والزاي.

قال المِزِّي: «إن الرواية في الحديث بضم الفوقية⁽¹⁾ وبالعين المهملة والراء».

(3) (قوله: أَنْمَاطٌ)، بفتح الهمزة وسكون النون، جَمْعُ نَمَطٍ بفتح النون والميم،
وهو ضرب من البُسْطِ.

(4) (قوله: الْمُطَيِّطَاءُ)، بضم الميم وفتح الطاء المهملة وبعدها مشاة تحتية ساكنة
وطاء مهملة.

قال ابن الأثير: «يمد ويقصر، مِشْيَةٌ فِيهَا تَبْخُتُرُ وَمَدٌّ لِلْيَدَيْنِ»⁽²⁾.

(1) نهاية اللوحة (52/ظ).

(2) النهاية في غريب الحديث (340/4) مادة: مطا.

شَرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ، وَقَتَالِهِمُ التُّرُكَ وَالْخَزَرَ⁽¹⁾ وَالرُّومَ، وَذَهَابَ كِسْرَى
وَفَارِسَ، حَتَّى لَا كِسْرَى وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ، وَذَهَابَ قَيْصَرٌ حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ،
وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

وَبِذَهَابِ الْأُمَثَلِ فَلَا أُمَثَلَ مِنَ النَّاسِ، وَتَقَارُبِ الزَّمَانِ، وَقَبْضِ الْعِلْمِ،
وِظْهُورِ الْفِتَنِ وَالْهَرْجِ⁽²⁾.

وَقَالَ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ».

وَأَنَّهُ زُوِيَتْ⁽³⁾ لَهُ الْأَرْضُ فَأَرِي مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا.

وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَ امْتَدَّتْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا بَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ أَقْصَى
الْمَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ⁽⁴⁾ حَيْثُ لَا عِمَارَةَ وَرَاءَهُ، وَذَلِكَ مَا لَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ
الْأُمَمِ، وَلَمْ تَمْتَدَّ فِي الْجَنُوبِ وَلَا فِي الشَّمَالِ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

ذَهَبَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ⁽⁵⁾ إِلَى أَنَّهُمْ الْعَرَبُ، لِأَنَّهُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِالسَّقْيِ
بِالْغَرْبِ وَهِيَ الدَّلُوءُ.

(1) (قوله: وَالْخَزَرَ)، بفتح الخاء المعجمة والزاي وبعدها راء، جنس من الناس.

(2) (قوله: وَالْهَرْجِ)، بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها جيم، القتل.

(3) (قوله: زُوِيَتْ)، أي ضمت وجمعت.

(4) (قوله: طَنْجَةَ)، بفتح الطاء المهملة وسكون النون وبعدها جيم.

(5) (قوله: ابْنُ الْمَدِينِيِّ)، قال ابن الأثير: «الْمَدِينِيُّ نسبة إلى المدينة المشرفة،
وأصله منها ثم انتقل إلى البصرة».

وقال: «إِن الْأَكْثَرَ فِيمَا يَنْسَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَدَنِيٌّ».

وفى الصحاح: «الْمَدَنِيُّ نسبة إلى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَدِينِيُّ نسبة إلى
المدينة التي بناها المنصور»⁽¹⁾.

(1) الصحاح (2201/6) مادة: مدن.

وَعِزُّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ، وَقَدْ وَرَدَ «الْمَغْرِبُ» كَذَا فِي الْحَدِيثِ بِمَعْنَاهُ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

وَأَخْبَرَ بِمُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَوَلَايَةِ مُعَاوِيَةَ وَوَصَّاهُ، وَاتَّخَذَ بَنِي أُمَيَّةَ مَالَ اللَّهِ دَوْلًا⁽¹⁾، وَخُرُوجَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّودِ وَمُلْكِهِمْ أَضْعَافَ مَا مَلَكُوا.

وَخُرُوجَ الْمَهْدِيِّ وَمَا يَنَالُ أَهْلَ بَيْتِهِ وَتَقْتِيلِهِمْ وَتَشْرِيدَهُمْ، وَقَتْلَ عَلِيِّ، وَأَنَّ أَشْقَاهَا⁽²⁾ الَّذِي يُخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَيِ لِحْيَتِهِ مِنْ رَأْسِهِ، وَأَنَّهُ قَسِيمُ النَّارِ، يَدْخُلُ أَوْلِيَاؤُهُ الْجَنَّةَ وَأَعْدَاؤُهُ النَّارَ، فَكَانَ فِيْمَنْ عَادَاهُ الْخَوَارِجُ وَالنَّاصِبَةُ⁽³⁾، وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الرُّوَافِضِ كَقُرُوءِهِ.

وَقَالَ: «يُقْتَلُ عُثْمَانُ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُضْحَفِ»، وَأَنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصًا، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ، وَأَنَّهُ سَيَقْطُرُ دَمُهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 137].

(1) (قوله: دَوْلًا)، بضم الدال المهملة وفتح الواو، جَمْعُ دَوْلَةٍ بضم الدال وسكون الواو، ما يُتَدَاوَلُ من المال.

(2) (قوله: وَأَنَّ أَشْقَاهَا)، هو ابن مُلْجَم، بضم الميم وسكون اللام وكسر الجيم، هو قاتل الإمام علي رضي الله عنه⁽¹⁾، كذا ضبطه النووي في التهذيب⁽²⁾.

(3) (قوله: وَالنَّاصِبَةُ)، بالنون والصاد المهملة بعدها موحدة، طائفة يتعبدون بِبُغْضِ علي رضي الله عنه.

(1) [هو قاتل الإمام علي رضي الله عنه] ساقط من (أ).

(2) تهذيب الأسماء واللغات (302/2).

وَأَنَّ الْفِتْنَ لَا تَظْهَرُ مَا دَامَ عُمَرُ حَيًّا، وَبِمُحَارَبَةِ الزُّبَيْرِ لِعَلِّيٍّ، وَبِنُبْحِ كِلَابٍ⁽¹⁾ الْحَوَّابِ⁽²⁾ عَلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ، وَأَنَّهُ يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرٌ وَتَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ، فَتَبَحَتْ عَلَى عَائِشَةَ عِنْدَ خُرُوجِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ.
وَأَنَّ عَمَّارًا تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ.

وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ». وَقَالَ فِي قُرْمَانَ⁽³⁾ وَقَدْ أَبْلَى مَعَ الْمُسْلِمِينَ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

وَقَالَ فِي جَمَاعَةٍ فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ، وَحَذِيفَةُ، «آخِرُكُمْ مَوْتًا فِي النَّارِ»، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَسْأَلُ عَنْ بَعْضٍ، فَكَانَ سَمُرَةُ آخِرَهُمْ مَوْتًا، هَرِمَ وَخَرِفَ، فَاضْطَلَى بِالنَّارِ فَاخْتَرَقَ فِيهَا.

وَقَالَ فِي حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ: «سَلُّوا زَوْجَتَهُ عَنْهُ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُ»، فَسَأَلُوهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ جُنْبًا وَأَعْجَلَهُ الْحَالُ عَنِ الْغُسْلِ.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَوَجَدْنَا رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً».

وَقَالَ: «الْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ».

(1) (قوله: وَبِنُبْحِ كِلَابٍ)، بضم النون، صوت الكلب.

(2) (قوله: الْحَوَّابِ)، بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة مفتوحة فموحدة.

قال ابن الأثير: «منزل بين البصرة ومكة»⁽¹⁾.

وفي الصحاح: «ماء من مياه العرب على طريق البصرة»⁽²⁾.

(3) (قوله: قُرْمَانَ)، بالقاف المضمومة والزاي الساكنة، هو الذي قاتل في وقعة أُحُدٍ قتالا شديدا ثم قَتَلَ نفسه.

(1) النهاية في غريب الحديث (456/1) مادة: حوب.

(2) الصحاح (117/1) مادة: حوب.

و «لَنْ يَزَالَ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا أَقَامُوا الدِّينَ».
وَقَالَ: «يَكُونُ فِي تَقْيِيفِ كَذَابٍ وَمُبِيرٍ⁽¹⁾»، فَرَأَوْهُمَا الْحَجَّاجُ وَالْمُخْتَارُ.
وَأَنَّ مُسَيْلِمَةَ يَعْقِرُهُ اللَّهُ.
وَأَنَّ فَاطِمَةَ أَوَّلُ أَهْلِ لُحُوقًا بِهِ.
وَأَنْذَرَ بِالرَّدَّةِ، وَبِأَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا، فَكَانَتْ
كَذَلِكَ بِمُدَّةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

(1) (قوله: كَذَابٍ وَمُبِيرٍ)، بضم الميم وكسر الموحدة وفي آخره راء، من أَبَارَ، أي أهلك.

وفي جامع الترمذي: «وَيُقَالُ: الْكَذَّابُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالْمُبِيرُ: الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ، ثُمَّ أَسْنَدَ إِلَى هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: «أَخْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ»⁽¹⁾.

وفي شرح مسلم: «اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن⁽²⁾ يوسف»⁽³⁾، انتهى.

وكان المختار واليا على الكوفة، وكان يلقب بكيسان، وإليه ينسب الكيسانية، وكان خارجيا، ثم صار زيدا، ثم صار شيعيا، وكان يدعو إلى محمد ابن الحنفية، ومحمد يتبرأ منه، وكان أرسل ابن الأشتر بعسكر إلى ابن زياد قاتل الحسين فقتله، وقتل كل من كان في قتلة الحسين ممن قدر عليه، ولما ولي مصعب بن الزبير على البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار بن عبيد وقتله.

(1) سنن الترمذي (499/4 رقم: 2220).

(2) نهاية اللوحة (53/و).

(3) شرح صحيح مسلم للنووي (100/16).

وَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا⁽¹⁾، ثُمَّ يَكُونُ عُثُوثًا⁽²⁾ وَجَبْرُوتًا⁽³⁾ وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ». وَأَخْبَرَ بِشَأْنِ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ.

وَبِأَمْرَاءِ يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا. وَسَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ ثَلَاثُونَ كَذَابًا فِيهِمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: ثَلَاثُونَ دَجَالًا كَذَابًا أَحَدُهُم الدَّجَالُ الْكَذَّابُ، كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمْ الْعَجَمُ، يَأْكُلُونَ⁽⁴⁾ فَيْئَكُمْ⁽⁵⁾، وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسُ بَعْصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ⁽⁶⁾».

(1) (قوله: مُلْكًا عَضُوضًا)، المُلْكُ: بضم الميم، والعَضُوضُ: بفتح العين المهملة وبالضاد المعجمة.

قال ابن الأثير: «أَيُّ يُصِيبُ الرِّعْيَةَ فِيهِ عَسْفٌ وَظُلْمٌ، كَانَهُمْ⁽¹⁾ يُعْضُونَ مِنْهُ عَضًا»⁽²⁾.

(2) (قوله: عُثُوثًا)، بضم العين المهملة وتشديد الواو.

(3) (قوله: جَبْرُوتًا)، بفتح الجيم والموحدة.

(4) (قوله: يَأْكُلُونَ)، بمثناة تحتية فهمة ساكنة.

(5) (قوله: فَيْئَكُمْ)، بفاء مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فهمة مفتوحة.

(6) (قوله: حَتَّى يَسُوقَ النَّاسُ بَعْصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ)، قال القرطبي في التذكرة: «لعله الجهجاه»⁽³⁾.

(1) في (ز) حتى كأنهم.

(2) النهاية في غريب الحديث (253/3) مادة: عضض.

(3) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 1235).

وَقَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ»⁽¹⁾ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».

وَقَالَ: «لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»⁽²⁾.

وقال: «هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيِ أُعْيِلِمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَأَوِيهِ: «لَوْ شِئْتُ سَمَيْتُهُمْ»⁽³⁾ لَكُمْ، بَنُو فَلَانٍ وَبَنُو فَلَانٍ».

وَأَخْبَرَ بِظُهُورِ الْقَدَرِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ، وَسَبِّ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وَقِلَّةِ الْأَنْصَارِ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَتَبَدَّدُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ بَعْدَهُ أَثَرَةً»⁽⁴⁾.

(1) (قوله: يَشْهَدُونَ)، قيل: معناه يشهدون الزور، وقيل يحلفون، واليمين تسمى شهادة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَهِدُوا أَحَدَهُمْ﴾ [النور: 6].

(2) (قوله: لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ)، قيل للحسن: «مَا بَالُ زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ زَمَانِ الْحَجَّاجِ؟» فقال: لَا بَدَ لِلنَّاسِ مِنْ تَنْفِيسٍ»، يعني أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْفَسُ عَنْ عِبَادِهِ وَقَتًا مَا وَيَكْشِفُ الْبَلَاءَ فِيهِ عَنْهُمْ.

(3) (قوله: لَوْ شِئْتُ سَمَيْتُهُمْ)، قال القرطبي: «مِنْهُمْ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمَا مِنْ أَحْدَاثِ مَلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ»⁽¹⁾.

(4) (قوله: أَثَرَةٌ)⁽²⁾، بضم الهمزة وإسكان المثناة وفتحهما.

قال اليعمرى في سيرته: «كَانَتْ هَذِهِ الْأَثَرَةُ زَمَنَ مَعَاوِيَةَ»⁽³⁾.

(1) التذكرة (ص: 1114).

(2) ما ذكره الشارح أحد أفعال ثلاثة في «أثره»، قيل: بفتحتين، وقيل: بضم فسكون، وقيل: بكسر فسكون، انظر مشارق الأنوار على صحاح الآثار (1/18).

(3) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والأثر (2/355).

وَأَخْبَرَ بِشَأْنِ الْخَوَارِجِ وَصَفَتِهِمْ، وَالْمُخَدَّجِ⁽¹⁾ الَّذِي فِيهِمْ، وَأَنَّ سَيَمَاهُمْ
التَّحْلِيْقَ.

وَيُرَى رِعَاءُ الْغَنَمِ رُؤُوسَ النَّاسِ وَالْعُرَاةُ الْحُفَاةُ يَتَبَارُونَ فِي الْبُنْيَانِ، وَأَنَّ
تِلْدَ الْأُمَّةِ رَبَّتَهَا⁽²⁾ وَأَنَّ قُرَيْشًا وَالْأَخْزَابَ لَا يَغْزُونَهُ أَبَدًا وَأَنَّهُ هُوَ يَغْزُوهُمْ.

وَأَخْبَرَ بِالْمَوْتَانِ⁽³⁾ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ
سُكْنَى الْبُضْرَةِ⁽⁴⁾، وَأَنَّهُمْ يَغْزُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ، وَأَنَّ الدِّينَ
لَوْ كَانَ مَنُوطًا بِالشُّرْيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ.

وَهَاجَتْ رِيحٌ فِي عَزَاتِهِ فَقَالَ: «هَاجَتْ لِمَوْتٍ مُنَافِقٍ»، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى
الْمَدِينَةِ وَجَدُوا ذَلِكَ.

وَقَالَ لِقَوْمٍ مِنْ جُلَسَائِهِ: «ضُرُسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ»، قَالَ
أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَذَهَبَ الْقَوْمُ يَغْنِي مَاتُوا وَبَقِيْتُ أَنَا وَرَجُلٌ فَقُتِلَ مُرْتَدًّا يَوْمَ
الْيَمَامَةِ.

(1) (قوله: وَالْمُخَدَّجِ)، بضم الميم وسكون الخاء المعجمة بعدها دال مهملة وجيم، أي الناقص، وكان ناقص اليد.

(2) (قوله: وَأَنَّ تِلْدَ الْأُمَّةِ رَبَّتَهَا)، أي سيدتها، أراد به كثرة السراري واتساع الأحوال، فإن ولد الأمة من⁽¹⁾ سيدها كسيدها، وقيل: العقوق، وأن الولد يغلظ على أمه ويستطيل كالسيد.

(3) (قوله: بِالْمَوْتَانِ) قال ابن الأثير: «هو على وزن بُطْلَانٍ، الموت الكثير»⁽²⁾.

وقال المصنف: «ضم الميم لغة تميم، وفتحها لغة غيرها»⁽³⁾.

(4) (قوله: الْبُضْرَةِ)، يجوز فيه تثليث الموحدة، وفي النسب لا يجوز ضمها.

(1) نهاية اللوحة (53/ظ).

(2) النهاية في غريب الحديث (370/4) مادة: .

(3) مشارق الأنوار (390/1) مادة: موت.

وَأَعْلَمَ بِالَّذِي غَلَّ خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ، فَوُجِدَتْ فِي رَحْلِهِ، وَبِالَّذِي غَلَّ الشَّمْلَةَ⁽¹⁾ وَحَيْثُ هِيَ، وَنَاقَتِهِ حِينَ ضَلَّتْ وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِالشَّجَرَةِ بِخَطَامِهَا، وَبِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ⁽²⁾ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ.

وَبِقَضِيَّةِ عُمَيْرٍ مَعَ صَفْوَانَ حِينَ سَارَهُ وَشَارَطَهُ عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ عُمَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ قَاصِدًا لِقَتْلِهِ وَأَطْلَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْأَمْرِ وَالسِّرِّ أَسْلَمَ.

وَأَخْبَرَ بِالْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ⁽³⁾ بَعْدَ أَنْ كَتَمَهُ، فَقَالَ: مَا عَلِمَهُ غَيْرِي وَغَيْرُهَا، فَأَسْلَمَ. وَأَعْلَمَ بِأَنَّهُ سَيَقْتُلُ أَبِي بَنَ خَلِيفَ.

(1) (قوله: وَبِالَّذِي غَلَّ الشَّمْلَةَ)، هو كركرة.

قال النووي: «يقال بفتح الكافين وبكسرهما»⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَبِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ)، قيل: كَانَ فِيهِ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ بِجَيْشٍ كَاللَّيْلِ يَسِيرُ كَالسَّيْلِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْ سَارَ إِلَيْكُمْ وَحْدَهُ لَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَهُ مَا وَعَدَهُ».

وقيل: كَانَ فِيهِ: «أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ نَفَرَ، فَأِمَّا إِلَيْكُمْ وَإِمَّا إِلَى غَيْرِكُمْ، فَعَلَيْكُمْ الْحَذَرُ»، ذكره السُّهَيْلِيُّ⁽³⁾.

(3) (قوله: عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ)، هي لبابة بنت الحرث زوج العباس، أول امرأة أسلمت بعد خديجة، وقيل: بل أول امرأة أسلمت بعد خديجة فاطمة بنت الخطاب.

(1) شرح صحيح مسلم (129/1) ونصه: «وكركرة بفتح الكاف الأولى وكسرهما، وأما الثانية فمكسورة فيهما».

(2) في (ز) أن النبي.

(3) الروض الأنف (203/7).

وَفِي عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ أَنَّهُ يَأْكُلُهُ كَلْبٌ مِنْ كِلَابِ اللَّهِ.
وَعَنْ مَصَارِعِ أَهْلِ بَدْرٍ، فَكَانَ كَمَا قَالَ.
وَقَالَ فِي الْحَسَنِ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فَتَتَيْنِ».
وَلِسَعْدٍ: «لَعَلَّكَ تُخَلِّفُ حَتَّى يَتَنَفَّعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيَسْتَضَرَّ بِكَ آخَرُونَ».
وَأَخْبَرَ بِقَتْلِ أَهْلِ مُؤْتَةَ يَوْمَ قُتِلُوا وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ أَوْ أَزِيدُ، وَبِمَوْتِ
النَّجَاشِيِّ⁽¹⁾ يَوْمَ مَاتَ وَهُوَ بِأَرْضِهِ.
وَأَخْبَرَ فَيْرُوزَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولًا مِنْ كِسْرَى بِمَوْتِ بِمَوْتِ كِسْرَى ذَلِكَ
الْيَوْمَ، فَلَمَّا حَقَّقَ فَيْرُوزُ الْقِصَّةَ أَسْلَمَ.
وَأَخْبَرَ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِطَرِيدِهِ كَمَا كَانَ، وَوَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ نَائِمًا
فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ» قَالَ: أَسْكُنُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، قَالَ: فَإِذَا
أُخْرِجْتَ مِنْهُ؟....»، الْحَدِيثُ.
وَبِعَيْشِهِ وَخَدَهُ وَمَوْتِهِ وَخَدَهُ.
وَأَخْبَرَ أَنَّ أَسْرَعَ أَزْوَاجِهِ بِهِ لُحُوقًا أَطْوَلُهُنَّ يَدًا، فَكَانَتْ زَيْنَبُ⁽²⁾ لَطُولَ
يَدِهَا بِالصَّدَقَةِ.
وَأَخْبَرَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِالطَّفِّ⁽³⁾، وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً وَقَالَ: «فِيهَا مَضْجَعُهُ».
وَقَالَ فِي زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ⁽⁴⁾: «يَسْبِقُهُ غَضُوٌّ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ»، فَقَطَّعَتْ يَدُهُ
فِي الْجِهَادِ.

وَقَالَ فِي الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَلَى حِرَاءٍ: «اثْبُتْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ
وَشَهِيدٌ، فَقَتِلْ عَلِيٌّ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطُعْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(1) (قوله: وَبِمَوْتِ النَّجَاشِيِّ)، وذلك في السنة التاسعة.

(2) (قوله: فَكَانَتْ زَيْنَبُ) بنت جَحْشٍ، توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين.

(3) (قوله: بِالطَّفِّ)، بفتح الطاء المهملة وتشديد الفاء، موضع بناحية الكوفة.

(4) (قوله: ابْنِ صُوحَانَ)، بصاد مضمومة وحاء مهملتين.

وَقَالَ لِسُرَاقَةَ⁽¹⁾: «كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِستَ سِوَارِي كِسْرَى⁽²⁾»، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ».

وَقَالَ: «تُبْنَى مَدِينَةُ بَيْنَ دِجْلَةَ وَدُجَيْلٍ وَقَطْرُبُلٍ وَالصَّرَاةِ⁽³⁾، تُجَبَى إِلَيْهَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِهَا»، يَعْنِي بَعْدَادَ.

وَقَالَ: «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ، هُوَ شَرُّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ».

وَقَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةً».

وَقَالَ لِعُمَرَ فِي سَهْلٍ بَنِ عَمْرٍو: «عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا يَسْرُكَ يَا عُمَرُ»، فَكَانَ كَذَلِكَ، قَامَ بِمَكَّةَ مَقَامَ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَلَّغَهُمْ مَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَخَطَبَ بَنَحْوِ خُطْبَتَيْهِ، وَثَبَّتَهُمْ وَقَوَّى بَصَائِرَهُمْ.

(1) (قوله: وَقَالَ لِسُرَاقَةَ)، بضم السين المهملة ابن مَالِك بن جُعْشَمٍ بضم الجيم والشين المعجمة، وهو في الأصل اسم للرجل القصير الغليظ مع شدة.

(2) (قوله: سِوَارِي كِسْرَى)، السوار: بضم السين المهملة وكسرهما.

(3) (قوله: دِجْلَةَ وَدُجَيْلٍ وَقَطْرُبُلٍ وَالصَّرَاةِ)، دِجْلَةُ: بكسر الدال نهر بالعراق؛ وَدُجَيْلٍ بضم الدال وفتح الجيم، نهر بالأهواز، حفره أزدشير بن بابك أول ملوك ساسان، وهم ملوك الفرس بالمداثن؛ وَقَطْرُبُلٍ بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء والباء الموحدة واللام المشددة، موضع بالعراق؛ وَالصَّرَاةُ بفتح الصاد المهملة نهر بالعراق، وفي بعض الأصول: والهراة، وهي بلدة معروفة.

وَقَالَ لِحَالِدٍ حِينَ وَجَّهَهُ لِأَكِيدَرٍ⁽¹⁾: «إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ».

فَوَجِدَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلَّهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا قَالَ ﷺ.

إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ جُلَسَاءَهُ مِنْ أَسْرَارِهِمْ وَبَوَاطِينِهِمْ، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْمُتَنَافِقِينَ وَكُفْرِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ فِيهِ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى إِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ: «اسْكُتْ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُخْبِرُهُ لَأَخْبَرْتُهُ حِجَارَةَ الْبَطْحَاءِ».

وَإِعْلَامُهُ بِصِفَةِ السِّحْرِ الَّذِي سَحَرَهُ بِهِ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، وَكَوْنِهِ فِي مُشْطٍ⁽²⁾ وَمُشَاقَّةٍ⁽³⁾.

(1) (قوله: لِأَكِيدَرٍ)، بضم الهمزة وفتح الكاف، قال الخطيب: «كان نصرانيا⁽¹⁾ ثم أسلم، وَقِيلَ بَلْ مَاتَ نصرانيا».

وقال ابن منده وأبو نعيم في كتابيهما في معرفة الصحابة: «إِنْ أَكِيدَرُ هَذَا أَسْلَمٌ وَأَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ حِلَّةَ سِرَاءٍ، فَوَهَبَهَا لِعَمْرٍ»⁽²⁾.

قال ابن الأثير: «الهدية والمصالحة صحيحان، أما الإسلام فغلطا فيه، فإنه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير، ولما صالحه عليه السلام عاد إلى حصنه وبقي فيه، ثم إِنْ خَالِدًا حَاصِرُهُ زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَتَلَهُ مُشْرِكًا لِنَقْضِهِ الْعَهْدِ»⁽³⁾.

(2) (قوله: فِي مُشْطٍ)، بضم الميم وكسرهما وسكون الشين المعجمة.

(3) (قوله: وَمُشَاقَّةٍ)، بالقاف عند أبي زيد، وهي ما يمشط من الكتان، وبالطاء المهملة عند غيره، وهي ما يسقط من الشعر عند التسريح بالمشط، ويقوي هذا أَنَّ السحر يكون في شيء من أثر المسحور، وذلك هنا ظاهر في المشاطة دون المشاققة، وما أَخْرَجَهُ الدارقطني في المسند⁽⁴⁾ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَهُ صَبْيٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُهُ، وَأَنَّ لَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْنَانِ مُشْطِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُشَاقَّةِ شَعْرِهِ فَسَحَرَهُ فِي ذَلِكَ».

(1) نهاية اللوحة (54/و).

(2) معرفة الصحابة لأبي نعيم (361/1).

(3) أسد الغابة (135/1).

(4) (في (ز) ما أَخْرَجَهُ الدارقطني في السير.

فِي جُفٍّ⁽¹⁾ طَلَعَ نَحْلَةً ذَكَرٍ، وَأَنَّهُ أَلْفِي فِي بئرِ ذَرَوَانَ، فَكَانَ كَمَا قَالَ، وَوُجِدَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ.

وإِعْلَامُهُ قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ⁽²⁾ مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ، وَأَنَّهَا أَبَقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلَّهِ، فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ. وَوَضَعَهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حِينَ كَذَّبُوهُ فِي خَبَرِ الْإِسْرَاءِ، وَنَعْتُهُ إِيَّاهُ نَعْتٌ مِنْ عَرَفِهِ، وَإِعْلَامُهُمْ بِعَيْرِهِمُ الَّتِي مَرَّ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهِ، وَإِنْدَارُهُمْ بِوَقْتِ وَصُولِهَا، فَكَانَ كُلُّهُ كَمَا قَالَ.

إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَكُونُ وَلَمْ تَأْتِ بَعْدُ، مِنْهَا مَا ظَهَرَتْ مُقَدِّمَاتُهَا، كَقَوْلِهِ: «عُمَرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتُحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ⁽³⁾».

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَآيَاتِ حُلُولِهَا، وَذَكَرِ النَّشْرِ وَالْحَشْرِ، وَأَخْبَارِ الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَعَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

وَبِحَسَبِ هَذَا⁽⁴⁾ الْفَضْلِ أَنْ يَكُونَ دِيوَانًا مُفْرَدًا يَشْتَمِلُ عَلَى أَجْزَاءِ وَحْدِهِ، وَفِيمَا أَشْرَنَّا إِلَيْهِ مِنْ نُكْتِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كِفَايَةً، وَأَكْثَرَهَا فِي الصَّحِيحِ وَعِنْدَ الْأَثَمَةِ.

(1) (قوله: فِي جُفٍّ)، بضم الجيم وتشديد الفاء، وعَاءُ الطَّلَعِ، وَيُزَوَى «فِي جُفٍّ» بالموحدة، أَي فِي دَاخِلِ.

(2) (قوله: الْأَرْضُ)، بفتح الهمزة، دُوَيْبَةُ تَأْكُلُ الْخَشَبَ.

(3) (قوله: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ)، قَالَ ابْنُ قُرْقُول: «هِيَ بضم الطاء الأولى، كَذَا قَيْدِنَاهُ عَنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ»⁽¹⁾.

(4) (قوله: وَبِحَسَبِ هَذَا)، بِإِسْكَانِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ.

(1) (مطالع الأنوار على صحاح الآثار (422/5) فِي أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ.

فَصْلٌ

فِي عِصْمَةِ اللَّهِ لَهُ مِنَ النَّاسِ وَكِفَايَتِهِ مِنْ أَذَاهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48].

وَقَالَ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36].

قِيلَ: بِكَافٍ مُحَمَّدًا ﷺ أَغْدَاءَهُ الْمُشْرِكِينَ، وَقِيلَ: غَيْرُ هَذَا.

وَقَالَ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 95].

وَقَالَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 30] الآية.

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدْفِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، وَالْفَقِيهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَاوِيُّ⁽¹⁾، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ⁽²⁾ الصَّيْرَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السَّنَجِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَزُورِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُيَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ⁽³⁾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ».

فصل في عصمة الله له

(1) (قوله: الْمَعَاوِيُّ)، بفتح الميم وتخفيف العين المهملة وكسر الفاء، حي من اليمن، قاله المصنف.

(2) (قوله: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ)، تصغير حسن، وهو الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ.

(3) (قوله: الْجُرَيْرِيُّ)، بضم الجيم وفتح الراء، نسبة إلى جرير بن عباد.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابَهُ شَجَرَةً يَقِيلُ تَحْتَهَا، فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَرُعِدَتْ⁽¹⁾ يَدُ الْأَعْرَابِيِّ وَسَقَطَ سَيْفُهُ وَضَرَبَ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى سَالَ دِمَاغُهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الصَّحِيحِ وَأَنَّ غُورثَ بْنَ الْحَارِثِ صَاحِبُ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَفَا عَنْهُ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: «جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ».

وَقَدْ حُكِيَثُ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّهَا جَرَتْ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ مِثْلُهَا فِي غَزْوَةِ غَطَفَانَ بِذِي أَمْرِ⁽²⁾، مَعَ رَجُلٍ اسْمُهُ دَعْثُورُ⁽³⁾ ابْنُ الْحَارِثِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ أَسْلَمَ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ

(1) (قوله: فَرُعِدَتْ)، بضم الراء وكسر العين المهملة، مبني للمفعول لم يسمع إلا كذلك، وفي بعض النسخ فأرعدت⁽¹⁾.

(2) (قوله: بِذِي أَمْرِ)، بفتح الهمزة والميم بعدها راء، موضع من ديار غَطَفَانَ، خرج إليه رسول الله ﷺ لِجَمْعِ مُحَارِبٍ، قاله ابن الأثير⁽³⁾.

(3) (قوله: اسْمُهُ دَعْثُورُ)، قال اليعمرى في سيرته: «وقد تقدم في غزوة ذي أمر خبر⁽⁴⁾ لرجل يقال له دَعْثُورُ بن الْحَارِثِ من بني محارب يُشَبِّهُ⁽⁵⁾ هذا الخبر»، إلى أن قال: «والظاهر أن الخبرين واحد»⁽⁶⁾، انتهى.

وقال الذهبي في تجريد الصحابة: «دَعْثُورُ بن الْحَارِثِ الغطفاني، في حديث عجيب الإسناد، والأشبه أنه غورث»⁽⁷⁾.

(1) في (ز) فارتعدت.

(2) في (ز) خرج إليه النبي.

(3) النهاية في غريب الحديث (67/1) مادة: أمر.

(4) نهاية اللوحة (54/ظ).

(5) في (أ) و (ز) نسبه، والتصويب من عيون الأثر.

(6) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (77/2).

(7) تجريد أسماء الصحابة (166/1).

أَعْرَوْهُ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ وَأَشْجَعَهُمْ قَالُوا لَهُ: أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ، وَقَدْ أَمَكْنَاكَ، فَقَالَ: «إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَيْضَ طَوِيلٍ، دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْتُ لِظَهْرِي وَسَقَطَ السَّيْفُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ، وَأَسْلَمْتُ».

قِيلَ وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ
أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة: 11] الآية.

وَفِي رَوَايَةِ الْخَطَّابِيِّ أَنَّ غُورَثَ⁽¹⁾ بَنَ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيِّ أَرَادَ أَنْ
يَفْتِكَ⁽²⁾ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ مُتَنَضِّيًا⁽³⁾ سَيْفَهُ،
فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ»، فَانْكَبَّ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلْحَةٍ⁽⁴⁾ زُلْحَهَا⁽⁵⁾ بَيْنَ
كَتِفَيْهِ وَنَدَرَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ.
وَالزُّلْحَةُ: وَجَعُ الظَّهْرِ.

وَقِيلَ فِي قِصَّتِهِ غَيْرُ هَذَا، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ [المائدة: 11]، الآية.

(1) (قوله: أَنَّ غُورَثَ)، المشهور أنه بالمعجمة المفتوحة غير مصغر، ورواه الخطابي بالتصغير والشك في إعجام الغين وإهمالها⁽¹⁾.

(2) (قوله: أَرَادَ أَنْ يَفْتِكَ)، بالفاء وضم المثناة الفوقية وكسرها، أي يأخذ على غرة.

(3) (قوله: مُتَنَضِّيًا)، بالضاد المعجمة، من نَضًا سَيْفُهُ وَانْتَضَاهُ، أي سَلَّهُ.

(4) (قوله: مِنْ زُلْحَةٍ)، بضم الزاي وتشديد اللام المفتوحة بعدها خاء معجمة.

قال الخطابي: «وجع يأخذ في الظهر حتى لا يتحرك معه الإنسان»⁽²⁾.

وقال الشَّهْنَلِيُّ: «وجع يأخذ الصُّلْبَ»⁽³⁾.

(5) (قوله: زُلْحَهَا)، بضم الزاي وكسر اللام، مبني للمفعول.

(1) انظر غريب الحديث للخطابي (308/1).

(2) غريب الحديث للخطابي (308/1).

(3) الروض الأنف (184/6).

وَقِيلَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخَافُ قُرَيْشًا فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اسْتَلْقَى ثُمَّ قَالَ «مَنْ شَاءَ فَلْيُخَذْلَنِي».

وَذَكَرَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: كَانَتْ حَمَالَةٌ تَضَعُ الْعِضَاهُ⁽¹⁾، وَهِيَ جَمْرٌ، عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَتْهَا يَطْوُهَا كَثِيرًا أَهِيلَ⁽²⁾.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهَا أَنَّهَا لَمَّا بَلَغَهَا نُزُولُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] وَذَكَرَهَا بِمَا ذَكَرَهَا اللَّهُ مَعَ زَوْجِهَا مِنَ الدَّمِ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٌ وَفِي يَدِهَا فَهْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا لَمْ تَرَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، وَأَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى بِبَصَرِهَا عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، أَيْنَ صَاحِبُكَ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهِذَا الْفَهْرَ⁽³⁾ فَاهُ».

وَعَنِ الْحَكَمِ ابْنِ أَبِي الْعَاصِي قَالَ: «تَوَاعَدْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا رَأَيْنَاهُ سَمِعْنَا صَوْتًا خَلْفَنَا مَا ظَنَّنَا أَنَّهُ بَقِيَ بِتَهَامَةٍ أَحَدٌ، فَوَقَعْنَا مَعْشِيًا عَلَيْنَا، فَمَا أَفْقَنَّا حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ تَوَاعَدْنَا لَيْلَةً أُخْرَى، فَجِئْنَا حَتَّى إِذَا رَأَيْنَاهُ جَاءَتِ الصُّفَا وَالْمَرْوَةُ فَحَالَتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ».

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَوَاعَدْتُ أَنَا وَأَبُو جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ لَيْلَةً قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْنَا مَنْزِلَهُ، فَسَمِعْنَا لَهُ فَافْتَتَحَ وَقَرَأَ: ﴿الْحَاقَّةُ^(١) مَا الْحَاقَّةُ^(٢)﴾ [الحاقة: 1]. [2] إِلَى ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ^(٨)﴾ [الحاقة: 8]، فَضَرَبَ أَبُو جَهْمِ عَلَى عَضْدِ عُمَرَ وَقَالَ: انْجُ، وَفَرًّا هَارِبِينَ، فَكَانَتْ مِنْ مُقَدِّمَاتِ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْهُ الْعِبْرَةُ الْمَشْهُورَةُ وَالْكَفَايَةُ التَّامَّةُ عِنْدَمَا أَخَافَتْهُ قُرَيْشٌ، وَأَجْمَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ وَبَيْتُوهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِهِ فَقَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ، وَذَرَّ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَخَلَصَ مِنْهُمْ.

(1) (قوله: الْعِضَاهُ)، بكسر العين المهملة، كل شجر يعظم وله شوك.

(2) (قوله: أَهِيلَ)، أي سائلا، يقال: تَهَيَّلَ الرَّمْلُ وَانْهَالَ، إِذَا سَالَ.

(3) (قوله: الْفَهْرُ)، بكسر الفاء، هو الحجر ملء الكف، وقيل: الحجر مطلقا.

وَحِمَايَتُهُ عَنْ رُؤْيَيْهِمْ فِي الْغَارِ بِمَا هَيَّأَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَمِنْ الْعُنْكَبُوتِ الَّذِي نَسَجَ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ حِينَ قَالُوا: «نَدْخُلُ الْغَارَ»: «مَا أَرَبُكُم فِيهِ»⁽¹⁾ وَعَلَيْهِ مِنْ نَسَجِ الْعُنْكَبُوتِ، مَا أَرَى أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُوَلَّدَ مُحَمَّدٌ، وَوَقَفَتْ حَمَامَتَانِ عَلَى فَمِ الْغَارِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: «لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ الْحَمَامُ».

وَقِصَّتُهُ مَعَ سُرَاقَةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ حِينَ الْهَجْرَةِ، وَقَدْ جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فِيهِ وَفِي أَبِي بَكْرٍ الْجَعَائِلَ، فَأَنْذَرَ بِهِ فَرَكِبَ فَرَسَهُ⁽²⁾ وَاتَّبَعَهُ، حَتَّى إِذَا قُرْبَ مِنْهُ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاخَتْ⁽³⁾ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فَخَرَّ عَنْهَا، وَاسْتَقَسَمَ بِالْأَزْلَامِ⁽⁴⁾ فَخَرَجَ لَهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ رَكِبَ وَدَنَا حَتَّى سَمِعَ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَلْتَفِتُ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَيْنَا، فَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، فَسَاخَتْ ثَانِيَةً إِلَى رُكْبَتَيْهَا وَخَرَّ عَنْهَا، فَزَجَرَهَا فَتَهَضَّتْ وَلَقَوَائِمَهَا مِثْلَ الدُّخَانِ، فَنَادَاهُمْ بِالْأَمَانِ، فَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمَانًا، كَتَبَهُ ابْنُ فَهَيْرَةَ⁽⁵⁾،

-
- (1) (قوله: مَا أَرَبُكُم فِيهِ)، أَي مَا حَاجَتَكُمْ.
- (2) (قوله: فَرَكِبَ فَرَسَهُ) كَانَ اسْمُ هَذَا الْفَرَسِ الْعُودُ، قِيلَ: وَكَانَتْ أَنْثَى، لِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ طُرُقِ الصَّحِيحِ: «فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي»⁽¹⁾.
- (3) (قوله: فَسَاخَتْ)، بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ، أَي غَاصَتْ فِي الْأَرْضِ.
- (4) (قوله: بِالْأَزْلَامِ)، جَمْعُ زَلَمَ، بِفَتْحِ الزَّاي وَاللَّامِ، أَوْ بَضْمِ الزَّاي وَفَتْحِ اللَّامِ، وَهِيَ الْقِدَاحُ بِكَسْرِ الْقَافِ، جَمْعُ قِدَحٍ بِكَسْرِهَا أَيْضًا، وَهُوَ عَوْدُ السَّهْمِ قَبْلَ أَنْ يَرِاشَ وَيَرْكَبَ نَصْلَهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَهْمٌ، كَانُوا يَكْتُبُونَ عَلَى زَلَمٍ أَفْعَلَ، وَعَلَى آخِرٍ لَا تَفْعَلَ، فَمَا خَرَجَ لَهُمْ عَمَلُوا بِهِ.
- (5) (قوله: ابْنُ فَهَيْرَةَ)، بِضَمِّ الْفَاءِ وَفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الْمِثْنَةِ التَّحْتِيَّةِ، قِيلَ: كَاتِبُهُ ﷺ نَيْفٌ وَأَرْبَعُونَ، وَأَكْثَرُهُمْ مَلَازِمَةٌ لَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ بَعْدَ الْفَتْحِ.

(1) صحيح البخاري (3906).

وَقِيلَ: أَبُو بَكْرٍ⁽¹⁾، وَأَخْبَرَهُمْ بِالْأَخْبَارِ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا يَتْرُكَ أَحَدًا يَلْحَقُ بِهِمْ، فَانْصَرَفَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: كُفَيْتُمْ مَا هَا هُنَا.

وَقِيلَ: بَلْ قَالَ لَهُمَا: «أَرَاكُمَا دَعَوْتُمَا عَلِيَّ، فَادْعُوا لِي»، فَتَجَا، وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ظُهُورُ النَّبِيِّ ﷺ.

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّ رَاعِيًا عَرَفَ خَبَرَهُمَا فَخَرَجَ يَشْتَدُّ⁽²⁾ يُعْلِمُ قُرَيْشًا، فَلَمَّا وَرَدَ مَكَّةَ ضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ، فَمَا يَذَرِي مَا يَصْنَعُ وَأَنْسَى مَا خَرَجَ لَهُ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ.

وَجَاءَهُ - فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ - أَبُو جَهْلٍ بِصُخْرَةٍ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَقُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ، لِيَطْرَحَهَا عَلَيْهِ، فَلَزَقَتْ بِيَدِهِ وَبَسَّتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَأَقْبَلَ يَرْجِعُ الْفَهْقَرَى⁽³⁾ إِلَى خَلْفِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُو لَهُ، فَفَعَلَ فَاَنْطَلَقَتْ يَدَاهُ، وَكَانَ قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ، وَحَلَفَ لَنْ رَأَهُ لِيُدْفَعَنَّهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحُلٌّ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، هَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَاكَ جَبْرِيلُ، لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ».

وَذَكَرَ السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ لِيَقْتُلَهُ، فَطَمَسَ اللَّهُ عَلَى بَصَرِهِ فَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ ﷺ وَسَمِعَ قَوْلَهُ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نَادَوْهُ.

وَذَكَرَ أَنَّ فِي هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ نَزَلَتْ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: 8] الْآيَتَيْنِ.

(1) (قوله: وَقِيلَ: أَبُو بَكْرٍ)، جُمِعَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ بِأَنَّ ابْنَ فَهيرةَ كَتَبَ أَوَّلًا، وَكَتَبَ الصَّدِيقُ آخَرًا.

(2) (قوله: يَشْتَدُّ)، أَيِ يَعْدُوا.

(3) (قوله⁽¹⁾: الْفَهْقَرَى)، بِالْقَصْرِ⁽²⁾، هُوَ الرُّجُوعُ إِلَى خَلْفٍ.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

(2) نهاية اللوحة (55/و).

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي قِصَّتِهِ، إِذْ خَرَجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ⁽¹⁾ فِي أَصْحَابِهِ، فَجَلَسَ إِلَى جِدَارٍ بَعْضُ آطَامِهِمْ، فَانْبَعَثَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ⁽²⁾ أَحَدُهُمْ لِيَطْرَحَ عَلَيْهِ رَحَى، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَعْلَمَهُمْ بِقِصَّتِهِمْ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ [المائدة: 11] فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ نَزَلَتْ.

وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُ فِي عَقْلِ الْكِلَابِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ حَيْيٌ⁽³⁾ بْنُ أَخْطَبَ: اجْلِسْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَتَّى نَطْعِمَكَ وَنُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَوَامَرَ حَيْيٌ مَعَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، فَأَعْلَمَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَامَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَتَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ.

وَذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَعَدَ قُرَيْشًا لَئِنْ رَأَى مُحَمَّدًا يُصَلِّي لِيَطَّأَنَّ رَقَبَتَهُ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ أَعْلَمُوهُ، فَأَقْبَلَ، فَلَمَّا قُرْبَ مِنْهُ وَلَّى هَارِبًا نَاكِصًا عَلَى عَقْبَيْهِ مُتَّقِبًا بِيَدَيْهِ، فَسُئِلَ فَقَالَ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ أَشْرَفْتُ عَلَى خَنْدَقٍ مَمْلُوءٍ نَارًا كِدْتُ أَهْوِي فِيهِ، وَأَبْصَرْتُ هَوْلًا عَظِيمًا وَخَفَقَ أَجْنِحَتُهُ قَدْ مَلَأَتِ الْأَرْضَ، فَقَالَ ﷺ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ، لَوْ دَنَا لَأَخْطَفَتْهُ عُضْوًا عُضْوًا»، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق: 6] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

(1) (قوله: إِذْ خَرَجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ)، الذي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ عَقْبَةَ وَابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ السَّيَرِ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي بَنِي النَّضِيرِ، وَهُوَ سَبَبُ غَزْوِهِمْ، وَأَمَّا غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ فَسَبَبُهَا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ⁽¹⁾.

(2) (قوله: ابْنُ جِحَاشٍ)، بِجَيْمٍ مَفْتُوحَةٍ وَحَاءٍ مَهْمَلَةٍ مُشَدَّدَةٍ وَفِي آخِرِهِ شَيْنٌ مَعْجَمَةٌ، قُتِلَ كَافِرًا.

(3) (قوله: حَيْيٌ)، بِحَاءٍ مَضْمُومَةٍ⁽²⁾ مَهْمَلَةٍ فَمَشَاةٍ تَحْتِيَّةٍ مَفْتُوحَةٍ وَأُخْرَى مُشَدَّدَةٍ.

(1) انظر سيرة ابن هشام (2/190)، وطبقات ابن سعد (2/44).

(2) [مضمومة] ساقط من (أ).

وَيُرَوَّى أَنَّ شَيْبَةَ بْنَ عَثْمَانَ الْحَجَبِيَّ⁽¹⁾ أَدْرَكَهُ يَوْمَ حُتَيْنَ، وَكَانَ حَمْرَةً قَدْ قَتَلَ أَبَاهُ وَعَمَّهُ، فَقَالَ: «الْيَوْمَ أَدْرِكُ ثَارِي⁽²⁾ مِنْ مُحَمَّدٍ»، فَلَمَّا اخْتَلَطَ النَّاسُ أَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَرَفَعَ سَيْفَهُ لِيَضْبَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: «فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ارْتَفَعَ إِلَيَّ شَوَاطِئُ مِنْ نَارِ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ، فَوَلَّيْتُ هَارِبًا، وَأَحَسَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ. فَدَعَانِي، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَهُوَ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَّا وَهُوَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَقَالَ لِي: اذْنُ فَقَاتِلْ، فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي وَأَقْبَهُ بِنَفْسِي، وَلَوْ لَقِيتُ أَبِي تِلْكَ السَّاعَةَ لَأَوْفَعْتُ بِهِ دُونَهُ».

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَرَدْتُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ قَالَ: أَفْضَالَةُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟ قُلْتُ: لَا شَيْءَ، فَضَحِكَ وَاسْتَعْفَرَ لِي، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي فَسَكَنَ قَلْبِي، فَوَاللَّهِ مَا رَفَعَهَا حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ».

وَمِنْ مَشْهُورِ ذَلِكَ خَبَرُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ⁽³⁾ بْنِ قَيْسِ حِينَ وَفَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ عَامِرٌ قَالَ لَهُ: «أَنَا أَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ فَأَضْرِبُهُ أَنْتَ»، فَلَمْ يَرَهُ فَعَلَ شَيْئًا، فَلَمَّا كَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ لَهُ: «وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَهُ إِلَّا وَجَدْتُكَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَأَضْرِبُكَ».

وَمِنْ عِصْمَتِهِ لَهُ تَعَالَى، أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالْكَهَنَةِ أَنْذَرُوا بِهِ وَعَيَّنُوهُ لِقُرَيْشٍ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِسَطَوْتِهِ بِهِمْ، وَحَضُّوهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى بَلَغَ فِيهِ أَمْرُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ بِالرُّعْبِ أَمَامَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ كَمَا قَالَ ﷺ.

(1) (قوله⁽¹⁾: الْحَجَبِيَّ)، بفتح الحاء المهملة والجيم بعدها موحدة، وياء للنسبة إلى حجب الكعبة، ويقع في بعض النسخ جُمَحِيَّ، وهو غلط.

(2) (قوله: ثَارِي)، أصله بالهمزة وخُفِّفَ.

(3) (قوله: وَأَرْبَدَ)، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها دال مهملة، هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه، بعث الله عليه صاعقة فأحرقته كافرا، ولبيد صحابي.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

فصل

[فِي مَعَارِفِهِ ﷺ وَعُلُومِهِ]

وَمِنْ مُعْجَزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ مَا جَمَعَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى جَمِيعِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِأُمُورِ شَرَائِعِهِ، وَقَوَانِينِ دِينِهِ، وَسِيَاسَةِ عِبَادِهِ، وَمَصَالِحِ أُمَّتِهِ، وَمَا كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُ، وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَالْجَبَابِرَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَنِهِ، وَحِفْظِ شَرَائِعِهِمْ وَكُتُبِهِمْ، وَوَعْيِ سِيرِهِمْ، وَسَرْدِ أَنْبَاءِهِمْ وَأَيَّامِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَصِفَاتِ أَعْيَانِهِمْ، وَاخْتِلَافِ آرَائِهِمْ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمُدَدِهِمْ⁽¹⁾ وَأَعْمَارِهِمْ وَحُكْمِ حُكَمَائِهِمْ، وَمُحَاجَةِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْكُفَرَةِ، وَمُعَارَضَةِ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْكِتَابِيِّينَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ، وَإِعْلَامِهِمْ بِأَسْرَارِهَا وَمُخَبَّاتِ عُلُومِهَا، وَإِخْبَارِهِمْ بِمَا كَتَمُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِوَهُ.

إِلَى الْإِخْتَوَاءِ عَلَى لُغَاتِ الْعَرَبِ، وَغَرِيبِ أَلْفَاظِ فِرْقَهَا، وَالْإِحَاطَةِ بِضُرُوبِ فَصَاحَتِهَا، وَالْحِفْظِ لِأَيَّامِهَا وَأَمْثَالِهَا وَحُكْمِهَا وَمَعَانِي أَشْعَارِهَا، وَالتَّخْصِصِ بِجَوَامِعِ كَلِمِهَا، إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِضُرْبِ الْأَمْثَالِ الصَّحِيحَةِ وَالْحُكْمِ الْبَيِّنَةِ لِتَقْرِيبِ التَّفْهِيمِ لِلْغَامِضِ وَالتَّيْسِينِ لِلْمُشْكِلِ.

إِلَى تَمْهِيدِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا تَنَاقُضَ فِيهِ. وَلَا تَخَاذُلَ، مَعَ اسْتِمَالِ شَرِيعَتِهِ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَامِدِ الْأَدَابِ، وَكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنِ مُفْضَلٍ.

لَمْ يُنْكَزْ مِنْهُ مُلْجِدٌ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ شَيْئًا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْخِذْلَانِ، بَلْ كُلُّ جَا حِدٍ لَهُ وَكَافِرٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ بِهِ إِذَا سَمِعَ مَا يَدْعُو إِلَى صَوْبِهِ وَاسْتَحْسَنَهُ دُونَ طَلَبِ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ.

فصل ومن معجزاته

(1) (قوله: بِمُدَدِهِمْ)، بضم الميم، جمع مُدَّةٍ.

ثُمَّ مَا أَحَلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَبَائِثِ، وَصَانَ بِهِ
أَنْفُسَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ مِنَ الْمُعَاقِبَاتِ وَالْحُدُودِ عَاجِلًا، وَالتَّخْوِيفِ
بِالنَّارِ آجَلًا، مِمَّا لَا يَعْلَمُ عِلْمَهُ وَلَا يَقُومُ بِهِ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ
وَالْعُكُوفَ عَلَى الْكُتُبِ، وَمُثَافَنَةَ بَعْضِ هَذَا.

إِلَى الْاِخْتِوَاءِ عَلَى ضُرُوبِ الْعِلْمِ وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ، كَالطَّبِّ وَالْعِبَارَةِ⁽¹⁾
وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ وَالتَّنَسُّبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ مِمَّا اتَّخَذَ أَهْلُ
الْمَعَارِفِ كَلَامَهُ ﷺ فِيهَا قُدُوءَةً وَأَصُولًا فِي عِلْمِهِمْ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا
لِأَوَّلِ عَايِرٍ، وَهِيَ عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ»⁽²⁾.

وَقَوْلِهِ «الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: رُؤْيَا حَقٍّ، وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا
تُخْرِيزُ مِنَ الشَّيْطَانِ».

وَقَوْلِهِ: «إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ»⁽³⁾ لَمْ تَكُذْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذُوبًا.

(1) (قوله: وَالْعِبَارَةُ)، بكسر العين، هي تعبير الرؤيا.

(2) (قوله: وَهِيَ عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ)، رَجُلٌ: بكسر الراء وسكون الجيم، قال الهروي:
«أَيُّ عَلَى قَدَرٍ جَارٍ وَقَضَاءٍ مَاضٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ»⁽¹⁾.

وقال ابن الأثير: «هو من قولهم: اقْتَسَمُوا دَارًا فَطَارَ سَهْمٌ فَلَانَ إِلَى نَاحِيَةِ كَذَا،
يَعْنِي أَنَّ الرُّؤْيَا وَهِيَ الَّتِي يُعَبِّرُهَا الْمُعَبِّرُ الْأَوَّلُ، فَكَأَنَّهَا سَقَطَتْ وَوَقَعَتْ حَيْثُ
عَبَّرَتْ، كَمَا يَسْقُطُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى رَجُلٍ الطَّائِرِ بِأَذْنَى حَرَكَةٍ»⁽²⁾.

وقال ابن قتيبة: «أَرَادَ أَنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ، يُقَالُ لِلشَّيْءِ إِذَا لَمْ يَسْتَقِرْ: هُوَ عَلَى
رَجُلٍ طَائِرٍ»⁽³⁾، وَبَيْنَ مَخَالِبِ طَائِرٍ، وَعَلَى قَرْنِ ظَبْيٍ»⁽⁴⁾.

(3) (قوله: إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ)، قِيلَ: هُوَ اقْتِرَابُ السَّاعَةِ، وَقِيلَ: تَقَارُبُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ مِنَ الْاِعْتِدَالِ.

(1) الغريبي (720/3) مادة: رَجُلٌ.

(2) النهاية في غريب الحديث (204/2) مادة: رَجُلٌ.

(3) فِي (ز) هُوَ رَجُلٌ طَائِرٌ.

(4) تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ (ص: 484).

وَقَوْلِهِ: «أَضْلُ كُلِّ ذَاِ الْبَرْدَةِ»⁽¹⁾.

وَمَا رُوِيَ عَنْهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: «الْمَعْدَةُ حَوْضُ الْبَدَنِ، وَالْعُرْوُقُ إِلَيْهَا وَارِدَةٌ»، وَإِنْ كَانَ هَذَا حَدِيثًا لَا نَصَحِحُهُ لِضَعْفِهِ، وَكَوْنِهِ مَوْضُوعًا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ الدَّارَقُطْنِيُّ.

وَقَوْلِهِ: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ السَّعُوطُ»⁽²⁾، وَاللَّدُودُ⁽³⁾، وَالْحِجَامَةُ، وَالْمَشْيُ⁽⁴⁾.

و «خَيْرُ الْحِجَامَةِ يَوْمَ سَبْعِ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ». وَ «فِي الْعُودِ الْهِنْدِيِّ»⁽⁵⁾ سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ.

(1) (قوله: الْبَرْدَةُ)، بفتح الموحدة والراء وبالذال المهملة، وهي التَّحْمَةُ وَثَقُلُ الطعام على المعدة، لأن ذلك يبرد المعدة.

(2) (قوله: السَّعُوطُ)، بفتح السين المهملة، ما يجعل في الأنف من الأدوية.

(3) (قوله⁽¹⁾: وَاللَّدُودُ)، بفتح اللام وبدالين مهملتين بينهما واو، هو الدواء الذي يُصَبُّ في أحد جانبي الفم، قاله الهروي⁽²⁾.

(4) (قوله: وَالْمَشْيُ)، بفتح الميم وكسر الشين المعجمة بعدها ياء مشددة⁽³⁾، هو الدواء المُسَهِّلُ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُ شَارِبَهُ عَلَى الْمَشْيِ، وَالتَّرَدُّدِ إِلَى الْخَلَاءِ، قاله ابن الأثير⁽⁴⁾.

(5) (قوله: وَفِي الْعُودِ الْهِنْدِيِّ)، قيل: هو الْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ، وَقِيلَ: الْعُودُ الَّذِي يُتَبَخَّرُ بِهِ، قاله ابن الأثير⁽⁵⁾.

(1) [قوله] ساقط من (ز).

(2) الغريبين (1684/5) مادة: لدد.

(3) نهاية اللوحة (55/ظ).

(4) النهاية في غريب الحديث (335/4) مادة: مشى.

(5) النهاية في غريب الحديث (317/3) مادة: عود.

وَقَوْلِهِ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ». إِلَى قَوْلِهِ: «فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفْسِ».

وَقَوْلِهِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ سَبَاٍ أَرْجُلُ هُوَ أَوْ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ فَقَالَ: «رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً، تَيَامَنُ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَتَشَاءَمُ أَرْبَعَةٌ»، الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ.

وَكَذَلِكَ جَوَابُهُ فِي نَسَبِ قُضَاعَةَ.

وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِمَّا اضْطَرَّتِ الْعَرَبُ عَلَى شَغْلِهَا بِالنَّسَبِ إِلَى سُؤَالِهِ عَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَوْلِهِ: «حَمِيرٌ⁽¹⁾ رَأْسُ الْعَرَبِ وَنَابِئُهَا، وَمَذْحِجٌ⁽²⁾ هَامَتْهَا وَغَلَصَمَتْهَا⁽³⁾، وَالْأَزْدُ كَاهِلُهَا⁽⁴⁾ وَجُمُجُمَتْهَا، وَهَمْدَانٌ⁽⁵⁾ غَارِبُهَا⁽⁶⁾ وَذُرُوتُهَا⁽⁷⁾».

(1) قوله: حَمِيرٌ، بكسر المهملة وسكون الميم وفتح المثناة التحتية.

(2) قوله: وَمَذْحِجٌ، بسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة.

في الصحاح: «مَذْحِجٌ عَلَى وزن مَسْجِدٍ: أَبُو قَبِيلَةٍ مِنَ الْيَمَنِ، وَهُوَ مَذْحِجُ بْنُ يُحَابِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ⁽¹⁾ بْنِ سَبَاٍ، قَالَ سَيُويهِ: الْمِيمُ مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ»⁽²⁾.
وفى القاموس: «كَمْجَلِس: أَكْمَةٌ، وَلَدَتْ مَالِكًا وَطَيْئًا أُثْمُهُمَا عِنْدَهَا، فَسُمُّوا مَذْحِجًا»⁽³⁾.

(3) قوله: وَغَلَصَمَتْهَا، الْغَلَصَمَةُ: بفتح الغين المعجمة وسكون اللام، رَأْسُ الْحُلُقُومِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ النَّاتِي⁽⁴⁾ فِي الْحَلْقِ.

(4) قوله: كَاهِلُهَا، الْكَاهِلُ مِنَ الْإِنْسَانِ: مَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

(5) قوله: وَهَمْدَانٌ، بسكون الميم.

(6) قوله: غَارِبُهَا، الْغَارِبُ: مَا بَيْنَ السَّنَامِ وَالْعُنُقِ.

(7) قوله: وَذُرُوتُهَا، بضم الذال المعجمة وكسرهما، أَي أَعْلَاهَا.

(1) في (ز) بن هلال.

(2) الصحاح (340/1) مادة: مذحج.

(3) القاموس المحيط (ص: 190) مادة: ذحج، وكلام غير واضح، وقال في لسان العرب (278/2): «وَمَذْحِجٌ: اسْمُ أَكْمَةٍ، قِيلَ بِهَا سُمِّيَتْ أُمُّ مَالِكٍ وَطَيْئٌ مَذْحِجًا، ثُمَّ صَارَ اسْمًا لِلْقَبِيلَةِ».

(4) في (أ) و (ز) الثاني، والتصويب من الصحاح (1997/5)، ولسان العرب (441/12).

وَقَوْلِهِ: «إِنَّ الرَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ».

وَقَوْلِهِ فِي الْحَوْضِ: «زَوَايَاهُ سَوَاءٌ».

وَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الذِّكْرِ: «وَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَتِلْكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ عَلَى اللِّسَانِ، وَالْأَلْفُ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ».

وَقَوْلِهِ وَهُوَ بِمَوْضِعٍ: «نِعَمَ مَوْضِعُ الْحَمَامِ هَذَا».

وَقَوْلِهِ: «مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ».

وَقَوْلِهِ لِعُيَيْنَةَ أَوِ الْأَفْرَعِ: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْخَيْلِ مِنْكَ».

وَقَوْلِهِ لِكَاتِبِهِ: «ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ، فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمِمْلِ».

هَذَا مَعَ أَنَّهُ ﷺ لَا يَكْتُبُ، وَلَكِنَّهُ أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى قَدْ وَرَدَتْ آثَارٌ بِمَعْرِفَتِهِ حُرُوفَ الْخَطِّ وَحُسْنِ تَصْوِيرِهَا، كَقَوْلِهِ: «لَا تَمُدُّوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، رَوَاهُ ابْنُ شَعْبَانَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «أَلْقِ الدَّوَاةَ⁽¹⁾، وَحَرِّفِ الْقَلَمَ، وَأَقِمِ الْبَاءَ، وَفَرِّقِ السِّينَ، وَلَا تُغَوِّرِ الْمِيمَ⁽²⁾، وَحَسِّنِ اللَّهَ، وَمُدِّ الرَّحْمَنَ وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ».

وَهَذَا وَإِنْ لَمْ تَصِحَّ الرَّوَايَةُ أَنَّهُ ﷺ كَتَبَ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُزْرَقَ عِلْمَ هَذَا وَيُمنَعَ الْكِتَابَةُ وَالْقِرَاءَةُ.

وَأَمَّا عِلْمُهُ ﷺ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَحِفْظُهُ مَعَانِي أَشْعَارِهَا فَأَمْرٌ مَشْهُورٌ، قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهِ أَوَّلَ الْكِتَابِ.

(1) (قوله: أَلْقِ الدَّوَاةَ)، بفتح الهمزة وكسر اللام، أي أصلح مدادها.

(2) (قوله: وَلَا تُغَوِّرِ الْمِيمَ)، بضم المشاة الفوقية وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة.

وَكَذَلِكَ حِفْظُهُ لِكَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَمِ، كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «سَنَةٌ، سَنَةٌ⁽¹⁾»، وَهِيَ حَسَنَةٌ بِالْحَبَشِيَّةِ.

وَقَوْلِهِ: «وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ⁽²⁾»، وَهُوَ الْقَتْلُ بِهَا.

وَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَشْكَنْبَ دَرْدُ⁽³⁾»، أَي وَجَعَ الْبَطْنِ بِالْفَارِسِيَّةِ.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُ بَعْضُ هَذَا وَلَا يَقُومُ بِهِ وَلَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ وَالْعُكُوفَ عَلَى الْكُتُبِ، وَمُثَافَنَةً⁽⁴⁾ أَهْلِهَا عُمُرَهُ، وَهُوَ رَجُلٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أُمِّي»، لَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يَقْرَأْ، وَلَا عَرَفَ بِصُحْبَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَلَا نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ لَهُمْ عِلْمٌ وَلَا قِرَاءَةٌ لَشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلَا عَرَفَ هُوَ قَبْلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: 48]، الْآيَةُ.

إِنَّمَا كَانَتْ غَايَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ النَّسَبُ وَأَخْبَارُ أَوَائِلِهَا وَالشَّعْرُ وَالْبَيَانُ، وَإِنَّمَا حَصَلَ ذَلِكَ لَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّغِ لِعِلْمِ ذَلِكَ وَالِاشْتِغَالِ بِطَلَبِهِ وَمُبَاحَثَةِ أَهْلِهِ عَنْهُ.

(1) (قوله: سَنَةٌ سَنَةٌ)، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «وَفِي رِوَايَةٍ «سَنَا سَنَا» بِتَخْفِيفِ نُونِهِمَا وَتَشْدِيدِهِمَا، وَفِي أُخْرَى «سَنَاءُ سَنَاءُ» بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ فِيهِمَا»⁽¹⁾.

(2) (قوله: الْهَرْجُ)، بَفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ بَعْدَهَا جِيمٌ.

(3) (قوله: أَشْكَنْبَ دَرْدُ) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْمَعْجَمَةِ وَفَتْحِ الْكَافِ بَعْدَهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ فَمَوْحِدَةٌ كَذَلِكَ، فَدَالَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ أُولَاهُمَا مَفْتُوحَةٌ وَبَيْنَهُمَا رَاءٌ، أَشْكَنْبَ: مَعْنَاهُ بِالْفَارِسِيَّةِ الْبَطْنِ، وَدَرْدُ: الْوَجَعُ.

(4) (قوله: مُثَافَنَةً) بِمِثْلَةِ وَفَاءِ وَنُونِ، تَقْدِمُ تَفْسِيرَهُ.

(1) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (415/2) مَادَّةُ: سَنَهُ.

وَهَذَا الْفَنُّ نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ ﷺ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى جَحْدِ الْمُلْحِدِ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ، وَلَا وَجَدَ الْكَفَرَةَ حِيلَةً فِي دَفْعِ مَا نَصَصْنَاهُ إِلَّا قَوْلُهُمْ: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25] ، ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103]، فَرَدَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لِسَاتِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103].

ثُمَّ مَا قَالُوهُ مُكَابَرَةً الْعِيَانِ، فَإِنَّ الَّذِي نَسَبُوا تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ إِمَّا سَلْمَانَ أَوْ الْعَبْدُ الرُّومِيَّ، وَسَلْمَانُ إِنَّمَا عَرَفَهُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَنُزُولِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَظُهُورِ مَا لَا يَنْعَدُّ مِنَ الْآيَاتِ، وَأَمَّا الرُّومِيُّ فَكَانَ أَسْلَمَ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ.

وَقِيلَ: بَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ عِنْدَهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ، وَكِلَاهُمَا أَعْجَمِيٌّ اللَّسَانِ، وَهُمْ الْفُصَحَاءُ اللَّذُ⁽¹⁾، وَالْخُطَبَاءُ اللَّسُنُ⁽²⁾، قَدْ عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مَا أَتَى بِهِ، وَالْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ، بَلْ عَنْ فَهْمِ وَضْفِهِ وَصُورَةِ تَأْلِيْفِهِ وَنَظْمِهِ، فَكَيْفَ بِأَعْجَمِيٍّ أَلْكَنَ! ⁽³⁾.

نَعَمْ، وَقَدْ كَانَ سَلْمَانُ، أَوْ بَلْعَامُ الرُّومِيَّ، أَوْ يَعِيشُ، أَوْ جَبْرُ، أَوْ يَسَارُ، عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي اسْمِهِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ يُكَلِّمُونَهُمْ مَدَى أَعْمَارِهِمْ، فَهَلْ حُكِيَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ مَا كَانَ يَجِيءُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهَلْ عُرِفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؟

(1) (قوله: اللُّذُ) جمع أَلَذَّ، وهو الشديد الخصومة.

(2) (قوله: اللَّسُنُ) بضم اللام وإسكان السين المهملة، جمع لَسَنَ بفتح اللام وكسر المهملة.

(3) (قوله: أَلْكَنَ) اللَّكْنَةُ: الْعُجْمَةُ فِي اللِّسَانِ، وَالْعِيٌّ فِي الْكَلَامِ.

وَمَا مَنَعَ الْعَدُوَّ حِينَئِذٍ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِ وَذُؤُوبِ طَلَبِهِ وَقُوَّةِ حَسَدِهِ أَنْ
يَجْلِسَ إِلَى هَذَا فَيَأْخُذَ عَنْهُ أَيْضًا مَا يُعَارِضُ بِهِ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَا يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى
شَيْعَتِهِ، كَفَعْلِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ⁽¹⁾ بِمَا كَانَ يُمَحْرِقُ⁽²⁾ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ كُتُبِهِ.
وَلَا غَابَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَوْمِهِ، وَلَا كَثُرَتْ اخْتِلَافَاتُهُ إِلَى بِلَادِ أَهْلِ
الْكِتَابِ، فَيُقَالُ إِنَّهُ اسْتَمَدَّ مِنْهُمْ.

بَلْ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ⁽³⁾ يَزْعَى فِي صِغَرِهِ وَشَبَابِهِ عَلَى عَادَةِ أَنْبِيَائِهِمْ،
ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا فِي سَفَرَةٍ أَوْ سَفَرَتَيْنِ، لَمْ يَطُلْ فِيهِمَا مُكُتَّهُ مُدَّةً
يَحْتَمِلُ فِيهَا تَعْلِيمَ الْقَلِيلِ فَكَيْفَ الْكَثِيرُ؟!.

بَلْ كَانَ فِي سَفَرِهِ فِي ضُحْبَةِ قَوْمِهِ وَرِفَاقِهِ وَعَشِيرَتِهِ لَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ، وَلَا
خَالَفَ حَالَهُ مُدَّةً مُقَامِهِ بِمَكَّةَ مِنْ تَعْلِيمٍ وَاخْتِلَافٍ إِلَى حَبْرٍ⁽⁴⁾ أَوْ قَيْسٍ⁽⁵⁾ أَوْ
مُنَجِّمٍ أَوْ كَاهِنٍ.

بَلْ لَوْ كَانَ هَذَا بَعْدَ كُلِّهِ، لَكَانَ مَجِيءُ مَا أَتَى بِهِ فِي مُعْجَزِ الْقُرْآنِ قَاطِعًا
لِكُلِّ عُدْرٍ، وَمُذْهِضًا لِكُلِّ حُجَّةٍ، وَمُجَلِّيًا لِكُلِّ أَمْرِ.

(1) (قوله: كَفَعْلِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ) قُتِلَ كَافِرًا صَبْرًا فِي تَوَجُّهَةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ
بَدْرِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(2) (قوله⁽¹⁾: يُمَحْرِقُ) بَضَمَ أَوَّلَهُ وَفَتَحَ ثَانِيَهُ وَسَكُونُ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ بَعْدَهَا رَاءٌ
مَكْسُورَةٌ وَقَافٌ؛ فِي الصَّحَاحِ: «أَمَّا الْمَحْرَقَةُ فَكَلِمَةٌ مُوَلَّدَةٌ»⁽²⁾.

(3) (قوله: بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ) أَيِ بَيْنَهُمْ.

(4) (قوله: إِلَى حَبْرٍ) بَفَتْحِ الْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسْرِهَا.

(5) (قوله: أَوْ قَيْسٍ) بَفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِهَا وَتَشْدِيدِ السِّينِ.

فِي الصَّحَاحِ: «هُوَ رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَكَذَلِكَ
الْقَيْسِيُّ»⁽³⁾.

(1) نَهَايَةُ اللَّوْحَةِ (56/و).

(2) الصَّحَاحُ (1468/4) مَادَّةُ: خَرَقَ.

(3) الصَّحَاحُ (963/3) مَادَّةُ: قَيْسٌ.

فصل

[فِي أَنْبَاءِهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ]

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ وَكَرَامَاتِهِ وَبَاهِرِ آيَاتِهِ أَنْبَأُوهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَإِمْدَادُ اللَّهِ لَهُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَطَاعَةُ الْجِنِّ لَهُ، وَرُؤْيَا كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَطَلَّهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ﴾ [التحریم: 4]، الآية.

وَقَالَ: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: 12].

وَقَالَ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ [الأنفال: 9]، الآية.

وَقَالَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: 29]، الآية.

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِ الْفَقِيهُ بِسَمَاعِي عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرَقَنْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ، ثنا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَلْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، سَمِعَ زَرَّ بْنَ حُبَيْشٍ⁽¹⁾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨) [النجم: 18]، قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٌ».

وَالْخَبَرُ فِي مُحَادَثَتِهِ مَعَ جِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا شَاهَدَهُ مِنْ كَثَرَتِهِمْ وَعِظَمِ صُورِ بَعْضِهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مَشْهُورٌ.

وَقَدْ رَأَاهُمْ بِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ، فَرَأَى أَصْحَابَهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

فصل ومن خصائصه

(1) (قوله: ابن حُبَيْشٍ) بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وفي آخره شين معجمة، هو أبو مريم الأسدي.

وَرَأَى ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا عِنْدَهُ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ دَحِيَّةٍ⁽¹⁾.

وَرَأَى سَعْدُ عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ.

وَمِثْلُهُ عَنْ غَيْرٍ وَاحِدٍ.

وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ زَجَرَ الْمَلَائِكَةِ⁽²⁾ خَيْلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ.

وَبَعْضُهُمْ رَأَى تَطَايُرَ الرُّؤُوسِ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَا يَرُونَ الضَّارِبَ.

وَرَأَى أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا بَيَاضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ.

وَقَدْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تُصَافِحُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ.

وَأَرَى النَّبِيُّ ﷺ لِحُمْزَةِ جِبْرِيلَ فِي الْكَعْبَةِ فَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ.

وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ الْجَنَّةَ لَيْلَةَ الْجَنَّةِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُمْ، وَشَبَّهَهُمْ بِرِجَالِ الزُّطِّ⁽³⁾.

وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ لَمَّا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ الرَّايَةَ مَلَكٌ عَلَى صُورَتِهِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «تَقَدَّمْ يَا مُضْعَبُ»، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: «لَسْتُ بِمُضْعَبٍ»، فَعَلِمَ أَنَّهُ مَلَكٌ.

(1) (قوله: دَحِيَّة) بكسر الدال المهملة وفتحها.

(2) (قوله: زَجَرَ الْمَلَائِكَةِ) بفتح الزاي وسكون الجيم.

في الصحاح: «الزَّجْرُ المنع والنهي، وَزَجَرَ البعير ساقه»⁽¹⁾.

(3) (قوله: بِرِجَالِ الزُّطِّ) بضم الزاي وتشديد الطاء المهملة، قوم من السودان طوال.

(1) الصحاح (668/2) مادة: زجر.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ بِيَدِهِ عَصَا، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ ﷺ: «نِعْمَةُ الْجَنِّ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَنَا هَامَةُ بْنُ الْهَيْمِ بْنِ لَاقِسِ بْنِ إِبْلِيسَ»، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ نُوحًا وَمَنْ بَعْدَهُ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ⁽¹⁾.

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ قَتْلَ خَالِدٍ عِنْدَ هَذْمِهِ الْعُرَى لِلْسُّودَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا عُزْيَانَةً، فَجَزَلَهَا⁽²⁾ بِسَيْفِهِ، وَأَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «تِلْكَ الْعُرَى».

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ شَيْطَانًا تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35] فَرَدَّ اللَّهُ خَاسِتًا».

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ.

(1) (قوله: وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ) فِي الْمِيزَانِ: «وَفِي حَدِيثِهِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ ﷺ⁽¹⁾ عَلَّمَهُ الْمُرْسَلَاتِ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ وَالْمَعُودَتَيْنِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»⁽²⁾.

(2) (قوله: فَجَزَلَهَا) بِالْجِيمِ وَالزَّايِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ، أَيِ قَطْعِهَا.

(1) فِي (أ) أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَهُ.

(2) مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ (188/1).

فصل

[فِي أَخْبَارِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَلَامَاتِ رِسَالَتِهِ عِنْدَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ]

وَمِنْ دَلَائِلِ بُبُوتِهِ وَعَلَامَاتِ رِسَالَتِهِ مَا تَرَادَفَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الرُّهْبَانِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُتُبِ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أُمِّتِهِ، وَاسْمِهِ، وَعَلَامَاتِهِ، وَذَكَرِ الْخَاتِمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَمَا وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، مِنْ شِعْرِ تُبَّعٍ، وَالْأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ، وَكَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ⁽¹⁾، وَسُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ، وَقَسَّ⁽²⁾ بْنِ سَاعِدَةَ.

وَمَا ذَكَرَ عَنْ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ وَغَيْرِهِمْ.

وَمَا عَرَّفَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَعَثْكَالَانُ⁽³⁾ الْحَمِيرِيُّ، وَعُلَمَاءُ يَهُودَ، وَشَامُولُ⁽⁴⁾ عَالِمُهُمْ صَاحِبُ تُبَّعٍ، مِنْ صِفَتِهِ وَخَبَرِهِ.

فصل ومن دلائل نبوته

(1) (قوله: وَلُؤَيِّ بْنِ كَعْبٍ) وفي بعض النسخ: كعب بن لؤي، وهو الصواب.

(2) (قوله: وَقَسَّ) بضم القاف وتشديد السين المهملة، والإيادي بكسر الهمزة، وإياد حي.

وفي الصحاح: «وَقَسَّ بْنُ سَاعِدَةَ الإيادي أسقف نجران، وكان أحد حكام العرب»⁽¹⁾.

(3) (قوله: عَثْكَالَانُ) بفتح العين المهملة وسكون المثناة.

(4) (قوله: وَشَامُولُ) بالشين المعجمة والميم المضمومة وفي آخره لام.

(1) الصحاح (962/3) مادة: قسس.

وَمَا أُلْفِي⁽¹⁾ مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، مِمَّا قَدْ جَمَعَهُ الْعُلَمَاءُ
وَبَيَّنُوهُ وَنَقَلَهُ عَنْهُمَا ثَقَاتٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، مِثْلُ ابْنِ سَلَامٍ، وَابْنِ سَعْيَةَ⁽²⁾،
وَبَنِيَامِينَ، وَمُخَيْرِيقَ⁽³⁾، وَكَعْبٍ، وَأَشْبَاهِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ يَهُودَ،
وَبَحِيرَاءَ، وَنَسْطُورِ الْحَبْشَةِ⁽⁴⁾، وَصَاحِبِ بُصْرَى، وَضَغَاطِرَ⁽⁵⁾، وَأُسْقُفِ الشَّامِ،

(1) (قوله: وَمَا أُلْفِي) بضم الهمزة وكسر الفاء.

(2) (قوله: وَابْنِي سَعْيَةَ) ابني: بسكون الموحدة، تثنية ابن، وسَعْيَةَ: بفتح السين
وسكون العين المهملتين بعدهما مثناة تحتية، وفي بعض النسخ: بَنِي سَعْيَةَ
بفتح الموحدة، جمع ابن.

وفي سيرة اليعمري: «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْيَةَ وَأُسَيْدَ بْنَ سَعْيَةَ
وَأُسْدَ بْنَ عُبَيْدٍ وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ هَذِلٍ لَيْسُوا مِنْ قَرِيظَةَ⁽¹⁾ وَلَا النُّضِيرِ، نَسَبُهُمْ فَوْقَ
ذَلِكَ، وَهُمْ بَنُو عَمِّ الْقَوْمِ، أَسْلَمُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا قَرِيظَةُ عَلَى حَكَمِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽²⁾.

(3) (قوله: وَمُخَيْرِيقَ) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة.

(4) (قوله: وَنَسْطُورِ الْحَبْشَةِ) احترز به عن نسطور الشام الذي رآه⁽³⁾ في رحلته
ﷺ تاجرا إلى الشام لخديجة.

(5) (قوله: وَضَغَاطِرَ) بالضاد والغين المعجمتين المفتوحتين بعدها ألف وطاء
مهملة وراء، هو الأسقف، الرومي، أسلم على يد دحية الكلبي وقت
الرَّسِيلَةَ⁽⁴⁾ فقتلوه، ذكره الذهبي في تجريد الصحابة⁽⁵⁾.

(1) نهاية اللوحة (56/ظ).

(2) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس اليعمري (2/104).

(3) [رآه] ساقط من (ز).

(4) في (ز) الرسلية.

(5) تجريد أسماء الصحابة (1/272).

وَالْجَارُودِ، وَسَلْمَانَ، وَالنَّجَاشِيِّ، وَنَصَارَى الْحَبَشَةِ، وَأَسَاقِفَ نَجْرَانَ، وَغَيْرِهِمْ
مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى.

وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ هِرْقُلُ وَصَاحِبُ رُومَةَ عَالِمَا النَّصَارَى وَرِئِيسَاهُمُ،
وَمُقَوْقِسُ صَاحِبُ مِصْرَ، وَالشَّيْخُ صَاحِبُهُ، وَابْنُ صُورِيَا، وَابْنُ أَخَطَبَ وَأَخُوهُ،
وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَالزَّيْبِيُّ⁽¹⁾، بَنُ بَاطِيَا⁽²⁾، وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ، مِمَّنْ حَمَلَهُ
الْحَسَدُ وَالتَّنَافَسُ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَى الشَّقَاءِ.

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ لَا تَنْحَصِرُ.

وَقَدْ قَرَعَ أَسْمَاعُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ
وَصِفَةِ أَصْحَابِهِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ صُحُفُهُمْ، وَذَمَّهُمْ
بِتَحْرِيفِ ذَلِكَ وَكُتْمَانِهِ، وَلِيَّهُمْ أَلَسْتَهُمْ بَبَيَانِ أَمْرِهِ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ
عَلَى الْكَاذِبِ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا نَفَرٌ عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَإِبْدَاءِ مَا أَلَزَمَهُمْ مِنْ كُتُبِهِمْ
إِظْهَارُهُ، وَلَوْ وَجَدُوا خِلَافَ قَوْلِهِ لَكَانَ إِظْهَارُهُ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَذْلِ النُّفُوسِ
وَالْأَمْوَالِ وَتَحْرِيبِ الدِّيَارِ وَنَبَذِ الْقِتَالِ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [آل عمران: 93].

(1) (قوله: وَالزَّيْبِيُّ) بفتح الزاي وكسر الموحدة، هو والد عبد الرحمن الذي قالت
امراته بنت وهب: «إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ»⁽¹⁾.

(2) (قوله: بَنُ بَاطِيَا) بموحدة فألف فطاء مهملة مكسورة فمشاة تحتية، وفي غير
الشفاء بالطاء بلا مد ولا همزة.

(1) رواه البخاري (2636)، ومسلم (1433) عن عائشة رضي الله عنها.

إِلَى مَا أُنْذَرَ بِهِ الْكُهَّانُ مِثْلُ شَافِعِ بْنِ كَلَيْبٍ، وَشَقٍّ⁽¹⁾، وَسَطِيحٍ⁽²⁾،
وَسَوَادِ بْنِ قَارِبٍ، وَخُنَافِرٍ⁽³⁾، وَأَفْعَى⁽⁴⁾ نَجْرَانَ، وَجَذَلٍ⁽⁵⁾ بْنِ جَذَلِ الْكِنْدِيِّ،
وَابْنِ خَلْصَةَ⁽⁶⁾ الدَّوْسِيِّ، وَسَعْدِ بْنِ بِنْتِ كُرَيْزٍ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ⁽⁷⁾، وَمَنْ
لَا يَنْعَدُ كَثْرَةً.

إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَضْنَامِ مِنْ بُبُوتِهِ وَحُلُولِ وَقْتِ رِسَالَتِهِ، وَسَمِعَ
مِنْ هَوَاتِفِ الْجَانِّ وَمِنْ ذَبَائِحِ النُّصَبِ وَأَجْوَافِ الصُّوَرِ.

وَمَا وَجَدَ مِنْ اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرَّسَالَةِ مَكْتُوبًا فِي الْحِجَارَةِ
وَالْقُبُورِ، بِالْخَطِّ الْقَدِيمِ مَا أَكْثَرُهُ مَشْهُورٌ، وَإِسْلَامٌ مَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ
مَذْكُورٌ.

(1) (قوله: وَشَقٍّ) بكسر المعجمة وتشديد القاف، كاهن من كهان العرب، كان
شق إنسان، يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة.

(2) (قوله: وَسَطِيحٍ) بفتح السين المهملة وكسر الطاء المهملة بعدها مثناة تحتية
ساكنة فحاء مهملة، كاهن بنى ذئب، وَقَالَ غَيْرٌ وَاحِدٍ: ما كان فيه عظم سوى
رأسه.

وقال محمد بن حبيب النسابة: «كان سطيح جسدا مُلْقَى لا جوارح له فيما
يذكرون، ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس».

(3) (قوله: وَخُنَافِرٍ) بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون وكسر الفاء، أحد كهان
حَمِيرٍ، أسلم على يد معاذ.

(4) (قوله: وَأَفْعَى) بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح العين المهملة.

(5) (قوله: وَجَذَلٍ) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة.

(6) (قوله: وَابْنِ خَلْصَةَ) بفتح المعجمة واللام والصاد المهملة.

(7) (قوله: النُّعْمَانِ) قال المِزِّي: «كل اسم على هذه الصيغة فهو بضم النون، إلا
نُعْمَانِ بن قراد فإنه بفتحها».

فصل

[فِي مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ﷺ]

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ، وَمَا حَكَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ الْعَجَائِبِ.

وَكَوْنُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ عِنْدَمَا وَضَعَتْهُ شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وَلَادَتِهِ.

وَمَا رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ مِنْ تَدَلِّي النُّجُومِ وَظُهُورِ النُّورِ عِنْدَ وَلَادَتِهِ، حَتَّى مَا تَنْظُرُ إِلَّا النُّورَ.

وَقَوْلِ الشِّفَاءِ⁽¹⁾ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: «لَمَّا سَقَطَ ﷺ عَلَى يَدَيَّ وَاسْتَهَلَّ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، وَأَصْأَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الرُّومِ.

وَمَا تَعَرَّفْتُ بِهِ حَلِيمَةَ وَزَوْجُهَا ظُرَّاءُ مِنْ بَرَكَتِهِ، وَدُرُورِ لَبْنِهَا لَهُ، وَلَبَنِ شَارِفِهَا، وَخِصْبِ غَنَمِهَا، وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ، وَحُسْنِ نَشَاتِهِ.

وَمَا جَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ، مِنْ ارْتِجَاجِ إِيوَانَ كِسْرَى، وَسُقُوطِ شُرَفَاتِهِ⁽²⁾،

فصل ومن ذلك

(1) (قوله: وَقَوْلِ الشِّفَاءِ) بكسر الشين المعجمة بعدها فاء وألف مقصورة⁽¹⁾، هي بنت عوف بن عبد الزهرية، من المهاجرات.

(2) (قوله: شُرَفَاتِهِ) بضم الشين⁽²⁾ المعجمة وضم الراء فتحها وإسكانها، جمع شُرْفَةٍ، بضم الشين وإسكان الراء.

(1) يجوز فيه القصر والمد، انظر شرح الشفا للملا علي القاري (1/751).

(2) نهاية اللوحة (57/و).

وَعَيْضُ بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ⁽¹⁾، وَخُمُودِ نَارِ فَارِسَ، وَكَانَ لَهَا أَلْفَ عَامٍ لَمْ تَحْمَدَ⁽²⁾.
وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا وَرَوُّوا،
فَإِذَا غَابَ فَأَكَلُوا فِي غَيْبَتِهِ لَمْ يَشْبَعُوا.
وَكَانَ سَائِرُ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ⁽³⁾ يُضْبِحُونَ شُعْثًا، وَيُضْبِحُ ﷺ صَقِيلًا دِهْنًا
كَحِيلًا.

(1) (قوله: وَغَيْضُ بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ) الغَيْضُ: مصدر غَاضَ يَغِيضُ، أي قَلَّ، وَطَبْرِيةَ مدينة معروفة بالشام، ذات حصن في ناحية الأردن، وهي داخلة في الأرض المقدسة، بينها وبين بيت المقدس مرحلتين، وبحيرتها معروفة، والمعروف بالغيض إنما هو بحيرة ساوة كما هو في بعض النسخ، إلا أن يريد المصنف عند خروج يأجوج ومأجوج، فإنه ورد أن أوائل يأجوج ومأجوج⁽¹⁾ يشرب بحيرة طبرية ويجيء آخرهم فيقول: لقد كان بها ماء.

(2) (قوله: لَمْ تَحْمَدَ) يجوز فيه ضم الميم وفتحها، فإنه ورد من باب نَصَرَ يَنْصُرُ، وباب عَلِمَ يَعْلَمُ.

(3) (قوله: وَكَانَ سَائِرُ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ) قال الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص: «ومن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يستعملون سائر بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي»⁽²⁾، انتهى.

وقال أبو عمرو ابن الصلاح: «لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قول صاحب الصحاح⁽³⁾: سَائِرُ الناس جميعهم، فإنه لا يقبل ما يتفرد به».

وقال النووي: «إن سائر بمعنى جميع لغة صحيحة لم يتفرد بها صاحب الصحاح، بل ذكرها الجواليقي⁽⁴⁾ في شرح أدب الكاتب»⁽⁵⁾.

(1) [فإنه ورد أن أوائل يأجوج ومأجوج] ساقط من (ز).

(2) درة الغواص في أوهام الخواص (ص: 9).

(3) الصحاح (692/2) مادة: سير.

(4) شرح أدب الكاتب (ص: 41).

(5) تهذيب الأسماء واللغات (140/3) مادة: سار.

قَالَتْ أُمُّ أَيِّمَنَ حَاضِنَتُهُ: «مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى شَكَى جُوعًا وَلَا عَطَشًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا».

وَمِنْ ذَلِكَ حِرَاسَةُ السَّمَاءِ بِالشُّهْبِ، وَقَطْعِ رَضْدِ الشَّيَاطِينِ وَمَنْعِهِمْ اسْتِزْوَاقِ السَّمْعِ.

وَمَا نَشَأَ عَلَيْهِ مِنْ بُغْضِ الْأَصْنَامِ، وَالْعِفَّةِ عَنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَحَمَاهُ حَتَّى فِي سِتْرِهِ ⁽¹⁾ فِي الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ بِنَاءِ الْكُعْبَةِ، إِذْ أَخَذَ إِزَارَهُ لِيَجْعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ وَتَعَرَّى، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَةُ: مَا بَالُكَ؟ فَقَالَ: «إِنِّي نُهِيتُ عَنِ التَّعَرِّي».

وَمِنْ ذَلِكَ إِضْلَالُ اللَّهِ لَهُ بِالْغَمَامِ فِي سَفَرِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ خَدِيجَةَ وَنِسَاءَهَا رَأَيْنَهُ لَمَّا قَدِمَ وَمَلَكَانِ يُظْلَانِهِ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِمَيْسَرَةٍ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مُنْذُ خَرَجَ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ حَلِيمَةَ رَأَتْ عِمَامَةً تُظِلُّهُ وَهُوَ عِنْدَهَا.

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَاغْشَوْشَبَ مَا حَوْلَهَا، وَأَيَّنَعَتْ ⁽²⁾ هِيَ فَأَشْرَقَتْ، وَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْصَانُهَا بِمَحْضَرٍ مَنْ رَأَاهُ.

(1) (قوله: حَتَّى فِي سِتْرِهِ) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية ⁽¹⁾.

(2) (قوله: وَأَيَّنَعَتْ) أي أدركت ثمرتها ونضجت.

(1) [الفوقية] ساقط من (أ).

وَمِثْلُ فَيْءِ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ فِي الْخَبَرِ الْآخِرِ، حَتَّى أَظَلَّتْهُ.
وَمَا ذَكَرَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا ظِلَّ لِشَخْصِهِ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ، لِأَنَّهُ كَانَ
نُورًا.

وَأَنَّ الذُّبَابَ كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلَا ثِيَابِهِ.
وَمِنْ ذَلِكَ تَحْيِيبُ الْخُلُوةِ إِلَيْهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ، ثُمَّ إِعْلَامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُوقِ
أَجَلِهِ، وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي بَيْتِهِ، وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ مَنْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِنْ
رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

وَتَخْيِيرُ اللَّهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ.
وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ، وَتَشْرِيفِهِ، وَصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ
عَلَى جَسَدِهِ، عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا.
وَاسْتِثْنَاءُ مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ، وَنِدَائِهِمْ
الَّذِي سَمِعُوهُ: «أَنْ لَا تَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ»، عِنْدَ غُسْلِهِ.
وَمَا رُويَ مِنْ تَعْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ.
إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ، كَاسْتِسْقَاءِ
عُمَرَ بِعَمِّهِ وَتَبَرُّكِ غَيْرِ وَاحِدٍ بِدُرِّيَّتِهِ.

فَصْلٌ

[فِي خَاتِمَةِ الْبَابِ]

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ أَتَيْنَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى نَكْتٍ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ وَاضِحَةٍ، وَجُمْلٍ مِنْ عَلَامَاتِ بُرُوتِهِ مُفْنِعَةٍ، فِي وَاحِدٍ مِنْهَا الْكِفَايَةُ وَالْغُنْيَةُ، وَتَرَكْنَا الْكَثِيرَ سِوَى مَا ذَكَرْنَا، وَاقْتَصَرْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الطُّوَالِ عَلَى عَيْنِ الْغَرَضِ، وَفَصَّ⁽¹⁾ الْمَقْصِدِ، وَمِنْ كَثِيرِ الْأَحَادِيثِ وَغَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ، إِلَّا يَسِيرًا مِنْ غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الْأَيْمَةِ، وَحَذَفْنَا الْإِسْنَادَ فِي جُمُهِورِهَا طَلَبًا لِلِاخْتِصَارِ، وَبِحَسَبِ⁽²⁾ هَذَا الْبَابِ لَوْ تَقْصِي أَنْ يَكُونَ دِيوانًا جَامِعًا يَشْتَمِلُ عَلَى مُجَلَّدَاتٍ عِدَّةٍ.

وَمُعْجَزَاتُ نَبِيِّنا ﷺ أَظْهَرُ مِنْ سَائِرِ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ بِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: كَثَرَتُهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ نَبِيٌّ مُعْجِزَةً إِلَّا وَعِنْدَ نَبِيِّنا مِثْلُهَا، أَوْ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا.

وَقَدْ نَبَّهَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ أَرَدْتَهُ فَتَأَمَّلْ فُصُولَ هَذَا الْبَابِ وَمُعْجَزَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، تَقَفْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَأَمَّا كَوْنُهَا كَثِيرَةً فَهَذَا الْقُرْآنُ وَكُلُّهُ مُعْجِزٌ، وَأَقْلُ مَا يَقَعُ الْإِعْجَازُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ أَيْمَةِ الْمُحَقِّقِينَ سُورَةُ: ﴿إِنَّا آعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]، أَوْ آيَةٌ فِي قَدْرِهَا.

فصل قال القاضي

(1) (قوله: وَفَصَّ) بالفاء والصاد المهملة، واحد الفصوص، ذكر ابن مالك وغيره أنه مثلث الفاء.

(2) (قوله: وَبِحَسَبِ) بإسكان السين المهملة، أي يكفي.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ كَيْفَ كَانَتْ مُعْجَزَةً.
وَزَادَ آخَرُونَ أَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُنْتَظِمَةٍ مِنْهُ مُعْجَزَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ
كَلِمَتَيْنِ.

وَالْحَقُّ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]،
فَهُوَ أَقْلُ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ، مَعَ مَا يَنْصُرُ هَذَا مِنْ نَظَرٍ وَتَحْقِيقٍ يَطُولُ بَسْطُهُ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا، فَفِي الْقُرْآنِ مِنَ الْكَلِمَاتِ نَحْوُ مِنْ سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ
كَلِمَةٍ وَنِيفٍ، عَلَى عَدَدِ بَعْضِهِمْ، وَعَدَدُ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]
عَشْرُ كَلِمَاتٍ، فَتَجَزُّو الْقُرْآنَ عَلَى نِسْبَةِ عَدَدِ كَلِمَاتِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ
۝١﴾ [الكوثر: 1] أَزِيدُ مِنْ سَبْعَةِ آلَافِ جُزْءٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُعْجَزٌ فِي نَفْسِهِ.

ثُمَّ إِعْجَازُهُ كَمَا تَقَدَّمَ بِوَجْهَيْنِ:

طَرِيقُ بَلَاغَتِهِ، وَطَرِيقُ نَظْمِهِ، فَصَارَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ
مُعْجَزَتَانِ، فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

ثُمَّ فِيهِ وَجُوهٌ إِعْجَازٍ أُخَرُ، مِنَ الْإِخْبَارِ بِعُلُومِ الْغَيْبِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي
السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ هَذِهِ التَّجْزِئَةِ الْخَبَرُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْغَيْبِ، كُلُّ خَبَرٍ مِنْهَا
بِنَفْسِهِ مُعْجَزٌ، فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ كَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ وَجُوهُ الْإِعْجَازِ الْأُخَرُ الَّتِي
ذَكَرْنَاهَا تُوجِبُ التَّضْعِيفَ.

هَذَا فِي حَقِّ الْقُرْآنِ، فَلَا يَكَادُ يَأْخُذُ الْعَدُّ مُعْجَزَاتِهِ، وَلَا يَحْوِي الْحَضَرُ
بِرَاهِينَهُ.

ثُمَّ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ ﷺ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ،
وَعَمَّا دَلَّ عَلَى أَمْرِهِ مِمَّا أَشْرْنَا إِلَى جُمْلِهِ يَبْلُغُ نَحْوًا مِنْ هَذَا.

الْوَجْهَ الثَّانِي: وَضُوحُ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ، فَإِنَّ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ كَانَتْ بِقَدْرِ هِمَمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَبِحَسَبِ الْفَرَنِ الَّذِي سَمَّا فِيهِ قَرْنُهُ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ مُوسَى غَايَةً عِلْمُ أَهْلِهِ السِّحْرِ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُوسَى بِمُعْجَزَةٍ تُشَبِّهُ مَا يَدَّعُونَ قُدْرَتَهُمْ عَلَيْهِ، فَجَاءَهُمْ مِنْهَا مَا خَرَقَ عَادَتَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِمْ، وَأَبْطَلَ سِحْرَهُمْ.

وَكَذَلِكَ زَمَنُ عِيسَى، أَغْنَى مَا كَانَ الطَّبُّ، وَأَوْفَرَ مَا كَانَ أَهْلُهُ، فَجَاءَهُمْ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَأَتَاهُمْ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ دُونَ مُعَالِجَةِ وَلَا طَبِّ، وَهَكَذَا سَائِرُ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجُمْلَةً مَعَارِفِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهَا أَرْبَعَةً: الْبَلَاغَةَ، وَالشَّعْرَ، وَالْخَبَرَ، وَالْكِهَانَةَ⁽¹⁾، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْخَارِقَ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، فَضُولٌ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْإِيْجَازِ وَالْبَلَاغَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ نَمَطِ كَلَامِهِمْ، وَمِنْ النَّظْمِ الْغَرِيبِ وَالْأَسْلُوبِ الْعَجِيبِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَهْتَدُوا فِي الْمَنْظُومِ إِلَى طَرِيقِهِ، وَلَا عَلِمُوا فِي أَسَالِيبِ الْأَوْزَانِ مِنْهَجَهُ، وَمِنْ الْأَخْبَارِ عَنِ الْكَوَائِنِ وَالْحَوَادِثِ وَالْأَسْرَارِ وَالْمُحَبَّاتِ وَالضَّمَائِرِ، فَتَوَجَّدَ عَلَى مَا كَانَتْ، وَيَعْتَرَفُ الْمُخْبِرُ عَنْهَا بِصِحَّةِ ذَلِكَ وَصِدْقِهِ، وَإِنْ كَانَ أَعْدَى الْعَدُوِّ، فَأَبْطَلَ الْكِهَانَةَ الَّتِي تَصْدُقُ مَرَّةً وَتَكْذِبُ عَشْرًا، ثُمَّ اجْتَنَّبَهَا⁽²⁾ مِنْ أَضْلَاهَا بِرَجْمِ الشُّهْبِ، وَرَصْدِ الثُّجُومِ.

(1) (قوله: وَالْكِهَانَةُ) في الصحاح: «يَقَالُ: كَهَنَ يَكْهِنُ كِهَانَةً⁽¹⁾، مِثْلَ كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَابَةً».

قال: «وَإِذَا أَرَدْتَ أَنَّهُ صَارَ كَاهِنًا قُلْتَ: كَهَنَ بِالضَّمِّ كِهَانَةً بِالْفَتْحِ»⁽²⁾.

(2) (قوله: ثُمَّ اجْتَنَّبَهَا) بجيم فمشناة فوقية فمثلة، أي اقتلعاها من أصلها.

(1) [كهانة] ساقط من (ز).

(2) الصحاح (2191/6) مادة: كهن.

وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، وَأَنْبَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ،
وَالْحَوَادِثِ الْمَاضِيَةِ، مَا يَعْجِزُ مَنْ تَفَرَّغَ لِهَذَا الْعِلْمِ عَنْ بَعْضِهِ عَلَى الْوُجُوهِ
الَّتِي بَسَطْنَاهَا وَبَيَّنَّا الْمُعْجَزَ فِيهَا.

ثُمَّ بَقِيَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْجَامِعَةُ لِهَذِهِ الْوُجُوهِ إِلَى الْفُضُولِ الْأُخْرَى الَّتِي
ذَكَرْنَاهَا فِي مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ، ثَابِتَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَيِّنَةُ الْحُجَّةِ لِكُلِّ أُمَّةٍ تَأْتِي،
لَا يَخْفَى وَجْهُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ نَظَرَ فِيهِ وَتَأَمَّلَ وَجْوهَ إِعْجَازِهِ.

إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ، فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ وَلَا زَمَنٌ
إِلَّا وَيُظْهَرُ فِيهِ صِدْقُهُ بِظُهُورِ مُخْبِرِهِ⁽¹⁾ عَلَى مَا أَخْبَرَ، فَيَتَجَدَّدُ الْإِيمَانُ، وَيَتَظَاهَرُ
الْبُرْهَانُ، وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ، وَلِلْمُشَاهَدَةِ زِيَادَةٌ فِي الْيَقِينِ، وَالنَّفْسُ أَشَدُّ
طُمَأْنِينَةً إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ مِنْهَا إِلَى عِلْمِ الْيَقِينِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ عِنْدَهَا حَقًّا.

وَسَائِرُ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِهِمْ، وَعَدِمَتْ بَعْدَ دَوَاتِهَا،
وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقَطِعُ، وَأَيَاتُهُ تَتَجَدَّدُ وَلَا تَضْمَحِلُّ⁽²⁾، وَلِهَذَا
أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ فِيمَا حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو
الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ، قَالُوا:
حَدَّثَنَا الْفَرَبَرِيُّ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ،
عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي
أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ الظَّاهِرُ وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(1) (قوله: مُخْبِرِهِ) بسكون المعجمة وفتح الموحدة.

(2) (قوله: وَلَا تَضْمَحِلُّ) يقال: اضمحلَّ السحابُ، أي تَقَشَّعَ.

وَذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَظُهُورِ مُعْجَزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ إِلَى مَعْنَى آخَرَ مِنْ ظُهُورِهَا، بِكَوْنِهَا وَحِيًّا وَكَلَامًا لَا يُمَكِّنُ التَّحِيلُ فِيهِ وَلَا التَّحِيلُ عَلَيْهِ وَلَا التَّشْبِيهُ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ قَدْ رَامَ الْمُعَانِدُونَ لَهَا بِأَشْيَاءَ طَمَعُوا فِي التَّحْيِيلِ بِهَا عَلَى الضُّعَفَاءِ، كَالِقَاءِ السَّحَرَةِ حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتِهِمْ، وَشَبَهُ هَذَا مِمَّا يُحْيِلُهُ السَّاحِرُ أَوْ يَتَحِيلُ فِيهِ.

وَالْقُرْآنُ كَلَامٌ لَيْسَ لِلْحِيلَةِ، وَلَا لِلْسَّحْرِ، وَلَا لِلتَّحْيِيلِ فِيهِ عَمَلٌ، فَكَانَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ عِنْدَهُمْ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ، كَمَا لَا يَتِمُّ لِشَاعِرٍ وَلَا خَطِيبٍ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا أَوْ خَطِيبًا بِضَرْبٍ مِنَ الْحِيلِ وَالتَّمْوِيهِ.

وَالتَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ أَخْلَصُ وَأَرْضَى، وَفِي هَذَا التَّأْوِيلِ الثَّانِي مَا يُعَمَّضُ⁽¹⁾ عَلَيْهِ الْجَفْنُ وَيُعْضَى.

وَجْهٌ ثَالِثٌ عَلَى مَنْ قَالَ بِالصَّرْفَةِ، وَأَنَّ الْمُعَارَضَةَ كَانَتْ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ فَضَرَفُوا عَنْهَا، أَوْ عَلَى أَحَدِ مَذْهَبَيْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَنَّ الْإِثْنَانَ بِمِثْلِهِ مِنْ جِنْسٍ مَقْدُورِهِمْ.

وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَبْلُ وَلَا يَكُونُ بَعْدُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْدِرْهُمْ وَلَا يَقْدِرْهُمْ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ فَرْقٌ بَيِّنٌ، وَعَلَيْهِمَا جَمِيعًا فَتَرَكُ الْعَرَبُ الْإِثْنَانَ بِمَا فِي مَقْدُورِهِمْ، أَوْ مَا هُوَ مِنْ جِنْسٍ مَقْدُورِهِمْ.

وَرِضَاهُمْ بِالْبَلَاءِ وَالْجَلَاءِ⁽²⁾، وَالسِّبَاءِ وَالْإِذْلَالِ، وَتَغْيِيرِ الْحَالِ، وَسَلْبِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ، وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّعْجِيزِ، وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، أُبَيِّنُ آيَةً لِلْعَجْزِ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ، وَالنُّكُولِ عَنِ مُعَارَضَتِهِ، وَأَنَّهُمْ مُنَعُوا عَنْ شَيْءٍ هُوَ مِنْ جِنْسٍ مَقْدُورِهِمْ.

(1) (قوله: مَا يُعَمَّضُ) بضم المشناة التحتية⁽¹⁾ وتشديد الميم المفتوحة، والجَفْنُ بفتح الجيم.

(2) (قوله: وَالْجَلَاءُ) بفتح الجيم والمد، أي الخروج من البلد.

(1) نهاية اللوحة (57/ظ).

وَالِى هَذَا ذَهَبَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوِينِيُّ وَغَيْرُهُ، قَالَ: «وَهَذَا عِنْدَنَا أُبْلَغُ فِي خَرْقِ الْعَادَةِ بِالْأَفْعَالِ الْبَدِيعَةِ فِي أَنْفُسِهَا، كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً وَنَحْوَهَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْبِقُ إِلَى بَالِ النَّاطِرِ بَدَارًا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ اخْتِصَاصِ صَاحِبِ ذَلِكَ بِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ وَفَضْلِ عِلْمٍ، إِلَى أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ صَحِيحُ النَّظَرِ».

وَأَمَّا التَّحْدِي لِلْخَلَائِقِ الْمِئِينَ مِنَ السِّنِينَ بِكَلَامٍ مِنْ جَنْسِ كَلَامِهِمْ لِيَأْتُوا بِمِثْلِهِ، فَلَمْ يَأْتُوا، فَلَمْ يَتَّقْ بَعْدَ تَوْفُرِ الدَّوَاعِي عَلَى الْمُعَارَضَةِ ثُمَّ عَدِمَهَا إِلَّا أَنْ مَنَعَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَنْهَا، بِمِثَابَةِ مَا لَوْ قَالَ نَبِيٌّ: آتَيْتِي أَنْ يَمْنَعَ اللَّهُ الْقِيَامَ عَنِ النَّاسِ مَعَ مَقْدَرَتِهِمْ⁽¹⁾ عَلَيْهِ وَارْتِفَاعِ الزَّمَانَةِ عَنْهُمْ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ وَعَجَزَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقِيَامِ، لَكَانَ مِنْ أَبْهَرِ آيَةٍ وَأَظْهَرِ دَلَالَةٍ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَقَدْ غَابَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَجْهُ ظُهُورِ آيَتِهِ عَلَى سَائِرِ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى احْتِجَاجُ اللَّعْذَرِ عَنْ ذَلِكَ بِدَقَّةِ أَفْهَامِ الْعَرَبِ وَذِكَاةِ أَلْبَابِهَا وَوُفُورِ عُقُولِهَا، وَأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا الْمُعْجِزَةَ فِيهِ بِفِطْنَتِهِمْ، وَجَاءَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِحَسْبِ إِدْرَاكِهِمْ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبِطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ، بَلْ كَانُوا مِنَ الْعَبَاوَةِ⁽²⁾ وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ بِحَيْثُ جَوَزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ، وَجَوَزَ عَلَيْهِمْ السَّامِرِيُّ⁽³⁾ ذَلِكَ فِي الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 175]، فَجَاءَتْهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلْأَبْصَارِ بِقَدْرِ غَلْظِ أَفْهَامِهِمْ مَا لَا يَشْكُونَ فِيهِ، وَمَعَ هَذَا فَقَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: 55] وَلَمْ يَضْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَاسْتَبَدَّلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.

(1) (قوله: مَقْدَرَتِهِمْ) بضم الدال وفتحها، أي قدرتهم.

(2) (قوله: مِنَ الْعَبَاوَةِ) بفتح الغين المعجمة، عدم الفطنة.

(3) (قوله: السَّامِرِيُّ) كان اسمه موسى بن ظفر، وكان من عظماء بني إسرائيل.

وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّيْهَا أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقَرَّبُ بِالْأَضْنَامِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَخَدَهُ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ ﷺ بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصَفَاءِ لُبِّهِ، وَلَمَّا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ بِكِتَابِ اللَّهِ فَهَمُّوا حِكْمَتَهُ، وَتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ مُعْجَزَتِهِ، فَأَمَنُوا بِهِ وَازْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ إِيمَانًا، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي صُحْبَتِهِ، وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ.

وَأَتَى فِي مَعْنَى هَذَا بِمَا يُلَوِّحُ لَهُ رَوْنَقٌ، وَيُعْجِبُ مِنْهُ زَبْرَجٌ⁽¹⁾، لَوْ احْتِجَّ إِلَيْهِ وَحَقَّقَ، لَكُنَّا قَدَمْنَا مِنْ بَيَانِ مُعْجَزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ رُكُوبِ بُطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ وَظُهُورِهَا، وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

(1) (قوله: زَبْرَجٌ) بكسر الزاي بعدها موحدة ساكنة فراء مكسورة فجيم، هي الزينة من وشي أو جوهرٍ وذهب.

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى وَشَرْحِهِ مُزِيلِ الْخَفَا عَنْ أَلْفَاظِ الشِّفَا، وَيَلِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْجُزْءُ الثَّانِي.

فهرس الموضوعات

4	مقدمة
6	ترجمة العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشُّمَّيْ
18	التعريف بكتاب مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا
20	وصف النسخ المعتمدة في التحقيق
22	نماذج من صور النسخ الخطية
27	مُقدِّمةُ المُصنِّف والشارح
41	القِسْمُ الأوَّلُ فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ قَوْلًا وَفِعْلًا
44	البَابُ الأوَّلُ فِي ثَنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ لَدَيْهِ
44	الفَصْلُ الأوَّلُ فِيْمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ مَجِيءَ الْمَدْحِ وَالْثَنَاءِ وَتَعْدَادِ الْمَحَاسِنِ
57	الفَصْلُ الثَّانِي فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ بِالشَّهَادَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الثَّنَاءِ وَالْكَرَامَةِ
62	الفَصْلُ الثَّلَاثُ فِي مَا وَرَدَ مِنْ خِطَابِهِ إِثْبَاتُهُ مَوْرِدِ الْمُلَاطَفَةِ وَالْمُبَرَّةِ
66	الفَصْلُ الرَّابِعُ فِي قَسْمِهِ تَعَالَى بِعَظِيمِ قَدْرِهِ
70	الفَصْلُ الْخَامِسُ فِي قَسْمِهِ تَعَالَى جَدُّهُ لَهُ لِتَحَقُّقِ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ
78	الفَصْلُ السَّادِسُ فِيْمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي جِهَتِهِ ﷺ مَوْرِدَ الشَّفَقَةِ
82	الفَصْلُ السَّابِعُ فِيْمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ
85	الفَصْلُ الثَّامِنُ فِي إِغْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ وَوَلَايَتِهِ لَهُ
88	الفَصْلُ التَّاسِعُ فِي مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الْفَتْحِ مِنْ كَرَامَاتِهِ ﷺ
92	الفَصْلُ الْعَاشِرُ فِي مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ كَرَامَتِهِ عِنْدَهُ
96	البَابُ الثَّانِي فِي تَكْمِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ الْمَحَاسِنَ خَلْقًا وَخَلْقًا
98	فَصْلٌ فِي خِصَالِ كَمَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَجَلَالِهِ
101	فَصْلٌ فِي صِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ ﷺ
107	فَصْلٌ فِي نَظَافَتِهِ ﷺ وَطِيبِ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ
114	فَصْلٌ فِي وَفُورِ عَقْلِهِ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ، وَقُوَّةِ حَوَاسِهِ ﷺ

119	فَضْلٌ فِي فَصَاحَةِ لِسَانِهِ ﷺ وَبَلَاغَةِ قَوْلِهِ
139	فَضْلٌ فِي شَرَفِ نَسَبِهِ ﷺ وَكَرَمِ بَلَدِهِ وَمَنْشَأِهِ
142	فَضْلٌ فِي حَالَتِهِ ﷺ فِي مَا تَدْعُو ضَرُورَةَ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ
147	فَضْلٌ فِي زَوَاجِهِ ﷺ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ
155	فَضْلٌ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ وَالْمَتَاعِ
159	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَدَابِ الشَّرِيفَةِ
167	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِوُفُورِ عَقْلِهِ
169	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِحِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَعَفْوِهِ وَصَبْرِهِ
178	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَسَخَائِهِ وَسَمَاحَتِهِ
184	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِشَجَاعَتِهِ وَنَجْدَتِهِ
189	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِحَيَاتِهِ وَإِعْضَائِهِ عَنِ الْعَوْرَاتِ
191	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِحُسْنِ عَشْرَتِهِ وَأَدَبِهِ وَبَسْطِ خُلُقِهِ
195	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِشَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ
200	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِوَفَائِهِ وَحُسْنِ عَهْدِهِ وَصِلَةِ رَحِمِهِ
206	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِتَوَاضُعِهِ
212	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِعَدْلِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ
217	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِوَقَارِهِ وَصَمْتِهِ وَتَوَدُّتِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَحُسْنِ هَدْيِهِ
221	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا
226	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ بِخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ لَهُ وَشِدَّةِ عِبَادَتِهِ
232	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ
240	فَضْلٌ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ فِي جَمْعِ شَمَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ
251	فَضْلٌ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ هَذَا الْحَدِيثِ وَمُشْكِلِهِ
256	الْبَابُ الثَّلَاثُ فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ .

257	الْفَضْلُ الْأَوَّلُ فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذِكْرِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْإِصْطِفَاءِ
271	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ وَالرُّؤْيَا
283	فَضْلٌ فِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ
288	فَضْلٌ فِي إِبْطَالِ حُجَجٍ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا نَوْمٌ
292	فَضْلٌ فِي رُؤْيَيْهِ ﷺ لِرَبِّهِ
301	فَضْلٌ فِي مُنَاجَاةِهِ ﷺ لِلَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ
303	الْفَضْلُ السَّابِعُ فِي دُنُوهِ ﷺ وَقُرْبِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ
306	فَضْلٌ فِي ذِكْرِ تَفْضِيلِهِ فِي الْقِيَامَةِ بِخُصُوصِ الْكَرَامَةِ
311	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ
318	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ
327	فَضْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِالْوَسِيلَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْثَرِ
329	فَضْلٌ فِي تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي النَّهْيِ عَنْ تَفْضِيلِهِ ﷺ
332	فَضْلٌ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فَضِيلَتِهِ
341	فَضْلٌ فِي تَشْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا سَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى
350	فَضْلٌ فِي أَنَّ مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تَشَابُهَ بَيْنَهُمَا
353	الْبَابُ الرَّابِعُ فِيمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ
357	فَضْلٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ بَيْنِ الثُّبُوتِ وَالرِّسَالَةِ
361	فَضْلٌ فِي مَعْنَى الْمُعْجَزَاتِ
367	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ
375	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِنَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ
379	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ
381	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مَا أَتْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ ...
385	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِالتَّحْدِي والتَّعْجِيزِ
387	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِرُوعَتِهِ فِي السَّمْعِ وَهَيْئَتِهِ فِي الْقُلُوبِ

390	فَضْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِبَقَائِهِ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا
391	فَضْلٌ فِي وُجُوهِ الإِعْجَازِ الأُخْرَى
396	فَضْلٌ فِي انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَحَبْسِ الشَّمْسِ
401	فَضْلٌ فِي نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِهِ بِبَرَكَتِهِ
404	فَضْلٌ فِي تَفْجِيرِ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ
408	فَضْلٌ فِي تَكْثِيرِ الطَّعَامِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ ﷺ
416	فَضْلٌ فِي كَلَامِ الشَّجَرِ وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَإِجَابَتِهَا دَعْوَتِهِ
422	فَضْلٌ فِي قِصَّةِ حَنِينِ الْجَذَعِ لَهُ ﷺ
425	فَضْلٌ فِي تَسْبِيحِ الْجَمَادَاتِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَامِهَا عَلَيْهِ
429	فَضْلٌ فِي الآيَاتِ فِي ضُرُوبِ الْحَيَوَانَاتِ
436	فَضْلٌ فِي إِخْيَاءِ الْمَوْتَى وَكَلَامِهِمْ، وَكَلَامِ الصَّيَّانِ وَالْمَرَاضِعِ
442	فَضْلٌ فِي إِبْرَاءِ الْمَرْضَى وَذَوِي الْعَاهَاتِ
447	فَضْلٌ فِي إِجَابَةِ دُعَائِهِ ﷺ
454	فَضْلٌ فِي كَرَامَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ وَانْقِلَابِ الْأَعْيَانِ لَهُ فِيمَا لَمَسَهُ أَوْ بَاشَرَهُ ﷺ
461	فَضْلٌ فِي مَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ وَمَا يَكُونُ
475	فَضْلٌ فِي عِصْمَةِ اللَّهِ لَهُ مِنَ النَّاسِ وَكِفَايَتِهِ مِنْ أَذَاهُمْ
483	فَضْلٌ فِي مَعَارِفِهِ ﷺ وَعُلُومِهِ
491	فَضْلٌ فِي أَنْبَاءِهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ
494	فَضْلٌ فِي أَخْبَارِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَلَامَاتِ رِسَالَتِهِ عِنْدَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
498	فَضْلٌ فِي مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ﷺ
502	فَضْلٌ فِي خَاتِمَةِ الْبَابِ
509	فهرس الموضوعات